سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٦٢)

حسن العهد

في الأحاديث و الآثار و الأخبار

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

- ٧٠ "

(باب ما جاء في حسن العهد)

وفي صحيح البخاري باب حسن العهد من الايمان

قال أبو عبيد العهد هنا رعاية الحرمة وقال عياض هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له

وقال الراغب حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال

قوله [٢٠١٧] (ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه و سلم) بكسر الغين المعجمة من غار يغار نحو خاف يخاف (ما غرت على خديجة) ما الأولى نافية والثانية موصولة أو مصدرية

أي ما غرت مثل التي غرتها أو مثل غيرتي عليها والغيرة الحمية والأنف

قال الحافظ قوله على خديجة يريد من خديجة فأقام على مقام من وحروف الجر تتناوب في رأي أو على سببية أوبسبب خديجة وفيه ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن

وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي صلى الله عليه و سلم لكن كانت تغار من خديجة أكثر

وقد بينت سبب ذلك وإنه لكثرة ذكر النبي صلى الله عليه و سلم إياها وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها

وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة

وقال القرطبي مرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها (وما بي أن أكون أدركتها) الجملة حالية وما نافية وفي رواية للشيخين وما رأيتها وهي تقتضي عدم الغيرة لعدم الباعث عليها غالبا ولذا قالت (وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم لها) وفي رواية للنسائي من كثرة ذكره إياها وثنائه عليها (وإن) من مخففة المثقلة (ليذبح الشاة) أي شاة من الشياه (فيتتبع) أي يتطلب

قال في القاموس تتبعه تطلبه وقال فيه طلبه وتطلبه واطلبه كافتعله حاول وجوده وأخذه (بها) أي بالشاة المذبوحة يعني بأعضائها

وفي رواية للشيخين وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة

(صدائق خديجة) أي أصدقائها جمع صديقة وهي المحبوبة (فيهديها لهن) من الاهداء أي يتحفهن إياها

ومطابقة الحديث للباب في إهداء النبي صلى الله عليه و سلم اللحم لأصدقاء خديجة وخلائلها رعيا منه لذمامها وحفظا لعهدها

وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الشعب من طريق صالح بن رستم عن بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاءت عجوز إلى ." (١)

" النبي الله صلى الله عليه و سلم فقال كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله

فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال فقال يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الايمان

قوله (هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه الشيخان

١ -

(باب ما جاء في معالي الأخلاق)

جمع المعلاة قال في القاموس المعلاة كسب الشرف وقال في الصراح علاء بالفتح والمد بلندي درقدر ونزلت على بالضم والقصر معلاة بالفتح كذلك والجمع المعالي

قوله [٢٠١٨] (حدثنا أحمد بن الحسن بن خراش البغدادي) أبو جعفر صدوق من الحادية عشرة (حدثنا حبان بن هلال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة أبو حبيب البصري ثقة ثبت من التاسعة (حدثنا مبارك بن فضالة) بفتح الفاء وتخفيف المعجمة أبو فضالة البصري صدوق يدلس ويسوي من السادسة (حدثني عبد ربه بن سعيد) بن قيس الأنصاري أخو يحيى المدني ثقة من الخامسة

قوله (إن من أحبكم إلي) أي في الدنيا (أحاسنكم أخلاقا) نصبه على التمييز وجمعه لإرادة الأنواع أو لمقابلة الجمع بالجمع (وإن من أبغضكم إلي) أي في الدنيا وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون)

وفي حديث أبي ثعلبة الخشني عند البيهقي وأبعدكم مني مساويكم أخلاقا الثرثارون الحديث

قال القارىء ويروي أساويكم جمع أسوء كأحاسن جمع أحسن وهو مطابق لما في أصل المصابيح

وقال القاضي أفعل التفضيل إذا أضيف على معنى أن المراد به زائد على المضاف إليهم في الخصلة التي هودهم مشتركون فيها جاز الافراد والتذكير في الحالات كلها وتطبقه لما هو وصف له لفظا ومعنى

وقد جمع الوجهان في الحديث فأفرد أحب وبغض وجمع أحاسن وأساويء ." (٢)

" [٣٨٩٠] قوله (عن حميد) هو الطويل

قوله (قال أبوها) أي أبو بكر الصديق لسابقته في الإسلام ونصحه لله ورسوله وبذله نفسه وماله في رضاهما

قوله (هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه بن ماجه

٢٥ -

---

(١) تحفة الأحوذي، ١٣٤/٦

(٢) تحفة الأحوذي، ١٣٥/٦

(فضل خديجة رضي الله عنها)

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية كانت تحت أبي هالة بن زرارة ثم تزوجها عتيق بن عائذ ثم تزوجها النبي صلى الله عليه و سلم ولها يومئذ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكان لرسول الله صلى الله عليه و سلم خمس وعشرون سنة ولم ينكح صلى الله عليه و سلم قبلها امرأة ولا نكح عليها حتى ماتت وهي أول من آمن من كافة الناس ذكرهم وأنثاهم وجميع أولاده منها غير إبراهيم فإنه من مارية وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع سنين وقيل بثلاث وكان قد مضى من النبوة عشر سنين وكان لها من العمر خمس وستون سنة وكانت مدة مقامها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم خمسا وعشرين سنة ودفنت بالحجون

[٣٨٧٥] قوله عن عائشة قالت ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه و سلم الخ تقدم هذا الحديث مع شرحه في باب حسن العهد من أبواب البر والصلة ." (١)

"وفيه : العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة .

وفيه : فضل حسن العهد وأداء الأمانة ، والسماحة في المعاملة .

٢- باب التوبة

قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثاني : أن يندم على فعلها .

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبدا . فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه ، وإن كانت غيبة استحله منها . ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة على وجوب التوبة .

التوبة : الرجوع عن معصية الله تعالى إلى طاعته ، وطلب الاستحلال من المقذوف ونحوه إن بلغه ذلك ، و إلا كفى الاستغفار ، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « كفارة من اغتبته أن تسغفر له »

قال الله تعالى : وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون [النور (٣١)] .

(لعل) في الأصل للترجي ، وفي كلام الله تعالى للتحقيق ؛ لأن وعده واقع والآية تدل على وجوب التوبة من الصغائر

---

(١) تحفة الأحوذي، ١٠/٢٦٣

والكبائر .

وقال تعالى : فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا [نوح (١٠)] .." (١)

"خلل : فيه ﴿ إني أبرأ إلى كل ذي خلة من خلته ﴾ الخلة بالضم: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله: أي في باطنه. والخليل: الصديق، فعيل بمعنى مفاعل، وقد يكون بمعنى مفعول، وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة. وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب واجتهاد، فإن الطباع غالبة، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، ومن جعل الخليل مشتقا من الخلة وهي الحاجة والفقر، أراد إني أبرأ من الاعتماد والافتقار إلى أحد غير الله تعالى. وفي رواية ﴿ أبرأ إلى كل خل من خلته ﴾ بفتح الخاء وبكسرها وهما بمعنى الخلة والخليل. ومنه الحديث ﴿ لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ﴾ . والحديث الآخر ﴿ المرء بخليله، أو قال على دين خليله، فلينظر امرؤ من يخالل ﴾ وقد تكرر ذكره في الحديث. وقد تطلق الخلة على الخليل، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، لأنه في الأصل مصدر. تقول خليل بين الخلة والخلولة، ومنه قصيد كعب بن زهير: ياويحها خلة لو أنها صدقت موعودها (الرواية في شرح ديوانه ص ٧: ﴿ ما وعدت ﴾) أو لوان النصح مقبول. ومنه حديث حسن العهد ﴿ فيهديها في خلتها ﴾ أي أهل ودها وصداقتها. ومنه الحديث الآخر ﴿ فيفرقها في خلائلها ﴾ جمع خليلة. وفيه ﴿ اللهم ساد الخلة ﴾ الخلة بالفتح: الحاجة والفقر: أي جابرها. ومنه حديث الدعاء للميت ﴿ اللهم اسدد خلته ﴾ وأصلها من التخلل بين الشيئين، وهي الفرجة والثلمة التي تركها بعده، من الخلل الذي أبقاه في أموره. ومنه حديث عامر بن ربيعة ﴿ فوالله ما عدا أن فقدناها اختللناها ﴾ أي احتجنا إليها فطلبناها . ومنه حديث ابن مسعود ﴿ عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يختل إليه ﴾ أي يحتاج إليه. وفيه ﴿ أنه أتي بفصيل مخلول أو محلول ﴾:أي مهزول، وهو الذي جعل على أنفه خلال لئلا يرضع أمه فتهزل. وقيل المخلول: السمين ضد المهزول. والمهزول إنما يقال له خل ومختل والأول الوجه. ومنه يقال لابن المخاض خل لأنه دقيق الجسم. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه ﴿ كان له كساء فدكي فإذا ركب خله عليه ﴾ أي جمع بين طرفيه بخلال من عود أو حديد. ومنه:خللته بالرمح إذا طعنته به. ومنه حديث بدر وقتل أمية بن خلف ﴿ فتخللوه بالسيوف من تحتي ﴾ أي قتلوه بها طعنا حيث لم يقدروا أن يضربوه بها ضربا. وفيه ﴿ التخلل من السنة ﴾ هو استعمال الخلال لإخراج ما بين الأسنان من الطعام . والتخلل أيضا والتخليل: تفريق شعر اللحية وأصابع اليدين والرجلين في الوضوء. وأصله من إدخال الشيء في خلال الشيء، وهو وسطه. ومنه الحديث ﴿ رحم الله المتخللين من امتي في الوضوء والطعام ﴾ . ومنه الحديث ﴿ خللوا بين الأصابع لا يخلل الله بينها بالنار ﴾ . وفيه ﴿ إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقرة الكلأ بلسانها ﴾ هو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفا. وفي حديث الدجال ﴿ يخرج من خلة بين الشام والعراق ﴾ أي في طريق بينهما. وقيل للطريق والسبيل خلة؛ لأنه خل ما بين البلدين: أي أخذ مخيط (في الأصل: محيط بضم الميم وكسر الحاء والمثبت من ا واللسان والهروي. وفي الهروي: يقال: خطت البوم خيطة، أي سرت سيره

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ١٦/١

) ما بينهما. ورواه بعضهم بالحاء المهملة، من الحلول: أي سمت ذلك وقبالته. وفي حديث المقدام ﴿ ما هذا بأول ما أخللتم بي ﴾ أي أوهنتموني ولم تعينوني. والخلل في الأمر والحرب كالوهن والفساد. وفي حديث سنان بن سلمة ﴿ إنا نلقط الخلال ﴾ يعني البسر أول إدراكه، واحدتها خلالة بالفتح

خما : فيه ذكر ﴿ خمى ﴾ بضم الخاء وتشديد الميم المفتوحة، وهي بئر قديمة كانت بمكة. ٣باب الخاء مع النون." (١)

"عهد : في حديث الدعاء ﴿ وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ﴾ أي أنا مقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك والإقرار بوحدانيتك، لا أزول عنه، واستثنى بقوله ﴿ ما استطعت ﴾ موضع القدر السابق في أمره: أي إن كان قد جرى القضاء أن أنقض العهد يوما ما، فإني أخلد عند ذلك إلى التنصل والاعتذار لعدم الاستطاعة في دفع ما قضيته علي. وقيل معناه: إني متمسك بما عهدته إلي من أمرك ونهيك، ومبلي العذر في الوفاء به قدر الوسع والطاقة، وإن كنت لا أقدر أن أبلغ كنه الواجب فيه. (هـ س) وفيه ﴿ لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده أي (سقطت من ا) ولا ذو ذمة في ذمته ولا مشرك أعطي أمانا فدخل دار الإسلام فلا يقتل حتى يعود إلى مأمنه ﴾ . ولهذا الحديث تأويلان بمقتضى مذهب الشافعي وأبي حنيفة، أما الشافعي فقال: لا يقتل المسلم بالكافر مطلقا؛ معاهدا كان أو غير معاهد، حربيا كان أو ذميا، مشركا [كان (من ا)] أو كتابيا، فأجرى اللفظ على ظاهره ولم يضمر له شيئا، فكأنه نهى عن قتل المسلم بالكافر، وعن قتل المعاهد، وفائدة ذكره بعد قوله ﴿ لا يقتل مسلم بكافر ﴾ لئلا يتوهم متوهم أنه قد نفي عنه القود بقتله الكافر فيظن أن المعاهد لو قتله كان حكمه كذلك، فقال: ﴿ ولا ذو عهد في عهده ﴾ ويكون الكلام معطوفا على ما قبله، منتظما في سلكه من غير تقدير شيء محذوف. وأما أبو حنيفة فإنه خصص الكافر في الحديث بالحربي دون الذمي، وهو بخلاف الإطلاق؛ لأن من مذهبه أن المسلم يقتل بالذمي، فاحتاج أن يضمر في الكلام شيئا مقدرا، ويجعل فيه تقديما وتأخيرا، فيكون التقدير: لا يقتل مسلم ولا ذو عهد في عهده بكافر: أي لا يقتل مسلم ولا كافر معاهد بكافر، فإن الكافر قد يكون معاهدا وغير معاهد. وفيه ﴿ من قتل معاهدا لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ﴾ يجوز أن يكون بكسر الهاء وفتحها على الفاعل والمفعول، وهو في الحديث بالفتح أشهر وأكثر. والمعاهد: من كان بينك وبينه عهد، وأكثر ما يطلق في الحديث على أهل الذمة، وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مدة ما. ومنه الحديث ﴿ لا يحل لكم كذا وكذا، ولا لقطة معاهد ﴾ أي لا يجوز أن يتملك لقطته الموجودة من ماله؛ لأنه معصوم المال، يجري حكمه مجرى حكم الذمي. وقد تكرر ذكر ﴿ العهد ﴾ في الحديث. ويكون بمعنى اليمين، والأمام، والذمة، والحفاظ، ورعاية الحرمة، والوصية. ولا تخرج الأحاديث الواردة فيه عن أحد هذه المعاني. ومنه الحديث ﴿ حسن العهد من الإيمان ﴾ يريد الحفاظ ورعاية الحرمة. ومنه الحديث ﴿ تمسكوا بعهد ابن أم عبد ﴾ أي ما يوصيكم به ويأمركم، ويدل عليه حديثه الآخر ﴿ رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد ﴾ لمعرفته بشفقته عليهم ونصيحته لهم. وابن أم عبد: هو عبد الله بن مسعود. ومنه حديث علي رضي الله عنه ﴿ عهد إلي النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ﴾ أي أوصى. وحديث عبد بن زمعة ﴿ هو ابن أخي عهد إلي فيه أخي ﴾ . وفي حديث أم زرع ﴿ ولا يسأل عما عهد ﴾ أي عما كان يعرفه في البيت من طعام وشراب

(١) جامع غريب الحديث، ٢٨٨/١

ونحوهما؛ لسخائه وسعة نفسه. وفي حديث أم سلمة ﴿ قالت لعائشة: وتركت عهيداه ﴾ العهيدي بالتشديد والقصر فعيلي، من العهد، كالجهيدي من الجهد، والعجيلي من العجلة. وفي حديث عقبة بن عامر ﴿ عهدة الرقيق ثلاثة أيام ﴾ هو أن يشتري الرقيق ولا يشترط البائع البراءة من العيب، فما أصاب المشتري من عيب في الأيام الثلاثة فهو من مال البائع، ويرد إن شاء بلا بينة، فإن وجد به عيبا بعد الثلاثة فلا يرد إلا ببينة

عهر : فيه ﴿ الولد للفراش وللعاهر الحجر ﴾ العاهر: الزاني، وقد عهر يعهر عهرا وعهورا إذا أتى المرأة ليلا للفجور بها، ثم غلب على الزنا مطلقا. والمعنى: لا حظ للزاني في الولد، وإنما هو لصاحب الفراش: أي لصاحب أم الولد، وهو زوجها أو مولاها، وهو كقوله الآخر ﴿ له التراب ﴾ أي لا شيء له. ومنه الحديث ﴿ اللهم بدله بالعهر العفة ﴾ . ومنه الحديث ﴿ أيما رجل عاهر بحرة أو أمة ﴾ أي زنى، وهو فاعل منه، وقد تكرر في الحديث." (١)

"من عندك عاقنا النساء والصبيان وفعلنا وفعلنا فقال إن تلك الساعة فذكره

(٦١١) إن جبريل أتاني آنفا فبشرني أن الله قد أعطاني الشفاعة

أخرجه الطبراني في الكبير وابن عساكر عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه

سببه كما في الجامع الكبير عنه قال بينما نحن ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج إلينا مشرق الوجه يتهلل فقمنا في وجهه فقلنا يا رسول الله سرك الله إنه يسرنا ما نرى من إشراق وجهك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جبريل أتاني آنفا فبشرني أن الله قد أعطاني الشفاعة

فقلنا يا رسول الله أفي بني هاشم خاصة قال لا

فقلنا في قريش قال لا

فقلنا في أمتك قال هي في أمتي للمذنبين المثقلين

(٦١٢) إن جبريل عليه السلام أتاني فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه بها عشر درجات

أخرجه الضياء في المختارة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) جامع غريب الحديث، ١٢٨/٢

سببه عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته فلم يك أحد يتبعه ففزع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا في مشربة فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني إن جبريل فذكره

قال الطبراني تفرد به عمرو بن الربيع

(٦١٣) إن حسن العهد من الإيمان

أخرجه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها

قال الحاكم على شرطهما ولا علة له

وأقره الذهبي

سببه عنها قالت جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم عجوز فقال من أنت قالت جثامة المزنية

قال بل أنت

---

(١) ".

"حسانة المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعدها قالت بخير فلما خرجت قلت تقبل هذا الإقبال على هذه

قال إنما كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان

(٦١٤) إن حقا على الله تعالى أن لا يرتفع شيء من أمر الدنيا إلا وضعه

أخرجه الإمام أحمد والبخاري والنسائي وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه

سببه كما في البخاري عنه قال كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العضباء وكانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود فسبقها فاشتد ذلك عل المسلمين وقالوا سبقت العضباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فذكره

(٦١٥) إن خياركم أحسنكم قضاء

أخرجه الإمام أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) البيان والتعريف، ٢٣٢/١

سببه كما في البخاري عنه قال كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم سن من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال صلى الله عليه وسلم أعطوه فطلبوا سنا فلم يجدوا له إلا سنا فوقها فقال أعطوه

فقال أوفيتني أوفى الله لك

قال النبي صلى الله عليه وسلم إن خياركم فذكره

وفي الجامع الكبير أخرج عبد الرزاق عن أبي رافع قال استلف النبي صلى الله عليه وسلم من رجل بكرا فجاءته إبل الصدقة فأمرني أن أقضيه بكرا فقلت لم أجد إلا جملا خيارا رباعيا فقال اقضه إياه

قال خير الناس أحسنهم قضاء ورواه مالك

(٦١٦) إن دباغ الميتة طهورها

أخرجه ابن منده عن جون بن قتادة التيمي رضي الله عنه بهذا اللفظ وأخرجه مسلم من حديث ابن عباس ولفظه إذ

." (١)

"أبي عبيدة بن الجراح

سببه كما في الجامع الكبير عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرنا يوم يفتح الله على المسلمين ويفيء عليهم حتى ذكر الشام فقال إن ينسأ الله في أجلك يا أبا عبيدة فحسبك فذكره

(٩٤٧) حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن

أخرجه أبو نعيم والديلمي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها وفي رواية حجاب وفي رواية حاجز

سببه كما أورده ابن عساكر في ترجمة حسان عن عائشة قالت استأذن حسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجاء المشركين فقال كيف ونسبي فيهم قال لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين

فقال النبي صلى الله عليه وسلم حسان فذكره

---

(١) البيان والتعريف، ٢٣٣/١

(٩٤٨) حسن العهد من الإيمان

أخرجه الحاكم والديلمي عن عائشة رضي الله عنها قال الحاكم على شرطهما ولا علة له وأقره الذهبي

سببه عن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت فقالت أنا جثامة المزنية قال أنت حسانة

كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير

فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال قال إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ومر في إن أيضا

(٩٤٩) حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسينا الحسن والحسين سبطان من الأسباط

أخرجه البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه والحاكم عن يعلى بن مرة رضي الله عنه

قال الهيثمي إسناده حسن

سببه قال يعلى خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعام دعي له فإذا حسين

". (١)

" عن بن عمر قال سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم رجلا يعاتب أخاه في الحياء يقول إنك تستحي حتى إنه قد أضر بك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم دعه فإن الحياء من الإيمان

ومعنى هذا الحديث والله أعلم

أن الحياء لما كان يمنع من كثير من الفحش والفواحش ويحمل على كثير من أعمال البر والخير صار كالأيمان مضارعا لأنه يساويه في بعض معانيه لأن الأيمان شأنه منع صاحبه من كل ما حرم عليه إذا صاحبه التوفيق فهو مقيد بالإيمان يردعه عن الكذب والفجور والآثام كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن

والفتك القتل بعد الأمان والغدر بعد التأمين

فلما كان الحياء والإيمان سببين إلى فعل الخير جعل الحياء شعبة من الأيمان لأنه يمنع مثل الإيمان من ارتكاب ما لا يحل وما يعد من الفحش والفواحش وإن كان الحياء غريزة والإيمان فعل المؤمن الموفق له

وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان

رواه عبد الله بن دينار وسهيل بن أبي صالح جميعا عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم

---

(١) البيان والتعريف، ٢٣/٢

وقد ذكرنا طرق أسانيدها في التمهيد

وللإيمان أصول وفروع فمن أصوله الإقرار باللسان مع اعتقاد القلب بما نطق به اللسان من الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به عن ربه حق من البعث بعد الموت والإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله وكل ما أحكمه الله في كتابه ونقلته الكافة عن النبي صلى الله عليه و سلم من الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض بعد هذا

فكل عمل صالح فهو من فروع الإيمان فبر الوالدين من الإيمان وأداء الأمانة من الإيمان وحسن العهد من الإيمان وحسن الجوار من الإيمان وتوقير الكبير من الأيمان ورحمة الصغير حتى إطعام الطعام وإفشاء السلام من الإيمان ." (١)

"مما يؤذيه ، وقال ابن الأعرابى وابو عمرو : (رغم أنفه) : أى لصق بالرغام ، وهو تراب مختلط برمل .

والرغم أيضا : المساعة والغضب .

يقال : فعلت ذلك على رغم فلان ، أى [على] (٣) غضبته ومسا ته .

قال القاضى : ويقال : رغم معناه ة كره ، وقيل : ذل وخزى .

ويقال : رغم أنفه ، بالكسر والفتح ، وهو الرغم والرعم والرغم بالفتح والضم والكسر .

(١) فى خط : لكثير .

(٣) من خ .

(٢) فى ز : أن ، والمثبت من خط .

كتاب البر والصلة / باب فضل صلة اصدقاء الاب والام ونحوهما

١٥

(٤) باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ، ونحوهما

١١ - (٢٥٥٢) حدثنى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى سعيد بن أبى أيوب ، عن الوليد بن أبى الوليد ، عن عبد الله بن !ينار ، عن عبد الله بن عمر ؛ ان رجلا من ال الراب لقيه بطريق مكة ، فسلم عليه عبد الله ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه .

فقال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله ا إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير .

فقال عبد الله+ إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب .

وإنى سمعت رسول الله كلية يقول : " إن ابر البر ، صلة الولد أهل ود أبيه) .

١٢ - (...) حدئنى أبو الطاهر ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى حيوة بن شريح ، عن ابن الهاد ، عن عبد الله بن

---

(١) الاستذكار، ٢٨٢/٨

دينار ، عن عبد الله بن عمر ، أن النبى كلية قال : " أبر البر أن يصل الر جل ود أبيه لما .
١٣ - (...) حدثنا حسن بن على الحلوانى ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، حئثنا أبى والليث بن سعد ، جميعا عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن عبد الله بن !ينار ، عن ابن عمر ؛ أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمازيتروح عليه ،

وقوله : دا إن أبا هذا كان ودا لعمر لما : رويناه بالكسر والضم .

يقال : هو ود

[بالكسر] (١) و(ود) بدل ، أى ذو مودة ، مثل حبة وحبيبة .

والود ، والود كله مصدر وودت الرجل ، ومثله مودة مورو" ، وودادة ، وودادا وداد .

وقوله : (كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة) بالراء والحاء المهملة ، قال الإمام : أى يسير عليه ، يقال : تروح القوم : اذا ساروا أى وقت كان .

وفى الحديث : (من راح إلى الجمعة) (٢) ، أى من خف إليها .

ولم يرد (رو ٢ النهار) .

وهكذا قال الهروى ،

(١) من خ .

(٢) البخارى ، كالجمعة ، بفضل الجمعة ٣ / ٢ ، أبو ثاود ، كالطهارة ، فى الغسل يوم الجمعة (٣١٥) ، النسائى : كالجمعة ، بوقت الجمعة لط ١٣٨) ء

١٦ كتاب البروالصلة / باب فضل صلة أصدقاءال الب والأم ونحوهما إذا مل ركوب الراحلة ، وعمامةويشد بها رأسه .

فبينا هو يوما على ذلك الحمار ، إذ مر به أعرابئ .

فقال : ألست ابن فلان بن فلان ؟ قال : بلى فاعطاه الحمار وقال : اركب هذا .

والعمامة ، قال : اشلد بها رأسك .

فقال له بعض اصحابه : غفر الله لك اعطيت هذا الأعرابى حمازا كنت تروح عليه ، وعمامة كنت تشد بها رأسك! فقال : إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (إن من أبر البر ، صلة الرخل أهل ود أبيه ، بعد أن يوئى لما ، وإن أباه كان صديفا لعمر .

وقد قدمنا نحن الكلام على مقتضى قوله : (من راح) واختلاف المذهب فيه فى موضعه من الكتاب .

قال القاضى : الأشبه عندى فى هذا الموضع أن يكون من الاستراحة ، الا تراه كيف

قال : " إذا مل ركوب الراحلة) ؟ وأنه يستريح بتبديل مركبه ، وهذا موجود معلوم .

والراحة والروح والرويع بمعنى .

قاله صاحب العين والجمهرة .

وفوله (إن أبر البر ، صلة الرجل أهل ود أبيه) : هو مما تفدم ، والصلة واللطف والتحفى أحد معانى البر على ما تقدم .

ومن ابر البر الوفاء لمن يلزم بره بصلة من كان يبره .

هو كما قال – عليه السلام – فى خبر خليلة خديجة : (إن حسن العهد من الإيمان) (١) ، وفى الرواية اي!خرى : (أن يصل ود أبيه) ، [بضم الواو] (٢) ، اى وداده .

(١) البخارى ، كالادب ، بحسن العهد من الإيمان ٨ / ١٠ ، وسبق فى مسلم فى فضائل الصحابة ، فضل خديجة أم المؤمنين برقم (٧٤) ، الترمذى ، كالبر والصلة ، بما جاء فى حمن!ن العهد من الإيمان برقم (٢٠١٧) .

(٢) من ! .." [1]

"– الحديث رقم: ١٩٩٨

قال الغزالي في الإحياء : إن ادعاء شيء لا يوجد في غيره ليس بداخل في الكبر ، وإنما الكبر نفخ بسببه يزعم الإنسان غيره حقيرا وفي صيام فتح القدير : أن الجمال من الأخلاق الحسنة والزينة من أخلاق الشيطان ، وروي عن أبي حنيفة : أن الكبر والظلم يجازان تبا في الدنيا والعقبى ، ويجب للمؤمن أن يختار حالة متوسط لا ترتفع إليه الأصابع زينة أو قبحا ، واعلم أن خلقه عليه السلام في التوراة مثل خلقه في حديث اللاحق في باب خلقه .

ج٣ص٣٣٦

. . . .

ج٣ص٣٣٧

. . . .

ج٣ص٣٣٨

. . . .

ج٣ص٣٣٩

. . . .

ج٣ص٣٤٠

*٢*باب ما جاء في حسن العهد

باب ما جاء في حسن العهد." [2]

"(ان حسن الخلق) بالضم (ليذيب الخطيئة) أي يمحو أثرها ويقطع خبرها (كما تذيب الشمس) أي حرارة ضوئها (الجليد) أي الندى الذي يسقط من السماء على الأرض (الخرائطي في مكارم الأخلاق عن أنس) (بن مالك بإسناد فيه مقال)

(ان حسن الظن بالله) بأن يظن أن الله يعفو عنه (من حسن عبادة الله) أي حسن الظن به من جملة حسن عبادته فهو

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ٨/٨

(٢) العرف الشذي للكشميري، ٣٠٥/٣

مطلوب محبوب لكن مع ملاحظة مقام الخوف فيكون باعث الرجاء والخوف في قرن هذا الصحيح أما المريض فالأولى في حقه الرجاء مطلقا (حم ت ك عن أبي هريرة) قال (الحاكم على شرط مسلم وأقروه)

(ان حسن العهد) أي الوفاء ورعاية الحرمة مع لحق ومع الخلق (من الإيمان) أي من أخلاق أهل الإيمان أو من شعب الإيمان (ك عن عائشة) قالت جاءت إلى النبي عجوز فقال من أنت قالت جثامة قال بل أنت حسانة كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير فلما خرجت قلت تقبل هذا الإقبال على هذه قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة ثم ذكره (وإسناده صحيح)

". (١)

"(أول ما يرفع من الناس) في رواية من هذه الأمة (الأمانة) وهي معنى يحصل في القلب فيأمن به المرء من الردى في الآخرة والدنيا (وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة) فكلما ضعف الإيمان بحب الدنيا ونقص نوره بالمعاصي اضمحلت الأمانة وإذا ضعفت شيئا فشيئا أخرت الصلاة عن أوقاتها ثم ينتهي الأمر إلى ارتفاع أصلها (ورب مصل) آت بصورة الصلاة (لا خلاق له عند الله) أي لا نصيب له من قبولها والإثابة عليها لكونه غافلا لا هي القلب وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل (الحكيم) في نوادره (عن زيد بن ثابت) (بإسناد ضعيف)

(أول ما تفقدون من دينكم الأمانة) تمامه عند مخرجه الطبراني ولا دين لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وحسن العهد من الإيمان (طب عن شداد بن أوس) (بإسناد حسن)

(أول ما يرفع من الناس الخشوع) أي خشوع الإيمان الذي هو روح العبادة وهو الخوف أو السكون أو معنى يقوم بالقلب فيظهر عنه سكون الأطراف قال بعضهم الزم الخشوع فإن الله تعالى ما أوجدك إلا خاشعا فلا تبرح عما أوجدك عليه فإن الخشوع حالة حياء والحياء خير كله (طب عن شداد بن أوس) (بإسناد حسن)

(أول شيء يرفع من هذه الأمة) المحمدية (الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا) خشوع إيمان بل خشوع تماوت ونفاق فيصير الواحد منهم ساكن الجوارح تصنعا ورياء وقلبه مملوء بالشهوات وقيل المعنى خشوع الصلاة قال الطيبي وخشوعها خشية القلب وإلزام البصر محل السجود وجمع الهمة لها والإعراض عما سواها وتوقي كف الثوب والعبث به وبجسده والالتفات والتمطي والتثاؤب ونحوها (طب عن أبي الدرداء) (بإسناد حسن)

(أول) وفي رواية أثقل (ما يوضع في الميزان) من أعمال البر يوم القيامة (الخلق الحسن) زاد في رواية والسخاء (طب عن أم الدرداء) (بإسناد ضعيف بل قيل لا أصل له)

". (٢)

" ٤ -

([٣٠٩٥] باب في عيادة الذمي)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى، ٦٤٣/١

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى، ٧٩٣/١

(أن غلاما) أي ولدا (من اليهود كان مرض) وفي رواية البخاري كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه و سلم فمرض (فقعد) النبي صلى الله عليه و سلم (عند رأسه) أي الغلام (فقال) النبي صلى الله عليه و سلم (له) أي للغلام (فنظر) أي الغلام (وهو) أي أبو الغلام (فقال له) أي للغلام (فأسلم) الغلام

وفي رواية النسائي عن إسحاق بن راهويه عن سليمان المذكور فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قاله الحافظ في الفتح (وهو) أي النبي صلى الله عليه و سلم (أنقذه) أي خلصه ونجاه (بي) أي بسببي (من النار) أي لو مات كافرا

قال الحافظ في الفتح في الحديث جواز استخدام المشرك وعيادته إذا مرض وفيه حسن العهد واستخدام الصغير وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه وفي قوله أنقذه من النار دلالة على أنه صح إسلامه وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب انتهى

قال المنذري والحديث أخرجه البخاري والنسائي

قيل يعاد المشرك ليدعي إلى الإسلام إذا رجى إجابته ألا ترى أن اليهودي أسلم حين عرض عليه النبي صلى الله عليه و سلم الإسلام فأما إذا لم يطمع في إسلام الكافر ولا يرجى إنابته فلا ينبغي عيادته وقد عاد صلى الله عليه و سلم سعد بن عبادة راكبا على حمار

وقد جاء من حديث جابر أيضا قال أتاني النبي صلى الله عليه و سلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان

وعيادة المريض راكبا وماشيا كل ذلك سنة

انتهى كلام المنذري ." (١)

"١٢٦٨ – (كان غلام يهودي يخدم)

لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته ، إلا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب " العتبية " حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام عبد القدوس ، قال : وهو غريب ما وجدته عند غيره .

قوله : (وهو عنده)

في رواية أبي داود " عند رأسه " أخرجه عن سليمان بن حرب شيخ البخاري فيه ، وكذا للإسماعيلي عن أبي خليفة عن سليمان .

قوله : (فأسلم)

في رواية النسائي عن إسحاق بن راهويه عن سليمان المذكور فقال " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " .

قوله : (أنقذه من النار)

في رواية أبي داود وأبي خليفة " أنقذه بي من النار " وفي الحديث جواز استخدام المشرك ، وعيادته إذا مرض ، وفيه حسن العهد ، واستخدام الصغير ، وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه . وفي قوله " أنقذه بي من النار

---

(١) عون المعبود، ٢٤٩/٨

" دلالة على أنه صح إسلامه ، وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب . وسيأتي البحث في ذلك من حديث سمرة الطويل في الرؤيا الآتي في " باب أولاد المشركين " في أواخر الجنائز .." (١)

"٣٥٣٤ – قوله : (حدثني عمر بن محمد بن الحسن حدثنا أبي)

هو الأسدي الذي يعرف بالتل بالمثناة وتشديد اللام ، واسم والد الحسن الزبير ، وعمر كوفي ما له في البخاري سوى هذا الحديث وآخر في الزكاة ، وهو من صغار شيوخه . وقد نزل البخاري في هذا الإسناد بالنسبة لحديث حفص بن غياث درجة ، فإنه يروي الكثير عن ولده عمر بن حفص وغيره من أصحاب حفص ، وهنا لم يصل لحفص إلا باثنين ، وبالنسبة لرواية هشام بن عروة درجتين فإنه قد سمع من بعض أصحابه وأخرج هذا في الصحيح في كتاب العتق منه " حدثنا عبيد بن موسى عن هشام بن عروة من مسند أبي ذر " ، والسبب في اختياره إيراد هذه الطريق النازلة ما اشتملت عليه من الزيادة على رواية غيره كما سأنبه عليه .

قوله : (وما رأيتها)

في رواية مسلم من هذا الوجه " ولم أدركها " ولم أر هذه اللفظة إلا في هذه الطريق ، نعم أخرجها مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة بلفظ " وما رأيتها قط " ورؤية عائشة لخديجة كانت ممكنة ، وأما إدراكها لها فلا نزاع فيه لأنه كان لها عند موتها ست سنين ، كأنها أرادت بنفي الرؤية والإدراك النفي بقيد اجتماعهما عند النبي صلى الله عليه وسلم ، أي لم أرها وأنا عنده ولا أدركتها كذلك ، وقد وقع في بعض طرقه عند أبي عوانة " ولقد هلكت قبل أن يتزوجني " .

قوله : (ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها)

في رواية عبد الله البهي عن عائشة عند الطبراني " وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها " .

قوله : (فربما قلت إلخ)

هذا كله زائد في هذه الرواية ، فقد أخرج الحديث مسلم وأبو عوانة والإسماعيلي وأبو نعيم من طريق سهل بن عثمان والترمذي عن أبي هشام الرفاعي كلهم عن حفص بن غياث بدونها .

قوله : (كأنه لم يكن)

في رواية الكشميهني "كأن لم " بحذف الهاء من كأنه .

قوله : (إنها كانت وكانت)

أي كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك ، وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة " آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء " .

قوله : (وكان لي منها ولد)

وكان جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة ، إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية ، والمتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنى ، مات صغيرا قبل المبعث أو بعده ، وبناته الأربع : زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة ، وقيل

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٢٧/٤

: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة ، وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يقال له الطاهر والطيب ، ويقال هما أخوان له ، وماتت الذكور صغارا باتفاق ، ووقع عند مسلم من طريق حفص بن غياث هذه في آخر الحديث " قالت عائشة : فأغضبته يوما فقلت خديجة ، فقال : إني رزقت حبها " قال القرطبي كان حبه صلى الله عليه وسلم لها لما تقدم ذكره من الأسباب ، وهي كثيرة ، كل منها كان سببا في إيجاد المحبة . ومما كافأ النبي صلى الله عليه وسلم به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها ، فروى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت : " لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت " وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار ، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين ، لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما وهي نحو الثلثين من المجموع ، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك ، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها . ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان ، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها ، فيكون لها مثل أجرهن ، لما ثبت " أن من سن سنة حسنة " وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال ، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل . وقال النووي : في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد ، وحفظ الود ، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا ، وإكرام معارف ذلك الصاحب .." (١)

"قوله : (باب حسن العهد من الإيمان)

قال أبو عبيد : العهد هنا رعاية الحرمة . وقال عياض : هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له . وقال الراغب : حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال . وعهد الله تارة يكون بما ركزه في العقل وتارة بما جاءت به الرسل ، وتارة بما يلتزمه المكلف ابتداء كالنذر ، ومنه قوله تعالى : (ومنهم من عاهد الله) وأما لفظ " العهد " فيطلق بالاشتراك بإزاء معان أخرى ، منها الزمان والمكان واليمين والذمة والصحة والميثاق والإيمان والنصيحة والوصية والمطر ويقال له العهاد أيضا .." (٢)

"٥٥٤٥ - قوله : (عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة)

قد تقدم شرحه في ترجمة خديجة من كتاب المناقب . وقوله : " على خديجة " يريد من خديجة فأقام " على " مقام " من " وحروف الجر تتناوب في رأي . أو " على " سببية أي بسبب خديجة .

وقوله فيه : " ولقد أمره ربه إلخ "

تقدم شرحه هناك أيضا ، ولكن أورده هناك من حديث عبد الله بن أبي أوفى ،

وقوله فيه : " وإن كان ليذبح الشاة ثم ليهدي في خلتها منها "

أي من الشاة المذبوحة ، وزاد في رواية الليث عن هشام في فضل خديجة ما يسعهن ، وقد تقدم هناك بيان الاختلاف في ضبط هذه اللفظة ، وإن مخففة من الثقيلة ، وخلتها بضم المعجمة أي خلائلها . وقال الخطابي : الخلة مصدر يستوي فيه

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٣٣/١١

(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٣٩/١٧

المذكر والمؤنث والواحد والجماعة ، تقول : رجل خلة وامرأة خلة وقوم خلة ، ويحتمل أن يكون فيه محذوف تقديره : إلى أهل خلتها ، أي أهل صداقتها ، والخلة الصداقة والخليل الصديق . قلت : وقع في رواية مسلم من هذا الوجه بلفظ " ثم تهديها إلى خلائلها " وسبق في المناقب من وجه آخر عن هشام بن عروة " وإلى أصدقائها " وللبخاري في " الأدب المفرد " من حديث أنس " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي ، بالشيء يقول : اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة " .

(تنبيه) :

جرى البخاري على عادته في الاكتفاء بالإشارة دون التصريح ، فإن لفظ الترجمة قد ورد في حديث يتعلق بخديجة رضي الله عنها أخرجه الحاكم والبيهقي في " الشعب " من طريق صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : " جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أنتم ، كيف حالكم ، كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله . فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ فقال : يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان " وأخرجه البيهقي أيضا من طريق مسلم بن جنادة عن حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مثله بمعنى القصة وقال : غريب ، ومن طريق أبي سلمة عن عائشة نحوه وإسناده ضعيف ".. (١)

"الزمر والمراد حكاية صوته، وأما التي بالمهملتين وميمين فأصله من الحركة وهي هنا بمعنى الصوت الخفي، وأما التي بالمعجمتين كذلك فقال الخطابي: هو تحريك الشفتين بالكلام. وقال غيره: وهو كلام العلوج وهو صوت يصوت من الخياشيم والحلق. قوله: "فثار ابن صياد" أي قام كذا للأكثر، وللكشميهني: "فثاب" بموحدة أي رجع عن الحالة التي كان فيها. قوله: "وقال شعيب زمزمة فرفصه" في رواية أبي ذر بالزايين وبالصاد المهملة. وفي رواية غيره: "وقال شعيب في حديثه فرفصه زمزمة أو رمرمة" بالشك. وسيأتي في الأدب موصولا من هذا الوجه بالشك، لكن فيه: "فرصه" بغير فاء وبالتشديد، وذكر الخطابي في غريبه بمهملة أي ضغطه وضم بعضه إلى بعض. قوله: "وقال إسحاق الكلبي وعقيل رمرمة" يعني بمهملتين "وقال معمر رمزة" يعني براء ثم زاي، أما رواية إسحاق فوصلها الذهلي في الزهريات وسقطت من رواية المستملي والكشميهني وأبي الوقت، وأما رواية عقيل فوصلها المصنف في الجهاد وكذا رواية معمر. "كان غلام يهودي يخدم" لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته، إلا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب "العتبية" حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام عبد القدوس، قال: وهو غريب ما وجدته عند غيره. قوله: "وهو عنده" في رواية أبي داود "عند رأسه" أخرجه عن سليمان بن حرب شيخ البخاري فيه، وكذا للإسماعيلي عن أبي خليفة عن سليمان. قوله: "فأسلم" في رواية النسائي عن إسحاق بن راهويه عن سليمان المذكور فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله". قوله: "أنقذه من النار" في رواية أبي داود وأبي خليفة "أنقذه بي من النار " وفي الحديث جواز استخدام المشرك، وعيادته إذا مرض، وفيه حسن العهد، واستخدام الصغير، وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه. وفي قوله: "أنقذه بي من النار" دلالة على أنه صح

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٧/١٤٠

إسلامه، وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب١. وسيأتي البحث في ذلك من حديث سمرة الطويل في الرؤيا الآتي في "باب أولاد المشركين" في أواخر الجنائز. حديث ابن عباس "كنت أنا وأمي من المستضعفين" وقد تقدم الكلام عليه في الترجمة. حديث أبي هريرة في أن كل مولود يولد على الفطرة، أخرجه من طريق ابن شهاب عن أبي هريرة منقطعا، ومن طريق آخر عنه عن أبي سلمة عن أبي هريرة، فالاعتماد في المرفوع على الطريق الموصولة، وإنما أورد المنقطعة لقول ابن شهاب الذي استنبطه من الحديث، وقول ابن شهاب "لغية" بكسر اللام والمعجمة وتشديد التحتانية أي من زنا، ومراده أنه يصلى على ولد الزنا ولا يمنع ذلك من الصلاة عليه لأنه محكوم بإسلامه تبعا لأمه، وكذلك من كان أبوه مسلما دون أمه. وقال ابن عبد البر: لم يقل أحد إنه لا يصلى على ولد الزنا إلا قتادة وحده، واختلف في الصلاة على الصبي فقال سعيد بن جبير: لا يصلى عليه حتى يبلغ، وقيل حتى يصلي. وقال الجمهور: يصلى عليه حتى السقط إذا استهل٢. وقد تقدم في "باب قراءة فاتحة الكتاب" ما يقال في الصلاة على جنازة الصبي، ودخل في قوله: "كل مولود" السقط

ـ

١ في هذه الفائدة نظر لأنه ليس في الحديث المذكور دلالة صريحة على أن الغلام المذكور لم يبلغ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "رفع القلم عن ثلاثة" وذكر منهم "الصغير حتى يبلغ" والله أعلم

٢ الصواب شرعية الصلاة عليه وإن لم يستهل، إذا كان قد نفخ فيه الروح، لعموم حديث "السقط يصلى عليه" وتقدم البحث في ذلك في ص ٢٠١، والله أعلم." (١)

"ما له في البخاري سوى هذا الحديث وآخر في الزكاة، وهو من صغار شيوخه. وقد نزل البخاري في هذا الإسناد بالنسبة لحديث حفص بن غياث درجة، فإنه يروي الكثير عن ولده عمر بن حفص وغيره من أصحاب حفص، وهنا لم يصل لحفص إلا باثنين، وبالنسبة لرواية هشام بن عروة درجتين فإنه قد سمع من بعض أصحابه وأخرج هذا في الصحيح في كتاب العتق منه" حدثنا عبيد بن موسى عن هشام بن عروة من مسند أبي ذر"، والسبب في اختياره إيراد هذه الطريق النازلة ما اشتملت عليه من الزيادة على رواية غيره كما سأنبه عليه. قوله: "وما رأيتها" في رواية مسلم من هذا الوجه"ولم أدركها" ولم أر هذه اللفظة إلا في هذه الطريق، نعم أخرجها مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة بلفظ: "وما رأيتها قط" ورؤية عائشة لخديجة كانت ممكنة، وأما إدراكها لها فلا نزاع فيه لأنه كان لها عند موتها ست سنين، كأنها أرادت بنفي الرؤية والإدراك النفي بقيد اجتماعهما عند النبي صلى الله عليه وسلم، أي لم أرها وأنا عنده ولا أدركتها كذلك. وقد وقع في بعض طرقه عند أبي عوانة "ولقد هلكت قبل أن يتزوجني". قوله: "ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها" في رواية عبد الله البهي عن عائشة عند الطبراني "وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها". قوله: "فربما قلت إلخ" هذا كله زائد في هذه الرواية، فقد أخرج الحديث مسلم وأبو عوانة والإسماعيلي وأبو نعيم من طريق سهل بن عثمان والترمذي عن أبي هشام الرفاعي كلهم عن حفص بن غياث بدونها. قوله: "كأنه لم يكن" في رواية الكشميهني:

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٣/٢٢١

"كأن لم" بحذف الهاء من كأنه. قوله: "إنها كانت وكانت" أي كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك، وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة "آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء". قوله: "وكان لي منها ولد" وكان جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة، إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية، والمتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنى، مات صغيرا قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يقال له الطاهر والطيب، ويقال هما أخوان له، وماتت الذكور صغارا باتفاق، ووقع عند مسلم من طريق حفص بن غياث هذه في آخر الحديث: "قالت عائشة: فأغضبته يوما فقلت خديجة، فقال: إني رزقت حبها" قال القرطبي كان حبه صلى الله عليه وسلم لها لما تقدم ذكره من الأسباب، وهي كثيرة كل منها كان سببا في إيجاد المحبة. ومما كافأ النبي صلى الله عليه وسلم به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها، فروى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: "لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت" وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها. ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت" أن من سن سنة حسنة" وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل. وقال النووي: في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف ذلك." (١)

"باب حسن العهد من الإيمان

...

٢٣ - باب حسن العهد من الإيمان

٦٠٠٤- حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة - ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين - لما كنت أسمعه يذكرها ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها".

قوله: "باب حسن العهد من الإيمان" قال أبو عبيد: العهد هنا رعاية الحرمة. وقال عياض: هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له. وقال الراغب: حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال. وعهد الله تارة يكون بما ركزه في العقل وتارة بما جاءت به الرسل، وتارة بما يلتزمه المكلف ابتداء كالنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ وأما لفظ: "العهد" فيطلق بالاشتراك بإزاء معان أخرى، منها الزمان والمكان واليمين والذمة والصحة والميثاق والإيمان والنصيحة والوصية والمطر ويقال

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ١٣٧/٧

له العهاد أيضا. قوله: "عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة" قد تقدم شرحه في ترجمة خديجة من كتاب المناقب. وقوله: "على خديجة" يريد من خديجة فأقام "على" مقام "من" وحروف الجر تتناوب في رأي. أو "على" سببية أي بسبب خديجة. وقوله فيه: "ولقد أمره ربه الخ" تقدم شرحه هناك أيضا، ولكن أورده هناك من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وقوله فيه: "وإن كان ليذبح الشاة ثم ليهدي في خلتها منها" أي من الشاة المذبوحة، وزاد في رواية الليث عن هشام في فضل خديجة ما يسعهن، وقد تقدم هناك بيان الاختلاف في ضبط هذه اللفظة، وإن مخففة من الثقيلة، وخلتها بضم المعجمة أي خلائلها. وقال الخطابي: الخلة مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجماعة، تقول: رجل خلة وامرأة خلة وقوم خلة، ويحتمل أن يكون فيه محذوف تقديره: إلى أهل خلتها، أي أهل صداقتها، والخلة الصداقة والخليل الصديق. قلت: وقع في رواية مسلم من هذا الوجه بلفظ: "ثم نهديها إلى خلائلها" وسبق في المناقب من وجه آخر عن هشام بن عروة "وإلى أصدقائها" وللبخاري في "الأدب المفرد" من حديث أنس "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي." (١)

"بالشيء يقول: اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة".

" تنبيه ": جرى البخاري على عادته في الاكتفاء بالإشارة دون التصريح، فإن لفظ الترجمة قد ورد في حديث يتعلق بخديجة رضي الله عنها أخرجه الحاكم والبيهقي في "الشعب" من طريق صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: "جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان" وأخرجه البيهقي أيضا من طريق مسلم بن جنادة عن حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مثله بمعنى القصة وقال: غريب. ومن طريق أبي سلمة عن عائشة نحوه وإسناده ضعيف.." (٢)

"١٥٨٨ - قوله : (كان غلام يهودي) لم يقف الحافظ على اسمه نعم نقل عن ابن بشكوال أن صاحب العتبية حكى عن زياد أن اسمه عبدالقدوس قال وهو غريب ما وجدته عند غيره (يخدم النبي صلى الله عليه وسلم) بكسر الدال وضمها (فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم) حال كونه (يعوده فقعد) النبي صلى الله عليه وسلم (عند رأسه) أي رأس الغلام وهو من مستحبات العيادة (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم (له) أي للغلام (أسلم) بكسر اللام فعل أمر من الإسلام ، والظهر أن الغلام كان عاقلا (فنظر) أي الغلام (إلى أبيه وهو) أي أبوالغلام (عنده) وفي رواية أبي داود عند رأسه (فقال) له أبوه (أطع أبا القاسم) صلى الله عليه وسلم (فأسلم) بفتح اللام أي الغلام ، وفي رواية النسائي : فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فخرج النبي صلى الله عليه وسلم) من عنده (وهو) أي النبي (يقول الحمد لله الذي أنقذه) بالذال المعجمة أي خلصة ونجاه (من النار) أي لو مات كافرا ، في رواية أبي داود : أنقذه بي من النار أي

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٤٣٥/١٠

(٢) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٤٣٦/١٠

أنقذه الله بسببي من النار. قال الحافظ في الفتح : وفي الحديث جواز استخدام المشرك وعيادته إذا مرض ، وفيه حسن العهد واستخدام الصغير وعرض الإسلام على الصبي ولو لا صحته منه ما عرضه عليه ، وفي قوله : أنقذه بي من النار ، دلالة على أنه صح إسلامه وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب- انتهى. قيل : هذا يحمل على أنه كان قبل أن يعلمه الله تعالى أن أطفال المشركين في الجنة ، كما هو مذهب الأكثرين ، وعلى تقدير تسليم أن هذا الحديث وقع بعد تقرر أن الأطفال في الجنة ، فالمراد من قوله : من النار الكفر المسمى نارا لأنه سببها أو يؤول إليها. والله تعالى أعلم. قيل : إنما تشرع عيادة غير المسلم ليدعى إلى الإسلام إذا رجى أن يجيب إلى الدخول في." (١)

"""""" صفحة رقم ١٩٨ """"""

ممدود مضموم وحكى حلاوة بالفتح أيضا

(ح ل ى) ذكر الحلى والحلى وتصدقن ولو من حليكن وهو ما تتحلى به المرأة وتتزين يقال بفتح الحاء وسكون اللام وبضم الحاء وكسرها مع كسر اللام وقد قرئ بهما جميعا.

فصل الاختلاف والوهم

قوله وكانت هذيل قد خلعوا خليعا في الجاهلية كذا لهم بالخاء المعجمة والعين المهملة وهو الصواب ورواه القابسي وعبدوس حليفا بالحاء المهملة والفاء والأول الصواب والخليع الذي خلعه قومه عنهم وتبرؤوا منه لجناياته فلا ينصرونه ولا يطلبون بجناياته ولا يطلبون بما جنى عليه وهو أصل ما سمي به الشطار خلعاء لأن أصل الاسم على الخبثاء الإشراء وقد تخرج رواية القابسي على أنهم نقضوا حلفه يقال تخالع القوم إذا نقضوا حلفهم قوله في حديث جندب تسمعني أحالفك وقد سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلا تنهاني كذا رواية عامة شيوخنا بالحاء المهملة من الإيمان وضبطناه من كتاب ابن عيسي كذلك وبالخاء المعجمة من الخلاف أيضا وكلاهما يدل عليه الحديث لكن الحاء المهملة أظهر لما ذكره في الحديث من إيمانها كلا والله وبلى والله

وقوله ولكن إذا عمل المنكر جهارا استحلوا العقوبة كذا لابن بكير ومن وافقه من الرواة وأكثر الروايات عن يحيى بن يحيى وجاء عنه في رواية القنازعي استحقوا بالقاف والمعنى متقارب ومعنى استحلوا استوجبوا وقد تقدم من هذا قيل يقال حل إذا أوجب وعند بعض رواة أبي ذر في باب شرب الحلو أو العسل مكان الحلواء كما تقدم قبل وقوله في حديث الدجال أنه خارج حلة بين الشام والعراق كذا رويناه من طريق السمرقندي والسجزي بفتح الحاء واللام والتاء مع تشديد اللام وسقطت اللفظة لغيرهما وفي بعض النسخ حله بضم اللام المشددة وكذا عند ابن الحذاء وهاء الضمير مضمومة وكذا في كتاب ابن عيسى وكذا ضبطه الحميدي في مختصره وكأنه يريد حلوله وأما الرواية الأولى فمعناه سمت ذلك وقبالته وروي هذا الحرف صاحب الغريبين إلى خلة بين العراق والشام بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد اللام وكسر التاء وفسره ما بين البلدين وفي الحديث في ذكر عيسى عليه السلام فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات كذا رويناه بكسر الحاء وتقدم تفسيره ورأيته في أصل ابن عيسى بضمها فلعل ما بعده بكافر بالباء بواحدة ويحل من الحلول والنزول والأول أظهر بدليل بقية الحديث وقوله

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٥/٥٤٣

في باب حسن العهد وإن كان ليذبح الشاة فيهديها في خلتها كذا لجمهورهم بالخاء المعجمة المضمومة ورواه بعض رواة البخاري حلتها بالحاء المهملة والحلة بكسر الحاء المهملة القوم النزول والأول هو الصواب والمعروف أي لأهل ودها ومحبتها كما قال في الحديث الآخر لخلائلها والخلة والخل والخليل الصاحب كنى هنا بالخلة عن الخلائل وقد يريد أهل خلتها والخلة المودة في حديث أم حبيبة لا يعجل شيئا قبل حله وبعد حله أي وجوبه كذا ضبطناه عن جميع شيوخنا في الحديثين في الموضعين من كتاب مسلم وذكره المازري قبل أجله وبعد أجله وذكر مسلم آخر الحديث الثاني وروى بعضهم قبل حله أي نزوله فيحتمل أنها اختلاف رواية في حله ويحتمل أنه إنما جاء لهذه الزيادة من التفسير وهذا." (١)

"""""" صفحة رقم ١٠٤ """""

الظهر أصلي بهم صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاتي العشاء كذا للرواة وللأصيلي صلاتي العشى وهو وفق الترجمة يريد الظهر والعصر

وجاء في باب وجوب القراءة قبل هذا صلاة العشاء لجميعهم وعند الجرجاني العشى

وفي باب تشبيك الأصابع صلى بنا (صلى الله عليه وسلم) إحدى صلاتي العشى وعند النسفي وأبي ذر لغير أبي الهيثم وهو وهم

وفي تفسير الزخرف يعش يعمى كذا في جميعها

في باب السمر مع الضيف قوله ثم لبث حتى تعشى النبي (صلى الله عليه وسلم) كذا ذكره البخاري وصوابه نعس كما ذكره مسلم وقد بيناه في النون

العين مع الهاء

(ع هـ د) قوله أشد تعاهدا على ركعتي الفجر وإن عاهد عليها أمسكها التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشيء والملازمة له ومنه أن حسن العهد من الإيمان وأصله من تجديد العهد به ومنه قوله تعاهد ولدي وهذا الحديث يرد قول من قال من أهل اللغة تعهدت ضيعتي ولا يقال تعاهدت وكان بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) عهد وفضل الوفاء بالعهد ومن نكث عهدا العهد هنا الميثاق ومنه قوله تعالى وأوفوا بالعهد وقوله فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ومنه كيف ينبذ إلى أهل العهد هو هنا الأمان وقيل ذلك في قوله لا ينال عهدي الظالمين والعهد أيضا بمعنى الوصية ومنه عهد إلى أخيه سعد ومنه ولاية العهد ومنه وماذا عهد إليك ربك واشدد عهدك ووعدك ومنه قوله ألم أعهد إليكم يا بني آدم وقولها ولا يسأل عما عهد أي لا يستقصى عما علمه في البيت من طعام وغيره لسخاوته وإعطائه وقوله على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أي على زمانه ومدته وقوله منذ يوم عهدت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أي عرفت وعهدة الرقيق المدة التي تكون مصيبته فيها من ضمان بائعه وهي ثلاثة أيام بعد عقد بيعه وقد يسمى كتاب الشراء عهدة أيضا وقوله كانوا ينهوننا عن الشهادة والعهد وفي الحديث الآخر أن نحلف بالشهادة والعهد

(ع هـ ر) قوله وللعاهر الحجر هو الزاني يقال ذلك للرجل والمرأة بغير هاء وقال أبو زيد وأبو بكر امرأة عاهرة والمعنى

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١٩٨/١

لاحظ له في النسب وإنما له الخيبة كما يقال تربت يمينه أي افتقرت وقد روى وللعاهر الكثكث والأثلب وقيل المراد بالحجر هنا الرجم وقيل بل هو بمعنى السب كما يقال لمن ذم بفيه الحجر

(ع هـ ن) قوله اللعبة من العهن هو الصوف الملون

قال الله تعالى) كالعهن المنفوش (واحدتها عهنة ويقال كل صوف عهن.

فصل الاختلاف والوهم

قوله تظاهرتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كذا جاء في حديث ابن أبي شيبة عند مسلم قالوا زيادة عهد هنا منكرة والمعروف ما في غيره تظاهرتا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما قال تعالى) وإن تظاهرا عليه (

العين مع الواو

(ع و ج) وبها عوج جمهور أهل اللغة كلهم العوج في الأشخاص وكل ما له ظل بالفتح والعوج بالكسر في غير ذلك من الرأي والكلام إلا أبا عمرو الشيباني فإنه يقول العوج بالكسر فيهما ومصدرهما بالفتح معا حكاه عنه ثعلب وقوله حتى يقيم الملة العوجاء ممدود يعني ملة إبراهيم ملة الإسلام التي غيرتها الجاهلية عن استقامتها وأمالتها بعد قوامها

(ع و د) قوله عادوا حمما أي صاروا وليس بمعنى رجعوا والعرب تستعمل عاد بمعنى صار إلى حالة أخرى وإن لم يكن متصفا بها قبل ومنه قوله تعالى) أو لتعودن في ملتنا (وشعيب لم يكن على الكفر قط ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم) أعدت فتانا يا معاذ أي أصرت وأما بمعنى الرجوع." (١)

"أبيح إلا باعتبار أنه جهاد وذلك إنما يتحقق إذا كان خيرا للمسلمين وإلا فهو ترك للمأمور به وبهذا يندفع ما نقل عن بعض العلماء من منعه أكثر من عشر سنين وإذا كان الإمام غيره مستظهر وهو قول الشافعي ولقد كان في صلح الحديبية مصالح عظيمة فإن الناس لما تقاربوا انكشفت محاسن الإسلام للذين كانوا متباعدين لا يعقلونها من المسلمين لما قاربوهم وخالطوهم والله أعلم قوله وعلى أن بيننا عيبة بفتح العين المهملة وسكون التحتية وبالموحدة ما يجعل فيه الثياب مكفوفة أي مشدودة وممنوعة قيل أي صدرا نقيا عن الغل والخداع مطويا على حسن العهد والوفاء بالصلح والعرب تكنى عن الصدر بالعيبة لأنه مستودع الأسرار كما أن العيبة مستودع الأمتعة والثياب وأنت تعلم أن نقاوة الصدر من الغل بين المسلمين والكفار لا يكاد يحصل فالوجه أن يقال إنهم أرادوا بذلك ترك ما كان بين الفئتين من الأضغان والدماء والانتهاب أو المعنى نحفظ العهد والشرط ولا ننقضه كما نحفظ ما في العيبة بشد رأسها وقيل معناه موادعة مصادقة تكون بين المتصادقين المتشاورين في الأمور فيكون كل صاحب مشاورة للآخر وعيبة سره ونظيره قوله الأنصار كرشي وعيبتي وقيل معناه على أن يكون ما سلف منا في عيبة مكفوفة أي مشروجة مشددة لا يظهره أحد منا ولا يذكره قال تعالى عفا الله عما سلف وأنه أي وعلى أن الشأن لا إسلال بكسر الهمزة وفتح اللام أي سرقة خفية ولا إغلال أي خيانة والمعنى لا يأخذ بعضنا مال بعض لا في السر ولا في العلانية وقيل الإسلال سل السيف والاغلال لبس الدرع أي لا يحارب بعضنا بعضا وفي شرح السنة معناه أن بعضنا يأمن بعضا فلا يتعرض لدمه ولا ماله سرا ولا جهرا قال الطيبي فإن قلت لم خص الاسلال والاغلال

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١٠٤/٢

بالذكر من بين سائر الفساد وأتى بضمير الشأن قلت لما نفى الدخول التي كانت بينهم بأن لا ينشروها بل يتكافون عنها أتبعه ما يتعلق بالظاهر وإنما خصهما بالذكر للاستيعاب ومن ثمة كرر لا التي لنفي." (١)

"على مر الأوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع إلى الحق فإنه لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوما وقد هجر نساءه شهرا وهجرت عائشة ابن الزبير مدة وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم وماتوا متهاجرين ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر قلت الأظهر أن يحمل نحو هذا الحديث على المتؤاخيين أو المتساويين بخلاف الوالد مع الولد والأستاذ مع تلميذه وعليه يحمل ما وقع من السلف والخلف لبعض الخلف ويمكن أن يقال الهجرة المحرمة إنما تكون مع العداوة والشحناء كما يدل عليه الحديث الذي يليه فغيرها إما مباح أو خلاف الأولى يلتقيان أي يتلاقيان وهو مع ما عطف عليه من قوله فيعرض هذا أي وجهه عنه ويعرض هذا استئناف لبيان كيفية الهجران أو حال من فاعل يهجر ومفعوله فيفيد أنه إذا لم يحصل التلاقي والإعراض فلا بأس بالهجران المطلق وهل يعتبر التثليث أم لا محل بحث أو توقف وخيرهما عطف على لا يحل وقال الطيبي عطف على يلتقيان من حيث المعنى لما يفهم منها أن ذلك الفعل ليس بخير اه وتكلفه بل تعسفه لا يخفى والمعنى أفضلهما في طريق الأخلاف وحسن المعاشرة الذي يبدأ بالسلام أي ثم الذي يرده وفيه إيماء إلى أن من لم يرده ليس فيه خير أصلا فيجوز هجرانه بل يجب لأنه بترك رد السلام صار فاسقا وإنما يكون البادىء خيرهما لدلالة فعله على أنه أقرب إلى التواضع وأنسب إلى الصفاء وحسن الخلق وللإشعار بأنه معترف بالتقصير وللإيماء إلى حسن العهد وحفظ المودة القديمة أو كأنه بادىء في المحبة والصحبة والله أعلم قال الأكمل وفيه حث على إزالة الهجران وأنه يزول بمجرد السلام اه وفيه إيماء بأنه لا ينبغي لمسلم أن يبدأ بالكلام قبل السلام كما ورد فيما سبق متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله إياكم والظن أي احذروا اتباع الظن في أمر الدين الذي مبناه على اليقين قال تعالى إن يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا." (٢)

" ٢٢ - (آية ما بيننا) لفظ رواية الحاكم بإسقاط ما وتنوين آية أي علامة التمييز بيننا أيها المؤمنون (وبين المنافقين) الذين أمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم والمنافق أصله من يظهر ما يبطن خلافه لكنه غلب على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر (أنهم لا يتضلعون) لا يكثرون (من) شرب (ماء) بئر (زمزم) حتى تتمدد جنوبهم وضلوعهم [ص ٦١] كراهة له بعد ما علموا ندب الشارع إلى شربه والإكثار منه . والرغبة في الاستكثار منه عنوان الغرام وكمال الشوق فإن الطباع تحن إلى مناهل الأحبة ومواطن أهل المودة وزمزم منهل المصطفى صلى الله عليه و سلم وأهل بيته ومحل تنزل الرحمات وفيض البركات فالمتعطش إليها والممتلئ منها قد أقام شعار المحبة وأحسن العهد إلى الأحبة فلذلك جعل التضلع منها علامة فارقة بين النفاق والإيمان . ولله در القائل :

وما شغفي بالماء إلا تذكرا . . . لماء به أهل الحبيب نزول

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٢/٢٨٢

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/٣٢٧

ثم إن ما أوهمه ظاهر اللفظ من أن من لم يشرب منها مع تمكنه يكون منافقا وإن صدق بقلبه غير مراد بل خرج ذلك مخرج الترغيب فيه والزجر والتنفير عن الزهادة فيه على أن العلامة تطرد ولا تنعكس فلا يلزم من عدم العلامة عدم ما هي له والبين البعد . وقال الحراني : حد فاصل في حس أو معنى . والنفاق اسم إسلامي لا تعرفه العرب بالمعنى المقرر . والتضلع الإكثار والامتلاء شبعا وريا وزمزم معروفة سميت به لكثرة مائها أو لضم هاجر لمائها حين انفجرت أو لزمزمة جبريل أي تكلمه عند فجره لها أو لأنها زمت بالتراب لئلا تأخذ يمينا أو شمالا أو لغير ذلك ولها أسماء كثيرة وماؤها أشرف مياه الدنيا والكوثر أشرف مياه الآخرة

(تخ هـ ك) من حديث إسماعيل بن زكريا عن عثمان ابن الأسود عن ابن (عباس) قال عثمان : جاء رجل إلى ابن عباس . قال : من أين جئت ؟ قال : من مكة . قال : شربت من ماء زمزم ؟ قال : شربت . قال : شربت منها كما ينبغي ؟ قال : وكيف ؟ قال : إذا أردت أن تشرب منها فاستقبل البيت واذكر اسم الله واشرب وتنفس ثلاثا وتضلع منها فإذا فرغت فاحمد الله . فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فذكره . ثم قال الحاكم إن كان عثمان سمع من ابن عباس فهو على شرطهما وتعقبه الذهبي فقال : والله ما لحقه . مات عام خمسين ومئة وأكبر مشيخته ابن جبير . وقال ابن حجر حديث حسن انتهى . ورواه الطبراني عن الحبر باللفظ المزبور . قال الهيتمي بإسنادين رجال أحدهما ثقات انتهى . والحاصل أن بعض أسانيده رجاله ثقات لكن فيه انقطاع ." (١)

" ٢١٥٨ - (إن أبر) وفي رواية من أبر (البر) أي الإحسان جعل البر بارا ببناء أفعل التفضيل منه وإضافته إليه مجازا والمراد منه أفضل البر فأفعل التفضيل للزيادة المطلقة قال الأكمل : أبر البر من قبيل جل جلاله وجد جده بجعل الجد جادا وإسناد الفعل إليه (أن يصل الرجل أهل ود أبيه) بضم الواو بمعنى المودة (بعد أن يولي الأب) بكسر اللام المشددة أي يدبر بموت أو سفر قال التوربشتي : وهذه الكلمة مما تخبط الناس فيها والذي أعرفه أن الفعل مسند إلى أبيه أي بعد أن يموت أو يغيب أبوه من ولى يولي قال الطيبي : وفي جامع الأصول والمشارق : يولي بضم الياء وفتح الواو وكسر اللام المشددة والمعنى أن من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل أحباء أبيه فإن مودة الآباء قرابة الأبناء أي إذا غاب أبوه أو مات يحفظ أهل وده ويحسن إليهم فإنه من تمام الإحسان إلى الأب قال الحافظ العراقي رحمه الله : جعله أبر البر أو من أبره لأن الوفاء بحقوق الوالدين والأصحاب بعد موتهم أبلغ لأن الحي يجامل والميت لا يستحي منه ولا يجامل إلا بحسن العهد ويحتمل أن أصدقاء الأب كانوا مكيفين في حياته بإحسانه وانقطع بموته فأمر بنيه أن يقوموا مقامه فيه وإنما كان هذا أبر البر لاقتضائه الترحم والثناء على أبيه فيصل لروحه راحة بعد زوال المشاهدة المستوجبة للحياة وذلك أشد من بره له في حياته وكذا بعد غيبته فإنه إذا لم يظهر له شيء يوجب ترك المودة فكأنه حاضر فيبقى وده كما كان وكذا بعد المعاداة رجاء عود المودة وزوال الوحشة وإطلاق التولية على جميع هذه الأشياء إما حقيقة فيكون من عموم المشترك أو من التواطىء أو بعضها فيكون من الجمع بين الحقيقة والمجاز ونبه بالأب على بقية الأصول وقياس تقديم الشارع الأم في البر كون وصل أهل ودها أقدم وأهم ومن البين أن الكلام في أصل مسلم أما غيره فيظهر أنه أجنبي من هذا المقام نعم إن كان حيا ورجا بر أصدقائه

---

(١) فيض القدير، ٦٠/١

تألفه للإسلام تأكد وصله وفي معنى الأصول الزوجة فقد كان المصطفى صلى الله عليه و سلم يصل صويحبات خديجة بعد موتها قائلا حسن العهد من الإيمان وألحق بعضهم بالأب الشيخ ونحوه

(حم خد م د ت عن ابن عمر) بن الخطاب مر به أعرابي وهو راكب على حمار فقال ألست ابن فلان قال بلى فأعطاه حماره وعمامته فقيل له فيه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول فذكره وفي رواية لمسلم أنه أعطاه حمارا كان يركبه وعمامة كانت على رأسه فقالوا له أصلحك الله إنه من الأعراب وإنهم يرضون باليسير فقال إن أبا هذا كان ودا لعمر وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول فذكره وفي رواية لأبي داود عن أبي أسيد بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليها والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما ." (١)

" ٢٢٦٤ - (إن حسن العهد) أي الوفاء والخفارة ورعاية الحرمة (من الإيمان) أي من أخلاق أهل الإيمان ومن خصائلهم أو من شعب الإيمان ويكفي الموفي بالعهد مدحا وشرفا قول من علت كلمته والموفون بعهدهم إذا عاهدوا وقد [ص ٤٤٧] تظافرت على حسن العهد مع الإخوان والخلان أهل الملل والنحل وأعظم الناس وفاء بذلك ومحافظة عليه وإن تقادم عهده : الصوفية وأنشد بحضرة العارف الشاذلي :

رأى المجنون في البيداء كلبا . . . فجر له من الإحسان ذيلا . . . فلاموه لذاك وعنفوه

وقالوا لم أنلت الكلب نيلا . . . فقال دعوا الملامة إن عيني . . . رأته مرة في حي ليلي

فقال له كرر فلم يزل يتواجد وينتحب ثم قال جزاك الله خيرا يا بني على وفائك بعهدك إن حسن العهد من الإيمان والعهد لغة له معان منها حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال والمراد هنا عهد المعرفة المتقدمة

(ك) في الإيمان (عن عائشة) قالت جاءت إلى النبي صلى الله عليه و سلم عجوز فقال من أنت قالت جثامة المزنية قال بل أنت حسانة المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعد ذا قالت بخير فلما خرجت قلت تقبل هذا الإقبال على هذه قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان قال الحاكم على شرطهما ولا علة له وأقره الذهبي ." (٢)

" ٢٨٢٠ - (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة) وتمامه عند مخرجه الطبراني في روايته عن أنس ولا دين لمن لا أمانة له ولا أمانة لمن لا عهد له وحسن العهد من الإيمان انتهى وفي رواية أول شيء يفقد من أمتي الأمانة من دينهم قال ابن العربي : وصفة رفع الأمانة وفقدها أن ينام الإنسان فتقبض من قلبه والمعنى فيه أن المرء في النوم متوفي ثم مرجوع إليه روحه فإذا قبضت على صفة من الأمانة ردت إليه بدونها وتحقيقه أن الأعمال لا يزال يضعفها نسيانها حتى إذا تناهى الضعف ذهبت بالنوم عن النفس فإذا ردت عليه ردت دونها فلا يبقى لها أثر وما عنده من الإيمان وأصل الإعتقاد الضعيف في ظاهر القلب ثم ينام فلا ترجع إليه إلا بعد نزع باقي الأمانة بقوة فلا يبقى شيء

---

(١) فيض القدير، ٢/٤٠٥

(٢) فيض القدير، ٢/٤٤٦

(طب عن شداد بن أوس) قال الهيثمي : فيه المهلب بن العلاء لم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات ." [1]

"٥٩٩٢ - قوله: (أسلمت على ما أسلفت) وهذا بناء على أن قربات الكافر معتبرة كلها. وقد مهدناه من قبل بقي الكلام في أنه هل يقام له الميزان، أو لا؟ فرأيت عن الماتريدي أنه سئل عن الكافر، هل يقام له الميزان؟ فسكت، ثم أجاب في المرة الثانية أنه يقام له ميزان التمييز، وإن لم تعدل له كفة الحسنات والسيئات. وفهمت منه أن الكافر، وإن لم يكن لأعماله وزن، إلا أنه يميز بين من كثرت سيئاته، وبين من قلت، ذكره في «شرح عقائد السبكي».

٥٩٩٣ - قوله: (حتى ذكر) أي بقيت تلك الابنة حيا، وبقي ذلك الثوب أيضا.

٥٩٩٦ - قوله: (فإذا ركع وضع - أي أمامه - وإذا رفع رفعها) وكانت تلك الصلاة فريضة، قلت: للشافعية فماذا تصنعون الآن برفع اليدين، فإنه لا يمكن في هذه الصورة.

٥٩٩٩ - قوله: (قد تحلب ثديها بالسقى) دوده سى اوسكاصلى الله عليه وسلمتان بهر كياتها.

باب جعل الله الرحمة مائة جزء

باب قتل الولد خشية أن يأكل معه

باب وضع الصبي في الحجر

باب وضع الصبي على الفخذ

٦٠٠٠ - قوله: (فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق) وفيه رائحة من وحدة الوجود، لأنه يدل على أن تلك الرحمة عينها جعلت بين العباد، مع أنها كانت جزء من أجزاء رحمة الرب، فما كان للرب جل مجده، صارت للعباد بعينها وهل الوحدة المذكورة ممكنة أو لا؟ فالوجه أنها ممكنة، إلا أن الغلو فيها غلو. وقد أنكر عنها الشيخ المجدد السرهندي في «مكتوباته» وفي «العبقات» أن بطاقة وجدت من تحت وسادة حضرة الشيخ المجدد، فوجد فيها مكتوبا: إن آخر ما انكشف على، هو أن وحدة الوجود حق. قلت: وفيه احتمال بعد، ما لم يثبت من جهة صاحب الشرع، وكيف ما كان، ليست المسألة مما تصلح أن تدخل في العقائد.

باب حسن العهد من الإيمان

باب فضل من يعول يتيما

---

(١) فيض القدير، ٨٨/٣

باب الساعي على الأرملة." [1]

"(صحيح) (حم خد م د ت) عن ابن عمر .

الشرح:

(إن أبر) وفي رواية من أبر (البر) أي الإحسان جعل البر بارا ببناء أفعل التفضيل منه وإضافته إليه مجازا والمراد منه أفضل البر فأفعل التفضيل للزيادة المطلقة قال الأكمل: أبر البر من قبيل جل جلاله وجد جده بجعل الجد جادا وإسناد الفعل إليه (أن يصل الرجل أهل ود أبيه) بضم الواو بمعنى المودة (بعد أن يولي الأب) بكسر اللام المشددة أي يدبر بموت أو سفر قال التوربشتي: وهذه الكلمة مما تخبط الناس فيها والذي أعرفه أن الفعل مسند إلى أبيه أي بعد أن يموت أو يغيب أبوه من ولى يولي، قال الطيبي: وفي جامع الأصول والمشارق: يولي بضم الياء وفتح الواو وكسر اللام المشددة والمعنى أن من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل أحباء أبيه فإن مودة الآباء قرابة الأبناء أي إذا غاب أبوه أو مات يحفظ أهل وده ويحسن إليهم فإنه من تمام الإحسان إلى الأب قال الحافظ العراقي رحمه الله: جعله أبر البر أو من أبره لأن الوفاء بحقوق الوالدين والأصحاب بعد موتهم أبلغ لأن الحي يجامل والميت لا يستحي منه ولا يجامل إلا بحسن العهد ....

١٥٢٦ إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا و كذا فيقول: ما صنعت شيئا و يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه و بين أهله فيدنيه منه و يقول: نعم أنت !

(صحيح) (حم م) عن جابر .

الشرح:." [2]

"٢٠٥٣ إن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك و لم يكن يدخل عليك و قد وضعت ثيابك و ظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك و خشيت أن تستوحشي فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم(صحيح) (م) عن عائشة .

٢٠٥٤ إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة و إنه عارضني العام مرتين و لا أراه إلا حضر أجلي و إنك أول أهل بيتي لحاقا بي فاتقي الله و اصبري فإنه نعم السلف أنا لك (صحيح) (ق هـ) عن فاطمة .

٢٠٥٥ إن جبريل لما ركض زمزم بعقبه جعلت أم إسماعيل تجمع البطحاء رحم الله هاجر لو تركتها كانت عينا معينا(صحيح)(عم ن الضياء)عن أبي.

٢٠٥٦ إن حسن العهد من الإيمان(حسن) (ك) عن عائشة .

الشرح:

(إن حسن العهد) أي الوفاء والخفارة ورعاية الحرمة (من الإيمان) أي من أخلاق أهل الإيمان ومن خصائلهم أو من شعب

---

(١) فيض الباري شرح البخاري،   ١٥٧/٧

(٢) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني،   ٧٥/١

الإيمان ويكفي الموفي بالعهد مدحا وشرفا قول من علت كلمته والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ... والعهد لغة له معان منها حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال والمراد هنا عهد المعرفة المتقدمة.

٢٠٥٧ إن حقا على الله تعالى أن لا يرفع شيئا من أمر الدنيا إلا وضعه

(صحيح) (حم خ د ن) عن أنس .

الشرح:

أي أن عدم الارتفاع حق على الله تعالى فعل متعلق بحقا وأن لا يرتفع خبر إن وأن مصدرية فتكون معرفة والاسم نكرة ويمكن أن يقال على صفة حقا أي حق ثابت على الله قاله الطيبي وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لما سبقت ناقته العضباء كانت لا تسبق وهذا تزهيد في الدنيا وحث على التواضع وهوانها عند الله تعالى وتنبيه على ترك الفخر والمباهاة وأن كل ما هان على الله ففي محل الصنعة ... قال ابن بطال: فيه هوان الدنيا على الله والتنبيه على ترك المباهاة والفخر وأن كل شيء هان على الله في محل الضعة فحق على كل ذي عقل أن يزهد فيها......." [(١)]

"(أول شيء يرفع من هذه الأمة) المحمدية (الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا) خشوع إيمان بل خشوع تماوت ونفاق فيصير الواحد منهم ساكن الجوارح تصنعا ورياء ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات فهو يتخشع في الظاهر وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة وقال الراغب: قال رجل للحسن البصري: أمؤمن أنت قال: إن كنت تريد قول الله تعالى ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ فنعم به نتناكح ونتوارث وإن أردت قوله ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فلا أدري.

٢٥٧٠ أول ما تفتقدون من دينكم الأمانة(صحيح)(طب)عن شداد بن أوس .

الشرح:

وتمامه عند مخرجه الطبراني في روايته عن أنس ولا دين لمن لا أمانة له ولا أمانة لمن لا عهد له وحسن العهد من الإيمان انتهى وفي رواية أول شيء يفقد من أمتي الأمانة من دينهم قال ابن العربي: وصفة رفع الأمانة وفقدها أن ينام الإنسان فتقبض من قلبه والمعنى فيه أن المرء في النوم متوفي ثم مرجوع إليه روحه فإذا قبضت على صفة من الأمانة ردت إليه بدونها وتحقيقه أن الأعمال لا يزال يضعفها نسيانها حتى إذا تناهى الضعف ذهبت بالنوم عن النفس فإذا ردت عليه ردت دونها فلا يبقى لها أثر وما عنده من الإيمان وأصل الإعتقاد الضعيف في ظاهر القلب ثم ينام فلا ترجع إليه إلا بعد نزع باقي الأمانة بقوة فلا يبقى شيء.

٢٥٧١ أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة يقول ربنا عز و جل لملائكته و هو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة و إن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم(صحيح) (حم د ن ك) عن أبي هريرة .

---

(١) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، ٣٢٣/١

٢٥٧٢ أول ما يحاسب به العبد الصلاة و أول ما يقضى بين الناس في الدماء(صحيح) (ن) عن ابن مسعود .
الشرح:." (١)

"(ذكر ما يستفاد منه) فيه دلالة على فضل قباء وفضل المسجد الذي بها وفضل الصلاة فيه وفيه استحباب زيارة مسجد قباء والصلاة فيه اقتداء بالنبي وكذلك يستحب أن يكون يوم السبت (فإن قلت) ما الحكمة في تخصيص زيارته يوم السبت (قلت) قيل يحتمل أن يقال لما كان هو أول مسجد أسسه في أول الهجرة ثم أسس مسجد المدينة بعده وصار مسجد المدينة هو الذي يجمع فيه يوم الجمعة وتنزل أهل قباء وأهل العوالي إلى المدينة لصلاة الجمعة ويتعطل مسجد قباء عن الصلاة فيه وقت الجمعة ناسب أن يعقب يوم الجمعة بإتيان مسجد قباء يوم السبت والصلاة فيه لما فاته من الصلاة فيه يوم الجمعة وكان حسن العهد وقال حسن العهد من الإيمان ويحتمل أنه لما كان أهل مسجد قباء ينزلون إلى المدينة يوم الجمعة ويحضرون الصلاة معه أراد مكافأتهم بأن يذهب إلى مسجدهم في اليوم الذي يليه وكان يحب مكافأة أصحابه حتى كان يخدمهم بنفسه ويقول إنهم كانوا لأصحابي مكرمين فأنا أحب أن أكافئهم ويحتمل أنه كان يوم السبت فارغا لنفسه فكان يشتغل في بقية الجمعة بمصالح الخلق من أول يوم الأحد على القول بأنه أول أيام الأسبوع ويشتغل يوم الجمعة بالتجميع بالناس ويتفرغ يوم السبت لزيارة أصحابه والمشاهد الشريفة ويحتمل أنه لما كان ينزل إلى الجمعة بعض أهل قباء ويتخلف بعضهم ممن لا يجب عليه أو يعذر فيفوت من لم يحضر منهم يوم الجمعة رؤيته ومشاهدته تدارك ذلك بإتيانه مسجد قباء ليجتمعوا إليه هنالك فيحصل لهم من الغائبين يوم الجمعة نصيبهم منه يوم السبت وفيه دليل على جواز تخصيص بعض الأيام بنوع من القرب وهو كذلك إلا في الأوقات المنهي عنها كالنهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي أو تخصيص يوم الجمعة بصيام من بين الأيام وقد روى عمر بن شيبة في أخبار المدينة تأليفه من رواية ابن المنكدر عن جابر كان النبي يأتي قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان وروى من رواية الدراوردي عن شريك بن عبد الله كان." (٢)

"وفيه تعذيب من لم يسلم إذا عقل الكفر لقوله الحمد لله الذي أنقذه من النار وفيه جواز عيادة أهل الذمة ولا سيما إذا كان الذمي جارا له لأن فيه إظهار محاسن الإسلام وزيادة التآلف بهم ليرغبوا في الإسلام وفيه جواز

استخدام الكافر وفيه حسن العهد وفيه استخدام الصغير وفيه عرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه
٧٥٣١ - حدثنا (علي بن عبد الله) قال حدثنا (سفيان) قال قال (عبيد الله) سمعت (ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما يقول كنت أنا وأمي من المستضعفين أنا من الولدان وأمي من النساء
تقدم الكلام فيه في أول الباب فإنه ذكره هناك معلقا وعلي بن عبد الله هو ابن المديني وسفيان هو ابن عيينة وعبيد الله بتصغير العبد هو عبيد الله بن أبي يزيد الليثي المكي

---

(١) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، ٤٩٨/١
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤٦٩/١١

٨٥٣١ - حدثنا (أبو اليمان) قال أخبرنا (شعيب) قال ابن شهاب يصلى على كل مولود متوفى وإن كان لغية من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام يدعي أبواه الاسلام أو أبوه خاصة وإن كانت امه على غير الإسلام إذا استهل صارخا صلي عليه ولا يصلى على من لا يستهل من أجل أنه سقط فإن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يحدث قال النبي ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فطرة الله التي فطر الناس عليها الآية

مطابقته للترجمة من حيث إن المولود بين الأبوين المسلمين أو أحدهما مسلم إذا مات وقد استهل صارخا يصلى عليه فالصلاة عليه تدل على أنه محل عرض الإسلام عند تعقله

ذكر رجاله وهم أربعة الأول أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي الثاني شعيب بن أبي حمزة الحمصي الثالث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الرابع أبو هريرة

ذكر ما يستفاد منه وهو أنه مشتمل على شيئين." (١)

"قوله وما رأيتها جملة حالية وفي رواية مسلم ولم أدركها والمعنى ما رأيتها عند النبي ولا أدركتها عنده ورؤيتها إياها كانت ممكنة وكذلك إدراكها إياها لأنها كانت عند موت خديجة بنت ست سنين ولكن نفيها الرؤية والإدراك بالقيد المذكور قوله كأنه لم يكن وفي رواية الكشميهني كأن لم يكن بحذف الهاء قوله أنها كانت أي أن خديجة كانت وكانت أي كانت فاضلة وكانت عاملة وكانت تقية ونحوها ذلك قوله وكان لي منها أي من خديجة ولد وقد ذكرنا أن جميع أولاده من خديجة إلا ابنه إبراهيم فإنه من مارية القبطية

وقال النووي وفي هذا الحديث ونحوه دلالة لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا وإكرام معارف ذلك الصاحب

٣٠٧ - (حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن إسماعيل قال قلت لعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما بشر النبي خديجة قال نعم ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب)

يحيى هو القطان وإسماعيل هو ابن أبي خالد وعبد الله بن أبي أوفى واسم أبي أوفى علقمة الأسلمي لهما صحبة قوله بشر النبي خديجة أي هل بشر النبي وأداة الاستفهام محذوفة قوله قال نعم أي قال عبد الله نعم بشرها ببيت من قصب وقد مضى في أبواب العمرة في باب متى يحل المعتمر في رواية جرير عن إسماعيل أنهم قالوا لعبد الله بن أبي أوفى حدثنا ما قال لخديجة قال قال بشروا خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب وقد مر الكلام فيه هناك والقصب قد مر تفسيره والصخب بالمهملة والمعجمة المفتوحتين الصوت المختلط المرتفع والنصب المشقة والتعب وذكر الصخب والنصب أيضا من باب المشاكلة لأنه لما دعاها إلى الإيمان أجابته سريعا ولم تحوجه إلى أن يصخب كما يصخب الرجل إذا تعصت

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٣/٣٥

عليه امرأته ولا أن ينصب بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل مكروه وأزاحت بمالها كل كدر ونصب فوصف منزلها الذي بشرت به بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها -." [1]

"٢٣ -(باب حسن العهد من الإيمان)

أي هذا باب في بيان حسن العهد من كمال الإيمان لأن جميع أفعال البر من الإيمان والعهد هنا رعاية الحرمة قاله أبو عبيد وقال عياض هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له وقال الراغب حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ولفظ العهد بالاشتراك يطلق على معان كثيرة الزمان والمكان واليمين والذمة والصحبة والميثاق والأمان والنصيحة والوصية والمطر ويقال له العهاد أيضا

٦٠٠٤ - حدثنا (عبيد بن اسماعيل) حدثنا (أبو أسامة) عن (هشام) عن أبيه عن

(عائشة) رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب وإن كان رسول الله ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها

مطابقته للترجمة في حسن العهد وهو إهداء النبي اللحم لإخوان خديجة ومعارفها ورعبا منه لذمامها وحفظا لعهدها وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الشعب من طريق صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاءت عجوز إلى النبي فقال كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وأن حسن العهد من الإيمان

وأبو أسامة حماد بن أسامة وهشام يروي عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة

والحديث مضى في المناقب في باب تزيج خديجة رضي الله عنها." [2]

"قال المنذري في «الترغيب» بعد إيراده بنحو من حديث ابن عمر، رواه الشيخان والنسائي ورواه ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي هريرة باختصار ولفظه بنحوه، وفيه أن كلا من الثلاثة قال: «فإن كنت تعلم أنما فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا» وفيه عند دعاء كل من الأولين من الثلاثة «فزال ثلث الحجر» وفي الثالث «فزال الحجر، فخرجوا يتماشون». ثم في الحديث استحباب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل كما تقدم فيه. وفيه فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة، وفيه فضل العفاف أو الانكفاف عن المحرمات. لا سيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها وترك ذلك خالصا، وفيه جواز الإجارة بالطعام وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وإثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق. ولا حجة فيه على جواز بيع الفضولية، لأن ما ذكر في شرع من قبلنا، وفي كونه حجة خلاف، وعلى تقدير الحجة فلعله استأجره بأجرة في الذمة كما أشرنا إليه ولم يسلمها له

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤٦٤/٢٤

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٨٦/٣٢

بل عرضها عليه فلم يقبلها لرداءتها، فبقيت على ملك المستأجر لأن ما في الذمة لا يتعين إلا بقبض صحيح، ثم إن المستأجر تصرف فيه لبقائه على ملكه فصح تصرفه فيه، ثم تبرع بما اجتمع منه على الأجير بتراضيهما، قال الخطابي: إنما تطوع به صاحبه تقربا به إلى الله تعالى، ولذا توسل به للخلاص، ولم يكن يلزمه في الحكم أن يعطيه أكثر من القدر الذي استأجره عليه، فلذا حمد فعله، والله أعلم .

٢ ـ باب التوبة

(٨٩/١)

٢ ـ باب التوبة." (١)

"فارتاح لذلك) افتعال من الراحة: أي حصلت له راحة نفسانية بسماع صوت هالة لتذكره عهد خديجة. قال المصنف: أي هش لمحبتها وسر به لتذكره بها خديجة وأيامها، وفيه دليل حسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته وبعد موته، وفي المطالع ارتاح أي هش ونشطت نفسه، وقيل حن إليها، وقيل سر بها، ومنه يرتاع للندى ويرتاح: أي يسر فيهش (فقال: اللهم هالة بنت خويلد) قال القرطبي: يجوز فيه الرفع خبر مبتدأ: أي هذه هالة فأكرمها، والنصب عن إضمار فعل؛ أي أكرم هالة ونحوه مما يليق بالمعنى، وهذه الأخبار فيها فضل خديجة، والصحيح أنها أفضل أمهات المؤمنين لما لها من السوابق الجليلة والأيادي الجميلة، وقد أقرأها الحق السلام على لسان جبريل الأمين، ولم ير ذلك لغير الأنبياء إلا لها وللصديق الأكبر، أما عائشة فهي أكثر علما وأفضل مما عداها من باقي الأمهات بلا خلاف (قولهما فارتاح هو بالحاء) المهملة (وفي الجمع بين الصحيحين لـ) ـ أبي عبد الله بن محمد بن أبي نصر فتوح (الحميدي) بالتصغير نسبة لجده الأعلى حميد الأندلسي القرطبي (فارتاع بالعين) أي المهملة (ومعناه اهتم به) أي باستئذانها فرحا وسرورا لمكانها من خديجة.

(١٢/٣)." (٢)

"قال المنذري في «الترغيب» بعد إيراده بنحو من حديث ابن عمر، رواه الشيخان والنسائي ورواه ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي هريرة باختصار ولفظه بنحوه، وفيه أن كلا من الثلاثة قال: «فإن كنت تعلم أنما فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا» وفيه عند دعاء كل من الأولين من الثلاثة «فزال ثلث الحجر» وفي الثالث «فزال الحجر، فخرجوا يتماشون». ثم في الحديث استحباب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل كما تقدم فيه. وفيه فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة، وفيه فضل العفاف أو الانكفاف عن المحرمات. لا سيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها وترك ذلك خالصا، وفيه جواز الإجارة بالطعام وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وإثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق. ولا حجة فيه على جواز بيع الفضولية، لأن ما ذكر

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقي، ٩١/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقي، ١٥٩/١

في شرع من قبلنا، وفي كونه حجة خلاف، وعلى تقدير الحجة فلعله استأجره بأجرة في الذمة كما أشرنا إليه ولم يسلمها له بل عرضها عليه فلم يقبلها لرداءتها، فبقيت على ملك المستأجر لأن ما في الذمة لا يتعين إلا بقبض صحيح، ثم إن المستأجر تصرف فيه لبقائه على ملكه فصح تصرفه فيه، ثم تبرع بما اجتمع منه على الأجير بتراضيهما، قال الخطابي: إنما تطوع به صاحبه تقربا به إلى الله تعالى، ولذا توسل به للخلاص، ولم يكن يلزمه في الحكم أن يعطيه أكثر من القدر الذي استأجره عليه، فلذا حمد فعله، والله أعلم .

٢ ـ باب التوبة." (١)

"(فارتاح لذلك) افتعال من الراحة: أي حصلت له راحة نفسانية بسماع صوت هالة لتذكره عهد خديجة. قال المصنف: أي هش لمحبتها وسر به لتذكره بها خديجة وأيامها، وفيه دليل حسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته وبعد موته، وفي المطالع ارتاح أي هش ونشطت نفسه، وقيل حن إليها، وقيل سر بها، ومنه يرتاع للندى ويرتاح: أي يسر فيهش (فقال: اللهم هالة بنت خويلد) قال القرطبي: يجوز فيه الرفع خبر مبتدأ: أي هذه هالة فأكرمها، والنصب عن إضمار فعل؛ أي أكرم هالة ونحوه مما يليق بالمعنى، وهذه الأخبار فيها فضل خديجة، والصحيح أنها أفضل أمهات المؤمنين لما لها من السوابق الجليلة والأيادي الجميلة، وقد أقرأها الحق السلام على لسان جبريل الأمين، ولم ير ذلك لغير الأنبياء إلا لها وللصديق الأكبر، أما عائشة فهي أكثر علما وأفضل مما عداها من باقي الأمهات بلا خلاف (قولهما فارتاح هو بالحاء) المهملة (وفي الجمع بين الصحيحين ل) ـ أبي عبد الله بن محمد بن أبي نصر فتوح (الحميدي) بالتصغير نسبة لجده الأعلى حميد الأندلسي القرطبي (فارتاع بالعين) أي المهملة (ومعناه اهتم به) أي باستئذانها فرحا وسرورا لمكانها من خديجة.

." (٢)

"والموت عليه والعزة بطاعة الله.

١٦٣٦ - وقال عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري عن أنس بن مالك "كان أبو ذر -رضي الله عنه- يحدث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: فرج سقفي وأنا بمكة. فنزل جبريل - عليه السلام - ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا. فأفرغها في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح. قال: من هذا؟ قال جبريل".

(وقال عبدان) بفتح المهملة وسكون الموحدة أسمه عبد الله بن عثمان المروزي مما وصله مطولا

في أول باب الصلاة عن يحيى بن بكير عن الليث عن يونس ويأتي في أحاديث الأنبياء أتم منه، ووصله الجوزقي بتمامه عن الدغولي عن محمد بن الليث عن عبدان (أخبرنا عبد الله) بن المبارك قال: (أخبرنا يونس) بن يزيد الأيلي (عن) ابن شهاب

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٨٩/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٢/٣

(الزهري قال: أنس بن مالك -رضي الله عنه-: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال):
(فرج) بضم الفاء وكسر الراء مخففة أي فتح (سقفي) إضافة إليه وإن كان بيت أم هانئ لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة (وأنا بمكة) (فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم) غير منصرف (ثم جاء بطست من ذهب) كان هذا قبل تحريم استعمال أواني الذهب (ممتلئ حكمة وإيمانا) هو من باب التمثيل (فأفرغها) أي الطست أي أفرغ ما فيها من الإيمان والحكمة (في صدري ثم أطبقه) غطاه وجعله مطبقا (ثم أخذ) جبريل (بيدي فعرج) أي صعد (بي إلى السماء الدنيا) روى أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش عن العباس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما خمسمائة عام وكثف كل سماء خمسمائة عام وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض (قال): ولأبي الوقت: قال: (جبريل لخازن السماء: افتح) أي الباب (قال): الخازن (من هذا؟) الذي يقرع الباب (قال: جبريل).
وموضع الترجمة قوله: ثم غسله بماء زمزم لأنه يدل على فضل زمزم حيث اختص غسله بها دون غيرها من المياه، وقد قال شيخ الإسلام البلقيني: إنه أفضل من الكوثر لأن به غسل قلبه الشريف ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه، وقال الزين العراقي الحكمة في غسل قلبه الشريف به لأن به يقوى القلب على رؤية ملكوت السماوات والأرض والجنة والنار لأن من خواص ماء زمزم أنه يقوي القلب ويسكن الروع.
١٦٣٧ - حدثنا محمد هو ابن سلام أخبرنا الفزاري عن عاصم عن الشعبي أن ابن عباس -رضي الله عنهما- حدثه قال: "سقيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من زمزم فشرب وهو قائم. قال عاصم: فحلف عكرمة ما كان يومئذ إلا على بعير". [الحديث ١٦٣٧ - طرفه في: ٥٦١٧].
وبه قال: (حدثنا محمد) هو (ابن سلام) بتخفيف اللام البيكندي ولأبي ذر: ابن سلام بتشديدها حيث وقع قال: (أخبرنا الفزاري) مروان بن معاوية (عن عاصم) هو ابن سليمان الأحول (عن الشعبي) بفتح المعجمة وسكون المهملة عامر بن شراحيل (أن ابن عباس -رضي الله عنهما- حدثه، قال:)
(سقيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من زمزم فشرب وهو قائم) فيه الرخصة في الشرب قائما، واستحباب الشرب من ماء زمزم قال ابن المنير: وكأنه عنوان عن حسن العهد وكمال الشوق، فإن العرب اعتادت الحنين إلى مناهل الأحبة وموارد أهل المودة، وزمزم هو منهل أهل البيت فالمحترق عليها

والمتعطش إليها قد أقام شعار المحبة وأحسن العهد للأحبة، ولهذا جعل التضلع منها علامة فارقة بين الإيمان والنفاق، ولله در القائل:
وما شرقي بالماء إلا تذكرا ... لماء به أهل الحبيب نزول
وقال آخر:
يقولون ملح ماء فجلة آجن ... أجل هو مملوح إلى القلب طيب
وقال آخر:

بالله قولوا لنيل مصر ... بأنني عنه في غناء

بزمزم العذب عند بيت ... معلق الستر بالوفاء

وروى الفاكهي وغيره عن ابن عباس: صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار، قيل: وما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب. قيل: فما شراب الأبرار؟ قال: زمزم.

(قال عاصم:) الأحول (فحلف عكرمة) مولى ابن عباس: والله (ما كان) -صلى الله عليه وسلم- (يومئذ) أي يوم سقاه ابن عباس من ماء زمزم (إلا) راكبا (على بعير) ولابن ماجة من هذا الوجه قال عاصم: فذكرت ذلك لعكرمة بالله ما فعل؟ أي ما شرب قائما لأنه حينئذ كان راكبا، لكن عند أبي داود من رواية عكرمة." (١)

"يفعله.

٢٨٤٣ - حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا الحسين قال: حدثني يحي قال: حدثني أبو سلمة قال: حدثني بسر بن سعيد قال: حدثني زيد بن خالد -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا».

وبه قال: (حدثنا أبو معمر) عبد الله بن عمرو المقعد قال: (حدثنا عبد الوارث) بن سعيد قال: (حدثنا الحسين) بضم الحاء وفتح السين ابن ذكوان المعلم البصريون قال: (حدثني) بالإفراد (يحيى) هو ابن كثير اليمامي الطائي (قال: حدثني) بالإفراد أيضا (أبو سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف قال: (حدثني) بالإفراد كذلك (بسر بن سعيد) بضم الموحدة وسكون المهملة وكسر عين سعيد

مولى الحضرمي من أهل المدينة (قال: حدثني) بالإفراد أيضا (زيد بن خالد) أبو عبد الرحمن الجهني (-رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال):

(من جهز غازيا في سبيل الله بخير) بأن هيأ له أسباب سفره من ماله أو من مال المغازي (فقد غزا) أي فله مثل أجر المغازي وإن لم يغز حقيقة من غير أن ينقص من أجر المغازي شيء لأن المغازي لا يتأتى منه الغزو إلا بعد أن يكفى ذلك العمل فصار كأنه يباشر معه الغزو ولكنه يضاعف الأجر لمن جهز من ماله ما لا يضاعف لمن دله أو أعانه إعانة مجردة عن بذل المال. نعم من تحقق عجزه عن الغزو وصدقت نيته ينبغي أن لا يختلف أن أجره يضاعف كأجر العامل المباشر لما مر فيمن نام عن حزبه.

(ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير) في أهله ومن يتركه بأن ناب عنه في مراعاتهم وقضاء مآربهم زمان غيبته (فقد غزا) أي شاركه في الأجر من غير أن ينقص من أجره شيء لأن فراغ المغازي له واشتغاله به بسبب قيامه بأمر عياله فكأنه مسبب من فعله.

وفي حديث عمر بن الخطاب مرفوعا: "من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع" رواه ابن ماجة. وفي الطبراني الأوسط برجال الصحيح مرفوعا: "من جهز غازيا في سبيل الله فله مثل أجره ومن خلف غازيا في أهله بخير

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٨١/٣

وأنفق على أهله فله مثل أجره".
وفي حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في صحيح ابن حبان مرفوعا: "من أظل رأس غاز أظله الله يوم القيامة" الحديث.
فإن قلت: هل من جهز غازيا على الكمال ويخلفه بخير في أهله أجر غازيين أو غاز واحد؟
أجاب ابن جمرة: بأن ظاهر اللفظ يفيد أن له أجر غازيين لأنه عليه الصلاة والسلام جعل كل فعل مستقلا بنفسه غير مرتبط بغيره.
وحديث الباب أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي في الجهاد.
٢٨٤٤ - حدثنا موسى حدثنا همام عن إسحاق بن عبد الله عن أنس -رضي الله عنه-: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يدخل بيتا بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له: فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي".
وبه قال: (حدثنا موسى بن إسماعيل) المنقري وسقط ابن إسماعيل لغير أبي ذر قال: (حدثنا همام) بتشديد الميم ابن يحيى الشيباني (عن إسحاق بن عبد الله) بن أبي طلحة (عن أنس- رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يدخل بيتا) يكثر دخوله (بالمدينة غير بيت أم سليم) سهلة أو اسمها رميلة
أو الغميصاء وهي أم أنس (إلا على أزواجه) أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- (فقيل له): أي لم تخص أم سليم بكثرة الدخول إليها؟ ولم يسم القائل (فقال): عليه الصلاة والسلام:
(إني أرحمها، قتل أخوها) حرام بن ملحان يوم بئر معونة (معي) أي في عسكري أو على أمري وفي طاعتي لأنه عليه الصلاة والسلام لم يشهد بئر معونة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المغازي، وتعليل الكرماني دخوله عليه الصلاة والسلام على أم سليم بأنها كانت خالته من الرضاعة أو النسب وأن المحرمية سبب لجواز الدخول لا يحتاج إليه لأن من خصائصه عليه الصلاة والسلام جواز الخلوة بالأجنبية لثبوت عصمته.
وقد ظهرت مطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه عليه الصلاة والسلام خلف أخاها في أهله بخير بعد وفاته وحسن العهد من الإيمان وكفى بجبر الخاطر والتودد خيرا لا سيما من سيد الخلق -صلى الله عليه وسلم-.
وهذا الحديث أخرجه مسلم في الفضائل.

٣٩ - باب التحنط عند القتال

(باب التحنط) أي استعمال الحنوط وهو ما يطيب به الميت (عند القتال).
٢٨٤٥ - حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد بن الحارث حدثنا ابن عون عن موسى بن أنس قال: وذكر يوم اليمامة قال: "أتى أنس ثابت بن قيس وقد حسر عن فخذيه وهو يتحنط فقال: يا عم ما يحبسك أن لا تجيء؟ قال: الآن يا ابن أخي، وجعل يتحنط -يعني من الحنوط- ثم جاء فجلس، فذكر في الحديث انكشافا من الناس فقال: هكذا عن وجوهنا حتى نضارب القوم، ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بئس ما عودتم أقرانكم". رواه حماد عن ثابت عن أنس.

وبه قال: (حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب) أبو محمد الحجبي البصري قال: (حدثنا خالد) بن الحرث الهجيمي بضم الهاء وفتح الجيم قال (حدثنا ابن عون) عبد الله (عن موسى بن أنس) أي ابن مالك أنه (قال: وذكر) بواو الحال ولأبي ذر عن الحموي ذكر بإسقاطها (يوم) وقعة (اليمامة)." (١)

"(فلم أسمعه من أبي عثمان) النهدي (فنظرت) في كتابي (فوجدته) أي الحديث (عندي مكتوبا) فيه (فيما سمعت منه فزال الشك من عندي أي اعتمادا على خطه وإن لم يتذكر، وهذا هو الراجح في الرواية. قال في فتح الباري فكأنه سمعه من أبي تميمة عن أبي عثمان، ثم لقي أبا عثمان فسمعه منه أو كان سمعه من أبي عثمان فثبته فيه أبو تميمة.

٢٣ – باب حسن العهد من الإيمان

هذا (باب) بالتنوين (حسن العهد) وهو كما قال في النهاية الحفاظ ورعاية الحرمة أو حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال كما قال الراغب (من الإيمان) أي من كماله.

٦٠٠٤ – حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة – رضى الله عنها – قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن

يتزوجنى بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهدى فى خلتها منها.

وبه قال: (حدثنا) ولأبي ذر: حدثني (عبيد بن إسماعيل) الهباري قال: (حدثنا أبو أسامة) حماد بن أسامة (عن هشام عن أبيه) عروة بن الزبير (عن عائشة –رضي الله عنها–) أنها (قالت: ما غرت) ما نافية (على امرأة ما غرت) موصولة أي الذي غرت (على) أي من (خديجة) رضي الله عنها (ولقد هلكت قبل أن يتزوجني) –صلى الله عليه وسلم– (بثلاث سنين لما) أي لأجل ما (كنت أسمعه يذكرها) ومن أحب شيئا أكثر من ذكره (ولقد أمره ربه) عز وجل (أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب) من لؤلؤ مجوف (وإن كان) مخففة من الثقيلة أي وإنه كان (رسول الله –صلى الله عليه وسلم–) وسقط ما بعد كان لأبي ذر (ليذبح الشاة) بلام التأكيد (ثم يهدي) بضم التحتية (في خلتها منها) أي من الشاة المذبوحة وزاد في فضل خديجة ما يسعهن، ولمسلم ثم يهديها إلى خلائلها وفي الصحاح الخلة الخليل يستوي فيه المذكر والمؤنث لأنه في الأصل مصدر قولك فلان خليل بين الخلة. والحاصل أن ما كان من المصادر اسما يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد وغيره، وجوز بعضهم أن يكون هذا من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي ثم يهدي إلى أهل خلتها.

فإن قلت: ما وجه المطابقة بين الحديث والترجمة؟ أجيب: بأن لفظ الترجمة ورد في حديث عائشة عند الحاكم والبيهقي في الشعب من طريق صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: كيف أنتم حالكم كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال: يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان، فاكتفى البخاري

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٦٦/٥

بالإشارة على عادته تشحيذا للأذهان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان.

٢٤ - باب فضل من يعول يتيما

(باب فضل من يعول يتيما) أي يربيه ويقوم بمصالحه من قوت وكسوة وغيرهما.

٦٠٠٥ - حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، قال: حدثنى عبد العزيز بن أبى حازم قال: حدثنى أبى قال: سمعت سهل بن سعد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا»، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى.

وبه قال: (حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب) الحجبي البصري (قال: حدثني) بالإفراد (عبد العزيز بن أبي حازم) بالحاء المهملة والزاي (قال: حدثني) بالإفراد أيضا (أبي) أبو حازم سلمة بن دينار (قال: سمعت سهل بن سعد) الساعدي (عن النبي -صلى الله عليه وسلم-) أنه (قال):

(أنا وكافل اليتيم) القائم بمصالحه (في الجنة هكذا وقال): أي أشار (بإصبعيه) بالتثنية

(السبابة) بالموحدتين بينهما ألف والأولى مشددة ولأبي ذر عن الكشميهني السباحة بالحاء بدل الموحدة الثانية التي يشار بها في تشهد الصلاة وسميت بالسبابة أيضا لأنه يسب بها الشيطان حينئذ (والوسطى) زاد في اللعان وفرج بينهما أي بين السبابة والوسطى قال ابن حجر: وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي -صلى الله عليه وسلم- وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى وهو نظير قوله "بعثت أنا والساعة كهاتين".

والحديث سبق في الطلاق، وأخرجه أيضا أبو داود والترمذي.

٢٥ - باب الساعى على الأرملة

(باب) فضل (الساعي على الأرملة) بفتح الميم.

٦٠٠٦ - حدثنا إسماعيل بن عبد الله، قال: حدثنى مالك، عن صفوان بن سليم يرفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الساعى على الأرملة، والمسكين، كالمجاهد فى سبيل الله -أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل».

وبه قال: (حدثنا إسماعيل بن عبد الله) بن أبي أويس (قال: حدثني) بالإفراد (مالك) الإمام (عن صفوان بن سليم) بضم السين وفتح اللام مولى حميد بن عبد الرحمن المدني التابعي (يرفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-). قال في الكواكب: هذا مرسل لأن صفوان تابعي لكن لما قال يرفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- صار مسندا مجهولا لأنه لم يذكر شيخه فيها ما للنسيان." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٥٤ """"""

سبحانه وتعالى غير مشبهة لشيء من العالم ، كانت كذلك صفاته وأسماؤه ، ألا ترى وصف البارى تعالى بأنه موجود ووصف الإنسان بذلك لا يوجب تشابها بينهما ، وإن كانا قد اتفق فى حقيقة الوجود ، هذا قول مجاهد . وسيأتى فى

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢١/٩

كتاب الرد على الجهمية ، وهو الجزء الثانى من الاعتصام فى آخر هذا الديوان فى باب السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها تبيين مذاهب أهل السنة أن اسم الله عز وجل هو المسمى ، فهو موضع ذكره إن شاء الله ، وسأذكر فى كتاب الأدب فى باب حسن العهد من الإيمان تفسير الفضل المذكور .

٨٥ – باب ذب الرجل عن ابنته فى الغيرة والإنصاف

/ ١١٧ – فيه : المسور ، سمعت النبى (صلى الله عليه وسلم) على المنبر يقول : (إن بنى هشام ابن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ، وينكح ابنتهم ، فإنما هى بضعة منى ، يريبنى ما أرابها ، ويؤذينى ما آذاها) . قال المهلب : فى هذا من الفقه أنه قد يحكم فى أشياء لم تبلغ التحريم بأن يمنع منها من يريدها ، وإن كانت حلالا ، لما يلحقها من الكراهية فى العرض أو المضرة فى المال .." [١]

"""""""" صفحة رقم ٢١٦ """""""

– باب : حسن العهد من الإيمان

/ ٣١ – فيه : عائشة ، قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليذبح الشاة ، ثم يهدى فى خلتها منها . قال المؤلف : حسن العهد فى هذا الحديث هو إهداء النبى عليه السلام اللحم لأجوار خديجة ومعارفها رعيا منه لذمامها وحفظا لعهدها كذلك قال أبو عبيد : العهد فى هذا الحديث الحفاظ ورعاية الحرمة والحق ، فجعل ذلك البخارى من الإيمان ؛ لأنه فعل بر وجميع أفعال البر من الإيمان . وقولها : (ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب) فالقصب قصب اللؤلؤ ، وهو مااستطال منه فى تجويف ، وكل مجوف قصب . وقولها : (ببيت) أى بقصر يقال : هذا بيت فلان أى قصره . قاله أبو سليمان الخطابى . وقد روى أن خديجة قالت لرسول الله حين بشرها بذلك : (ما بيت من قصب ؟ بيت من لؤلؤ مجبأة) وفسره ابن وهب قال يريد : مجوفة . قال أبو سليمان : وهذا لا يستقيم على ما قاله ابن وهب إلا أن." [٢]

"٤٤٦٧ – قولها : (فارتاح لذلك)

أي هش لمجيئها ، وسريها لتذكره بها خديجة وأيامها . وفي هذا كله دليل لحسن العهد ، وحفظ الود ، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته ، وإكرام أهل ذلك الصاحب .

قولها : (عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين)

معناه عجوز كبيرة جدا حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ، ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان ، إنما بقي فيه حمرة لثاتها . قال القاضي : قال المصري وغيره من العلماء بالغيرة مسامح للنساء فيها ، لا عقوبة عليهن فيها ؛ لما جبلن عليه

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٣٥٤/٧

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٢١٦/٩

من ذلك ، ولهذا لم تزجر عائشة عنها قال القاضي : وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها ، وأول شبيبتها ، ولعلها لم تكن بلغت حينئذ .." (١)

"٤٩٢٦ - قوله صلى الله عليه وسلم : (فأووا إلى غار في جبل)

الغار : النقب في الجبل و (أووا) بقصر الهمزة ويجوز فتحها في لغة قليلة سبق بيانها قريبا .

قوله : (انظروا أعمالا عملتموها صالحة ، فادعوا الله بها لعله يفرجها) استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه ، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ، ويتوسل إلى الله تعالى به ؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم ، وذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء عليهم ، وجميل فضائلهم . وفي هذا الحديث : فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم . وفيه : فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات ، لا سيما بعد القدرة عليها ، والهم بفعلها ، ويترك لله تعالى خالصا . وفيه : جواز الإجارة وفضل حسن العهد ، وأداء الأمانة ، والسماحة في المعاملة . وفيه : إثبات كرامات الأولياء ، وهو مذهب أهل الحق .

قوله : (فإذا أرحت عليهم حلبت)

معناه : إذا رددت الماشية من المرعي إليهم ، وإلى موضع مبيتها ، وهو مراحها بضم الميم ، يقال : أرحت الماشية وروحتها بمعنى .

قوله : (نأى بي ذات يوم الشجر)

وفي بعض (ناء بي) ، فالأول بجعل الهمزة قبل الألف ، وبه قرأ أكثر القراء السبعة ، والثاني عكسه ، وهما لغتان وقراءتان ، ومعناه

(بعد)

والثاني (البعد) .

قوله : (فجئت بالحلاب)

هو بكسر الحاء ، وهو : الإناء الذي يحلب فيه ، يسع حلبة ناقة ، ويقال له ، المحلب بكسر الميم ، قال القاضي : وقد يريد بالحلاب هنا اللبن المحلوب .

قوله : (والصبية يتضاغون)

أي : يصيحون ويستغيثون من الجوع .

قوله : (فلم يزل ذلك دأبي)

أي : حالي اللازمة ، والفرجة بضم الفاء وفتحها ، ويقال لها أيضا : فرج ، سبق بيانها مرات .

قوله : (وقعت بين رجليها)

أي : جلست مجلس الرجل للوقاع .

---

(١) شرح النووي على مسلم، ١٨٦/٨

قولها : (لا تفتح الخاتم إلا بحقه) الخاتم كناية عن بكارتها ،

وقوله (بحقه)

أي : بنكاح لا بزنا .

قوله : (بفرق أرز)

الفرق بفتح الراء وإسكانها لغتان ، الفتح أجود وأشهر ، وهو : إناء يسع ثلاثة آصع ، وسبق شرحه في كتاب الطهارة .

قوله : (فرغب عنه)

أي : كرهه وسخطه وتركه .

قوله : (لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا)

فقوله (لا أغبق) بفتح الهمزة وضم الباء أي : ما كنت أقدم عليهما أحدا في شرب نصيبهما عشاء من اللبن ، والغبوق شرب العشاء ، والصبوح شرب أول النهار ، يقال منه : غبقت الرجل – بفتح الباء – أغبقه – بضمها مع فتح الهمزة – غبقا فاغتبق ، أي : سقيته عشاء فشرب ، وهذا الذي ذكرته من ضبطه متفق عليه في كتب اللغة ، وكتب غريب الحديث والشروح ، وقد يصحفه بعض من لا أنس له ، فيقول : أغبق بضم الهمزة وكسر الباء ، وهذا غلط .

قوله : (ألمت بها سنة)

أي : وقعت في سنة قحط .

قوله : (فثمرت أجره)

أي : ثمنه .

قوله : (حتى كثرت منه الأموال فارتعجت)

هو بالعين المهملة ثم الجيم ، أي : كثرت ، حتى ظهرت حركتها واضطرابها ، وموج بعضها في بعض لكثرتها ، والارتعاج الاضطراب والحركة ، واحتج بهذا الحديث أصحاب أبي حنيفة وغيرهم ممن يجيز بيع الإنسان مال غيره والتصرف فيه بغير إذن مالكه إذا أجازه المالك بعد ذلك ، ووضع الدلالة قوله : (فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها) ، وفي رواية البخاري : (فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فقلت : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق) وأجاب أصحابنا وغيرهم ممن لا يجيز التصرف المذكور بأن هذا إخبار عن شرع من قبلنا ، وفي كونه شرعا لنا خلاف مشهور للأصوليين ، فإن قلنا ليس بشرع لنا فلا حجة . وإلا فهو محمول على أنه استأجره بأرز في الذمة ، ولم يسلم إليه ، بل عرضه عليه فلم يقبله لرداءته ، فلم يتعين من غير قبض صحيح فبقي على مالك المستأجر ؛ لأن ما في الذمة لا يتعين إلا بقبض صحيح ، ثم إن المستأجر تصرف فيه وهو ملكه ، فصح تصرفه ، سواء اعتقده لنفسه أم للأجير ، ثم تبرع بما اجتمع منه من الإبل والبقر والغنم والرقيق على الأجير بتراضيهما . والله أعلم .." (١)

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٩/١٠٦

" قولها [٢٤٣٧] (فارتاح لذلك أي هش لمجيئها وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب قولها (عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين) معناه عجوز كبيرة جدا حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شئ من الأسنان إنما بقي فيه حمرة لثاتها قال القاضي قال المصري وغيره من العلماء الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك ولهذا لم تزجر عائشة عنها قال القاضي وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها ولعلها لم تكن بلغت حينئذ

(باب فضائل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها)

قوله صلى الله عليه و سلم [٢٤٣٨] (جاءني بك الملك في سرقة من حرير) هي بفتح السين المهملة والراء وهي الشقق البيض من الحرير قاله أبو عبيد وغيره قوله صلى الله عليه و سلم (فأقول إن يك من عند الله يمضه) قال القاضي إن كانت هذه الرؤيا قبل النبوة وقبل تخليص أحلامه صلى الله عليه و سلم ." (١)

" ويجوز فتحها فى لغة قليلة سبق بيانها قريبا قوله (انظروا أعمالا عملتموها صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها) استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للانسان أن يدعو فى حال كربه وفى دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبي صلى الله عليه و سلم فى معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم وفى هذا الحديث فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها ويترك لله تعالى خالصا وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة فى المعاملة وفيه اثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق قوله (فإذا أرحت عليهم حلبت) معناه اذا رددت الماشية من المرعى اليهم والى موضع مبيتها وهو مراحها بضم الميم يقال أرحت الماشية وروحتها بمعنى قوله (نأى بى ذات يوم الشجر) وفى بعض ناءبى فالأول يجعل الهمزة قبل الألف وبه قرأ أكثر القراء السبعة والثانى عكسه وهما لغتان وقراءتان ومعناه بعد والثانى البعد قوله (فجئت بالحلاب) هو بكسر الحاء وهو الإناء الذى يحلب فيه يسع حلبة ناقة ويقال له المحلب بكسر الميم قال القاضي وقد يريد بالحلاب هنااللبن المحلوب قوله (والصبية يتضاغون) أى يصيحون ويستغيثون من الجوع قوله (فلم يزل ذلك دأبى) أى ." (٢)

"فوائد من حديث قصة أصحاب الغار

قال: (وفي هذا الحديث: فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم.

وفيه: فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات لا سيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها، ويفعل ذلك خالصا لله عز وجل.

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٢٠٢/١٥

(٢) شرح النووي على مسلم، ٥٦/١٧

وفيه: جواز الإجارة، وفضل حسن العهد، وأداء الأمانة، والسماحة في المعاملة.

وفيه: إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل السنة).." (١)

"سبحانه وتعالى غير مشبهة لشيء من العالم، كانت كذلك صفاته وأسماؤه، ألا ترى وصف البارى تعالى بأنه موجود ووصف الإنسان بذلك لا يوجب تشابها بينهما، وإن كانا قد اتفق فى حقيقة الوجود، هذا قول مجاهد. وسيأتى فى كتاب الرد على الجهمية، وهو الجزء الثانى من الاعتصام فى آخر هذا الديوان فى باب السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها تبيين مذاهب أهل السنة أن اسم الله عز وجل هو المسمى، فهو موضع ذكره إن شاء الله، وسأذكر فى كتاب الأدب فى باب حسن العهد من الإيمان تفسير الفضل المذكور.

٨٥ - باب ذب الرجل عن ابنته فى الغيرة والإنصاف

/ ١١٧ - فيه: المسور، سمعت النبى (صلى الله عليه وسلم) على المنبر يقول: (إن بنى هشام ابن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى، وينكح ابنتهم، فإنما هى بضعة منى، يريبنى ما أرابها، ويؤذينى ما آذاها) . قال المهلب: فى هذا من الفقه أنه قد يحكم فى أشياء لم تبلغ التحريم بأن يمنع منها من يريدها، وإن كانت حلالا، لما يلحقها من الكراهية فى العرض أو المضرة فى المال.." (٢)

"- باب: حسن العهد من الإيمان

/ ٣١ - فيه: عائشة، قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب، وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليذبح الشاة، ثم يهدى فى خلتها منها. قال المؤلف: حسن العهد فى هذا الحديث هو إهداء النبى عليه السلام اللحم لأجوار خديجة ومعارفها رعيا منه لذمامها وحفظا لعهدها كذلك قال أبو عبيد: العهد فى هذا الحديث الحفاظ ورعاية الحرمة والحق، فجعل ذلك البخارى من الإيمان؛ لأنه فعل بر وجميع أفعال البر من الإيمان. وقولها: (ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب) فالقصب قصب اللؤلؤ، وهو مااستطال منه فى تجويف، وكل مجوف قصب. وقولها: (ببيت) أى بقصر يقال: هذا بيت فلان أى قصره. قاله أبو سليمان الخطابى. وقد روى أن خديجة قالت لرسول الله حين بشرها بذلك: (ما بيت من قصب؟ بيت من لؤلؤ مجبأة) وفسره ابن وهب قال يريد: مجوفة. قال أبو سليمان: وهذا لا يستقيم على ما قاله ابن وهب إلا أن." (٣)

"عن بن عمر قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعاتب أخاه في الحياء يقول إنك تستحي حتى إنه قد أضر بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فإن الحياء من الإيمان

ومعنى هذا الحديث والله أعلم

---

(١) شرح صحيح مسلم - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٧/٥٣

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٣٥٤/٧

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٢١٦/٩

أن الحياء لما كان يمنع من كثير من الفحش والفواحش ويحمل على كثير من أعمال البر والخير صار كالإيمان مضارعا لأنه يساويه في بعض معانيه لأن الإيمان شأنه منع صاحبه من كل ما حرم عليه إذا صاحبه التوفيق فهو مقيد بالإيمان يردعه عن الكذب والفجور والآثام كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن

والفتك القتل بعد الأمان والغدر بعد التأمين

فلما كان الحياء والإيمان سببين إلى فعل الخير جعل الحياء شعبة من الإيمان لأنه يمنع مثل الإيمان من ارتكاب ما لا يحل وما يعد من الفحش والفواحش وإن كان الحياء غريزة والإيمان فعل المؤمن الموفق له

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان

رواه عبد الله بن دينار وسهيل بن أبي صالح جميعا عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ذكرنا طرق أسانيدها في التمهيد

وللإيمان أصول وفروع فمن أصوله الإقرار باللسان مع اعتقاد القلب بما نطق به اللسان من الشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به عن ربه حق من البعث بعد الموت والإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله وكل ما أحكمه الله في كتابه ونقلته الكافة عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض بعد هذا فكل عمل صالح فهو من فروع الإيمان فبر الوالدين من الإيمان وأداء الأمانة من الإيمان وحسن العهد من الإيمان وحسن الجوار من الإيمان وتوقير الكبير من الإيمان ورحمة الصغير حتى إطعام الطعام وإفشاء السلام من الإيمان." (١)

"المبحث الرابع مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

طلب ابن العربي العلوم وجد في تحصيلها، وأقبل على العلوم بكليته، وطوف البلاد فسمع بالاسكندرية والقاهرة والقدس ونابلس ودمشق وبغداد ومكة والمدينة وغيرها من البلاد، وأكثر من السماع جدا، ولم يزل مقبلا على طلب العلم حتى صار إمام الناس في وقته في أغلب العلوم، وقد وصفه معاصروه بالحفظ والإتقان.

فقد قال عنه ابن بشكوال: كان مقدما في المعارف كلها، حريصا على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب فيها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود.

وقال أيضا فيه الإمام خاتمة علماء الأندلس (١).

أما ابن فرحون فيقول فيه: هو الإمام العلامة الحافظ المتبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها .. درس الفقه والأصول وقيد الحديث واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن (٢).

وقال الذهبي. أدخل الأندلس إسنادا عاليا وعلما جما، وكان ثاقب الذهن عذب المنطق كريم الشمائل كامل السؤدد. وقال: كان القاضي ممن يقال إنه بلغ رتبة الاجتهاد. وقال ابن النجار: حدث ببغداد بيسير، وصنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتواريخ، واتسع حاله وكثر أفضاله ومدحته الشعراء (٣).

---

(١) الاستذكار ابن عبد البر ٨/٢٨٢

وقال الحجاري: لو لم ينسب لأشبيلية إلا هذا الإمام الجليل لكان لها به من الفخر ما يرجع عنه الطرف وهو كليل. وقال هو الإمام بحر العلوم وإمام كل محفوظ ومعلوم (٤).

---

(١) نفح الطيب: ٢/ ٢٨، وأنظر أزهار الرياض: ٣/ ٦٣، المرقبة العليا: ص ١٠٥.

(٢) الديباج: ٢/ ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٢٠٠ - ٢٠١.

(٤) المغرب في حلى المغرب: ١/ ٢٥٤ - ٢٥٥، وانظر تذكرة الحفاظ: ١٢٩٥.." [1]

"وقد صرح ابن بشكوال أنه سمع بقرطبة وإشبيلية كثيرا من روايات شيخه وتآليفه، وهو أول من سجل تاريخ مولد أبي بكر بن العربي؛ لأنه سأله عنه، كذلك نرجح لأنه ظل المورد الذي نهل منه جل من تكلم عن تاريخ مولد ابن العربي. وانحياز ابن بشكوال إلى شيخه ظاهر جلي؛ فإنه ضرب صفحا وورى علينا خبر المطاعن التي وجهت إلى شيخه، وأشار إليها قبله عياض في "الغنية" وتداولتها الرواة، وتحدث بها في المجالس، وتمحض ابن بشكوال لتسجيل الثناء العطر الذي تصوره هذه التحلية: "الإمام، العالم، الحافظ ختام علماء الأندلس، وآخر أيمتها وحفاظها".

وتصوره هذه الأحكام التي ننقلها عنه في هذه الفقرة (١) على أنه كان ينظر إلى ابن العربي بعين واحدة كليلة هي عين الرضا:

"وكان من أهل التفنن في العلوم، والاستبحار فيها، والجمع لها. متقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، نافذا في جميعها، حريصا على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها. ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة ولين الكنف، وكثرة الاحتمال. وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الوعد. واستقضي ببلده فنفع الله به أهله لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه. وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه" (٢).

---

(١) ٢/ ٥٩١ من الصلة.

(٢) ٢/ ٥٩١، من الصلة." [2]

"الكتاب، ونقلته الكافة عن النبي -عليه السلام- من الصلاة والزكاة والصيام والحج، وسائر الفرائض.

وبعد هذا، فكل عمل صالح فهو من فروع الإيمان، فبر الوالدين، وأداء الأمانة من الإيمان، وحسن العهد من الإيمان، وحسن الجوار من الإيمان، وتوقير الكبير من الإيمان، ورحمة الصغير، حتى إطعام الطعام من الإيمان، وإفشاء السلام من الإيمان.

فهذه الفروع من ترك شيئا منها لم يكن ناقص الإيمان بتركها، كما يكون ناقص الإيمان بارتكاب الكبائر وترك عمل الفرائض، وإن كان مقرا بها.

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/٥٣

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٥٩/١

والحياء مقيد بالإيمان، يردعه عن الكذب والفجور والآثام، كما قال –عليه السلام-: "الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن" (١) والفتك: القتل بعد الأمان، والغدر بعد التأمين.

فلما صار الحياء والإيمان سببين إلى فعل الخير، جعل الحياء شعبة من الإيمان؛ لأنه يمنعه عن ارتكاب المعاصي، والله أعلم. وتلخيص هذا يطول شرحه وبيانه، وهذا كله يدل على أن الإيمان قول وعمل كما قال أهل العلم بالفقه والحديث، وقد بينا معنى الإسلام والإيمان في أول الكتاب فلينظر هنالك.

ما جاء في الغضب

مالك (٢)، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن؛ أن رجلا أتى النبي عليه السلام فقال له: يا رسول الله، علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فأنسى. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا تغضب".

---

(١) رواه ابن الجعد في مسنده (٣١٨٤)، وأحمد: ١/ ١٦٦، ١٦٧، من حديث ابن الزبير، والحاكم: ٤/ ٣٥٢، والطبراني في الكبير: ١٩/ ٣١٩ (٧٢٣) من حديث مروان بن الحكم. كما أخرجه أبو داود (٢٧٦٣) من حديث أبي هريرة، وانظر التمهيد: ٩/ ٢٥٦.

(٢) في الموطأ (٢٦٣٦) رواية يحيى.." [(١)]

"إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه. فبينا هو يوما على ذلك الحمار، إذ مر به أعرابى. فقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا. والعمامة، قال: اشدد بها رأسك. فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابى حمارا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك! فقال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن من أبر البر، صلة الرجل أهل ود أبيه، بعد أن يولى "، وإن أباه كان صديقا لعمر.

وقد قدمنا نحن الكلام على مقتضى قوله: " من راح " واختلاف المذهب فيه فى موضعه من الكتاب.

قال القاضى: الأشبه عندى فى هذا الموضع أن يكون من الاستراحة، ألا تراه كيف قال: " إذا مثل ركوب الراحلة "؟ وأنه يستريح بتبديل مركبه، وهذا موجود معلوم. والراحة والروح والرواح بمعنى. قاله صاحب العين والجمهرة.

وقوله " إن أبر البر، صلة الرجل أهل ود أبيه ": هو مما تقدم، والصلة واللطف والتحفى أحد معانى البر على ما تقدم. ومن أبر البر الوفاء لمن يلزم بره بصلة من كان يبره. هو كما قال – عليه السلام – في خبر خليلة خديجة: " إن حسن العهد من الإيمان " (١)، وفى الرواية الأخرى: " أن يصل ود أبيه "، [بضم الواو] (٢)، أى وداده.

---

(١) البخارى، ك الأدب، ب حسن العهد من الإيمان ٨/ ١٠، وسبق فى مسلم فى فضائل الصحابة، فضل خديجة أم

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٢٥٦/٧

المؤمنين برقم (٧٤)، الترمذى، ك البر والصلة، ب ما جاء فى حسن العهد من الإيمان برقم (٢٠١٧).

(٢) من ح.." [1]

"أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها].

* في هذا الحديث من الفقه أنه يستحب للمؤمن أن لا يغفل (٢٤/ ب) عن حسن العهد، ولا يلهو عن ذكر الصحبة فإنهما كانا يزوران أم أيمن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

* وفيه من الفقه أيضا أن بكاء أم أيمن كان لانقطاع الوحي النازل من السماء، وهذا مهم يشملها ويشمل سائر الناس، ولذلك أثار بكاء أبي بكر وعمر.

* وفيه أيضا أن الإنسان قد يهيج له البكاء ببكاء أخيه، ولا يكون ذلك ناقصا من إخلاصه.

آخر مسند أبي بكر رضي الله عنه.." [2]

"خصال الإيمان.

* الخصلة التاسعة والثلاثون: حسن العهد.

ولما كان الكبر وغمص الحق، وإطراح الصحبة، ونسيان الجميل، من شعب النفاق، كان حسن العهد من المسلمين، وذكر ما سبق من الإحسان، أو تقدم من الصحبة؛ أو وجد المسلم بالمسلم من الراحة، مما إذا ذكره استدل به على أنه إنما أثار ذكره له الإيمان، فكان حسن عهده من الإيمان.

* الخصلة الأربعون: حسن الخلق.

ولما كان حسن الخلق، وهو الذي يخرج في الاعتدال من كل سجية عن طرفين مذمومين، نحو الشجاعة: بين الجبن والتغرير، والجود: بين البخل والتبذير، والعفة: بين العنة والغلمة، كان حسن الخلق، وهو الذي حماه الله سبحانه وتعالى أن يميل بصاحبه إلى أحد الطرفين، بل وقفه على الاعتدال، فكان ذلك آية واضحة؛ أنه لم ينشأ إلا عن إيمان أراه الله به قبح الغلو والتقصير، وسوء الإفراط والتفريط، فوقف على الاعتدال مطرحا للميل مع الهوى، فكان ذلك من دلائل الإيمان.

* الخصلة الحادية والأربعون: ثبوت الإيمان بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم -.

ولما كان الإيمان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد موته، من حيث إنه ظهر للمتأخرين من دلائل صدقه، وشواهد حقه، ما يناسب أن يكون إيمانهم على نهاية الكمال؛ فإنه لما أنزل الله على رسوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ الآية. فهذا الأمر وجبت فيه الحجة على من جاء (٩٢/ أ) بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أمته،." [3]

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ١٦/٨

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ابن هُبَيْرَة ٩٩/١

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ابن هُبَيْرَة ٣٩٤/٦

"قوله في باب حسن العهد: " فيهديها في خلتها" (1) كذا للكافة، ورواه بعض رواة البخاري: "حلتها" أي: جيرانها، والحلة: هم القوم النزول في حلة واحدة، والحلة المحلة، والأول أصوب، أي: لأهل ودها وخلتها، كما قال في الحديث الآخر: "خلائلها" (2)، والخل والخليل والخلة أيضا (3): الصاحب، كنى هنا بالخلة عن الخلائل.

وفي أول الاستئذان: "قال الزهري: في النظر إلى التي لم تحل"، كذا للأصيلي، ولغيره: "لم تحض" (4) وهما صحيحان.

في حديث أم حبيبة: "لا يعجل شيئا قبل حله وبعد حله" (5) أي: وجوبه، كذا ضبطناه في الحديثين في الموضعين من كتاب مسلم، وذكره المازري (6): "قبل أجله وبعد أجله" وذكره مسلم آخر الحديث الثاني: "وروى بعضهم: قبل حله أي: نزوله" فيحتمل أنها اختلاف (7) رواية في: "حله" ويحتمل أنه إنما جاء بهذه الزيادة من التفسير، وهو أيضا وهم، ومصدر حل إذا كان بمعنى النزول: حلول، ومن الوجوب: حل.

...

(1) البخاري (٦٠٠٤) من حديث عائشة بلفظ: "ثم يهدي في خلتها منها".

(2) البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥).

(3) من (د، أ).

(4) البخاري معلقا قبل حديث (٦٢٢٨).

(5) مسلم (٢٦٦٣/ ٣٣) بلفظ: "لا يعجل شيئا منها قبل حله، ولا يوخر منها شيئا بعد حله".

(6) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(7) من (س).." [1]

"العين مع الهاء

قوله: "أشد تعاهدا على ركعتي الفجر" (1) التعاهد والتعهد: الاحتفاظ بالشيء والملازمة له، ومنه: "إن حسن العهد من الإيمان" (2)، ومنه: "تعاهد ولدي " (3) وهذا يرد قول من قال: تعهدت ضيعتي ولا يقال: تعاهدت.

قوله: "وكان بينهم وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - (عهد" (4) العهد حيث وقع) (5): عقد الميثاق، ومنه: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ [الإسراء: ٣٤] و ﴿فأتموا إليهم عهدهم﴾ [التوبة: ٤] ومنه: "كيف ينبذ إلى أهل العهد؟ " (6) وهو هنا الأمان (7). وقيل ذلك في قوله تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة: ١٢٤]، والعهد أيضا: الوصية، ومنه: "عهد إلى أخيه" (8)، و ﴿ألم أعهد إليكم﴾ [يس: ٦٠]، و"ماذا عهد إليك ربك" (9).

وقولها: "ولا يسأل عما عهد" (10) أي: لا يستقصي عما علمه في البيت من قوت؛ وذلك لسخاوة نفسه وإغضائه.

(1) البخاري (١١٦٩) من حديث عائشة.

---

[1] مطالع الأنوار على صحاح الآثار ابن قُرْقُول ٢/٢٩٧

(٢) البخاري قبل حديث (٦٠٠٤).

(٣) البخاري قبل حديث (٢٧٤٥).

(٤) البخاري (٣١٧٠) من حديث أنس.

(٥) ساقطة من (د، ش).

(٦) البخاري قبل حديث (٣١٧٧).

(٧) في (س): (الإيمان).

(٨) "الموطأ" ٢/ ٧٣٩، البخاري (٢٠٥٣) من حديث عائشة.

(٩) البخاري (٧٥١٧) من حديث أنس.

(١٠) البخاري (٥١٨٩)، مسلم (٢٤٤٨) من حديث عائشة.." [١]

"قولها

[٢٤٣٧] (فارتاح لذلك أي هش لمجيئها وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب قولها (عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين) معناه عجوز كبيرة جدا حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شئ من الأسنان إنما بقي فيه حمرة لثاتها قال القاضي قال المصري وغيره من العلماء الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك ولهذا لم تزجر عائشة عنها قال القاضي وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها ولعلها لم تكن بلغت حينئذ

(باب فضائل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها)

قوله صلى الله عليه وسلم

[٢٤٣٨] (جاءني بك الملك في سرقة من حرير) هي بفتح السين المهملة والراء وهي الشقق البيض من الحرير قاله أبو عبيد وغيره قوله صلى الله عليه وسلم (فأقول إن يك من عند الله يمضه) قال القاضي إن كانت هذه الرؤيا قبل النبوة وقبل تخليص أحلامه صلى الله عليه وسلم." [٢]

"ويجوز فتحها في لغة قليلة سبق بيانها قريبا قوله (انظروا أعمالا عملتموها صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها) استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم وفي هذا الحديث فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم وفيه فضل العفاف والانكفاف

---

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ابن قُرْقُول ٤٩/٥

(٢) شرح النووي على مسلم النووي ٢٠٢/١٥

عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها ويترك لله تعالى خالصا وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق قوله (فإذا أرحت عليهم حلبت) معناه إذا رددت الماشية من المرعي إليهم وإلى موضع مبيتها وهو مراحها بضم الميم يقال أرحت الماشية وروحتها بمعنى قوله (نأى بي ذات يوم الشجر) وفى بعض ناءبى فالأول يجعل الهمزة قبل الألف وبه قرأ أكثر القراء السبعة والثانى عكسه وهما لغتان وقراءتان ومعناه بعد والثاني البعد قوله (فجئت بالحلاب) هو بكسر الحاء وهو الإناء الذى يحلب فيه يسع حلبة ناقة ويقال له المحلب بكسر الميم قال القاضي وقد يريد بالحلاب هنااللبن المحلوب قوله (والصبية يتضاغون) أي يصيحون ويستغيثون من الجوع قوله (فلم يزل ذلك دأبي) أى." (١)

"٣٧٢٥ - وعن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان)) متفق عليه.

٣٧٢٦ - وعن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به)) متفق عليه.

٣٧٢٧ - وعن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة)). وفي رواية: ((لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة)) رواه مسلم.

في مسائل وآخر في مسائل أخرى واستوي المجتهدان عنده خيرناه. فالذي يقتضيه فعل الأولين الجواز، وكما أن الأعمى إذا قلنا: لا يجتهد في الأواني والثياب، له أن يقلد في الثياب واحدا وفي الأواني آخر.

لكن الأصوليون منعوا منه للمصلحة، وحكى الحناطي وغيره عن أبي إسحاق فيما إذا اختار من كل مذهب ما هو أهون عليه أنه يفسق به، وعن أبي هريرة أنه لا يفسق، ويعض هذا الترجيح قول الإمام مالك رضي الله عنه حين أراد الرشيد الشخوص من المدينة إلي العراق، قال له: ينبغي أن تخرج معي؛ فإني عزمت أن أحمل الناس علي الموطأ كما حمل عثمان الناس علي القرآن، فقال: إما حمل الناس علي الموطأ فليس إلي ذلك سبيل؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا، فعند كل أهل مصر علم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((اختلاف أمتي رحمة)).

الحديث الرابع إلي آخر الفصل عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: ((هذه غدرة فلان)) أي هذه علامة غدرة فلان فيشتهر بين الناس ويفتضح علي رءوس الأشهاد، وينصره قوله: ((يرفع له بقدر غدرة)) قوله: ((لكل غادر لواء)) ((قض)): الغدر في الأصل ترك الوفاء وهو شائع في أن يغتال الرجل من في عهده وأمنه، والمعنى أن الغادر ينصب وراءه لواء غدره يوم القيامة تشهيرا بالغدر وإخزاء وتفضيحا علي رءوس الأشهاد.

وإنما قال: ((عند استه)) استخفافا بذكره واستهانة لأمره، أو لأنه لما كان أمارة الوفاء وحسن العهد رواء الوجه وبهاؤه، ناسب أن تكون علامة الغدر ولواءه فيما هو كالمقابل له وعنده. يريد ب ((أمير العامة)) من قدمه العوام وسفلات الناس،

---

(١) شرح النووي على مسلم النووي ٥٦/١٧

ولم يكن له استحقاق ولا لأهل الحل والعقد، من خواص الناس عليه اتفاق، وإنما عظم غدره وفضله علي سائر أنواع الغدر؛ لأن نقض عهد." (١)

"الفصل الثاني

٤٠٤٦ – عن المسور، ومروان: أنهم اصطلحوا علي وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، وعلي أن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال رواه أبو داود. [٤٠٤٦]

الفصل الثاني

الحديث الأول عن المسور: قوله: ((عشر سنين)) ((قض)): إنما هادنهم عشر سنين لضعف المسلمين، وهي أقصى مدة المهادنة عند الشافعي فلا تجوز الزيادة عليها؛ لأنه تعالي أمر بقتال الكفار في عموم الأحوال والأوقات، فلا يستثنى منه إلا القدر الذي استثناه الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل: لا يجوز أكثر من ثلاث سنين إذ الصلح لم يبق بينهم أكثر من ذلك؛ فإن المشركين نقضوا العهد في السنة الرابعة، فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الفتح، وضعفه ظاهر.

وقيل: لا حد لها وإن تقدير مدتها موكول إلي رأي الإمام واقتضاء الحال، هذا إذا كان ضعف، وأما في حال القوة فيجوز الصلح إلي أربعة أشهر؛ لقوله تعالي: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾؛ ولأنه صلى الله عليه وسلم جعل لصفوان بعد فتح مكة يسير أربعة أشهر، ولا يجوز يهدنهم سنة بلا جزية وفيما بينهما خلاف، والأصح المنع. وقوله: ((علي أن بيننا عيبة مكفوفة)) أي صدرا نقيا من الغل والخداع مطويا علي حسن العهد والوفاء، والعيبة تستعار للقلوب والصدور من حيث أنها مستودع الأسرار، كما أن العياب مستودع الثياب والمتاع.

وقيل: معناه أن تكون بيننا موادعة ومصادقة تكون بين المتصادقين المتشاورين في الأمور، فيكون كل منا صاحب مشورة للآخر وعيبة سره، ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم: ((الأنصار كرشي وعيبتي)).

وقيل: معناه: علي أن يكون ما سلف منا في عيبة مكفوفة، أي مشروحة مشدودة لا يظهره أحد منا ولا يذكره، كما قال الله تعالي: ﴿عفا الله عما سلف﴾. وقيل: علي أن يكون بيننا كتاب صلح نحفظه ولا نضيعه كالمتاع المضبوط في العيبة المشدودة. و ((الإسلال)) السرقة الخفية، وكذلك السلة. و ((الإغلال)) الخيانة.

أقول: فإن قلت: لم خص الإسلال والإغلال بالذكر من بين سائر الفساد، وأتى بضمير الشأن؟. قلت: لما نفي الدخول التي كانت بينهم وأن لا ينشروها، بل يتكافون عنها، أتبعه ما يتعلق بالظاهر، وإنما خصهما بالذكر للاستيعاب؛ ومن ثم كرر ((لا)) التي لنفي الجنس وحذف الخبر نسيا منسيا، نحوه قوله تعالي: ﴿لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾، كأنه قيل: ينبغي أن." (٢)

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢٥٩١/٨

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢٧٨٩/٩

"فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها. قالت: يا عبد الله! اتق الله ولا تفتح الخاتم، فقمت عنها. اللهم فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منها، ففرج لهم فرجة.
وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي. فعرضت عليه حقه، فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي. فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها فقال: اتق الله ولا تهزأ بي. فقتل: إني لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها، فأخذه فانطلق بها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج ما بقى ففرج الله عنهم)). متفق عليه.
٤٩٣٩ – وعن معاوية بن جاهمة، أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك. فقال: ((هل لك من أم؟)) قال:

وغيره. ويتوسل بصالح عمله إلى الله تعالى، فإن هؤلاء فعلوه واستجيب لهم. وذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم. وفيه فضل بر الوالدين وإيثارهما على من سواهما من الأهل والوالد. وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات، لاسيما بعد القدرة عليها. وفيه جواز الإجازة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة. وفيه إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل الحق.
وتمسك بالحديث أصحاب أبي حنيفة وغيرهم، ممن يجوز بيع الإنسان مال غيره والتصرف فيه بغير إذنه، إذا أجازه المالك بعد ذلك. وأجاب أصحابنا بأن هذا إخبار عن شرع من قبلنا، وفي كونه شرعا لنا خلاف. فإن قلنا: إنا متعبدون به، فهو محمول على أنه استأجره في الذمة، ولم يسلم إليه بل عرضه عليه، فلم يقبضه، فلم يتعين ولم يصر ملكه. فالمستأجر قد تصرف في ملك نفسه، ثم تبرع بما اجتمع منه من البقر والغنم وغيرهما.
الحديث الثاني عن معاوية: قوله: ((عند رجلها)) كناية عن غاية الخضوع ونهاية التذلل، كما في قوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾. ولعله صلى الله عليه وسلم عرف من حاله وحال أمه حيث ألزمه خدمتها ولزومها أن ذلك أولى به.." (١)

"وإنما يصح عند تحقيق النظر أن يكون الاسم هو المسمى في الله وحده فقط، لا فيما سواه من المخلوقين، لمباينته تعالى وأسمائه وصفاته حكم أسماء المخلوقين وصفاتهم، وبيان عدم اللزوم في حقه تعالى أن طرق العلم بالشيء إنما تؤخذ من جهة الاستدلال عليه بمثله وشبهه، أو من حكم ضده، وعلمنا يقينا أنه تعالى لا شبيه له بقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] وبقوله: ﴿ولم يكن له كفوا أحد (٤)﴾ [الإخلاص: ٤] فثبت بذلك أنه لا ضد له؛ لأن حكم الضد إنما يعلم من حكم ضده، فكما لم يكن له تعالى شبيه ولا ضد يستدل على اسمه إذا كان غير المسمى، لم يجز لنا أن نقول ذلك، مع أنه – عليه السلام – لم يتكلم بذلك، ولا سنه لأمته، ولا يعلم به الصحابة، فلا يجوز أن تقاس أسماء الله وصفاته على أسماء المخلوقين وصفاتهم، ولا يقال: إن اسم الله غير المسمى به؛ من أجل جواز ذلك فينا، وستكون لنا عودة إلى تبيين

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣١٧١/١٠

مذهب أهل السنة أن اسم الله تعالى هو المسمى في باب السؤال بأسماء الله تعالى، والاستفادة بها في كتاب الرد على الجهمية، ويأتي في الأدب في باب: حسن العهد من الإيمان، تفسير الغضب المذكور في حديث عائشة - رضي الله عنها - (١).

ولابن السيد البطليوسي فيه مؤلف، وقال فيه: لا يصح أن يقال: إن الاسم هو المسمى، على معنى أن العبارة هو المعبر عنه، وأن اللفظ هو الشخص، فإنه محال لا يتصور في لب، وبه يسقط اعتراض من قال: إنه يلزم من ذلك أن يحترق فم من قال: نار، ويشبع من قال: طعام. ويصح أن يقال: هو على معان ثلاثة: ما يجري مجازا لمجاز، أو الحقيقة،

---

(١) انظر ما سيأتي برقم (٦٠٠٤).." [1]

"٢٣ - باب حسن العهد من الإيمان

٦٠٠٤ - حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة -ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين- لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها. [انظر: ٣٨١٦ - مسلم: ٢٤٣٤، ٢٤٣٥ - فتح: ١٠/ ٤٣٥].

ذكر فيه حديث عائشة - رضي الله عنها -: قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة - رضي الله عنها -ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين- لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها.

قولها: (ما غرت) إلى آخره. فيه إثبات الغيرة، وهو أمر لا تملكه.

وقولها: (ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين) الذي ذكره غيره أنها توفيت قبل الهجرة بهذا المقدار ثم تزوج عائشة بمكة بنت ست أو سبع وأدخلت عليه بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر بنت تسع (١).

وقال الداودي: توفيت خديجة على ما في الحديث قبل الهجرة بأربع سنين وأشهر؛ لأنه - عليه السلام - تزوج عائشة وبنى بها في السنة الثانية من الهجرة، ولا يخالف في ذلك؛ لأن معنى قولها: (تزوجني): دخل علي، وإلا فتكون خديجة ماتت قبل الهجرة بخمس سنين (٢).

---

(١) وقع في الأصل: سنة سبع، ولعله سبق قلم.

(٢) كذا نقل عن الداودي، وقال الحافظ في "الفتح" ٧/ ١٣٤: وماتت على الصحيح بعد المبعث بعشر سنين في شهر رمضان.." [2]

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ١١٨/٢٥

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٠٥/٢٨

"فصل:

(حسن العهد) في هذا الحديث هو إهداء النبي - صلى الله عليه وسلم - اللحم لإخوان خديجة ومعارفها رعيا منه لذمامها، وحفظا لعهدها، كذلك قال أبو عبيد: العهد في الحديث الحفاظ ورعاية الحرمة و (الحق) (١) (٢)، فجعل ذلك البخاري من الإيمان؛ لأنه فعل بر وجميع أفعال البر من الإيمان.

فصل:

(القصب): قصب اللؤلؤ، وهو ما استطال منه في تجويف وكل مجوف قصب، قاله ابن بطال (٣).

وقال الهروي: قال أهل العلم واللغة القصب هنا: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف (٤).

وعبارة الجوهري: القصب: بيت من جوهر، وذكر الحديث (٥). وقيل: من لؤلؤة مجوفة، وبيت الرجل قصره وداره. وقيل: هو قصب اللؤلؤ. وقيل: ما استطال منه في تجويف. وقيل: إن خديجة لما بشرها بذلك قالت: ما بيت من قصب؟ قال: "بيت من لؤلؤة مجبأة" وفسره ابن وهب قال: يريد مجوفة.

وقال الخطابي: ولا يستقيم إلا أن يكون من المقلوب فتكون مجوبة من الجوب وهو القطع، قدم الباء علي الواو كقوله: ﴿جرف هار﴾

(١) من (ص٢).

(٢) "غريب الحديث" ١/ ٤٣٩.

(٣) "شرح ابن بطال" ٩/ ٢١٦.

(٤) انظر: "النهاية في غريب الحديث" ٤/ ٦٧.

(٥) "الصحاح" ١/ ٢٠٢، مادة (قصب).." [١]

"الزمر والمراد حكاية صوته وأما التي بالمهملتين وميمين فأصله من الحركة وهي هنا بمعنى الصوت الخفي وأما التي بالمعجمتين كذلك فقال الخطابي هو تحريك الشفتين بالكلام وقال غيره وهو كلام العلوج وهو صوت يصوت من الخياشيم والحلق قوله فثار بن صياد أي قام كذا للأكثر وللكشميهني فثاب بموحدة أي رجع عن الحالة التي كان فيها قوله وقال شعيب زمزمة فرفصه في رواية أبي ذر بالزايين وبالصاد المهملة وفي رواية غيره وقال شعيب في حديثه فرفصه زمزمة أو رمرمة بالشك وسيأتي في الأدب موصولا من هذا الوجه بالشك لكن فيه فرصه بغير فاء وبالتشديد وذكره الخطابي في غريبه بمهملة أي ضغطه وضم بعضه إلى بعض قوله وقال إسحاق الكلبي وعقيل رمرمة يعني بمهملتين وقال معمر رمزة يعني براء ثم زاي أما رواية إسحاق فوصلها الذهلي في الزهريات وسقطت من رواية المستملي والكشميهني وأبي الوقت وأما رواية عقيل فوصلها المصنف في الجهاد وكذا رواية معمر ثاني الأحاديث حديث أنس كان غلام يهودي يخدم لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته الا أن بن بشكوال ذكر أن صاحب العتبية حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام عبد

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٠٦/٢٨

القدوس قال وهو غريب ما وجدته عند غيره

[١٣٥٦] قوله وهو عنده في رواية أبي داود عند رأسه أخرجه عن سليمان بن حرب شيخ البخاري فيه وكذا للإسماعيلي عن أبي خليفة عن سليمان قوله فأسلم في رواية النسائي عن إسحاق بن راهويه عن سليمان المذكور فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قوله أنقذه من النار في رواية أبي داود وأبي خليفة أنقذه بي من النار وفي الحديث جواز استخدام المشرك وعيادته إذا مرض وفيه حسن العهد واستخدام الصغير وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه وفي قوله أنقذه بي من النار دلالة على أنه صح إسلامه وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب وسيأتي البحث في ذلك من حديث سمرة الطويل في الرؤيا الآتي في باب أولاد المشركين في أواخر الجنائز ثالثها حديث بن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين وقد تقدم الكلام عليه في الترجمة رابعها حديث أبي هريرة في أن كل مولود يولد على الفطرة أخرجه من طريق بن شهاب عن أبي هريرة منقطعا ومن طريق آخر عنه عن أبي سلمة عن أبي هريرة فالاعتماد في المرفوع على الطريق الموصولة وإنما أورد المنقطعة لقول بن شهاب الذي استنبطه من الحديث وقول بن شهاب لغية بكسر اللام والمعجمة وتشديد التحتانية أي من زنا ومراده أنه يصلى على ولد الزنا ولا يمنع ذلك من الصلاة عليه لأنه محكوم بإسلامه تبعا لأمه وكذلك من كان أبوه مسلما دون أمه وقال بن عبد البر لم يقل أحد أنه لا يصلى على ولد الزنا إلا قتادة وحده واختلف في الصلاة على الصبي فقال سعيد بن جبير لا يصلى عليه حتى يبلغ وقيل حتى يصلي وقال الجمهور يصلى عليه حتى السقط إذا استهل وقد تقدم في باب قراءة فاتحة الكتاب ما يقال في الصلاة على جنازة الصبي ودخل في قوله كل مولود السقط." (١)

"ماله في البخاري سوى هذا الحديث وآخر في الزكاة وهو من صغار شيوخه وقد نزل البخاري في هذا الإسناد بالنسبة لحديث حفص بن غياث درجة فإنه يروي الكثير عن ولده عمر بن حفص وغيره من أصحاب حفص وهنا لم يصل لحفص إلا باثنين وبالنسبة لرواية هشام بن عروة درجتين فإنه قد سمع من بعض أصحابه وأخرج هذا في الصحيح في كتاب العتق منه حدثنا عبيد بن موسى عن هشام بن عروة من مسند أبي ذر والسبب في اختياره إيراد هذه الطريق النازلة ما اشتملت عليه من الزيادة على رواية غيره كما سأنبه عليه قوله وما رأيتها في رواية مسلم من هذا الوجه ولم أدركها ولم أر هذه اللفظة إلا في هذه الطريق نعم أخرجها مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة بلفظ وما رأيتها قط ورؤية عائشة لخديجة كانت ممكنة وأما إدراكها لها فلا نزاع فيه لأنه كان لها عند موتها ست سنين كأنها أرادت بنفي الرؤية والإدراك النفي بقيد اجتماعهما عند النبي صلى الله عليه وسلم أي لم أرها وأنا عنده ولا أدركتها كذلك وقد وقع في بعض طرقه عند أبي عوانة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني قوله ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها في رواية عبد الله البهي عن عائشة عند الطبراني وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها قوله فربما قلت الخ هذا كله زائد في هذه الرواية فقد أخرج الحديث مسلم وأبو عوانة والإسماعيلي وأبو نعيم من طريق سهل بن عثمان والترمذي عن أبي هشام الرفاعي

(١) فتح الباري لابن حجر   ابن حجر العسقلاني ٣/٢٢١

كلهم عن حفص بن غياث بدونها قوله كأنه لم يكن في رواية الكشميهني كأن لم بحذف الهاء من كأنه قوله إنها كانت وكانت أي كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء قوله وكان لي منها ولد وكان جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية والمتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنى مات صغيرا قبل المبعث أو بعده وبناته الأربع زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة وقيل كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة وعبد الله ولد بعد المبعث فكان يقال له الطاهر والطيب ويقال هما أخوان له وماتت الذكور صغارا باتفاق ووقع عند مسلم من طريق حفص بن غياث هذه في آخر الحديث قالت عائشة فأغضبته يوما فقلت خديجة فقال إني رزقت حبها قال القرطبي كان حبه صلى الله عليه وسلم لها لما تقدم ذكره من الأسباب وهي كثيرة كل منها كان سببا في إيجاد المحبة ومما كافأ النبي صلى الله عليه وسلم به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها فروى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما وهي نحو الثلثين من المجموع ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت أن من سن سنة حسنة وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل وقال النووي في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا وإكرام معارف ذلك." (١)

"يسروا ولا تعسروا وأدخل هنا بينه وبين عبد الله بن محمد الجعفي ووقع في بعض النسخ في آخر هذا الحديث قيل لأبي عبد الله من يقول عن علي فقال حدثنا عبد الله بن محمد انتهى فإن كان محفوظا صح الاحتمال الأخير وبالله التوفيق قوله قال التيمي هو موصول بالسند المذكور قوله فوقع في قلبي منه شيء يعني شك هل سمعه من أبي تميمة عن أبي عثمان أو سمعه من أبي عثمان بغير واسطة وفي السند على الأول ثلاثة بصريون من التابعين في نسق من سليمان التيمي فصاعدا وليس لأبي تميمة في البخاري إلا هذا الحديث وآخر سيأتي في كتاب الأحكام من روايته عن جندب البجلي قوله فوجدته عندي مكتوبا فيما سمعت أي من أبي عثمان فكأنه سمعه من أبي تميمة عن أبي عثمان ثم لقي أبا عثمان فسمعه منه أو كان سمعه من أبي عثمان فثبته فيه أبو تميمة وانتزع منه بعضهم جواز الاعتماد في تحديثهم على خطه ولو لم يتذكر السماع ولا حجة فيه لاحتمال التذكر في هذه الحالة وقد ذكر بن الصلاح المسألة ونقل الخلاف فيها والراجح في الرواية الاعتماد

(قوله باب حسن العهد من الإيمان)

---

(١) فتح الباري لابن حجر   ابن حجر العسقلاني ٧/١٣٧

قال أبو عبيد العهد هنا رعاية الحرمة وقال عياض هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له وقال الراغب حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وعهد الله تارة يكون بما ركزه في العقل وتارة بما جاءت به الرسل وتارة بما يلتزمه المكلف ابتداء كالنذر ومنه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله وأما لفظ العهد فيطلق بالاشتراك بإزاء معان أخرى منها الزمان والمكان واليمين والذمة والصحة والميثاق والإيمان والنصيحة والوصية والمطر ويقال له العهاد أيضا

[٦٠٠٤] قوله عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة قد تقدم شرحه في ترجمة خديجة من كتاب المناقب وقوله على خديجة يريد من خديجة فأقام على مقام من وحروف الجر تتناوب في رأي أو على سببية أي بسبب خديجة وقوله فيه ولقد أمره ربه إلخ تقدم شرحه هناك أيضا ولكن أورده هناك من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقوله فيه وإن كان ليذبح الشاة ثم ليهدي في خلتها منها أي من الشاة المذبوحة وزاد في رواية الليث عن هشام في فضل خديجة ما يسعهن وقد تقدم هناك بيان الاختلاف في ضبط هذه اللفظة وإن مخففة من الثقيلة وخلتها بضم المعجمة أي خلائلها وقال الخطابي الخلة مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجماعة تقول رجل خلة وامرأة خلة وقوم خلة ويحتمل أن يكون فيه محذوف تقديره إلى أهل خلتها أي أهل صداقتها والخلة الصداقة والخليل الصديق قلت وقع في رواية مسلم من هذا الوجه بلفظ ثم نهديها إلى خلائلها وسبق في المناقب من وجه آخر عن هشام بن عروة وإلى أصدقائها وللبخاري في الأدب المفرد من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى." (١)

"بالشيء يقول اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة تنبيه جرى البخاري على عادته في الاكتفاء بالإشارة دون التصريح فإن لفظ الترجمة قد ورد في حديث يتعلق بخديجة رضي الله عنها أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب من طريق صالح بن رستم عن بن أبي مليكة عن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان وأخرجه البيهقي أيضا من طريق مسلم بن جنادة عن حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مثله بمعنى القصة وقال غريب ومن طريق أبي سلمة عن عائشة نحوه وإسناده ضعيف

(قوله باب فضل من يعول يتيما)

أي يربيه وينفق عليه

[٦٠٠٥] قوله عبد العزيز بن أبي حازم أي سلمة بن دينار قوله أنا وكافل اليتيم أي القيم بأمره ومصالحه زاد مالك من مرسل صفوان بن سليم كافل اليتيم له أو لغيره ووصله البخاري في الأدب المفرد والطبراني من رواية أم سعيد بنت مرة الفهرية عن أبيها ومعنى قوله له بأن يكون جدا أو عما أو أخا أو نحو ذلك من الأقارب أو يكون أبو المولود قد مات فتقوم أمه

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٤٣٥/١٠

مقامه أو ماتت أمه فقام أبوه في التربية مقامها وأخرج البزار من حديث أبي هريرة موصولا من كفل يتيما ذا قرابة أو لا قرابة له وهذه الرواية تفسر المراد بالرواية التي قبلها قوله وأشار بإصبعيه السبابة في رواية الكشميهني السباحة بمهملة بدل الموحدة الثانية والسباحة هي الأصبع التي تلي الإبهام سميت بذلك لأنها يسبح بها في الصلاة فيشار بها في التشهد لذلك وهي السبابة أيضا لأنها يسب بها الشيطان حينئذ قال ابن بطال حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك قلت قد تقدم الحديث في كتاب اللعان وفيه وفرج بينهما أي بين السبابة والوسطى وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى وهو نظير الحديث الآخر بعثت أنا والساعة كهاتين الحديث وزعم بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لما قال ذلك استوت إصبعاه في تلك الساعة ثم عادتا إلى حالهما الطبيعية الأصلية تأكيدا لأمر كفالة اليتيم قلت ومثل هذا لا يثبت بالاحتمال ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى وقد وقع في رواية لأم سعيد المذكورة عند الطبراني معي في الجنة كهاتين يعني المسبحة والوسطى إذ اتقى ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة لما أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة رفعه أنا أول من يفتح باب الجنة فإذا امرأة تبادرني فأقول من أنت فتقول أنا امرأة تأيمت على أيتام لي ورواته لا بأس بهم وقوله تبادرني أي لتدخل معي أو تدخل في أثري ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين سرعة الدخول وعلو المنزلة وقد أخرج أبو داود من حديث عوف بن مالك رفعه أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة امرأة ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى ماتوا أو بانوا فهذا." (١)

"بيت الله " ويزيد بن عبد الملك ضعيف وروى الطبراني من رواية يحيى بن يعلى حدثنا ناصح عن سماك " عن جابر بن سمرة قال لما سأل أهل قباء النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يبني لهم مسجدا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليقم بعضكم فيركب الناقة فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه فركبها فحركها فلم تنبعث فرجع فقعد فقام عمر فركبها فحركها فلم تنبعث فرجع فقعد فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليقم بعضكم فيركب الناقة فقام علي رضي الله تعالى عنه فلما وضع رجله في غرز الركاب انبعثت به قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يا علي أرخ زمامها وابنوا على مدارها فإنها مأمورة " ويحيى بن يعلى ضعيف وروى الطبراني أيضا من رواية سويد بن عامر بن يزيد بن جارية " عن الشمرس بنت النعمان قالت نظرت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر فانظر إلى بياض التراب على بطنه أو سرته فيأتي الرجل من أصحابه ويقول بأبي وأمي يا رسول الله أعطني أكفك فيقول لأخذ مثله حتى أسسه " ويقال أن جبريل عليه الصلاة والسلام هو يؤم الكعبة قالت فكان يقال أنه أقدم مسجد قبلة وسويد بن عامر ذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجاله أيضا ثقات (ذكر معناه) قوله " هو الدورقي " رواية أبي ذر وفي رواية غيره يعقوب بن إبراهيم فقط قوله " من الضحى " أي في الضحى أو من جهة الضحى قوله " يوم يقدم " يجوز في يوم الرفع والجر أما الرفع فعلى أنه خبر مبتدأ محذوف أي أحدهما يوم يقدم فيه مكة وأما الجر فعلى أنه بدل من يومين ويقدم بضم الدال قوله " فإنه كان " أي فإن ابن عمر كان يقدم مكة ضحى

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٤٣٦/١٠

أي في ضحوة النهار قوله " خلف المقام " أي مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام قوله " ويوم " عطف على يوم الأول ويجوز فيه الوجهان أيضا قوله "كان يزوره " أي يزور مسجد قباء قوله " وكان يقول " أي ابن عمر قوله " ولا أمنع أحدا إن صلى " بفتح الهمزة لأنها مصدرية والتقدير ولا أمنع أحدا الصلاة قوله " لا يتحروا " أي لا يقصدوا طلوع الشمس معناه لا يصلوا وقت طلوع الشمس ولا وقت غروبها ويصلوا في غير هذين الوقتين في أي ساعة شاؤا (ذكر ما يستفاد منه) فيه دلالة على فضل قباء وفضل المسجد الذي بها وفضل الصلاة فيه. وفيه استحباب زيارة مسجد قباء والصلاة فيه اقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وكذلك يستحب أن يكون يوم السبت (فإن قلت) ما الحكمة في تخصيص زيارته يوم السبت (قلت) قيل يحتمل أن يقال لما كان هو أول مسجد أسسه في أول الهجرة ثم أسس مسجد المدينة بعده وصار مسجد المدينة هو الذي يجمع فيه يوم الجمعة وتنزل أهل قباء وأهل العوالي إلى المدينة لصلاة الجمعة ويتعطل مسجد قباء عن الصلاة فيه وقت الجمعة ناسب أن يعقب يوم الجمعة بإتيان مسجد قباء يوم السبت والصلاة فيه لما فاته من الصلاة فيه يوم الجمعة وكان – صلى الله عليه وسلم – حسن العهد وقال " حسن العهد من الإيمان " ويحتمل أنه لما كان أهل مسجد قباء ينزلون إلى المدينة يوم الجمعة ويحضرون الصلاة معه – صلى الله عليه وسلم – أراد مكافأتهم بأن يذهب إلى مسجدهم في اليوم الذي يليه وكان يحب مكافأة أصحابه حتى كان يخدمهم بنفسه ويقول إنهم كانوا لأصحابي مكرمين فأنا أحب أن أكافئهم ويحتمل أنه كان يوم السبت فارغا لنفسه فكان يشتغل في بقية الجمعة بمصالح الخلق من أول يوم الأحد على القول بأنه أول أيام الأسبوع ويشتغل يوم الجمعة بالتجميع بالناس ويتفرغ يوم السبت لزيارة أصحابه والمشاهد الشريفة ويحتمل أنه لما كان ينزل إلى الجمعة بعض أهل قباء ويتخلف بعضهم ممن لا يجب عليه أو يعذر فيفوت من لم يحضر منهم يوم الجمعة رؤيته ومشاهدته تدارك ذلك بإتيانه مسجد قباء ليجتمعوا إليه هنالك فيحصل لهم من الغائبين يوم الجمعة نصيبهم منه يوم السبت. وفيه دليل على جواز تخصيص بعض الأيام بنوع من القرب وهو كذلك إلا في الأوقات المنهي عنها كالنهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي أو تخصيص يوم الجمعة بصيام من بين الأيام وقد روى عمر بن شيبة في أخبار المدينة تأليفه من رواية ابن المنكدر " عن جابر كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يأتي قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان " وروى من رواية الدراوردي " عن شريك بن عبد الله كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأتي قباء يوم الاثنين " وقال صاحب المفهم وأصل مذهب مالك كراهة تخصيص شيء من الأوقات بشيء من القرب إلا ما ثبت به توقيف. وفيه حجة على من كره تخصيص زيارة قباء يوم السبت وقد حكاه عياض عن محمد بن مسلمة من المالكية مخافة أن يظن أن ذلك سنة في ذلك اليوم قال عياض ولعله لم يبلغه هذا الحديث وقد احتج ابن حبيب من المالكية بزيارته." (١)

"استخدام الكافر. وفيه: حسن العهد. وفيه: استخدام الصغير. وفيه: عرض الإسلام على الصبي، ولولا صحته منه ما عرضه عليه.

٧٥٣١ – حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال قال عبيد الله سمعت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول كنت

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري   بدر الدين العيني ٧/٢٥٩

أنا وأمي من المستضعفين أنا من الولدان وأمي من النساء..
تقدم الكلام فيه في أول الباب، فإنه ذكره هناك معلقا. وعلي بن عبد الله هو ابن المديني، وسفيان هو ابن عيينة، وعبيد الله. بتصغير العبد هو عبيد الله بن أبي يزيد الليثي المكي.

٨٥٣١ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال ابن شهاب يصلى على كل مولود متوفى وإن كان لغية من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام يدعي أبواه الاسلام أو أبوه خاصة وإن كانت امه على غير الإسلام إذا استهل صارخا صلي عليه ولا يصلى على من لا يستهل من أجل أنه سقط فإن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يحدث قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فطرة الله التي فطر الناس عليها الآية..
مطابقته للترجمة من حيث إن المولود بين الأبوين المسلمين أو أحدهما مسلم إذا مات، وقد استهل صارخا يصلى عليه، فالصلاة عليه تدل على أنه محل عرض الإسلام عند تعقله.
ذكر رجاله: وهم أربعة: الأول: أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي. الثاني: شعيب بن أبي حمزة الحمصي. الثالث: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. الرابع: أبو هريرة.
ذكر ما يستفاد منه: وهو أنه مشتمل على شيئين:
الأول: هو قول الزهري، وهو قوله: قال ابن شهاب: يصلى على كل مولود ... إلى آخره، وهو قول جماهير الفقهاء إلا قتادة فإنه انفرد فقال: لا يصلى عليه. وقال أصحابنا: إذا استهل المولود سمي وغسل وصلي عليه، وكذا إذا استهل ثم مات لحينه، والاستهلال أن يكون منه ما يدل على حياته فإن لم يستهل لا يغسل ولا يرث ولا يورث ولا يسمى. وعند الطحاوي: إن الجنين الميت يغسل، ولم يحك خلافا. وعن محمد، في سقط استبان خلقه: يغسل ويكفن ويحنط ولا يصلى عليه، وقال أبو حنيفة: إذا خرج أكثر الولد وهو يتحرك صلي عليه، وإن خرج أقله لم يصل عليه. وفي (شرح المهذب) : إذا استهل السقط صلي عليه لحديث ابن عباس مرفوعا: (إذا استهل السقط صلي عليه وورث) . وهو حديث غريب، وإنما هو معروف من رواية جابر، ورواه الترمذي، وقال: كان الموقوف أصح. وقال النسائي: الموقوف أولى بالصواب، ونقل ابن المنذر الإجماع على وجوب الصلاة على السقط، وعن مالك: لا يصلى على الطفل إلا أن يختلج ويتحرك، وعن ابن عمر: أنه يصلى عليه وإن لم يستهل، وبه قال ابن سيرين وابن المسيب وأحمد وإسحاق. وقال العبدري: إن كان له دون أربعة أشهر لم يصل عليه بلا خلاف، يعني: بالإجماع، وإن كان له أربعة أشهر ولم يتحرك لم يصل عليه عند جمهور العلماء، وقال أحمد وداود: يصلى عليه، وقال ابن قدامة: السقط الولد تضعه المرأة ميتا أو لغير تمام، فأما إن خرج حيا واستهل فإنه يصلى عليه بعد غسله بلا خلاف، وصلى ابن عمر على ابن ابنه ولد ميتا، وقال الحسن وإبراهيم والحكم وحماد ومالك والأوزاعي وأصحاب الرأي: لا يصلى عليه حتى يستهل، وللشافعي قولان، وحكى عن سعيد بن جبير أنه: لا يصلى عليه ما لم يبلغ. وقال ابن حزم: ورويناه أيضا عن سويد بن غفلة، وعند المالكية: لا يصلى عليه ما لم يعلم حياته بعد انفصاله بالصراخ وفي العطاس والحركة الكثيرة والرضاع اليسير، قولان. أما الرضاع المتحقق والحياة المعلومة بطول المكث فكالصراخ، وعن الليث

وابن وهب وأبي حنيفة والشافعي: أن الحركة والرضاع والعطاس استهلال، وعن بعض المالكية: أن البول والحدث حياة.
الثاني: رواية ابن شهاب عن أبي هريرة منقطعة، لأن ابن شهاب لم يسمع من أبي هريرة شيئا، ولا أدركه. والبخاري لم يذكره للاحتجاج، إنما ذكر كلامه مسندا لعلوه. وقال أبو عمر:." (١)

"رسول الله إياها قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين وأمره ربه عز وجل أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب. .

هذا طريق آخر في حديث عائشة المذكور عن قتيبة عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، بضم الراء وهمزة بعد الراء وسين مهملة، وليس له في البخاري سوى هذا الحديث، وحديث آخر في الحدود، وفيه زيادة قوله: (وتزوجني بعدها) أي: بعد موت خديجة بثلاث سنين. قال النووي: أرادت بذلك زمن دخولها عليه، وأما العقد فتقدم على ذلك بمدة سنة ونصف. قوله: (أو جبريل) ، شك من الراوي.

٨١٨٣ - حدثني عمر بن محمد بن حسن حدثنا أبي حدثنا حفص عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد. .

هذا طريق آخر في حديث عائشة المذكور أخرجه عن عمر بن محمد بن حسن المعروف بابن التل، بفتح التاء المثناة من فوق وتشديد اللام الأسدي الكوفي، مات في شوال سنة خمسين ومائتين، يروي عن أبيه محمد بن حسن بن الزبير أبي جعفر الأسدي الكوفي هو وابنه من أفراد البخاري، وهو يروي عن حفص بن غياث النخعي الكوفي قاضيها عن هشام بن عروة عن أبيه عروة عن عائشة، رضي الله تعالى عنها، وهذا الإسناد نازل لأنه يروي عن حفص بن غياص بواسطة شخص، وهنا روى عنه بواسطة اثنين، وليس في البخاري لعمر إلا هذا الحديث، وآخر في الزكاة، وقد مر، وهو من صغار شيوخه.
والحديث أخرجه مسلم في فضل خديجة أيضا عن سهل بن عثمان. وأخرجه الترمذي في البر عن أبي هشام الرفاعي.
قوله: (وما رأيتها) جملة حالية، وفي رواية مسلم: (ولم أدركها) ، والمعنى: ما رأيتها عند النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أدركتها عنده، ورؤيتها إياها كانت ممكنة، وكذلك إدراكها إياها لأنها كانت عند موت خديجة بنت ست سنين، ولكن نفيها الرؤية والإدراك بالقيد المذكور. قوله: (كأنه لم يكن) ، وفي رواية الكشميهني: (كأن لم يكن) ، بحذف الهاء. قوله: (أنها كانت) ، أي: أن خديجة كانت، وكانت أي: كانت فاضلة، وكانت عاملة وكانت تقية ونحوها ذلك، قوله: (وكان لي منها) أي: من خديجة: (ولد) وقد ذكرنا أن جميع أولاده من خديجة إلا ابنه إبراهيم فإنه من مارية القبطية.
وقال النووي: وفي هذا الحديث ونحوه دلالة لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري   بدر الدين العيني ٨/١٧٦

معارف ذلك الصاحب.

٣٠٧ - (حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن إسماعيل قال قلت لعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما بشر النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة قال نعم ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب) يحيى هو القطان وإسماعيل هو ابن أبي خالد وعبد الله بن أبي أوفى واسم أبي أوفى علقمة الأسلمي لهما صحبة قوله بشر النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة أي هل بشر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأداة الاستفهام محذوفة قوله قال نعم أي قال عبد الله نعم بشرها ببيت من قصب وقد مضى في أبواب العمرة في باب متى يحل المعتمر في رواية جرير عن إسماعيل أنهم قالوا لعبد الله بن أبي أوفى حدثنا ما قال لخديجة قال قال بشروا خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب وقد." (١)

": كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما. (انظر الحديث ٣٧٣٥ وطرفه) .

مطابقته للترجمة ظاهرة. وعبد الله بن محمد هو السندي، وعارم بفتح العين المهملة وكسر الراء لقب محمد بن الفضل السدوسي وهو من مشايخ البخاري روى عنه في الإيمان بدون الواسطة، والمعتمر بن سليمان بن طرخان يروي عن أبيه، وأبو تميمة بفتح التاء المثناة من فوق طريف بفتح الطاء المهملة وكسر الراء ابن مجالد بالجيم الهجمي بضم الهاء وفتح الجيم، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث وآخر سيأتي في كتاب الأحكام من روايته عن جندب البجلي، وأبو عثمان عبد الرحمن بن مل النهدي بفتح النون وسكون الهاء.
وسليمان وأبو تميمة وأبو عثمان كلهم من التابعين.
والحديث مضى في فضائل أسامة بن زيد عن موسى بن إسماعيل، وفي فضائل الحسن عن مسدد، ومضى الكلام فيه هناك.
قوله: (يحدثه أبو عثمان) أي: يحدث أبا تميمة أبو عثمان عبد الرحمن. قوله: (فيقعدني) بضم الياء من الإقعاد. قوله: (أللهم ارحمهما) الرحمة من الله إيصال الخير، ومن العباد الرأفة والتعطف، وقال الداودي: لا أرى ذلك وقع في وقت واحد، لأن أسامة أكبر من الحسن، لأن عمره عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان ثمان سنين، وأسامة كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم رجلا وقد أمره على جيش وفيه عدد كثير فيهم عمر بن الخطاب، وأخبر جماعة أن عمره عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان عشرين سنة، وأجاب بعضهم عن هذا بالاحتمال ما ملخصه: أنه أقعده على فخذه لمرض مثلا أصابه، ففي تلك الحالة جاء الحسن فأقعده على فخذه الأخرى، وقال معتذرا عن ذلك: إني أحبهما، وفيه تأمل. قلت: إن كان الخصم يرضى بالجواب الاحتمالي فأقول أيضا: يحتمل أن يكون أقعده بحذاء فخذه لينظر في مرضه، فعبر أسامة بقوله: (يقعدني على فخذه) إظهار للمبالغة في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه، والله أعلم.
وعن علي قال: حدثنا يحيى حدثنا سليمان عن أبي عثمان قال التيمي: فوقع في قلبي منه شيء. قلت: حدثت به كذا وكذا

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٢٨٠/١٦

فلم أسمعه من أبي عثمان، فنظرت فوجدته عندي مكتوبا فيما سمعت.

علي هو ابن المديني، ويحي هو ابن سعيد القطان، وسليمان بن طرخان التيمي هو المذكور فيما قبله، وأبو عثمان هو عبد الرحمن النهدي، ثم أعلم أن قوله: (وعن علي) ، معطوف على السند الذي قبله وهو قوله: حدثنا بعد الله بن محمد، وعن علي إلى آخره. قوله: (قال التيمي) هو موصول بالنسد المذكور وهو سليمان. قوله: (فوقع في قلبي منه شيء) أي: دغدغة: هل سمعه من أبي تميمة عن أبي عثمان، أو سمعه من أبي عثمان بغير واسطة؟ قوله: (قلت: حدثت) بضم الحاء على صيغة المجهول به أي: بهذا الحديث. قوله: (كذا وكذا) يعني: كثيرا فلم أسمعه من أبي عثمان فنظرت في كتابي فوجدته مكتوبا فيما سمعته منه فزالت الدغدغة.

٢٣ - (باب حسن العهد من الإيمان)

أي: هذا باب في بيان حسن العهد من كمال الإيمان لأن جميع أفعال البر من الإيمان، والعهد هنا رعاية الحرمة، قاله أبو عبيد، وقال عياض: هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له، وقال الراغب: حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال، ولفظ العهد باللاشتراك يطلق على معان كثيرة: الزمان والمكان واليمين والذمة والصحبة والميثاق والأمان والنصيحة والوصية والمطر، ويقال له: العهاد أيضا.

٦٠٠٤ - حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها.
مطابقته للترجمة في حسن العهد وهو إهداء النبي صلى الله عليه وسلم، اللحم لإخوان خديجة ومعارفها ورعبا منه لذمامها." (١)

"وحفظا لعهدها، وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الشعب من طريق صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله ﴿تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: يا عائشة﴾ إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وأن حسن العهد من الإيمان.
وأبو أسامة حماد بن أسامة، وهشام يروي عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة.
والحديث مضى في المناقب في: باب تزيج خديجة رضي الله عنها.
قوله: (ما غرت) كلمة: ما فيه نافية، وفي: ماغرت ثانيا موصولة أي: الذي غرت على خديجة. قوله: (لما كنت) يتعلق به

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ١٠٣/٢٢

أي: لأجل ما كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم، يذكرها أي خديجة. قوله: (من قصب) أي: قصب الدر، وإصطلاح الجوهريين أن يقولوا: قصب من اللؤلؤ كذا وقصب من الجوهر كذا ومن الدر كذا للخيط منه، وقيل: كان البيت من القصب تفاؤلا بقصب سبقها إلى الإسلام. قوله: (وإن كان) كلمة: إن هذه مخففة من المثقلة وأصله: وإنه كان ليذبح الشاة، اللام فيه للتأكيد. قوله: (في خلتها) أي: في أهل بيتها، يعني أخلاءها وأحبابها. وقال الخطابي: الخلة ههنا بمعنى الأخلاء موضع المصدر وضع الإسم، وأراد بالقصب قصب اللؤلؤ وهو المجوف منه، ووقع في رواية مسلم: ثم يهديها إلى خلائلها، وتقدم في المناقب: إلى أصدقائها.

٢٤ - (باب فضل من يعول يتيما)

أي: هذا باب في بيان فضل من يعول يتيما أي: يربيه وينفق عليه ويقوم بمصلحته.

٦٠٠٥ - حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال: حدثني عبد العزيز بن أبي حازم قال: حدثني أبي قال: سمعت سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة هاكذا، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى. (انظر الحديث ٥٣٠٤).

مطابقته للترجمة تؤخذ من معنى الحديث. وعبد العزيز يروي عن أبيه أبي حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري.
والحديث مر في الطلاق عن عمرو بن زرارة. وأخرجه أبو داود والترمذي.
قوله: (وكافل اليتيم) ، أي: القائم بمصالحة المتولي لأموره. قوله: (وقال) أي: أشار. قوله: (السبابة) وفي رواية الكشميهني: السباحة، بالحاء المهملة موضع الباء الثانية وهي الإصبع التي تلي الإبهام، سميت بذلك لأنها يسبح بها في الصلاة ويشار بها في التشهد، وسميت السبابة أيضا لأنه يسب بها الشيطان حينئذ، قيل: درجات الأنبياء عليهم السلام، أعلى درجات الخلائق لا سيما درجة نبينا صلى الله عليه وسلم وأجيب: بأن الغرض منه المبالغة في رفع درجته في الجنة.

٢٥ - (باب الساعي على الأرملة)

أي: هذا باب في بيان فضل الساعي على الأرملة في مصالحها، والأرملة من لا زوج لها.

٦٠٠٦ - حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال: حدثني مالك عن صفوان بن سليم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل. (انظر الحديث ٥٣٥٣ وطرفه) .

مطابقته للترجمة ظاهرة. وإسماعيل بن عبد الله هو إسماعيل بن أبي أويس ابن أخت مالك بن أنس، وصفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن المدني الإمام القدوة ممن يستسقى بذكره، يقال: إنه لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، وكان لا يقبل جوائز السلاطين، وقد مر في الجمعة.

وهذا حديث مرسل لأنه تابعي، لكن لما قال: (يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم) صار مسندا مجهولا ولم يذكر إسم شيخه، إما للنسيان أو لغرض آخر، ولا قدح بسببه. قوله: (أو كالذي يصوم) شك من الراوي، وفي كتاب الكرماني: وكالذي يصوم، بواو والعطف، ثم قال: ويحتمل أن يكون لفا ونشرا، وأن يكون كل واحد ككليهما، وفي بعض الروايات: أو كالذي بأو الفاصلة لا الواصلة التي هي الواو.

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن ثور بن زيد الديلي عن أبي الغيث مولى ابن." (١)

"قال ابن الهمام: لا يقتصر جواز مدة الموادعة على المدة المذكورة وهي عشر سنين ؛ لأن ما علل جوازها به هو حاجة المسلمين، أو ثبوت مصلحتهم، فإنه قد يكون بأكثر، بخلاف ما إذا لم تكن الموادعة، أو المدة خيرا للمسلمين، فإنه لا يجوز ؛ لأنه ترك للجهاد صورة ومعنى وما أبيح إلا باعتبار أنه جهاد، وذلك إنما يتحقق إذا كان خيرا للمسلمين، وإلا فهو ترك للمأمور به، وبهذا يندفع ما نقل عن بعض العلماء من منعه أكثر من عشر سنين، وإذا كان الإمام غيره مستظهر وهو قول الشافعي، ولقد كان في صلح الحديبية مصالح عظيمة، فإن الناس لما تقاربوا انكشفت محاسن الإسلام للذين كانوا متباعدين لا يعقلونها من المسلمين لما قاربوهم وخالطوهم، والله أعلم. قوله: (وعلى أن بيننا عيبة) : بفتح العين المهملة وسكون التحتية وبالموحدة ما يجعل فيه الثياب (مكفوفة) أي: مشدودة وممنوعة، قيل أي: صدرا نقيا عن الغل والخداع، مطويا على حسن العهد والوفاء بالصلح، والعرب تكني عن الصدر بالعيبة ؛ لأنه مستودع الأسرار، كما أن العيبة مستودع الأمتعة والثياب، وأنت تعلم أن نقاوة الصدر من الغل بين المسلمين والكفار لا يكاد يحصل، فالوجه أن يقال: أنهم أرادوا بذلك ترك ما كان بين الفئتين من الأضغان والدماء والانتهاب، أو المعنى نحفظ العهد والشرط ولا ننقضه، كما نحفظ ما في العيبة بشد رأسها، وقيل: معناه موادعة مصادقة تكون بين المتصادقين المتشاورين في الأمور، فيكون كل صاحب مشاورة للآخر وعيبة سره، ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم: (الأنصار كرشي وعيبتي) . وقيل: معناه على أن يكون ما سلف منا في عيبة مكفوفة أي: مشروجة مشددة لا يظهر أحد ما ولا يذكره. قال تعالى: ﴿عفا الله عما سلف﴾ [المائدة: ٩٥] . (وأنه) أي: وعلى أن الشأن (لا إسلال) : بكسر الهمزة وفتح اللام أي: سرقة خفية (ولا إغلال) أي: خيانة، والمعنى لا يأخذ بعضنا مال بعض لا في السر ولا في العلانية، وقيل: الإسلال سل السيف، والإغلال لبس الدرع أي: لا يحارب بعضنا بعضا. وفي شرح السنة: معناه أن بعضنا يأمن بعضا فلا يتعرض لدمه ولا ماله سرا ولا جهرا.

قال الطيبي: فإن قلت: لم خص الإسلال والإغلال بالذكر من بين سائر الفساد وأتى بضمير الشأن؟ قلت: لما نفى الدخول التي كانت بينهم بأن لا ينشروها، بل يتكافون عنها ما أتبعه ما يتعلق بالظاهر، وإنما خصهما بالذكر للاستيعاب، ومن ثمة

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ١٠٤/٢٢

كرر (لا) التي لنفي الجنس وحذف الخبر نسيا منسيا، ونحو قوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ [مريم: ٦٢] كأنه قيل: ينبغي أن تكون بواطننا خالية عن جميع المفاسد وظواهرنا كذلك. (رواه أبو داود) .." (١)

"خمسين يوما. قال: وأجمع العلماء على أن من خاف من مكالمة أحد وصلته ما يفسد عليه دينه أو يدخل مضرة في دنياه يجوز له مجانبته وبعده، ورب صرم جميل خير من مخالطة تؤذيه. وفي النهاية: يريد به الهجر ضد الوصل، يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة، أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع واجبة على مر الأوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع إلى الحق، فإنه صلى الله عليه وسلم لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوما، وقد هجر نساءه شهرا وهجرت عائشة ابن الزبير مدة، وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم، وماتوا متهاجرين، ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر.

قلت: الأظهر أن يحمل نحو هذا الحديث على المتواخيين أو المتساويين، بخلاف الوالد مع الولد، والأستاذ مع تلميذه، وعليه يحمل ما وقر من السلف والخلق لبعض الخلف، ويمكن أن يقال الهجرة المحرمة إنما تكون مع العداوة والشحناء، كما يدل عليه الحديث الذي يليه، فغيرها إما مباح أو خلاف الأولى (يلتقيان) أي: يتلاقيان وهو مع ما عطف عليه من قوله. (فيعرض هذا) أي: وجهه عنه (ويعرض هذا) : استئناف لبيان كيفية الهجران، أو حال من فاعل يهجر ومفعوله فيفيد أنه إذا لم يحصل التلاقي والإعراض فلا بأس بالهجران المطلق، وهل يعتبر التثليث أم لا؟ محل بحث أو توقف (وخيرهما) : عطف على لا يحل.

وقال الطيبي: عطف على يلتقيان من حيث المعنى لما يفهم منها أن ذلك الفعل ليس بخير اهـ. وتكلفه، بل تعسفه لا يخفى، والمعنى أفضلهما في طريق الأخلاق وحسن المعاشرة (الذي يبدأ بالسلام) أي: ثم الذي يرده، وفيه إيماء إلى أن من لم يرده ليس فيه خير أصلا، فيجوز هجرانه، بل يجب لأنه بترك رد السلام صار فاسقا، وإنما يكون البادئ خيرهما لدلالة فعله، على أنه أقرب إلى التواضع وأنسب إلى الصفاء وحسن الخلق، وللإشعار بأنه معترف بالتقصير، وللإيماء إلى حسن العهد وحفظ المودة القديمة، أو كأنه بادئ في المحبة والصحبة والله أعلم. قال الأكمل: وفيه حث على إزالة الهجران، وأنه يزول بمجرد السلام اهـ. وفيه إيماء بأنه لا يخفى لمسلم أن يبدأ بالكلام قبل السلام، كما ورد: فيما سبق (متفق عليه) .." (٢)

"٢٢ - (آية ما بيننا) لفظ رواية الحاكم بإسقاط ما وتنوين آية أي علامة التمييز بيننا أيها المؤمنون (وبين المنافقين) الذين أمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم والمنافق أصله من يظهر ما يبطن خلافه لكنه غلب على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر (أنهم لا يتضلعون) لا يكثرون (من) شرب (ماء) بئر (زمزم) حتى تتمدد جنوبهم وضلوعهم -[٦١]- كراهة له بعد ما علموا ندب الشارع إلى شربه والإكثار منه. والرغبة في الاستكثار منه عنوان الغرام وكمال الشوق فإن الطباع تحن إلى مناهل الأحبة ومواطن أهل المودة وزمزم منهل المصطفى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ومحل تنزل الرحمات وفيض البركات

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح   الملا على القاري ٦/٢٦٢٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح   الملا على القاري ٨/٣١٤٧

فالمتعطش إليها والممتلئ منها قد أقام شعار المحبة وأحسن العهد إلى الأحبة فلذلك جعل التضلع منها علامة فارقة بين النفاق والإيمان. ولله در القائل:

وما شغفي بالماء إلا تذكرا. . . لماء به أهل الحبيب نزول

ثم إن ما أوهمه ظاهر اللفظ من أن من لم يشرب منها مع تمكنه يكون منافقا وإن صدق بقلبه غير مراد بل خرج ذلك مخرج الترغيب فيه والزجر والتنفير عن الزهادة فيه على أن العلامة تطرد ولا تنعكس فلا يلزم من عدم العلامة عدم ما هي له والبين البعد. وقال الحراني: حد فاصل في حس أو معنى. والنفاق اسم إسلامي لا تعرفه العرب بالمعنى المقرر. والتضلع الإكثار والامتلاء شبعا وريا وزمزم معروفة سميت به لكثرة مائها أو لضم هاجر لمائها حين انفجرت أو لزمزمة جبريل أي تكلمه عند فجره لها أو لأنها زمت بالتراب لئلا تأخذ يمينا أو شمالا أو لغير ذلك ولها أسماء كثيرة وماؤها أشرف مياه الدنيا والكوثر أشرف مياه الآخرة

(تخ هـ ك) من حديث إسماعيل بن زكريا عن عثمان ابن الأسود عن ابن (عباس) قال عثمان: جاء رجل إلى ابن عباس. قال: من أين جئت؟ قال: من مكة. قال: شربت من ماء زمزم؟ قال: شربت. قال: شربت منها كما ينبغي؟ قال: وكيف؟ قال: إذا أردت أن تشرب منها فاستقبل البيت واذكر اسم الله واشرب وتنفس ثلاثا وتضلع منها فإذا فرغت فاحمد الله. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره. ثم قال الحاكم إن كان عثمان سمع من ابن عباس فهو على شرطهما وتعقبه الذهبي فقال: والله ما لحقه. مات عام خمسين ومئة وأكبر مشيخته ابن جبير. وقال ابن حجر حديث حسن انتهى. ورواه الطبراني عن الحبر باللفظ المزبور. قال الهيتمي بإسنادين رجال أحدهما ثقات انتهى. والحاصل أن بعض أسانيده رجاله ثقات لكن فيه انقطاع." (١)

"٢١٥٨ - (إن أبر) وفي رواية من أبر (البر) أي الإحسان جعل البر بارا ببناء أفعل التفضيل منه وإضافته إليه مجازا والمراد منه أفضل البر فأفعل التفضيل للزيادة المطلقة قال الأكمل: أبر البر من قبيل جل جلاله وجد جده بجعل الجد جادا وإسناد الفعل إليه (أن يصل الرجل أهل ود أبيه) بضم الواو بمعنى المودة (بعد أن يولي الأب) بكسر اللام المشددة أي يدبر بموت أو سفر قال التوربشتي: وهذه الكلمة مما تخبط الناس فيها والذي أعرفه أن الفعل مسند إلى أبيه أي بعد أن يموت أو يغيب أبوه من ولى يولي قال الطيبي: وفي جامع الأصول والمشارق: يولي بضم الياء وفتح الواو وكسر اللام المشددة والمعنى أن من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل أحباء أبيه فإن مودة الآباء قرابة الأبناء أي إذا غاب أبوه أو مات يحفظ أهل وده ويحسن إليهم فإنه من تمام الإحسان إلى الأب قال الحافظ العراقي رحمه الله: جعله أبر البر أو من أبره لأن الوفاء بحقوق الوالدين والأصحاب بعد موتهم أبلغ لأن الحي يجامل والميت لا يستحي منه ولا يجامل إلا بحسن العهد ويحتمل أن أصدقاء الأب كانوا مكيفين في حياته بإحسانه وانقطع بموته فأمر بنيه أن يقوموا مقامه فيه وإنما كان هذا أبر البر لاقتضائه الترحم والثناء على أبيه فيصل لروحه راحة بعد زوال المشاهدة المستوجبة للحياة وذلك أشد من بره له في حياته وكذا بعد غيبته فإنه إذا لم يظهر له شيء يوجب ترك المودة فكأنه حاضر فيبقى وده كما كان وكذا بعد المعاداة رجاء عود المودة وزوال

---

(١) فيض القدير المناوي ٦٠/١

الوحشة وإطلاق التولية على جميع هذه الأشياء إما حقيقة فيكون من عموم المشترك أو من التواطىء أو بعضها فيكون من الجمع بين الحقيقة والمجاز ونبه بالأب على بقية الأصول وقياس تقديم الشارع الأم في البر كون وصل أهل ودها أقدم وأهم ومن البين أن الكلام في أصل مسلم أما غيره فيظهر أنه أجنبي من هذا المقام نعم إن كان حيا ورجا ببر أصدقائه تألفه للإسلام تأكد وصله وفي معنى الأصول الزوجة فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يصل صويحبات خديجة بعد موتها قائلا حسن العهد من الإيمان وألحق بعضهم بالأب الشيخ ونحوه

(حم خد م د ت عن ابن عمر) بن الخطاب مر به أعرابي وهو راكب على حمار فقال ألست ابن فلان قال بلى فأعطاه حماره وعمامته فقيل له فيه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره وفي رواية لمسلم أنه أعطاه حمارا كان يركبه وعمامة كانت على رأسه فقالوا له أصلحك الله إنه من الأعراب وإنهم يرضون باليسير فقال إن أبا هذا كان ودا لعمر وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره وفي رواية لأبي داود عن أبي أسيد بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليها والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما." (١)

"٢٢٦٤ - (إن حسن العهد) أي الوفاء والخفارة ورعاية الحرمة (من الإيمان) أي من أخلاق أهل الإيمان ومن خصائلهم أو من شعب الإيمان ويكفي الموفي بالعهد مدحا وشرفا قول من علت كلمته والموفون بعهدهم إذا عاهدوا وقد -[٤٤٧]- تظافرت على حسن العهد مع الإخوان والخلان أهل الملل والنحل وأعظم الناس وفاء بذلك ومحافظة عليه وإن تقادم عهده: الصوفية وأنشد بحضرة العارف الشاذلي:

رأى المجنون في البيداء كلبا. . . فجر له من الإحسان ذيلا. . . فلاموه لذاك وعنفوه

وقالوا لم أنلت الكلب نيلا. . . فقال دعوا الملامة إن عيني. . . رأته مرة في حي ليلي

فقال له كرر فلم يزل يتواجد وينتحب ثم قال جزاك الله خيرا يا بني على وفائك بعهدك إن حسن العهد من الإيمان والعهد لغة له معان منها حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال والمراد هنا عهد المعرفة المتقدمة

(ك) في الإيمان (عن عائشة) قالت جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم عجوز فقال من أنت قالت جثامة المزنية قال بل أنت حسانة المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعد ذا قالت بخير فلما خرجت قلت تقبل هذا الإقبال على هذه قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان قال الحاكم على شرطهما ولا علة له وأقره الذهبي." (٢)

"٢٨٢٠ - (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة) وتمامه عند مخرجه الطبراني في روايته عن أنس ولا دين لمن لا أمانة له ولا أمانة لمن لا عهد له وحسن العهد من الإيمان انتهى وفي رواية أول شيء يفقد من أمتي الأمانة من دينهم قال ابن العربي: وصفة رفع الأمانة وفقدها أن ينام الإنسان فتقبض من قلبه والمعنى فيه أن المرء في النوم متوفي ثم مرجوع إليه روحه فإذا قبضت على صفة من الأمانة ردت إليه بدونها وتحقيقه أن الأعمال لا يزال يضعفها نسيانها حتى إذا تناهى الضعف

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/٤٠٥

(٢) فيض القدير المناوي ٢/٤٤٦

ذهبت بالنوم عن النفس فإذا ردت عليه ردت دونها فلا يبقى لها أثر وما عنده من الإيمان وأصل الإعتقاد الضعيف في ظاهر القلب ثم ينام فلا ترجع إليه إلا بعد نزع باقي الأمانة بقوة فلا يبقى شيء

(طب عن شداد بن أوس) قال الهيثمي: فيه المهلب بن العلاء لم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات." (١)

"قبيل الفجر ما لم يقع في شك (وتبكير الفطر) يعني مبادرة الصائم بالفطر بعد تحقق الغروب (وإشارة الرجل) يعني المصلي ولو أنثى أو خنثى (بإصبعه في الصلاة) يعني السبابة في التشهد عند قوله إلا الله فإنه مندوب (عد عب) وكذا الطبراني (عن أبي هريرة) // (بإسناد ضعيف) //

(ان جهنم (تسجر) بسين مهملة فجيم توقد كل يوم (إلا يوم الجمعة) أي فإنها لا تسجر فيه لأنه أفضل الأيام ويقع فيه من العبادة ما يكسر حدة حرها ولذلك جاز النفل وقت الاستواء يوم الجمعة دون غيرها (د عن أبي قتادة) الأنصاري وفيه انقطاع

(ان حسن الخلق) بالضم (ليذيب الخطيئة) أي يمحو أثرها ويقطع خبرها (كما تذيب الشمس) أي حرارة ضوئها (الجليد) أي الندى الذي يسقط من السماء على الأرض (الخرائطي في مكارم الأخلاق عن أنس) // (بن مالك بإسناد فيه مقال) //

(ان حسن الظن بالله) بأن يظن أن الله يعفو عنه (من حسن عبادة الله) أي حسن الظن به من جملة حسن عبادته فهو مطلوب محبوب لكن مع ملاحظة مقام الخوف فيكون باعث الرجاء والخوف في قرن هذا الصحيح أما المريض فالأولى في حقه الرجاء مطلقا (حم ت ك عن أبي هريرة) قال // (الحاكم على شرط مسلم وأقروه) //

(ان حسن العهد) أي الوفاء ورعاية الحرمة مع لحق ومع الخلق (من الإيمان) أي من أخلاق أهل الإيمان أو من شعب الإيمان (ك عن عائشة) قالت جاءت إلى النبي عجوز فقال من أنت قالت جثامة قال بل أنت حسانة كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير فلما خرجت قلت تقبل هذا الإقبال على هذه قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة ثم ذكره // (وإسناده صحيح) //

(ان حوضي من عدن) بفتحتين (إلى عمان) بفتح فتشديد مدينة قديمة من أرض الشام (البلقاء) أي بالبلقاء فأما بضم فتخفيف فصقع بالبحرين (ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل أكاويبه) جمع كوب بالضم الكوز المستدير الرأس لا أذن له (عدد النجوم) أي نجوم السماء (من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا) أي المغبرة رؤوسهم (الدنس ثيابا) أي الوسخة ثيابهم (الذين لا ينكحون) النساء (المتنعمات) كذا في النسخ المتداولة لكن رأيت نسخة المؤلف التي بخطه المتمنعات أي المتمنعات من نكاح الفقراء والظاهر أنه سبق قلم (ولا تفتح لهم السدد) جمع سدة وهي هنا الباب والمراد لا يؤذن لهم في الدخول على الأكابر (الذين يعطون الحق الذي عليهم ولا يعطون الحق (الذي لهم) لضعفهم وازدراء الناس إياهم واحتقارهم لهم (حم ت هـ ك عن ثوبان) مولى المصطفى

(ان حقا على الله تعالى) أي مما جرت به العادة الالهية غالبا (أن لا يرتفع شيئ) وفي نسخ أن لا يرفع شيئا (من أمر الدنيا

---

(١) فيض القدير المناوي ٣/٨٨

إلا وضعه الله) يعني أن عدم الارتفاع حق على الله قاله لما سبقت ناقته العضباء وكانت لا تسبق وهذا تزهيد في الدنيا وحث على التواضع (حم خ دن عن أنس) بن مالك

(ان حقا على المؤمنين ان يتوجع) أي يتألم (بعضهم لبعض ممن أصيب بمصيبة (كما يألم الجسد الرأس) أي كما يألم الجسد وجع الرأس فإن الرأس إذا اشتكى اشتكى البدن كله فالمؤمنون إذا اشتكى بعضهم حق لهم التألم لاجله (أبو الشيخ) في كتاب (التوبيخ عن محمد بن كعب القرظي مرسلا) تابعي حجة أرسل عن أبي هريرة وغيره

(ان خيارا) أي من خيار (عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة) أي يترصدون دخول الأوقات بها (لذكر الله) أي لاجل ذكره (تعالى) من الأذان للصلاة ثم اقامتها." [١]

"كذلك فحق العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية (طس والضياء) في المختارة (عن أنس) // (بإسناد حسن) //

(أول ما يرفع من الناس) في رواية من هذه الأمة (الأمانة) وهي معنى يحصل في القلب فيأمن به المرء من الردى في الآخرة والدنيا (وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة) فكلما ضعف الإيمان بحب الدنيا ونقص نوره بالمعاصي اضمحلت الأمانة وإذا ضعفت شيئا فشيئا أخرت الصلاة عن أوقاتها ثم ينتهي الأمر إلى ارتفاع أصلها (ورب مصل) آت بصورة الصلاة (لا خلاق له عند الله) أي لا نصيب له من قبولها والإثابة عليها لكونه غافلا لا هي القلب وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل (الحكيم) في نوادره (عن زيد بن ثابت) // (بإسناد ضعيف) //

(أول ما تفقدون من دينكم الأمانة) تمامه عند مخرجه الطبراني ولا دين لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وحسن العهد من الإيمان (طب عن شداد بن أوس) // (بإسناد حسن) //

(أول ما يرفع من الناس الخشوع) أي خشوع الإيمان الذي هو روح العبادة وهو الخوف أو السكون أو معنى يقوم بالقلب فيظهر عنه سكون الأطراف قال بعضهم الزم الخشوع فإن الله تعالى ما أوجدك إلا خاشعا فلا تبرح عما أوجدك عليه فإن الخشوع حالة حياء والحياء خير كله (طب عن شداد بن أوس) // (بإسناد حسن) //

(أول شيء يرفع من هذه الأمة) المحمدية (الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا) خشوع إيمان بل خشوع تماوت ونفاق فيصير الواحد منهم ساكن الجوارح تصنعا ورياء وقلبه مملوء بالشهوات وقيل المعنى خشوع الصلاة قال الطيبي وخشوعها خشية القلب وإلزام البصر محل السجود وجمع الهمة لها والإعراض عما سواها وتوقي كف الثوب والعبث به وبجسده والالتفات والتمطي والتثاؤب ونحوها (طب عن أبي الدرداء) // (بإسناد حسن) //

(أول) وفي رواية أثقل (ما يوضع في الميزان) من أعمال البر يوم القيامة (الخلق الحسن) زاد في رواية والسخاء (طب عن أم الدرداء) // (بإسناد ضعيف بل قيل لا أصل له) //

(أول ما يوضع في الميزان نفقة الرجل على أهله) أي على من تلزمه مؤنته من نحو زوجة وولد وخادم وقريب والأولية في هذا الخبر وما قبله على معنى من (طس عن جابر) // (بإسناد ضعيف) //

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٣١٨/١

(أول ما يقضى) بضم أوله وفتح الضاد مبنيا للمفعول أي أول قضاء يقضى (بين الناس يوم القيامة في الدماء) أي أول ما يحكم الله بين الناس فيها لعظم مفسدة سفكها والأوجه أن الأولية في هذا مطلقة وفي أول خصمين وفي أول ما يحاسب بمعنى من (حم ق ن هـ عن ابن مسعود

أول ما يحاسب به العبد الصلاة) لأنها علم الإيمان وأم العبادات (وأول ما يقضى بين الناس في الدماء) لأنها أكبر الكبائر بعد الشرك (ن عن ابن مسعود) وغيره

(أول ما يرفع من هذه الأمة) الإسلامية (الحياء والأمانة) تمامه كما في الفردوس فسلوهما الله عز وجل والمراد بالأمانة ضد الخيانة أو الصلاة (القضاعي) وكذا أبو يعلى (عن أبي هريرة) // (بإسناد ضعيف) //

(أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان شرب الخمر) قال القضاعي وذلك أول ما بعث قبل أن تحرم على الناس بنحو عشرين سنة فلم تحل له قط (وملاحاة الرجال) مقاولتهم ومخاصمتهم ومناظرتهم بقصد الاستعلاء فإنها سم ناقع (طب عن أبي الدرداء وعن معاذ) بن جبل // (بإسناد واه) //

(أول ما يراق) أي يصب (من دم الشهيد) شهيد الدنيا والآخرة وهو من قاتل الكفار لتكون كلمة الله هي العليا ومات بسبب القتال (يغفر له ذنبه كله إلا الدين) بفتح الدال يريد به إلا التبعات." (١)

"(فقال: يا عبد الله أد) بحذف الياء ووقع في بعض نسخ البخاري إثباتها.

قال الشيخ زكريا في «تحفة القاري» : والوجه حذفها اهـ أي: ادفع (إلي) بتشديد الياء (أجرى، فقلت له) مخلصا (كل ما ترى) من أنواع المال (من أجرك) وفي نسخة من البخاري «من أجلك» وهو خبر المبتدإ وقوله (من الإبل) بكسرتين أو بكسر فسكون وما بعده بيان لما قبله (والبقر) ويقال فيه باقور، سمي بذلك لأنه يبقر الأرض: أي: يشقها للحرث (والغنم والرقيق، فقال) أي: الأجير (يا عبد الله لا تستهزىء بي) فإن أجري في أصله لا يقارب ذلك وهو بسكون الهمزة (فقلت: لا أستهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه) أي: ذلك إلى رحله ومنزله (فلم يترك) أي: يدع لي (منه شيئا. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك) أي: طلب مرضاتك وحدك لا غيرك (فافرج) بالوجهين السابقين (عنا ما نحن فيه) أي: من الكرب (فانفرجت الصخرة) عن باب الغار (فخرجوا يمشون متفق عليه) أي: على أصل الحديث، وإلا فبينهما اختلاف في بعض ألفاظه.

قال المنذري في «الترغيب» بعد إيراده بنحو من حديث ابن عمر، رواه الشيخان والنسائي ورواه ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي هريرة باختصار ولفظه بنحوه، وفيه أن كلا من الثلاثة قال: «فإن كنت تعلم أنما فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا» وفيه عند دعاء كل من الأولين من الثلاثة «فزال ثلث الحجر» وفي الثالث «فزال الحجر، فخرجوا يتماشون» . ثم في الحديث استحباب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل كما تقدم فيه. وفيه فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة، وفيه فضل العفاف أو الانكفاف عن المحرمات. لا سيما بعد

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٣٩١/١

القدرة عليها والهم بفعلها وترك ذلك خالصا، وفيه جواز الإجارة بالطعام وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وإثبات كرامات." (١)

"البخاري في فضل خديجة ومسلم في الفضائل كذا في «الأطراف» للمزي. وتعقبه الحافظ في «النكت» عليه بما حاصله أن البخاري لم يقل فيه: ثنا ولا أخبرنا إسماعيل بن محمد، فلذا جزم الحميدي في جميعه بأنه ذكره تعليقا. قال الحافظ: وقد وصله أبو عوانة عن محمد بن يحيى: ثنا إسماعيل بن خالد عن علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة اهـ. (استأذنت) طلبت الإذن (هالة) بتخفيف اللام (بنت خويلد) بن أسد بن عبد العزى بن قصي (أخت) أم المؤمنين (خديجة) رضي الله عنها. وهالة هذه أم العاص بن الربيع زوج السيدة زينت بنت سيدنا رسول الله، وليس لخديجة أخت غيرها اسمها هالة، قاله ابن الأثير في «أسد الغابة» (على رسول الله) متعلق باستأذنت (فعرف استئذان خديجة) أي تذكر عند استئذانها خديجة وكانت نغمتها تشبه نغمة خديجة؛ وأصل هذا أن من أحب محبوبا أحب محبوباته وما يتعلق به ويشبهه، وما أحسن ما قيل:

أحب من أجلكم من كان يشبهكم

حتى لقد صرت أهوى الشمس والقمرا

أمر بالحجر القاسي فألثمه

لأن قلبك قاس يشبه الحجرا

وقال آخر:

أشبهت عذالي فصت أحبهم

إذ صار حظي منك حظي منهم

(فارتاح لذلك) افتعال من الراحة: أي حصلت له راحة نفسانية بسماع صوت هالة لتذكره عهد خديجة. قال المصنف: أي هش لمحبتها وسر به لتذكره بها خديجة وأيامها، وفيه دليل حسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته وبعد موته، وفي المطالع ارتاح أي هش ونشطت نفسه، وقيل حن إليها، وقيل سر بها، ومنه يرتاع للندى ويرتاح: أي يسر فيهش (فقال: اللهم هالة بنت خويلد) قال القرطبي: يجوز فيه الرفع خبر مبتدأ: أي هذه هالة فأكرمها، والنصب عن إضمار فعل؛ أي أكرم هالة ونحوه مما يليق بالمعنى، وهذه الأخبار فيها فضل خديجة، والصحيح أنها أفضل أمهات المؤمنين لما لها من السوابق الجليلة والأيادي الجميلة، وقد أقرأها الحق السلام على لسان جبريل الأمين، ولم ير ذلك لغير الأنبياء إلا لها وللصديق الأكبر، أما عائشة فهي أكثر علما وأفضل مما عداها من باقي الأمهات بلا خلاف (قولهما فارتاح هو بالحاء) المهملة (وفي." (٢)

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ١/ ٨٩

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٣/ ١٩٤

"من عندك عاقنا النساء والصبيان وفعلنا وفعلنا فقال إن تلك الساعة فذكره

(٦١١) إن جبريل أتاني آنفا فبشرني أن الله قد أعطاني الشفاعة
أخرجه الطبراني في الكبير وابن عساكر عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه
سببه كما في الجامع الكبير عنه قال بينما نحن ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج إلينا مشرق الوجه يتهلل فقمنا في وجهه فقلنا يا رسول الله سرك الله إنه يسرنا ما نرى من إشراق وجهك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جبريل أتاني آنفا فبشرني أن الله قد أعطاني الشفاعة
فقلنا يا رسول الله أفي بني هاشم خاصة قال لا
فقلنا في قريش قال لا
فقلنا في أمتك قال هي في أمتي للمذنبين المثقلين

(٦١٢) إن جبريل عليه السلام أتاني فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه بها عشر درجات
أخرجه الضياء في المختارة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
سببه عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته فلم يك أحد يتبعه ففزع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا في مشربة فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني إن جبريل فذكره
قال الطبراني تفرد به عمرو بن الربيع

(٦١٣) إن حسن العهد من الإيمان
أخرجه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها
قال الحاكم على شرطهما ولا علة له
وأقره الذهبي
سببه عنها قالت جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم عجوز فقال من أنت قالت جثامة المزنية
قال بل أنت." (١)
"حسانة المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعدها قالت بخير فلما خرجت قلت تقبل هذا الإقبال على هذه
قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان

(٦١٤) إن حقا على الله تعالى أن لا يرتفع شيء من أمر الدنيا إلا وضعه

---

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ابن حَمْزَة الحسيني ٢٣٢/١

أخرجه الإمام أحمد والبخاري والنسائي وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه

سببه كما في البخاري عنه قال كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العضباء وكانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود فسبقها فاشتد ذلك عل المسلمين وقالوا سبقت العضباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فذكره

(٦١٥) إن خياركم أحسنكم قضاء

أخرجه الإمام أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

سببه كما في البخاري عنه قال كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم سن من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال صلى الله عليه وسلم أعطوه فطلبوا سنا فلم يجدوا له إلا سنا فوقها فقال أعطوه

فقال أوفيتني أوفى الله لك

قال النبي صلى الله عليه وسلم إن خياركم فذكره

وفي الجامع الكبير أخرج عبد الرزاق عن أبي رافع قال استلف النبي صلى الله عليه وسلم من رجل بكرا فجاءته إبل الصدقة فأمرني أن أقضيه بكرا فقلت لم أجد إلا جملا خيارا رباعيا فقال اقضه إياه

قال خير الناس أحسنهم قضاء ورواه مالك

(٦١٦) إن دباغ الميتة طهورها

أخرجه ابن منده عن جون بن قتادة التيمي رضي الله عنه بهذا اللفظ وأخرجه مسلم من حديث ابن عباس ولفظه إذ." [١]

"أبي عبيدة بن الجراح

سببه كما في الجامع الكبير عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرنا يوم يفتح الله على المسلمين ويفيء عليهم حتى ذكر الشام فقال إن ينسأ الله في أجلك يا أبا عبيدة فحسبك فذكره

(٩٤٧) حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن

أخرجه أبو نعيم والديلمي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها وفي رواية حجاب وفي رواية حاجز

سببه كما أورده ابن عساكر في ترجمة حسان عن عائشة قالت استأذن حسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجاء المشركين فقال كيف ونسبي فيهم قال لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين

فقال النبي صلى الله عليه وسلم حسان فذكره

(٩٤٨) حسن العهد من الإيمان

أخرجه الحاكم والديلمي عن عائشة رضي الله عنها قال الحاكم على شرطهما ولا علة له وأقره الذهبي

---

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ابن حَمْزَة الحسيني ٢٣٣/١

سببه عن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت فقالت أنا جثامة المزنية قال أنت حسانة

كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير

فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال قال إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ومر في إن أيضا

(٩٤٩) حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسينا الحسن والحسين سبطان من الأسباط

أخرجه البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه والحاكم عن يعلى بن مرة رضي الله عنه

قال الهيثمي إسناده حسن

سببه قال يعلى خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعام دعي له فإذا حسين." [(١)]

"(هب عن أبي هريرة) رمز المصنف لصحته (١).

١٨٦٧ - "إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف الحكيم (طب هب) عن ابن عمر".

(إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف) بالحاء المهملة بعدها مثناة فوقية فراء ففاء من الحرفة الصناعة ومهنة الكف والكسب ومنه قول البعض من السلف: إني لأرى الرجل فأسأل هل له من حرفة فيقال: لا فيسقط من عيني وذلك لأن الحرفة تمنعه من سؤال الناس وبذل ماء وجهه، ولأنه يشتغل بها عن كثير من اللهو وإنفاق الساعات في الباطل، وقد كان غالب السلف له حرفة يقوم بها على عياله ومنه قول أبي بكر - رضي الله عنه - لما استخلف لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي (الحكيم طب هب عن (٢) ابن عمر) ضعيف لضعف الربيع السمان وغيره.

١٨٦٨ - "إن الله تعالى يحب المداومة على الإخاء القديم، فداوموا عليه (فر) عن جابر".

(إن الله تعالى يحب المداومة على الإخاء القديم) الدوام على حفظه والقوام به والوفاء لأهله وذلك لأنه لا يكون إلا من كرم الطباع وحسن العهد (فداوموا عليه) عملا بما يحبه الله (فر عن جابر) (٣).

١٨٦٩ - "إن الله تعالى يحب حفظ الود القديم (عد) عن عائشة".

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٦١٧٥) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٠٧) والسلسلة الضعيفة (٢٣٢٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٠٨) رقم (١٣٢٠٠) والبيهقي في الشعب (١٢٣٧)، وأورده ابن عدي في الكامل (١/ ٣٧٨) في ترجمة أبي الربيع السمان قال يحيى: ليس بشيء وقال الدارقطني: متروك. وانظر: العلل لابن أبي

---

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ابن حَمْزَة الحسيني ٢/٢٣

حاتم (٢/ ١٢٨) والعلل المتناهية (٢/ ٥٨٩). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٦٢٧)، والضعيفة (١٣٠١).

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس (٥٦٣) قال في اللسان (٣/ ٣٥٤): هذا منكر بمرة وما أظن سفيان حدث به قط. وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٧٠٨) والضعيفة (٢٨٨٨): ضعيف جدا.." [(١)]

"(إن حسن الخلق ليذاب الخطيئة) اللام للجنس أي جنس الخطيئة، والمراد: من الصغائر عند الجمهور. (كما تذيب الشمس الجليدى) بالجيم والدال المهملة قبلها مثناة تحتية، في النهاية (١): هو الماء الجامد من البرد. (الخرائطي (٢) في مكارم الأخلاق عن أنس) وفي إسناده مقال.

٢٢٥٧ - "إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله ". (حم ت ك) عن أبي هريرة (صح).

(إن حسن الظن بالله) تقدم فيه كلام كثير. (من حسن عبادة الله) أي هو قسم منها أو هو ناشئ عنها، فحسن عبادة الله من حسن ظنه فيه وهو الأظهر فإن حسن الظن إنما هو لمن أحسن العمل وأما من أساء العمل فكما قيل:

أسأت إلى فاستوحشت مني ... ولو أحسنت آنسك الجميل

(حم ت ك (٣) عن أبي هريرة) رمز المصنف لصحته، وقال الحاكم: على شرط مسلم وأقروه.

٢٢٥٨ - "إن حسن العهد من الإيمان،. (ك) عن عائشة (صح).

(إن حسن العهد) الحفاظ ورعاية الحرمة. (من الإيمان) من شعب الإيمان أو من صفات أهله وسبب الحديث: أن امرأة أتته - صلى الله عليه وسلم - فأكرمها وقال: "إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان،. (ك (٤) عن عائشة) رمز المصنف لصحته، وصححه الحاكم وأقروه.

---

(١) انظر النهاية (١/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٥٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٨٥٠)، وقال في الضعيفة (٤٤٢) ضعيف جدا.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩)، والترمذي (٣٦٠٣)، والحاكم (٤/ ٢٤١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٨٥١)، والضعيفة (٣١٥٠).

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ١٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٥٦)، والسلسلة الصحيحة (٢١٦).." [(٢)]

"السماء أنها قبلة الدعاء ويأتي أنه إذا سأل جعل [٣/ ٣٠٩] باطن كفيه إليه وإذا استعاذ جعل ظهرهما إليه. (طب (١) عن ابن عباس) رمز المصنف لحسنه، وقال العراقي: سنده ضعيف، والهيثمي: فيه الحسين بن عبد الله وهو ضعيف.

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣/٣٨٣

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣/٦١٠

٦٦٦٩ - "كان إذا دنا من منبره يوم الجمعة سلم على من عنده من الجلوس؛ فإذا صعد المنبر استقل الناس بوجهه ثم سلم قبل أن يجلس". (هق) عن ابن عمر (ح) ".

(كان إذا دنا من منبره يوم الجمعة سلم على من عنده بقرب منبره من الجلوس) لأنه داخل عليهم آت من منزله. (فإذا صعد المنبر) بلغ الثالثة من درجاته. (استقبل الناس بوجهه ثم سلم قبل أن يجلس) فيندب فعل ذلك لكل خطيب ويجب رد السلام عند الشافعية لدخوله في عموم الآية. (هق) (٢) من حديث عيسى بن عبد الله الأنصاري عن نافع (عن ابن عمر)، رمز المصنف لحسنه وليس كذلك فقد ضعفه ابن حبان وابن القطان بعيسى المذكور وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

٦٦٧٠ - "كان إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة". (م) عن عائشة (صح) ".

(كان إذا ذبح الشاة) للجنس (قال: أرسلوها) أرسلوا بعضها بقرينة المقام.

(إلى أصدقاء خديجة) برا بها بعد وناتها رحمها الله، وفيه حسن العهد وحفظ الوداد بحفظ محبي من مات. (م) (٣) عن عائشة)، تمامه "قالت عائشة: فأغضبته

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٣٥) (١٢٢٣٤)، وانظر قول الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٢١).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن (٣/ ٢٠٥)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٥٣)، وانظر التلخيص الحبير (٢/ ٦٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٠١)، والضعيفة (٤١٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٣٥).." [١]

"٤ - (باب في عيادة الذمي)

[٣٠٩٥] (أن غلاما) أي ولدا (من اليهود كان مرض) وفي رواية البخاري كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض (فقعد) النبي صلى الله عليه وسلم (عند رأسه) أي الغلام (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم (له) أي للغلام (فنظر) أي الغلام (وهو) أي أبو الغلام (فقال له) أي للغلام (فأسلم) الغلام

وفي رواية النسائي عن إسحاق بن راهويه عن سليمان المذكور فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قاله الحافظ في الفتح (وهو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (أنقذه) أي خلصه ونجاه (بي) أي بسببي (من النار) أي لو مات كافرا

قال الحافظ في الفتح في الحديث جواز استخدام المشرك وعيادته إذا مرض وفيه حسن العهد واستخدام الصغير وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه وفي قوله أنقذه من النار دلالة على أنه صح إسلامه وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب انتهى

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣٩٤/٨

قال المنذري والحديث أخرجه البخاري والنسائي

قيل يعاد المشرك ليدعى إلى الإسلام إذا رجي إجابته ألا ترى أن اليهودي أسلم حين عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فأما إذا لم يطمع في إسلام الكافر ولا يرجى إنابته فلا ينبغي عيادته وقد عاد صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة راكبا على حمار

وقد جاء من حديث جابر أيضا قال أتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان

وعيادة المريض راكبا وماشيا كل ذلك سنة

انتهى كلام المنذري." (١)

"[٣٨٩٠] قوله (عن حميد) هو الطويل

قوله (قال أبوها) أي أبو بكر الصديق لسابقته في الإسلام ونصحه لله ورسوله وبذله نفسه وماله في رضاهما

قوله (هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه بن ماجه

٢٥ - (فضل خديجة رضي الله عنها)

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية كانت تحت أبي هالة بن زارارة ثم تزوجها عتيق بن عائذ ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس وعشرون سنة ولم ينكح صلى الله عليه وسلم قبلها امرأة ولا نكح عليها حتى ماتت وهي أول من آمن من كافة الناس ذكرهم وأنثاهم وجميع أولاده منها غير إبراهيم فإنه من مارية وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع سنين وقيل بثلاث وكان قد مضى من النبوة عشر سنين وكان لها من العمر خمس وستون سنة وكانت مدة مقامها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة ودفنت بالحجون

[٣٨٧٥] قوله عن عائشة قالت ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلخ تقدم هذا الحديث مع شرحه في باب حسن العهد من أبواب البر والصلة." (٢)

"٧٠ - (باب ما جاء في حسن العهد)

وفي صحيح البخاري باب حسن العهد من الإيمان

قال أبو عبيد العهد هنا رعاية الحرمة وقال عياض هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له

وقال الراغب حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال

قوله [٢٠١٧] (ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم) بكسر الغين المعجمة من غار يغار نحو خاف يخاف (ما غرت على خديجة) ما الأولى نافية والثانية موصولة أو مصدرية

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٨/٢٤٩

(٢) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٢٦٣/١٠

أي ما غرت مثل التي غرتها أو مثل غيرتي عليها والغيرة الحمية والأنف

قال الحافظ قوله على خديجة يريد من خديجة فأقام على مقام من وحروف الجر تتناوب في رأي أو على سببية أوبسبب خديجة وفيه ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن

وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي صلى الله عليه وسلم لكن كانت تغار من خديجة أكثر

وقد بينت سبب ذلك وإنه لكثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إياها وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة

وقال القرطبي مرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها (وما بي أن أكون أدركتها) الجملة حالية وما نافية وفي رواية للشيخين وما رأيتها وهي تقتضي عدم الغيرة لعدم الباعث عليها غالبا ولذا قالت (وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها) وفي رواية للنسائي من كثرة ذكره إياها وثنائه عليها (وإن) من مخففة المثقلة (ليذبح الشاة) أي شاة من الشياه (فيتتبع) أي يتطلب

قال في القاموس تتبعه تطلبه وقال فيه طلبه وتطلبه واطلبه كافتعله حاول وجوده وأخذه (بها) أي بالشاة المذبوحة يعني بأعضائها

وفي رواية للشيخين وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة

(صدائق خديجة) أي أصدقائها جمع صديقة وهي المحبوبة (فيهديها لهن) من الإهداء أي يتحفهن إياها

ومطابقة الحديث للباب في إهداء النبي صلى الله عليه وسلم اللحم لأصدقاء خديجة وخلائلها رعيا منه لذمامها وحفظا لعهدها

وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الشعب من طريق صالح بن رستم عن بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاءت عجوز إلى." (١)

"النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله

فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان

قوله (هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه الشيخان

١ - (باب ما جاء في معالي الأخلاق)

جمع المعلاة قال في القاموس المعلاة كسب الشرف وقال في الصراح علاء بالفتح والمد بلندي درقدر ونزلت على بالضم والقصر معلاة بالفتح كذلك والجمع المعالي

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٦/١٣٤

قوله [٢٠١٨] (حدثنا أحمد بن الحسن بن خراش البغدادي) أبو جعفر صدوق من الحادية عشرة (حدثنا حبان بن هلال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة أبو حبيب البصري ثقة ثبت من التاسعة (حدثنا مبارك بن فضالة) بفتح الفاء وتخفيف المعجمة أبو فضالة البصري صدوق يدلس ويسوي من السادسة (حدثني عبد ربه بن سعيد) بن قيس الأنصاري أخو يحي المدني ثقة من الخامسة

قوله (إن من أحبكم إلي) أي في الدنيا (أحاسنكم أخلاقا) نصبه على التمييز وجمعه لإرادة الأنواع أو لمقابلة الجمع بالجمع (وإن من أبغضكم إلي) أي في الدنيا وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون)

وفي حديث أبي ثعلبة الخشني عند البيهقي وأبعدكم مني مساويكم أخلاقا الثرثارون الحديث

قال القارىء ويروى أساويكم جمع أسوء كأحاسن جمع أحسن وهو مطابق لما في أصل المصابيح

وقال القاضي أفعل التفضيل إذا أضيف على معنى أن المراد به زائد على المضاف إليهم في الخصلة التي هودهم مشتركون فيها جاز الإفراد والتذكير في الحالات كلها وتطبقه لما هو وصف له لفظا ومعنى

وقد جمع الوجهان في الحديث فأفرد أحب وبغض وجمع أحاسن وأساويء." (١)

"رحمة الرب، فما كان للرب جل مجده، صارت للعباد بعينها وهل الوحدة المذكورة ممكنة أو لا؟ فالوجه أنها ممكنة، إلا أن الغلو فيها غلو. وقد أنكر عنها الشيخ المجدد السرهندي في «مكتوباته» وفي «العبقات» أن بطاقة وجدت من تحت وسادة حضرة الشيخ المجدد، فوجد فيها مكتوبا: إن آخر ما انكشف على، هو أن وحدة الوجود حق. قلت: وفيه احتمال بعد، ما لم يثبت من جهة صاحب الشرع، وكيف ما كان، ليست المسألة مما تصلح أن تدخل في العقائد.

٢٠ - باب قتل الولد خشية أن يأكل معه

٦٠٠١ - حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن منصور عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال «أن تجعل لله ندا وهو خلقك». ثم قال أى قال «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك». قال ثم أى قال «أن تزانى حليلة جارك». وأنزل الله تصديق قول النبى - صلى الله عليه وسلم - ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ [الفرقان: ٦٨]. أطرافه ٤٤٧٧، ٤٧٦١، ٦٨١١، ٦٨٦١، ٧٥٢٠، ٧٥٣٢ - تحفة ٩٤٨٠

٢١ - باب وضع الصبي في الحجر

٦٠٠٢ - حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن سعيد عن هشام قال أخبرنى أبى عن عائشة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - وضع صبيا فى حجره يحنكه، فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه. أطرافه ٢٢٢، ٥٤٦٨، ٦٣٥٥ - تحفة ١٧٣٢١ - ١٠/ ٨

٢٢ - باب وضع الصبي على الفخذ

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ١٣٥/٦

٦٠٠٣ – حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عارم حدثنا المعتمر بن سليمان يحدث عن أبيه قال سمعت أبا تميمة يحدث عن أبي عثمان النهدى يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد – رضى الله عنهما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأخذنى فيقعدنى على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما ثم يقول «اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما». وعن على قال حدثنا يحيى حدثنا سليمان عن أبى عثمان قال التيمى فوقع فى قلبى منه شىء، قلت حدثت به كذا وكذا، فلم أسمعه من أبى عثمان، فنظرت فوجدته عندى مكتوبا فيما سمعت طرفاه ٣٧٣٥، ٣٧٤٧ – تحفة ١٠٢

٢٣ – باب حسن العهد من الإيمان

٦٠٠٤ – حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة – رضى الله عنها – قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت." [١]

"باب ما جاء في حسن العهد." [٢]

"﴿الفصل الثالث﴾

١٥٨٨- (٥٣) عن أنس، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: ((أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار))

نسخ الترمذي الموجودة عندنا: هذا حديث حسن غريب في هذا الباب، وقد روى من غير هذا الوجه– انتهى. قلت: روى أحمد والنسائي من غير طريق الترمذي. والحديث لا ينحط عن درجة الحسن.

١٥٨٨ — قوله: (كان غلام يهودي) لم يقف الحافظ على اسمه نعم نقل عن ابن بشكوال أن صاحب العتبية حكى عن زياد أن اسمه عبد القدوس قال وهو غريب ما وجدته عند غيره (يخدم النبي صلى الله عليه وسلم) بكسر الدال وضمها (فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم) حال كونه (يعوده فقعد) النبي صلى الله عليه وسلم (عند رأسه) أي رأس الغلام وهو من مستحبات العيادة (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم (له) أي للغلام (أسلم) بكسر اللام فعل أمر من الإسلام، والظهر أن الغلام كان عاقلا (فنظر) أي الغلام (إلى أبيه وهو) أي أبوالغلام (عنده) وفي رواية أبي داود عند رأسه (فقال) له أبوه (أطع أبا القاسم) صلى الله عليه وسلم (فأسلم) بفتح اللام أي الغلام، وفي رواية النسائي: فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فخرج النبي صلى الله عليه وسلم) من عنده (وهو) أي النبي (يقول الحمد لله الذي أنقذه) بالذال المعجمة أي خلصة ونجاه (من النار) أي لو مات كافرا، في رواية أبي داود: أنقذه بي من النار أي أنقذه الله بسببي من النار. قال الحافظ في الفتح: وفي الحديث جواز استخدام المشرك وعبادته إذا مرض، وفيه حسن العهد واستخدام الصغير

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري الكشميري ١٢٦/٦

(٢) العرف الشذي شرح سنن الترمذي الكشميري ٣٤١/٣

وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه، وفي قوله: أنقذه بي من النار، دلالة على أنه صح إسلامه وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب- انتهى. قيل: هذا يحمل على أنه كان قبل أن يعلمه الله تعالى أن أطفال المشركين في الجنة، كما هو مذهب الأكثرين، وعلى تقدير تسليم أن هذا الحديث وقع بعد تقرر أن الأطفال في الجنة، فالمراد من قوله: من النار الكفر المسمى نارا لأنه سببها أو يؤول إليها. والله تعالى أعلم. قيل: إنما تشرع عيادة غير المسلم ليدعى إلى الإسلام إذا رجى أن يجيب إلى الدخول في الإسلام ألا ترى أن اليهودي أسلم حين عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فأما إذا لم يطمع في إسلام الكافر ولا يرجى إنابته فلا ينبغي." [١]

"وعن أنس -رضي الله عنه- قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أتي بهدية قال: اذهبوا بها إلى بيت فلانة، إنها كانت تحب خديجة" هذا من الوفاء، وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، لما كنت أسمعه يذكرها -عليه الصلاة والسلام- وإن كان ليذبح الشاة، فيهديها إلى خلائلها -يعني: إلى أصدقائها- واستأذنت عليه أختها، فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسن السؤال عنها، ولما خرجت قال: ((إنها كانت تأتينا في أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان)).

وكان -صلى الله عليه وسلم- يصل رحمه من غير أن يؤثرهم على من أفضل منهم، وعن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال: ((لما جاء وفد النجاشي قام النبي -صلى الله عليه وسلم- يخدمهم بنفسه، فقال له أصحابه: نكفيك يا رسول الله. فقال -عليه الصلاة والسلام: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم)).

وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: ((خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- متوكئا على عصى، فقمنا له فقال: لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا، وقال: إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، وكان يركب الحمار، ويردف خلفه من يركب معه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس))، "وحج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال: ((اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة، ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على راحلته حتى كاد أن يمس قادمته؛ تواضعا لله تعالى)).

وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل، وكان ضحكه تبسما، وكلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم؛ توقيرا واقتداء به، مجلسه مجلس حلم، وخير، وأمانة، لا ترفع فيه." [٢]

"عهد، وأكثر ما يطلق في الحديث على أهل الذمة، وقد يطلق على غيرهم من الكفار إذا صولحوا على ترك الحرب مدة ما.

ومنه الحديث: ((لا يحل لكم كذا وكذا، ولا لقطة معاهد)) أي: لا يجوز أن يتملك لقطته الموجودة من ماله؛ لأنه معصوم المال، يجري حكمه مجرى حكم الذمي. وقد تكرر ذكر العهد في الحديث، ويكون بمعنى اليمين والأمان، والذمة، والحفاظ،

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٢٦٧/٥

(٢) الحديث الموضوعي - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٢٦

ورعاية الحرمة، والوصية، ولا تخرج الأحاديث الواردة فيه عن أحد هذه المعاني، ومنه: ((حسن العهد من الإيمان)) يريد الحفاظ، ورعاية الحرمة.

والوفاء بالعهد خلق جميل من الأخلاق التي نادى بها الإسلام، ودعا إليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أحاديثه الكثيرة فما أكثر ما تحدث -صلى الله عليه وسلم- عن الأخلاق الكريمة الفاضلة، ولقد بين -صلى الله عليه وسلم-: ((أنه ليس هناك شيء في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق)).

وقبل أن نتكلم عن الوفاء بالعهد نذكر ما كتبه الأستاذ حسن عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني في كتابه (الأخلاق الإسلامية وأسسها) قال تحت عنوان: "تمجيد الإسلام للخلق الحسن، وحثه عليه": ولما كانت ثمرات الخلق القويم للسلوك الديني، وللسلوك الشخصي عظيمة جدا، وكان لدى المقارنة أجل الثمرات التي تحققها المبالغة في أداء كثير من العبادات الخاصة المحضة، ولما كانت سلامة النفس من المساوئ الخلقية أهم من سلامة السلوك الظاهر من طائفة من المعاصي، والذنوب الظاهرة، وكان ما يتحقق بحسن الخلق من رضوان الله تعالى أكثر مما يتحقق بالاستكثار من نوافل العبادات المحضة كالصلاة، والصيام، والأذكار اللسانية، لما كان كل ذلك؛ وجدنا النصوص الإسلامية توجه الاهتمام العظيم والعناية الكبرى لقيمة حسن الخلق في الإسلام، وتذكر الخلق الحسن بتمجيد كبير فمنها النصوص التالية:." (١)

"٥٢١ - " باب ما جاء في زمزم "

٦١٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

" سقيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من زمزم، فشرب وهو قائم ".

رجع من عرفة" وعند ذلك طاف طواف الإفاضة. الحديث: أخرجه البخاري.

فقه الحديث: دل الحديث على أن الحاج ليس عليه قبل عرفة سوى طواف واحد، فإن كان مفردا كان طوافه طواف قدوم اتفاقا وهو سنة، وإن كان متمتعا فطوافه طواف العمرة، وهو ركن من أركانها اتفاقا، وإن كان قارنا فطوافه طواف قدوم عند الجمهور، وهو سنة، وليس عليه من أركان الحج سوى طواف واحد وهو طواف الإفاضة، وقال أبو حنيفة: إن كان قارنا فطوافه ركن، لأن على القارن طوافين وسعيين. والمطابقة: في قوله: " لم يقرب الكعبة بعد طوافه بها ".

٥٢١ - " باب ما جاء في زمزم "

٦١٢ - معنى الحديث: يقول ابن عباس رضي الله عنهما سقيت رسول الله من ماء زمزم فشرب من ذلك الماء حال كونه قائما.

فقه الحديث: دل هذا الحديث على ما يأتي: أولا: قال القسطلاني: فيه الرخصة في الشرب قائما. ثانيا: دل الحديث على فضل بئر زمزم وشرفها، لأنه - صلى الله عليه وسلم - ذهب إليها ووقف عليها، وشرب منها، وعلى استحباب الشرب

---

(١) الحديث الموضوعي - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٥٣

من ماء زمزم والتضلع منه اقتداء بنبينا – صلى الله عليه وسلم –. قال ابن المنير: وكأنه عنوان عن حسن العهد، وكمال الشوق، فإن العرب اعتادت الحنين إلى مناهل الأحبة، وموارد أهل المودة، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:." [1]

"له، وأنه لا زال يعيش على ذكراها، فإن الغيرة تشتد، وهذا ما وقع للسيدة عائشة رضي الله عنها بالنسبة إلى السيدة خديجة، حيث قالت " ما غرت على أحد من نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – ما غرت على خديجة رضي الله عنها، وما رأيتها " أي مع كوني لم أرها ولم ألتق بها في عصمة النبي – صلى الله عليه وسلم – " ولكن كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكثر من ذكرها " أي ولكن السبب في شدة غيرتي منها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يكثر الحديث عنها " وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة " أي وكان يكرم صديقاتها، ويهدي إليهن الهدايا من أجلها، فكثيرا ما كان يذبح الشاة ويقسمها أقساما، فيهدي إلى كل واحدة من صديقاتها قسما منها، وفاء لخديجة، وذلك من شدة محبته لها، ومحافظه على ودها، والعيش على ذكراها. " فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة " أي فكثيرا ما كنت أخاصمه إذا ذكرها، وتحدث عنها فأقول له: كأن خديجة أنستك النساء جميعا، فأصبحت لا ترى غيرها في هذه الدنيا " فيقول: إنها كانت وكانت " أي فيعدد فضائلها ومحاسنها، ويقول: إنها كانت صوامة قوامة محسنة إلى غير ذلك كما سيأتي. " وكان لي منها ولد " بفتح الواو وسكون اللام أي وبالإضافة إلى هذه المزايا كلها فقد رزقني الله منها أكثر ذريتي ذكورا وإناثا.

فقه الحديث: دل هذا الحديث على ما يأتي: أولا: فضل السيدة خديجة رضي الله عنها الذي يتجلى في شدة محبته – صلى الله عليه وسلم – لها، وتعلقه بها، وعيشه على ذكراها (١)، وإكرام صديقاتها، كما قالت عائشة رضي الله عنها وما رأيتها، ولكن كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكثر ذكراها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، وكان – صلى الله عليه وسلم – إذا استأذنت عليه أختها هالة، وسمع صوتها اهتز فرحا وسرورا وانتعشت نفسه، وأسرع للقائها، لأن صوتها يشبه صوت خديجة

---

(١) قال النووي: وفي هذا الحديث ونحوه دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف ذلك الصاحب.." [2]

١–" لم يجعلك مثلهم والدعاء لهم ليعافيهم الله من بلاء الجهل

ومن آدابها حفظ المودة القديمة والأخوة الثابتة كذلك

٦٠ – روى عن النبي صلى عليه وعلى آله وسلم أنه قال

إن الله تعالى يحب حفظ الود القديم

٦١ – وإن امرأة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأدناها فقيل له في ذلك فقال

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري حمزة محمد قاسم ١٠٥/٣

(٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري حمزة محمد قاسم ٢٨٥/٤

إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان

٦٢ – أنا محمد بن عبد الله الشيباني ببغداد قال أنا محمد بن سعيد البرجمي قال أنا سعيد بن عثمان التنوخي قال أنا محمد بن ثمال الصنعاني قال أنا عبد المؤمن ". [(١)]

٢–"مالا ، لعملت بعمل فلان فهو نيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما ، يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لو أن لي مالا ، لعملت فيه بعمل فلان ، فوزرهما سواء.

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.

سيأتي هذا الحديث من طريق ابن أبي شيبة في باب ضرب الأمثال ، وهناك يأتي ذكر يونس بن خباب – إن شاء الله – وفي حديث الترمذي زيادة.

باب حسن العهد

البخاري : حدثني عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة – Bها – : ما غرت على امرأة ، ما غرت على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين ، لما كنت أسمعه يذكرها ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليذبح الشاة ، ثم يهدي في خلتها منها.

باب حسن الخلق

البزار : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا.

مسلم : حدثني هارون بن سعيد ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثني معاوية . يعني : ابن صالح – عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن نواس بن سمعان قال : أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ، ما يمنعني من الهجرة إلا ". [(٢)]

٣–"فصل

٥٥– أنا عبد الرزاق بن عبد الكريم؛ أنا أبو بكر بن مردويه؛ ثنا دعلج بن أحمد، ثنا علي بن عبد العزيز، ثنا أبو عبيد قال: بلغني عن ابن المبارك؛ عن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان؛ عن محمد بن زيد بن مهاجر يرفعه:

((إن النبي صلى الله عليه وسلم دخلت عليه عجوز؛ فسأل بها وأحفى وقال: إنها كانت تأتينا أزمان خديجة؛ وإن حسن

---

(١) آداب الصحبة ص/٦٦

(٢) الأحكام الشرعية للإشبيلي ٥٨١ ٣/٩٦

العهد من الإيمان)).". [1]

٤-"(خ حم) ، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

(كان غلام من اليهود يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فمرض ، " فأتاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعوده) (١) (وهو بالموت) (٢) (فقعد عند رأسه) (٣) (فدعاه إلى الإسلام ") (٤) (فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده ، فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ، فأسلم ثم مات ، " فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عنده وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه بي من النار) (٥) (وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : صلوا على أخيكم (٦) " (٧) (

---

(١) (خ) ١٢٩٠

(٢) (حم) ١٣٣٩٩ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط : إسناده صحيح .

(٣) (خ) ١٢٩٠ ، (د) ٣٠٩٥

(٤) (حم) ١٣٣٩٩ ، (خ) ١٢٩٠

(٥) (حم) ١٣٣٩٩ ، (خ) ١٢٩٠

(٦) في الحديث جواز استخدام المشرك ، وعيادته إذا مرض ، وفيه حسن العهد ، واستخدام الصغير ، وعرض الإسلام على الصبي ، ولولا صحته منه ما عرضه عليه ، وفي قوله " أنقذه بي من النار " دلالة على أنه صح إسلامه ، وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب . فتح الباري لابن حجر - (ج ٤ / ص ٤٢٧)

(٧) (حم) ١٣٧٦٢ ، وصححها الألباني في الإرواء : ٢٤٨٠". [2]

٥-"حسن العهد من الإيمان

(ك) ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

جاءت عجوز إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو عندي ، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من أنت ؟ " ، قالت : أنا جثامة المزنية ، قال : " بل أنت حسانة المزنية ، كيف أنتم ؟ ، كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ " ، فقالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قالت عائشة : فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ ، فقال : " إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان " (١)

---

(١) الترغيب والترهيب لقوام السنة ٩١/١

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ٥٦/١

(١) (ك) ٤٠ ، انظر صحيح الجامع : ٢٠٥٦ ، الصحيحة : ٢١٦". [١]

٦-"#١٨٥#

باب

٦٥- حدثنا الحسن بن رشيق، قال: حدثنا علي بن سعيد، قال: حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة، قال: حدثنا حفص بن غياث، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فيكرمها. فقلت: يا رسول الله! من هذه؟ قال: هذه امرأة كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.
". [٢]

٧-"#٥٣##٥٤#

١٧- وأخبرنا أبو علي الرفا، ثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن الفضل العطار المروزي، ثنا سلم بن جنادة، ثنا حفص بن غياث، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فيكرمها، فقلت: يا رسول الله، من هذه؟ قال: ((هذه كانت تأتينا أزمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان)).

قال: فنظمته وقلت:

روت لنا عن رسول الله عائشة ... قالت جزاها إله الخلق غفرانا

كانت تزور رسول الله إمرأة ... يبرها جهده فضلا وإحسانا

فقلت من هذه؟ قال النبي لها ... هاتيك كانت تزور البيت أحيانا

تأتي خديجة ترعى حق جارتها ... وتلك تعرف حسن العهد إيمانا.". [٣]

٨-"أخرجه أحمد (٤٣٦/٢ ، رقم ٩٦٢٣) ، والطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (٦٦/٤) قال الهيثمى : رواه أحمد ، والطبرانى فى الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٩١٨٧ - إنها كانت امرأة مسقامة فذكرت شدة الموت وضغطة القبر فدعوت الله أن يخفف ضمته عنها يعنى ابنته زينب (الحاكم عن أنس)

أخرجه الحاكم (٤٩/٤ ، رقم ٦٨٤٥) .

٩١٨٨ - إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان (الحاكم عن عائشة)

أخرجه الحاكم (٦٢/١ ، رقم ٤٠) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ١٦٣/٢

(٢) الغوامض والمبهمات لعبدالغني بن سعيد ص/١٨٥

(٣) المنظوم والمنثور ص/٥٤

٩١٨٩ – إنها كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها ثلاثا فأعطانيها وسألته ألا يرسل عليهم سنة فيدمرهم فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فزواها عنى (الطبرانى عن معاذ)

أخرجه الطبرانى (٢٠/٤٤ ، رقم ٧٠) . وأخرجه أيضا : فى الشاميين (٢/١٧٢ ، رقم ١١٣١) .

وللحديث أطراف أخرى منها : "إنها صلاة رغبة ورهبة" ، "إنى صليت صلاة رغبة ورهبة" .". [١]

٩-"٤٣١٥٧- عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : جاءت عجوز إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال لها من أنت فقالت جثامة المزنية قال بل أنت حنانة المزنية كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبى أنت وأمى يا رسول الله قالت فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان (البيهقى فى شعب الإيمان ، وابن النجار) [كنز العمال ٣٧٧٦٨]

أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٦/٥١٧، رقم ٩١٢٢) .

٤٣١٥٨- جاءت فاطمة ابنة أبي حبيش إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – فقالت يا رسول الله إنى امرأة أستحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة قال إنما ذلك عرق وليست بالحيضة اجتنبى الصلاة أيام حيضك ثم اغتسلى وتوضئى لكل صلاة ثم صلى وإن قطر الدم على الحصير (عبد الرزاق ، وابن أبى شيبة ، والضياء) .

أخرجه ابن أبى شيبة (١/١١٨، رقم ١٣٤٥) .". [٢]

١٠-"٤٣٣٦٣- عن عروة عن عائشة قالت : كانت تأتى النبى – صلى الله عليه وسلم – امرأة فيكرمها فقلت يا رسول الله من هذه قال هذه كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان (البيهقى فى شعب الإيمان) [كنز العمال ٣٧٧٦٩]

أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٦/٥١٧، رقم ٩١٢٣) وقال : وهو بهذا الإسناد غريب

٤٣٣٦٤- كانت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما بلغه كراهية الناس فى ذلك قال افعلوها حولوا بمقعدتى نحو القبلة (ابن أبى شيبة) .

أخرجه أيضا : أحمد (٦/٢١٩، رقم ٥٨٧٩) ، والطحاوى (٤/٢٣٤) .

٤٣٣٦٥- كانت صفية من الصفا (ابن النجار عن عائشة قالت : كانت صفية من الصفا (ابن النجار) .

٤٣٣٦٦- عن إبراهيم قال : كانت عائشة ترى ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين (ابن جرير) [كنز العمال ٢٤٤٩٢]

٤٣٣٦٧- عن الزهرى قال : كانت عائشة تنهى أن تتمسك المرأة بالمسكر (عبد الرزاق)

---

(١) جامع الأحاديث ١٠/١٠٢

(٢) جامع الأحاديث ٤٠/٧١

أخرجه عبد الرزاق (٩/٢٤٩ رقم ١٧٠٩٢) ".[1]

١١-"أجهدك اليوم شيئا أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى عنك وسخط على صاحبيك (البخارى ، ومسلم عن أبى هريرة)

٤٤٨٥١- إن جزءا من سبعين جزءا من أجزاء النبوة تأخير السحور وتبكير الفطور ، وإشارة الرجل بأصبعه فى الصلاة (عبد الرزاق ، وابن عدى عن أبى هريرة)

٤٤٨٥٢- إن حسن العهد من الإيمان (الحاكم عن عائشة)

٤٤٨٥٣- إن حقا على المؤمنين أن يتوجع بعضهم لبعض كما يألم الجسد للرأس (أبو الشيخ فى التوبيخ عن محمد بن كعب مرسلا)".[2]

١٢-" لعل الذي أبلى بحبك يا فتى ... يردك لي يوما إلى أحسن العهد

ثم تغافلت أهل المجلس وألقت إليه المنديل

قال فما هو إلا أن قرأت الشعر حتى وجدت في قلبي من أمرها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم أزل أعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تعلم فعسر ذلك فعرفتها ما قد عزمت عليه من ابتياعها فأعانتني على ذلك حتى ملكتها فلم أوثر عليها أحدا من حرمي وأهلي ولا كان عندي شيء يعدلها فتوفيت فأنا لا عيش لي ولا سرور فوالله ما لبث بعد هذا الكلام إلا أياما يسيرة حتى مات أسفا عليها وكمدا فدفن إلى جانبها

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أنبأنا جعفر بن أحمد بن السراج وأنبأنا ابن الحصين قالا أنبأنا أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قال أنبأنا أبو العباس أحمد بن منصور اليشكري قال أنبأنا أبو القاسم الصائغ بإسناد له عن ابن الأشدق قال كنت أطوف بالبيت فرأيت شابا تحت الميزاب قد أدخل رأسه في كسائه يئن كالمحموم فسلمت فرد ثم قال من أين قلت من البصرة قال وراجع إليها قلت نعم قال إذا دخلت النباج فأخرج إلى الحي ثم ناد يا هلال تخرج إليك جارية تنشدها هذا البيت

وقد كنت أهوى أن تكون منيتي ... بعينيك حتى تنظري ميت الحب ومات مكانه

فلما دخلت النباج أتيت الحي فناديت يا هلال يا هلال فخرجت إلي جارية لم أر أحسن منها قالت ما وراءك قلت شاب بمكة أنشدني هذا البيت قالت وما صنع قلت مات فخرت مكانها ميتة ".[3]

---

(١) جامع الأحاديث ٤٠/١٥٣

(٢) جامع الأحاديث ٤١/٢٦٦

(٣) ذم الهوى ص/٥٣٣

١٣-"٦١٨. إياك ومشاورة الناس فإنها تظهر العرة وتدفن الغرة

٦١٩. إياكم وخضراء الدمن

٦٢٠. إياكم والدين فإنه هم بالليل ومذلة بالنهار

٦٢١. إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث

٦٢٢. إياكم ودعوة المظلوم وإن كان كافرا

إن إنما

٦٢٣. إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما وإن من القول عيالا وإن من طلب العلم جهلا

٦٢٤. إن أمتي أمة مرحومة

٦٢٥. إن حسن العهد من الإيمان

٦٢٦. إن حسن الظن من حسن العبادة

٦٢٧. إن العلماء ورثة الأنبياء

٦٢٨. إن الدين يسر

٦٢٩. إن دين الله الحنيفية السمحة

٦٣٠. إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم

٦٣١. إن الحكمة تزيد الشريف شرفا

٦٣٢. إن محرم الحلال كمحل الحرام

٦٣٣. إن أحساب أهل الدنيا هذا المال

٦٣٤. إن لصاحب الحق مقالا

٦٣٥. إن مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنة

٦٣٦. إن أحسن الحسن الخلق الحسن

٦٣٧. إن مولى القوم من أنفسهم

٦٣٨. إن أكثر أهل الجنة البله

٦٣٩. إن أقل ساكني الجنة النساء

٦٤٠. إن المعونة تأتي العبد على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي العبد على قدر المصيبة

٦٤١. إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب

٦٤٢. إن الشيطان يجري من بن آدم مجرى الدم

٦٤٣. إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس

٦٤٤. إن إعطاء هذا المال فتنة وإمساكه فتنة

٦٤٥. إن عذاب هذه الأمة جعل في دنياها

٦٤٦. إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه

٦٤٧. إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره

٦٤٨. إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم

٦٤٩. إن لله عبادا خلقهم لحوائج الناس

٦٥٠. إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه

٦٥١. إن لجواب الكتاب حقا كرد السلام

٦٥٢. إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب

٦٥٣. إن أفضل ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه

٦٥٤. إن المسألة لا تحل إلا لفقر مدقع أو غرم مفظع

٦٥٥. إن قليل العمل مع العلم كثير، وكثير العمل مع الجهل قليل

٦٥٦. إن العبد ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم". (١)

١٤-" وعلى ذكر أبي الفتح فلبعض العصريين من أهل نيسابور فيه

(إذا قيل من فرد العلى والمحامد ... أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد)

(همام له في مرتقى المجد مصعد ... يلوح له العيوق في ثوب حاسد)

(كريم حباه المشترى بسعوده ... وأصبح في الآداب بكر عطارد)

(به سحبت خوارزم ذيل مفاخر ... على خطة الشعرى وربع الفراقد)

(فلا زال في ظل السعادة ناعما ... يحوز جميع الفضل في شخص واحد) - من الطويل -

وحدثني أبو سعيد محمد بن منصور قال لما ورد أبو عبد الله رسولا على شمس المعالي ووصل إلى مجلسه فأبلغ الرسالة وأدى الألفاظ واستغرق الأغراض أعجب به شمس المعالي إعجابا شديدا

وأفضل عليه إفضالا كثيرا ورغب في جذبه إلى حضرته واستخلاصه لنفسه فأمرني بمجاراته في ذلك ورسم لي أن أبلغ كل مبلغ في حسن الضمان له وأركب الصعب والذلول في تحريصه وتحريضه على الانتقال إلى جنبته فامتثلت الأمر وجهدت جهدي وأظهرت جدي في إرادته عليه وإدارته بكل حيلة وتمنية جميلة فلم يجب ولم يوجب وقال معاذ الله من لبس ثوب الغدر والانحراف عن طريق حسن العهد وانصرف راشدا إلى أوطانه وحضرة سلطانه

---

(١) شهاب الأخبار - القضاعي ص/٢١

وقد كتبت لمعا من شعره وليس يحضرني الآن سواها لغيبتي عن منزلي فتأخر كثير مما أحتاج إليه عني قال من قصيدة في الصاحب

(غدا دفتري أنسا وخطي روضة ... وحبري مداما وارتجالي ساقيا)

(ولا شدو لي إلا التحفظ قارئا ... ولا سكر إلا حين أنشد واعيا)

(تجشم أوصافا حسانا لعبده ... فطوقه عقدا من العز حاليا)

(فلولا امتثال الأمر لا زال عاليا ... لطار مكان النظم رجلان حافيا) ". (١)

١٥-"#٦٤٩#

١٦١- حدثنا أبو القاسم ابن البسري إملاء قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن هارون بن الصلت الأهوازي قال حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي قال حدثنا سلم بن جنادة قال حدثنا حفص عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فيكرمها فقلت له ؟ فقال : إن هذه كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان " .". (٢)

١٦-"٧٥٩ - نا محمد ، نا الضحاك بن مخلد ، نا صالح بن رستم ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي A فقال لها رسول الله A : « من أنت ؟ » قالت : أنا جثامة المزنية قال : « بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ » قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله قالت : فلما خرجت قلت : يا رسول الله ، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ قال : « إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان »". (٣)

١٧-"آداب المتعلم

وإن كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم: أن يبدأه بالتحية والسلام، وأن يقلل بين يديه الكلام، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه، ولا يسأل ما لم يستأذن أولا، ولا يقول في معارضة قوله: قال فلان بخلاف ما قلت، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه، ولا يسأل جليسه في مجلسه، ولا يلتفت إلى الجوانب، بل يجلس مطرقا ساكنا متأدبا، ولا يكثر عليه السؤال عند ملله، وإذا قام قام له، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله، ولا يسيء الظن به. واعلم أن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب الزلات، وكان بعض السلف يتصدق وهو في طرقه لمجلس العلم ويدعو قائلا: ((اللهم وار عني عيب شيخي)).

---

(١) قرى الضيف ٢٨٦/٤

(٢) مشيخة قاضي المارستان ٦٤٩/٢

(٣) معجم ابن الأعرابي ٢٦٠/٢

وروي عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: ((من حق العالم عليك أن تسلم على الناس عامة، وتخصه دونهم بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرن عنده بيدك، ولا تغمزن بعينيك، ولا تقولن: قال فلان خلافا لقوله، ولا تغتابن عنده أحد، ولا تسارر في مجلسه، ولا تأخذن بثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تعرض – أي: تشبع – من طول صحبته، ولا ترفع نفسك عن خدمته، وإذا عرضت له حاجة سبقت القوم إليها، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شئ)).

وعلى طالب العلم أن يتحلى بالوفاء؛ فإنه من أجل خصال النبلاء، وليعلم أن ((حسن العهد من الإيمان)) (١)، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل.

****

(١) حديث حسن: أخرجه الحاكم (رحمه الله) في "المستدرك" (١/ ١٥ – ١٦) بسند حسن من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين!، ووافقه الذهبي، ورمز له السيوطي بالصحة في "الجامع الصغير" (٢٢٦٤)، وانظر "الصحيحة" للألباني (٢١٦).". [١]

١٨–"فاستجيب لهم، وذكره النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في معرض الثناء عليهم، وجميل فضائلهم.

٢ – فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات، لا سيما بعد القدرة عليها، والهم بفعلها، ويترك لله تعالى خالصا.

٣ – أن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها، وأن التوبة تجب ما قبلها.

٤ – جواز الإجارة وفضل حسن العهد، وأداء الأمانة، والسماحة في المعاملة.

٥ – إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

٦ – فضل الإخلاص في العمل.

٧ – أثر التقوى في تخليص العبد من كربه وبلائه؛ قال – عز وجل –: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق:٢).

٨ – الأثر الطيب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد نهت المرأة ابن عمها لما وقع بين رجليها فقالت: «يا عبد الله اتق الله". [٢]

١٩–"قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق (١) قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى (٢) بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت – والقدح على يدي – أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون (٣)

(١) بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية ص/١١٣

(٢) دروس وعبر من صحيح القصص النبوي ص/٢٧

عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي – وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء – فأردتها على نفسها (٤) فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها – وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه (٥)، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أد إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزىء بي! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون». (٦) متفق عليه. (٧)

---

(١) لا أغبق: أي ما كنت أقدم عليهما أحدا في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه. والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبوح. النهاية ٣/ ٣٤١.

(٢) نأى: بعد.

(٣) أي: يتصايحون ويبكون.

(٤) كناية عن الجماع.

(٥) الفض: الكسر والفتح، والخاتم كناية عن الفرج وعذرة البكارة، وحقه التزويج المشروع. دليل الفالحين ١/ ٨٤.

(٦) في الحديث: استحباب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح العمل، وفيه فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما، وفيه فضل العفاف، وفيه فضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وإثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق.

انظر: دليل الفالحين ١/ ٨٦.

(٧) أخرجه: البخاري ٣/ ١٠٤ (٢٢١٥)، ومسلم ٨/ ٨٩ (٢٧٤٣) (١٠٠).". [١]

٢٠-"السبب السابع: الاستهانة بالمسيء لا عن كبر وإعجاب بالنفس، إنما هو نأي عن منافس لا يساويك قدرا، ومن ذلك (أن الأحنف بن قيس شتمه رجل فسكت عنه، وأعاد الرجل فسكت عنه، وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل: والهفاه!! ما يمنعه من أن يرد علي إلا هواني عنده) (١).

---

(١) رياض الصالحين ت الفحل ص/١٣

قال أبو حاتم: أنشدني الكريزي

إذا أنا كافيت الجهول بفعله ... فهل أنا إلا مثله إذ أحاوره؟

ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش ... علي، فإني بالتحلم قاهر (٢).

وكان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه رجل بشتم أو قول سيئ لم يجبه وقال: إني أتركك رفعا لنفسي عنك (٣) ..

السبب الثامن: قطع السباب والخصام، قال الأصمعي: (بلغني أن رجلا قال لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشرا، فقال له الآخر: لكنك إن قلت عشرا لم تسمع واحدة) (٤).

وكان شبيب بن شيبة يقول: (من سمع كلمة يكرهها فسكت عنهم انقطع عنه ما يكره، فإن أجاب عنهم سمع أكثر مما يكره. وكان يتمثل بهذا البيت:

وتجزع نفس المرء من وقع شتمة ... ويشتئم ألفا بعدها ثم يصبر) (٥).

السبب التاسع: الاستحياء من جزاء الجواب، وكان الأحنف بن قيس يقول: (من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه، وأنشد:

رضيت ببعض الذل خوف جميعه ... كذلك بعض الشر أهون من بعض (٦)

السبب العاشر: الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء، وحسن العهد، وكمال المروءة، عن حفص بن غياث قال: (كنت جالسا عند جعفر بن محمد، ورجل يشكو رجلا عنده، قال لي كذا، وفعل لي كذا، فقال له جعفر: من أكرمك فأكرمه، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه) (٧) (٨).

قال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة ... واللؤم مقرون بذي الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا ... وترى اللئيم مجانب الإنصاف ...

---

(١) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١/ ٢٨٣).

(٢) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (٢١٠)

(٣) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١/ ٢٨٧).

(٤) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١/ ٢٨٥).

(٥) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة (١/ ٢٨٥).

(٦) ((العقد الفريد)) (٢/ ٢٧٩).

(٧) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (٢١٣)

(٨) بعض هذه الأسباب مستفادة من كتاب ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي. بتصرف.". [١]

٢١-" (باب حسن العهد) ". [٢]

٢٢-"[١٢٨٩] (ث ٣٦٥) عن عبد الله قال : ما يزال المسروق منه يتظنى حتى يصير أعظم من السارق

صحيح الإسناد.

[١٢٩٠] (ث ٣٦٦) عن بلال بن سعد الأشعري أن معاوية كتب إلى أبي الدرداء اكتب إلي فساق دمشق فقال ما لي وفساق دمشق ومن أين أعرفهم فقال ابنه بلال أنا أكتبهم فكتبهم قال من أين علمت ما عرفت أنهم فساق إلا وأنت منهم ابدأ بنفسك ولم يرسل بأسمائهم

ضعيف الإسناد موقوف ، فيه عبد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، مجهول.

٦٢٣- باب حلق الجارية والمرأة زوجها

[١٢٩١] (ث ٣٦٧) عن سكين بن عبد العزيز بن قيس عن أبيه قال دخلت على عبد الله بن عمر وجارية تحلق الشعر وقال النورة ترق الجلد

ضعيف الإسناد ، عبد العزيز هذا مجهول الحال.

٦٢٤- باب نتف الإبط

[١٢٩٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الفطرة خمس الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظفار)

صحيح . ((الإرواء)) (٧٣) : [خ : ٧٧. اللباس ، ٦٣. باب قص الشارب . م : ٢. الطهارة ح ٤٩ و ٥٠]

[١٢٩٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (خمس من الفطرة الختان وحلق العانة وتقليم الأظفار ونتف الضبع وقص الشارب)

ضعيف ، شاذ بلفظ: ((الضبع)) . ((الضعيفة)) (٦٣٥٠) ، والمحفوظ بلفظ ((الإبط)).

[١٢٩٤] (ث ٣٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه : (خمس من الفطرة تقليم الأظفار وقص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة والختان)

صحيح الإسناد موقوفا ، والأصح المرفوع الذي قبله بحديث .

٦٢٥- باب حسن العهد

[١٢٩٥] عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وأنا يومئذ غلام أحمل عضو البعير فأتته امرأة فبسط لها رداءه قلت من هذه قيل هذه أمه التي أرضعته

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية ١٩٩/١

(٢) الأدب المفرد ص/٤٤٠

ضعيف الإسناد ، عمارة هذا مجهول :] د: ٤٠ . ك الأدب ١٢٠. ب في بر الوالدين، ح ٥١٤٤[
٦٢٦- باب المعرفة". [١]

٢٣-" ٤٠ – حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق الصغاني ثنا أبو عاصم ثنا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه و سلم و هو عندي فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : من أنت ؟ قالت : أنا جثامة المزنية فقال : بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت و أمي يا رسول الله فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ فقال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة و إن حسن العهد من الإيمان

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة و ليس له علة

تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرطهما وليست له علة ". [٢]

٢٤-"٣٧- حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني سفيان الثوري (ح) وأخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بمرو ، حدثنا أحمد بن سيار ، وحدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ، أنبأنا يوسف بن يعقوب ، قالا : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : ما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما حتى دعاهم .

هذا حديث صحيح من حديث الثوري ، ولم يخرجاه ، وقد احتج مسلم بأبي نجيح والد عبد الله واسمه يسار ، وهو من موالي المكيين .

وقد روي عن علي بن أبي طالب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ، واتفقا جميعا على إخراج حديث عبد الله بن عون ، كتبت إلى نافع مولى عبد الله بن عمر أسأله عن القتال قبل الدعاء فكتب إلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق الحديث ، وفيه وكان الدعوة قبل القتال.

٣٨- حدثنا علي بن حمشاذ العدل ، حدثنا هشام بن علي السيرافي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن سلمة بن أبي الحسام ، حدثنا محمد بن المنكدر ، سمع ربيعة بن عباد الدؤلي يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة ، يقول : يا أيها الناس ، إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا . قال : ووراءه رجل ، يقول : يا أيها الناس ، إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ، فسألت من هذا الرجل ؟ قيل : أبو لهب .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ورواته عن آخرهم ثقات أثبات ، ولعلهما أو واحدا منهما يوهم أن ربيعة بن عباد ليس له راو غير محمد بن المنكدر ، وقد روى عنه أبو الزناد عبد الله بن ذكوان هذا الحديث بعينه.

٣٩- أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان الجلاب ، بهمدان ، حدثنا أبو حاتم الرازي ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ،

---

(١) الأدب المفرد بالتعليقات ص/٢٩٨

(٢) المستدرك ٦٢/١

حدثنا ابن أبي الزناد ، أخبرني أبي ، حدثني ربيعة بن عباد الدؤلي ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية بسوق ذي المجاز وهو يقول : يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا قال : يرددها مرارا والناس مجتمعون عليه يتبعونه ، وإذا وراءه رجل أحول ذو غديرتين وضيء الوجه يقول : إنه صابئ كاذب ، فسألت : من هذا ؟ فقالوا : عمه أبو لهب . وإنما استشهدت بعبد الرحمن بن أبي الزناد اقتداء بهما فقد استشهدا جميعا به.

٤٠- حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا صالح بن رستم ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت : جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي ، فقال : لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ قالت : أنا جثامة المزنية ، فقال : بل أنت حسانة المزنية ، كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فلما خرجت قلت : يا رسول الله ، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ فقال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة وليس له علة.". (١)

٢٥-" ٢٣ - حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن عن ابن أبي نجيح عن عائشة قالت : دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم امرأة فأتي رسول الله صلى الله عليه و سلم بطعام فجعل يأكل من الطعام ويضع بين يديها فقلت : يا رسول الله لا تغمر يديك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد أو حفظ العهد من الإيمان) ولما ذكر خديجة أخذني ما يأخذ النساء من الغيرة فقلت : يا رسول الله قد أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال : (ما ذنبي أن رزقها الله مني الولد ولم يرزقك) قلت : والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير ". (٢)

٢٦-"الثناء، فقلت: ما تذكر منها وقد أبدلك الله بها خيرا؟ قال:ما أبدلني الله بها خيرا منها، صدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها.

١٨٥٥٧ - حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، ثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الواحد بن أيمن، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة، قالت: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام، فجعل يأكل من الطعام ويضع بين يديها، فقلت: يا رسول الله، لا تغمر يديك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد، أو حفظ العهد من الإيمان، ولما ذكر خديجة أخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فقلت: يا رسول الله، قد أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال:ما ذنبي أن رزقها الله مني الولد، ولم يرزقك؟ قلت: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير.

---

(١) المستدرك ٤٠٥ ١٥/١

(٢) المعجم الكبير ١٤/٢٣

١٨٥٥٨ - حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا حجاج بن المنهال، ثنا حماد بن سلمة، ثنا ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أن جبريل كان مع النبي صلى الله عليه وسلم،". (١)

٢٧-" باب ٧٠ ما جاء في حسن العهد ". (٢)

٢٨-"٢٠١٦- حدثنا محمود بن غيلان ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول : سألت عائشة ، عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح.

هذا حديث حسن صحيح وأبو عبد الله الجدلي اسمه عبد بن عبد ويقال عبد الرحمن بن عبد.

٧٠- باب ما جاء في حسن العهد

٢٠١٧- حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، وما بي أن أكون أدركتها وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وإن كان ليذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن.

هذا حديث حسن صحيح غريب.". (٣)

٢٩-"٨٧٠١ - أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد، نا محمد بن -[٣٧٩]- يونس، نا أبو عاصم، نا صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: " من أنت؟ " قالت: جثامة المزنية قال: " بل أنت حنانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ " قالت: بخير بأبي أنت، وأمي يا رسول الله، قالت: فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: " يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن ﷺحسن العهد من الإيمان ". "كذا وجدته، وقال غيره في الحديث: جثامة المزنية، قال: " بل أنت حسانة المزنية ". أخرجته في كتاب الإيمان". (٤)

٣٠-"٨٧٠٢ - أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أنا أبو علي الرفا الهروي، أنا أبو بكر أحمد بن -[٣٨٠]- إسحاق بن الفضل العطار المروزي، نا سلم بن جنادة، نا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فيكرمها، فقلت: يا رسول الله، من هذه؟ قال: " هذه كانت تأتينا زمان خديجة، وإن

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣٢٠/١٦

(٢) سنن الترمذي ٣٦٩/٤

(٣) سنن الترمذي -طبعة بشار -ومعها حواشي ٤٣٧/٣

(٤) شعب الإيمان ٣٧٨/١١

ﷺحسن العهد من الإيمان ". "كذا وجدته، وهو بهذا الإسناد غريب "". (١)

٣١-" ٩١٢٢ - أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد نا محمد بن يونس نا أبو عاصم نا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : لها من أنت ؟ قالت : جثامة المزنية قال : بل أنت حنانة المزنية كيف أنتم كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت و أمي يا رسول الله قالت : فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال : يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة و إن حسن العهد من الإيمان كذا وجدته و قال : غيره في الحديث جثامة المزنية قال : بل أنت حسان المزنية أخرجته في كتاب الإيمان ". (٢)

٣٢-" ٩١٢٣ - أخبرنا أبو نصر بن قتادة أنا أبو علي الرفا الهروي أنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن الفضل العطار المروزي نا سلم بن جنادة نا حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت تأتي النبي صلى الله عليه و سلم امرأة فيكرمها فقلت : يا رسول الله من هذه ؟ قال : هذه كانت تأتينا زمان خديجة و إن حسن العهد من الإيمان

كذا وجدته وهو بهذا الإسناد غريب ". (٣)

٣٣-"٢١- باب وضع الصبي في الحجر.

٦٠٠٢- حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام قال : أخبرني أبي ، عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع صبيا في حجره يحنكه فبال عليه فدعا بماء فأتبعه.

٢٢- باب وضع الصبي على الفخذ.

٦٠٠٣- حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عارم ، حدثنا المعتمر بن سليمان يحدث ، عن أبيه ، قال : سمعت أبا تميمة يحدث ، عن أبي عثمان النهدي يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد ، رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول اللهم ارحمهما فإني أرحمهما.

٦٠٠٣م- وعن علي قال : حدثنا يحيى ، حدثنا سليمان ، عن أبي عثمان قال التيمي فوقع في قلبي منه شيء قلت حدثت به كذا وكذا فلم أسمعه من أبي عثمان فنظرت فوجدته عندي مكتوبا فيما سمعت.

٢٣- باب حسن العهد من الإيمان.

٦٠٠٤- حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت ما غرت

---

(١) شعب الإيمان ٣٧٩/١١

(٢) شعب الإيمان ٥١٧/٦

(٣) شعب الإيمان ٥١٧/٦

على امرأة ما غرت على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب وإن كان ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها.

٢٤- باب فضل من يعول يتيما.

٦٠٠٥- حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، قال : حدثني عبد العزيز بن أبي حازم ، قال : حدثني أبي قال : سمعت سهل بن سعد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعيه السبابة والوسطى.

٢٥- باب الساعي على الأرملة.

٦٠٠٦- حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، قال : حدثني مالك ، عن صفوان بن سليم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل.

٦٠٠٦ م- حدثنا إسماعيل ، قال : حدثني مالك ، عن ثور بن زيد الديلي ، عن أبي الغيث مولى ابن مطيع ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله". (١)

٣٤-"٦٠٠٣ - حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عارم حدثنا المعتمر بن سليمان يحدث عن أبيه قال سمعت أبا تميمة يحدث عن أبي عثمان النهدي يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى (الآخر) ثم يضمهما ثم يقول اللهم ارحمهما فإني أرحمهما * وعن علي قال حدثنا يحي حدثنا سليمان عن أبي عثمان قال التيمي فوقع في قلبي منه شيء قلت حدثت به كذا وكذا فلم أسمعه من أبي عثمان فنظرت فوجدته عندي مكتوبا فيما سمعت

باب حسن العهد من

الإيمان

٦٠٠٤ - حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها

باب فضل من يعول يتيما

٦٠٠٥ - حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثني عبد العزيز بن أبي حازم قال حدثني أبي قال سمعت سهل بن سعد". (٢)

٣٥-"باب حسن العهد من الإيمان

٦٠٠٤ - حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على

---

(١) صحيح البخاري . حسب ترقيم فتح الباري ٨/١٠

(٢) صحيح البخاري (الطبعة الهندية) ص/٣٠٣٥

امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها". (١)

٣٦-" ٢٣ - باب حسن العهد من الإيمان ". (٢)

٣٧-" ٧٨ - (٢٤٣٧) حدثنا سويد بن سعيد حدثنا على بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال اللهم هالة بنت خويلد فغرت فقلت وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت من الدهر فأبدلك الله خيرا منها

[ش (فعرف استئذان خديجة) أي صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة بذلك (فارتاح لذلك) أي هش لمجيئها وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب (حمراء الشدقين) معناه عجوز كبيرة جدا حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقيها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيهما حمرة لثاتها] ". (٣)

٣٨-" ٩٧١ - أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبي أبنا أحمد بن محمد بن زياد ثنا محمد بن يونس ثنا الضحاك بن مخلد ثنا صالح بن رستم عن بن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : وذكر حديثا وفيه إن حسن العهد من الإيمان ". (٤)

٣٩-" (٦٢٨ إن حسن العهد من الإيمان) ". (٥)

٤٠-"٧٧٤ - نا محمد، نا الضحاك بن مخلد، نا صالح بن رستم، -[٤٠٢]- عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنت؟» قالت: أنا جثامة المزنية قال: «بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله قالت: فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ قال: «ﷺإنها كانت تأتينا زمن خديجة،

---

(١) صحيح البخاري ت ١٨٣/١٥

(٢) صحيح البخاري-ن ٢٢٣٦/٥

(٣) صحيح مسلم-ن ١٨٨٩/٤

(٤) مسند الشهاب ١٠٢/٢

(٥) مسند الشهاب ١٠٢/٢

وإن حسن العهد من الإيمان»". (١)

"هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان

قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع الوفاء والإخلاص

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه (١)

وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاء خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين (٢)

فمن الوفاة للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على بركما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف من بعد إن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما

وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه

وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين

ولذلك قال ابن المبارك ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض

ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ووجود الحاجة هو الحسد

ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم

قال الشاعر

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك

---

(١) معجم ابن الأعرابي ٤٠١/١

وقال بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير

وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلا ببغداد ثم إن أخاه ولى السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات

اذهب فودك من فؤادي طالق ... أبدا وليس طلاق ذات البين

فإن ارعويت فإنها تطليقة ... ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتنعت شفعتها بمثالها ... فتكون تطليقين في حيضين

وإذا الثلاث أتتك مني بتة ... لم تغن عنك ولاية السيبين

---

(١) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة

(٢) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لعجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان أخرجه الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة." [١]

"ومن جوامع آدابها

٥٩ – ما: سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول: سمعت أبا الحسين الوراق يقول: قال: سألت أبا عثمان عن الصحبة فقال: " الصحبة مع الله بحسن الأدب، ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بملازمة العلم واتباع السنة، والصحبة مع الأولياء بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الإخوان بالبشر والانبساط وترك الإنكار عليهم، ما لم يكن خرق شريعة أو هتك حرمة. قال الله تعالى لنبيه: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية. والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة، ورؤية نعمة الله عليك حيث –[٦٦]– لم يجعلك مثلهم، والدعاء لهم ليعافيهم الله من بلاء الجهل " ومن آدابها: حفظ المودة القديمة، والأخوة الثابتة كذلك

٦٠ – روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «إن الله تعالى يحب حفظ الود القديم»

٦١ – وإن امرأة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأدناها، فقيل له في ذلك فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»

٦٢ – أنا محمد بن عبد الله الشيباني، ببغداد قال: أنا محمد بن سعيد البرجمي قال: أنا سعيد بن عثمان التنوخي قال: أنا

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٨٧/٢

محمد بن ثمال الصنعاني قال: أنا عبد المؤمن -[٦٧]-، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمثل معناه." (١)

"حفظ المودة والأخوة

ومنها حفظ المودة القديمة والأخوة الثابتة، لقوله عليه السلام: (إن الله يحب حفظ الود القديم) ؛ ودخلت امرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدناها، فقيل له في ذلك، فقال: (إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان؛

وقال محمد المغازلي رحمه الله: (من أحب أن تدوم له المودة، فليحفظ مودة إخوانه القدماء) ولبعضهم:

ما ذاقت النفس على شهوة ... ألذ من حب صديق أمين

من فاته ود أخ صالح ... فذلك المغبون حق اليقين

ولبعض الحكماء من السلف: (عاشروا الناس، فإن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم) .." (٢)

"فتندم إذ لا تنفعنك ندامة ... كما ندم المغبون لما تفرقا

وقال آخر:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي أصم وأذني غير صماء

والثامن من أسبابه: الخوف من العقوبة على الجواب. وهذا يكون من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم. وقد قيل في منثور الحكم: الحلم حجاب الآفات. وقال الشاعر:

ارفق إذا خفت من ذي هفوة خرقا ... ليس الحليم كمن في أمره خرق

والتاسع من أسبابه: الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة. وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد، وقد قيل في منثور الحكم: أكرم الشيم أرعاها للذمم. وقال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة ... واللؤم مقرون بذي الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا ... وترى اللئيم مجانب الإنصاف

والعاشر من أسبابه: المكر وتوقع الفرص الخلفية. وهذا يكون من الدهاء. وقد قيل في منثور الحكم: من ظهر غضبه قل كيده. وقال بعض الأدباء: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله. وقال بعض الحكماء: إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عقابا. وقال إياس بن قتادة:

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

وقال بعض الشعراء:

وللكف عن شتم اللئيم تكرما ... أضر له من شتمه حين يشتم

---

(١) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ص/٦٥

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة الغزي، أبو البركات ص/٣٢

فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم. وبعض الأسباب أفضل من بعض. وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولا ما يقتضي أن تكون نتيجته من الحلم مذمومة. وأما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه، وإن." [١]

"ديباجا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط، أطيب من ريح أو عرف النبي صلى الله عليه وسلم"١!!.

ولك أن تتصور الذوق والأدب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم -على سبيل المثال- في الجوانب الآتية:

-لين جانبه صلى الله عليه وسلم وتواضعه، ومباسطته للناس، وملاطفته وممازحته لهم.

-صدقه. -عفافه. -حياؤه. -مشاورته لأصحابه.

-إفشاؤه السلام، سواء على الكبير والصغير، أومن يعرف ومن لا يعرف.

-شكره للمعروف، وحفظه للجميل، وحسن العهد.

-طيب كلامه، وحسن فعاله، ولطف تصرفاته، وسمو مقاله.

-نظافته، وطهارته، وطيب رائحته.

-ابتعاده عن كل نقيصة من نقائص الأخلاق وخوارم العدالة والمروءة التي ربما لا يسلم منها بعض الحريصين على السمو وتحاشي مساوئ الأخلاق!!.

- لقد كان على مكارم الأخلاق في أحواله كلها: في الرضا والغضب، والسرور والحزن، والرخاء والشدة، ومع الكبير والصغير، والقريب والبعيد، والصديق والعدو:

* لقد اجتمع فيه ما تفرق في الناس من الفضائل!

* لقد كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويغضب لغضبه!

* لقد كان على خلق عظيم صلى الله عليه وسلم وبذلك وصفه ربه عز وجل!.

فهو الأسوة الحسنة في أقواله وأفعاله وسائر أحواله لكل من رام أن يكون على الخلق القويم، ولكل من أراد أن يكون على الصراط المستقيم في الدنيا وفي الآخرة!.

---

١ البخاري المختصر برقم ١٤٩٣، ص٣٣٤.." [٢]

"المؤمنين " [المائدة / ٥٤]، وكيف تكون ذليلا على المؤمنين وأنت لا تعفو عنهم؟!!

إخوتاه ..

من الواجبات الضرورية للمسلم على أخيه " الوفاء "، فإذا هجرك أخوك أو أساء إليك فلا تنسى سابق إحسانه.

عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو عندي. فقال لها رسول الله - صلى الله عليه

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٢٥٥

(٢) الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها عبد الله الرحيلي ص/١٧٢

وسلم – من أنت؟ قالت أنا جثامة المزنية، فقال: بل أنت حسانة المزنية، كيف كنتم؟ كيف حالكم؟ كيف أنت بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال. فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان (١).

وتقول أمنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان النبي إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما. فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها.

قال: ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء (٢).

فالمقصود أن الوفاء مطلوب، وهو من المعاني المفقود ـ أيضا ـ في حياة المسلمين في هذا الزمان.

قال الإمام الشافعي: احفظ وداد من عاملك لحظة، ولا تنس جميل من أفادك لفظة. هذا هو الوفاء حقا اللهم اجعلنا من عبادك الأوفياء.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٥ – ١٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في الصحيحة (٢١٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١١٧)، وقصة غيرتها ثابتة في الصحيحين وغيرهما ......" [١]

"كتاب الآداب

لابن شمس الخلافة

جعفر بن محمد بن مختار الأفضلي

باب الحكمة من النثر

قال الله تعالى: "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا". وقال رسوله صلى الله عليه وسلم: "نعم الهدية الكلمة من كلام الحكمة" وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: "الحكمة ضالة المؤمن، فاطلب ضالتك ولو في أهل الشرك".

وقال عليه السلام: "من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار".

وقال بعض الحكماء: تحتاج القلوب إلى أقواتها من الحكمة، كما تحتاج الأجسام إلى أقواتها من الطعام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصدقة جهد المقل، وأسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله، وأصبر الناس من لا يفشي سره إلى صديق له مخافة التقلب يوما، وأعجز الناس المفرط في طلب الإخوان، وأعز الأشياء أخ يوثق بعقده ويسكن إلى غيبه".

وقال عليه الصلاة والسلام: "انظروا إلى من هو دونكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢١٦

عليكم".

وقال عليه الصلاة والسلام: "لو أن الرجل كالقدح المقوم لقال الناس فيه لو ولولا".

وقال صلى الله عليه وسلم: "أقيلوا ذوي المروآت عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله تعالى".

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من لم يتأمل الأمور بعين عقله، لم يقع سيف حيلته إلا على مقاتله. وقيل له ما الكرم؟ فقال الاحتيال للمعروف، وترك التقصي عن الملهوف.

وقال علي السلام: "انتهزوا هذه الفرص فإنها تمر مر السحاب، ولا تطلبوا أثرا بعد عين".

وقال: الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك.

وقال: إذا أقبلت الدنيا على رجل، أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عن رجل، سلبته محاسن نفسه.

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عكرمة بن أبي جهل – وهو عامله على عمان – إياك أن توعد على معصية بأكثر من عقوبتها، فإنك إن فعلت أثمت، وإن لم تفعل كذبت.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما عاقبت من عصى الله فيك، بمثل أن تطيع الله فيه.

وقال: لا حرمة للنائحة، لأنها تأمر بالجزع، وقد نهى الله عنه؛ وتنهى عن الصبر وقد أمر الله به؛ وتبكي شجو غيرها وتأخذ الأجرة على دمعها؛ وتحزن الحي؛ وتؤذي الميت.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من لم يستحي من العيب؛ ويرعوي عند الشيب؛ ويخشى الله بظهر الغيب، فلا خير فيه.

وقال علي بن الحسن رضي الله عنهما: هلك من ليس له حكيم يرشده، وذل من ليس له سفيه يعضده.

من المأثور عن الحكماء

وقال أفلاطون الحكيم: الدليل على ضعف الإنسان أنه ربما أتاه الخير من حيث لا يحتسب، والشر من حيث لا يرتقب.

وقال: لا تطلب سرعة العمل؛ واطلب تجويده؛ فإن الناس لا يسألون في كم فرغ؛ وإنما ينظرون إلى إتقانه وجود صنعته.

وقال: إذا أعجبك ما يتواصفه الناس مما ظهر من محاسنك، فانظر فيما بطن من مساويك، ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من معرفة الناس بك.

وقال: ينبغي للعاقل أن يكون رقيبا على نفسه، فيستعظم خطأه ويستصغر خطأه ويستصغره صوابه، لأن الصواب داخل في شرط إنسانيته، والخطأ مغير لما استقر في نفوس الناس منه.

وقال: حبك للشيء ستر بينك وبين مساويه، وبغضك له ستر بينك وبين محاسنه.

وقال: إذا أنجزت ما وعدت، فقد أحرزت فضيلتي الجود والصدق.

وقال: مودة الرأي ما تموت ومودة الهوى ما تبقى.

وقال: إذا أغضبك صديق لك فقد أجراك في مضمار يعرف منك فيه حسن العهد، وجميل الوفاء؛ فمهما أشرفت عليه من عيوبه وسقطاته فلا تطل لشيء من ذلك عليه.

وقال: لا تستصغرن عدوك فيقتحم عليك المكروه من زيادة مقداره على تقديرك.

وقال: من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك، فقد ذمك بما ليس فيك من القبيح، وهو ساخط عليك.

وقال: الأشرار يتبعون مساوي الناس ويتركون محاسنهم، كما يبتغي الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيحة.

وقال: لاتعتب [أن] أذم فيه ما مدحته أو أمدح فيه ما ذممته، وذلك يوم ظفر الهوى فيه بالرأي والجهل بالعقل.

وقال: لا تعادوا الدول المقبلة وتشربوا أنفسكم استثقالها فتدبر بإقبالها.." [1]

"١٨٢ - أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا أبو عاصم، حدثنا صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنت؟» فقالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال، فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن ﷺحسن العهد من الإيمان»." [2]

"١٢٩٤ - (ث ٣٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه: (خمس من الفطرة تقليم الأظفار وقص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة والختان)

صحيح الإسناد موقوفا ، والأصح المرفوع الذي قبله بحديث.

٦٢٥- باب حسن العهد

١٢٩٥ - عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وأنا يومئذ غلام أحمل عضو البعير فأتته امرأة فبسط لها رداءه قلت من هذه قيل هذه أمه التي أرضعته

ضعيف الإسناد ، عمارة هذا مجهول: [د: ٤٠ ـ ك الأدب ١٢٠. ب في بر الوالدين، ح ٥١٤٤]." [3]

"ﷺباب حسن العهد." [4]

"الحديث الطويل فيهم، وأن كل واحد منهم قال في صالح عمله: " اللهم إن كنت قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرج في دعوة كل واحد شئ منها، وانفرجت كلها عقب دعوة الثالث، فخرجوا يمشون ".

قلت: أغبق بضم الهمزة وكسر الباء: أي أسقي.

وقد قال القاضي حسين من أصحابنا وغيره في صلاة الاستسقاء كلاما معناه: أنه يستحب لمن وقع في شدة أن يدعو

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/١

(٢) الآداب للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٧٤

(٣) الأدب المفرد بالتعليقات البخاري ص/٧٣١

(٤) الأدب المفرد مخرجا البخاري ص/٤٤٠

بصالح عمله، واستدلوا بهذا الحديث، وقد يقال: في هذا شئ لأن فيه نوعا من ترك الافتقار المطلق إلى الله تعالى، ومطلوب الدعاء الافتقار، ولكن ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا الحديث ثناء عليهم، فهو دليل على تصويبه (صلى الله عليه وسلم)

فعلهم، وبالله التوفيق.

فصل:

ومن أحسن ما جاء عن السلف في الدعاء، ما حكي عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر: ألستم مقرين بالإساءة؟ قالوا: بلى، فقال: اللهم إنا سمعناك تقول: (ما على المحسنين من سبيل) [التوبة: ٩١] وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟ اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا.

وفي معنى هذا أشدوا:

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما وقع العفو

(باب رفع اليدين في الدعاء ثم مسح الوجه بهما)

١٢٠٧ - روينا في كتاب الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: "كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه (١) .

١٢٠٨ - وروينا في سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (صلى الله عليه وسلم) نحوه، وفي إسناد كل واحد ضعف.

وأما قول الحافظ عبد الحق رحمه الله تعالى: إن *

= بفعلها، ويترك ذلك لله تعالى خالصا، وفي الحديث أيضا فضل بر الوالدين، وفيه جواز الاجارة، وفيه حسن العهد، وأداء الامانة، والسماحة في المعاملة، وفيه إثبات كرامات الاولياء، وغير ذلك من الفوائد التي استنبطها العلماء.

(١) قال الحافظ ابن حجر في " بلوغ المرام ": وله شواهد، منها عند أبي داود من حديث ابن عباس، وغيره، ومجموعها يقضي بأنه حديث حسن.

(*)".[(١)]

"قال أبو عبيد: فإن قال لك قائل: فما هذه الأجزاء الثلاثة وسبعون؟ قيل له: لم تسم لنا مجموعة فنسميها ، غير أن العلم يحيط أنها من طاعة الله وتقواه ، وإن لم تذكر لنا في حديث واحد ، ولو تفقدت الآثار لوجدت متفرقة فيها ، ألا تسمع قوله في إماطة الأذى ، وقد جعله جزءا من الإيمان؟ وكذلك قوله في حديث آخر: الحياء شعبة من الإيمان ، وفي الثالث: الغيرة من الإيمان ، وفي الرابع: البذاذة من الإيمان ، وفي الخامس: حسن العهد من الإيمان فكل هذا من فروع

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/٣٩٨

الإيمان ، ومنه حديث عمار: ثلاث من الإيمان: الإنفاق من الإقتار ، والإنصاف من نفسك ، وبذل السلام على العالم ثم الأحاديث المعروفة عند ذكر كمال الإيمان ، حين قال: أي الخلق أعظم إيمانا؟ " فقيل: الملائكة ، ثم قيل: نحن يا رسول الله ، فقال: بل قوم يأتون بعدكم ، فذكر صفتهم ومنه أيضا قوله: إن أكمل ، أو ، من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم." [1]

"(خ حم) ، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (كان غلام من اليهود يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض، " فأتاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعوده) (١) (وهو بالموت) (٢) (فقعد عند رأسه) (٣) (فدعاه إلى الإسلام ") (٤) (فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم ثم مات، " فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عنده وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار) (٥) (وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: صلوا على أخيكم ") (٦)

الشرح (٧)

---

(١) (خ) ١٢٩٠

(٢) (حم) ١٣٣٩٩ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٣) (خ) ١٢٩٠ ، (د) ٣٠٩٥

(٤) (حم) ١٣٣٩٩ ، (خ) ١٢٩٠

(٥) (حم) ١٣٣٩٩ ، (خ) ١٢٩٠

(٦) (حم) ١٣٧٦٢ ، وصححها الألباني في الإرواء: ٢٤٨٠

(٧) في الحديث جواز استخدام المشرك، وعيادته إذا مرض، وفيه حسن العهد، واستخدام الصغير، وعرض الإسلام على الصبي ، ولولا صحته منه ما عرضه عليه ، وفي قوله " أنقذه بي من النار " دلالة على أنه صح إسلامه، وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب. فتح الباري (ج ٤ / ص ٤٢٧)." [2]

"حسن العهد من الإيمان

(ك) ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جاءت عجوز إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو عندي، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " من أنت؟ " ، قالت: أنا جثامة المزنية ، قال: " بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ ، كيف حالكم؟ ، كيف كنتم بعدنا؟ " ، فقالت: بخير ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قالت عائشة: فلما خرجت قلت: يا رسول الله ، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ ، فقال: " إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان " (١)

---

(١) الإيمان للقاسم بن سلام - مخرجا أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ص/١٧

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٦٨/١

(١) (ك) ٤٠ ، انظر صحيح الجامع: ٢٠٥٦ ، الصحيحة: ٢١٦." [1]

"٩٣ - أن الحياء من الأيمان.

٩٤ - وأن حسن العهد من الإيمان.

٩٥ - وإن للإيمان عرى، وأوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله.." [2]

"باب

٦٥- حدثنا الحسن بن رشيق، قال: حدثنا علي بن سعيد، قال: حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة، قال: حدثنا حفص بن غياث، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فيكرمها. فقلت: يا رسول الله! من هذه؟ قال: هذه امرأة كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.." [3]

"٤٠ - حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا أبو عاصم، ثنا صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي، فقال: لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنت؟» قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، ﷺوإن حسن العهد من الإيمان» . «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة وليس له علة» K40 - على شرطهما وليست له علة." [4]

"٢٣ - حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، ثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الواحد بن أيمن، عن ابن أبي نجيح، عن عائشة، قالت: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام، فجعل يأكل من الطعام ويضع بين يديها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يديك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة، وإن ﷺحسن العهد، أو حفظ العهد من الإيمان» ، ولما ذكر خديجة أخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فقلت: يا رسول الله قد أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: " ما ذنبي أن رزقها الله مني الولد، ولم يرزقك؟، قلت: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير." [5]

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد   صهيب عبد الجبار ٤/١٣٩

(٢) الحجة في بيان المحجة   إسماعيل الأصبهاني ٢/١٦٠

(٣) الغوامض والمبهمات لعبدالغني بن سعيد   عبد الغني الأزدي ص/١٨٥

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم   الحاكم، أبو عبد الله ١/٦٢

(٥) المعجم الكبير للطبراني   الطبراني ٢٣/١٤

"سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون

ثنا محمد ثنا الزبير حدثني محمد بن حسن حدثني إبراهيم بن محمد الثوباني عن محمد بن يزيد بن مهاجر بن قنفذ أن عجوزا سوداء دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فحياها وقال كيف أنت وكيف حالكم فلما خرجت قالت عائشة يا رسول الله ألهذه السوداء تحيي وتصنع ما أرى قال إنها كانت تغشانا في حياة خديجة وإن حسن العهد من الإيمان

ونا محمد ثنا الزبير حدثني سليمان بن عبد الله حدثني شيخ من أهل مكة قال: هي أم زفر ماشطة خديجة

ثنا محمد ثنا الزبير حدثني محمد بن الحسن عن مروان بن معاوية عن وائل بن داود عن عبد الله البهي قال أطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة من عنب الجنة." (١)

"١٧- وأخبرنا أبو علي الرفا، ثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن الفضل العطار المروزي، ثنا سلم بن جنادة، ثنا حفص بن غياث، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فيكرمها، فقلت: يا رسول الله، من هذه؟ قال: ((هذه كانت تأتينا أزمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان)) .

قال: فنظمته وقلت:

روت لنا عن رسول الله عائشة ... قالت جزاها إله الخلق غفرانا

كانت تزور رسول الله إمرأة ... يبرها جهده فضلا وإحسانا

فقلت من هذه؟ قال النبي لها ... هاتيك كانت تزور البيت أحيانا

تأتي خديجة ترعى حق جارتها ... وتلك تعرف حسن العهد إيمانا.." (٢)

"لعل الذي أبلى بحبك يا فتى ... يردك لي يوما إلى أحسن العهد

ثم تغافلت أهل المجلس وألقت إليه المنديل

قال فما هو إلا أن قرأت الشعر حتى وجدت في قلبي من أمرها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم أزل أعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تعلم فعسر ذلك فعرفتها ما قد عزمت عليه من ابتياعها فأعانتني على ذلك حتى ملكتها فلم أوثر عليها أحدا من حرمي وأهلي ولا كان عندي شيء يعدلها فتوفيت فأنا لا عيش لي ولا سرور فوالله ما لبث بعد هذا الكلام إلا أياما يسيرة حتى مات أسفا عليها وكمدا فدفن إلى جانبها

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أنبأنا جعفر بن أحمد بن السراج وأنبأنا ابن الحصين قالا أنبأنا أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قال أنبأنا أبو العباس أحمد بن منصور اليشكري قال أنبأنا أبو القاسم الصائغ بإسناد له عن ابن الأشدق قال كنت أطوف بالبيت فرأيت شابا تحت الميزاب قد أدخل رأسه في كسائه يئن كالمحموم فسلمت فرد ثم قال من أين قلت من البصرة قال وراجع إليها قلت نعم قال إذا دخلت النباج فاخرج إلى الحي ثم ناد يا هلال تخرج إليك جارية تنشدها هذا

---

(١) المنتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن بكار ص/٣٤

(٢) المنظوم والمنثور من الحديث البوشنجي، أبو الحسين ص/٥٤

البيت

وقد كنت أهوى أن تكون منيتي ... بعينيك حتى تنظري ميت الحب ومات مكانه

فلما دخلت النباج أتيت الحي فناديت يا هلال يا هلال فخرجت إلي جارية لم أر أحسن منها قالت ما وراءك قلت شاب بمكة أنشدني هذا البيت قالت وما صنع قلت مات فخرت مكانها ميتة." [1]

"أطع أبا القاسم، فاسلم، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه بي من النار" (١).

٦ - باب المشي في العيادة (٢)

٣٠٩٦ - حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعودني ليس براكب بغل ولا برذون (٣).

---

(١) إسناده صحيح. ثابت: هو ابن أسلم البناني.

وأخرجه البخاري (١٣٥٦) و (٥٦٥٧)، والنسائي في "الكبرى" (٨٥٣٤) من طريق سليمان بن حرب، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه النسائي في "الكبرى" (٧٤٥٨) من طريق عبد الله بن جبر، عن أنس.

وهو في "مسند أحمد" (١٢٧٩٢)، و"صحيح ابن حبان" (٢٩٦٠) و (٤٨٨٣) و (٤٨٨٤).

وفي هذا الحديث جواز استخدام غير المسلم، وعيادته إذا مرض، وفيه حسن العهد، واستخدام الصغير، وعرض الإسلام على الصبي، ولولا صحته منه، لما عرضه عليه، وفي قوله: "أنقذه بي من النار" دلالة على أنه صح إسلامه.

(٢) هذا التبويب أثبتناه من هامش (هـ) ورمز لها بعلامة: صح.

(٣) إسناده صحيح. سفيان: هو ابن سعيد الثوري.

وأخرجه البخاري (٥٦٦٤)، ومسلم (١٦١٦)، والترمذي (٤١٨٧)، والنسائي في "الكبرى" (٧٤٥٩) من طريق سفيان الثوري، به. لكن لفظ الثوري عند مسلم: عادني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا مريض وأبو بكر، وهما ماشيين.

وأخرجه البخاري (٤٥٧٧)، ومسلم (١٦١٦)، والنسائي في "الكبرى" (١١٠٢٥) من طريق ابن جريج، والبخاري (٥٦٥١)، و (٦٧٢٣) و (٧٣٠٩)، ومسلم (١٦١٦)، وابن ماجه (١٤٣٦) و (٢٧٢٨) والنسائي في "الكبرى" (٧٤٥٦) و (٦٢٨٨) و (١١٠٦٩) =." [2]

"٧٠ - باب ما جاء في حسن العهد." [3]

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٥٣٣

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ١٤/٥

(٣) سنن الترمذي ت بشار الترمذي، محمد بن عيسى ٤٣٧/٣

"باب ما جاء في حسن العهد." (١)

"ذكر تعاهد المصطفى صلى الله عليه وسلم أصدقاء خديجة بالبر بعد وفاتها

٧٠٠٦ - أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه

عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة يقول: "اذهبوا بذي إلى أصدقاء خديجة" قالت: فأغضبته يوما، فقال صلى الله عليه وسلم: "إني رزقت حبها" "١". [٣: ٨]

"١" إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير سهل بن عثمان العسكري الحافظ، فمن رجال مسلم.

وأخرجه مسلم "٢٤٣٥""٧٥" في فضائل الصحابة: باب فضائل خديجة أم المؤمنين، عن سهل بن عثمان، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري "٣٨١٨" في مناقب الأنصار: باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها، والبغوي "٣٩٥٦" من طريق محمد بن الحسن الأسدي، والترمذي "٢٠١٧" في البر والصلة: باب ما جاء في حسن العهد، عن أبي هشام الرفاعي، كلاهما عن حفص بن غياث، به. وقال الترمذي: حسن غريب صحيح.." (٢)

"باب: حسن العهد من -[٩]- الإيمان." (٣)

"٧٨ - (٢٤٣٧) حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «ﷺاللهم هالة بنت خويلد» فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرا منها

S [ش (فعرف استئذان خديجة) أي صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة بذلك (فارتاح لذلك) أي هش لمجيئها وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب (حمراء الشدقين) معناه عجوز كبيرة جدا حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقيها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيهما حمرة لثاتها]." (٤)

"""كلمة الحكمة ضالة كل حكيم."

"القناعة مال لا ينفد."

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر   الترمذي، محمد بن عيسى ٣٦٩/٤

(٢) صحيح ابن حبان - محققا   ابن حبان ٤٦٧/١٥

(٣) صحيح البخاري   البخاري ٨/٨

(٤) صحيح مسلم   مسلم ١٨٨٩/٤

"استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك".

"الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم".

"المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه".

"شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع".

"أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك".

"لا إيمان لمن لا، أمانة له ولا دين لمن لا عهد له".

"حسن العهد من الإيمان".

"جمال الرجل فصاحة لسانه".

"منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا".

"لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحشة أشد من العجب".

"الذنب لا ينسى، والبر لا يبلى، والديان لا يموت، فكن كما شئت".

"كما تدين تدان".

"الظلم ظلمات يوم القيامة".

"ما جمع شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم".

"التمسوا الرزق في خبايا الأرض".

"كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور".

"العفو لا يزيد العبد إلا عزا، والتواضع لا يزيده إلا رفعة".

"ما نقص مال من صدقة".

"صنائع المعروف تقي مصارع السوء".

"صلة الرحم تزيد في العمر".

"اللهم إني أسألك واقية كواقية الوليد".

"اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر".." (١)

"أورد ابن حبان رحمه الله تعالى في روضة العقلاء عن محمد بن المنكدر قال نعم العون على تقوى الله الغني.

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى في روضة العقلاء عن عبدان قال دخلت على عبد الله المبارك وهو يبكي فقلت له مالك يا أبا عبد الرحمن قال بضاعة لي ذهبت قال قلت أو تبكي على المال قال إنما هو قوام ديني.

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى في روضة العقلاء عن أيوب قال: قال لي أبو قلابة يا أيوب الزم سوقك فإنك لا تزال كريما على إخوانك ما لم تحتج إليهم.

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٨١/١

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى في روضة العقلاء عن أيوب قال: قال لي أبو قلابة الزم السوق فإن الغنى من العافيه.

(٢٧) التحلي بفضيلة الوفاء بالوعد:

قال ابن مفلح رحمه الله تعالى في الآداب الشرعية:

أثنى الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام فقال: ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ [مريم: ٥٤]. وذلك ؛ لأنه عانى في الوفاء بالعهد ما لم يعانه غيره.

(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

إن حسن العهد من الإيمان:

[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:

(إن حسن العهد) أي الوفاء والخفارة ورعاية الحرمة

(من الإيمان) أي من أخلاق أهل الإيمان ومن خصائلهم أو من شعب الإيمان ويكفي الموفي بالعهد مدحا وشرفا قول من علت كلمته والموفون بعهدهم إذا عاهدوا وقد [ص ٤٤٧] تظافرت على حسن العهد مع الإخوان والخلان أهل الملل والنحل وأعظم الناس وفاء بذلك ومحافظة عليه وإن تقادم عهده: الصوفية، وأنشد بحضرة العارف الشاذلي: رأى المجنون في البيداء كلبا * فجر له من الإحسان ذيلا * فلاموه لذاك وعنفوه وقالوا لم أنلت الكلب نيلا * فقال دعوا الملامة إن عيني * رأته مرة في حي ليلي فقال له كرر فلم يزل يتواجد وينتحب ثم قال جزاك الله خيرا يا بني على وفائك بعهدك إن حسن العهد من الإيمان والعهد لغة له معان منها حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال والمراد هنا عهد المعرفة المتقدمة.

من أقوال السلف في الوفاء بالوعد:

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن مكحول، قال: لا تعاهدوا السفيه ولا المنافق فما نقضوا من عهد الله أكبر من عهدكم.." (١)

"بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة. ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار ٧/ ١٨٣]."

٢٠ – باب قتل الولد خشية أن يأكل معه

(قلت: أسند فيه حديث ابن مسعود المتقدم برقم ١٨٤٧/ ج ٣).

٢١ – باب وضع الصبي في الحجر

(قلت: أسند فيه حديث عائشة المتقدم برقم ١٣٢/ ج ١).

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب   محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٤٦/١٠

٢٢ - باب وضع الصبي على الفخذ

٢٣١٩ - عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول:

"اللهم ارحمهما؛ فإني أرحمهما، (وفي رواية: أحبهما فإني أحبهما ٤/ ٢١٤) ".

٢٣ - باب حسن العهد من الإيمان (٨)

٢٣٢٠ - عن عائشة رضي الله عنها قالت:

ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، [وما رأيتها ٤/ ٢٣١]، ولقد

---

(٨) قلت: هذه الترجمة طرف حديث ترويه عائشة أيضا، وفيه أنه - صلى الله عليه وسلم - قال في عجوز رحب بها: "إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان". رواه الحاكم، وهو مخرج في "الصحيحة" تحت الحديث رقم (٢١٦).." [1]

"ومن ذلك: العفو عن الزلات، فإن كانت زلته في دينه فتلطف في نصحه مهما أمكن، ولا تترك زجره ووعظه، فإن أبى فالمصارمة:

الحق الخامس: الدعاء للأخ في حياته وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك.

وفى أفراد مسلم من حديث أبي الدرداء، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما

دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل".

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يدعو لخلق كثير من إخوانه يسميهم بأسمائهم. وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يدعو في السحر لستة نفر.

وأما الدعاء بعد الموت، فقال عمرو بن حريث: إذا دعا العبد لأخيه الميت، أتى بها ملك قبره، فقال: يا صاحب القبر الغريب، هذه هدية من أخ عليك شفيق.

الحق السادس: الوفاء والإخلاص، ومعنى الوفاء: الثبات على الحب إلى الموت، وبعد موت الأخ مع أولاده وأصدقائه، وقد أكرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عجوزا وقال: "إنها كانت تغشانا في أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان".

---

(١) مختصر صحيح الإمام البخاري ناصر الدين الألباني ٤/٦٦

ومن الوفاء أن لا يتغير على أخيه في التواضع وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه.

واعلم: أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الدين، فقد كان الشافعى رحمه الله آخى محمد بن عبد الحكم، وكان يقربه ويقبل عليه، فلما احتضر قيل له: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه فقال: إلى أبي يعقوب البويطى، فانكسر لها محمد، ومع أن محمدا كان قد حمل مذهبه، لكن البويطى كان أقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعى رحمه الله المسلمين وترك المداهنة، فانقلب ابن الحكم عن مذهبه، وصار من أصحاب مالك.

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا يصادق عدو صديقه.

الحق السابع: التخفيف وترك التكليف [والتكليف] (١)، وذلك أن لا يكلف أخاه

---

(١) زيادة من الإحياء." [١]

"نعليه، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه، وأبوه قاعد عند رأسه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " يا فلان، قل لا إله إلا الله "، فنظر إلى أبيه فسكت أبوه (١) . فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: " الحمد لله الذي أخرجه بي من النار " (٢)

١٢٧٩٣ - حدثنا مؤمل، حدثنا حماد بن زيد، (٣) حدثنا ثابت، عن أنس مثله (٤)

---

(١) لفظة "أبوه" ليست في (ظ ٤) .

(٢) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف، مؤمل -وإن كان سيئ الحفظ- متابع، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد -وهو ابن سلمة- فمن رجال مسلم. وسيأتي في الحديث التالي عن مؤمل، عن حماد بن زيد.

(٣) قوله: "ابن زيد" سقط من (م) و (س) و (ق) .

(٤) حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف كسابقه.

وأخرجه أبو يعلى (٣٣٥٠) وابن حبان (٢٩٦٠) و (٤٨٨٤) ، والخطيب في "تاريخه" ١٣٨/٤ من طرق عن حماد بن زيد، بهذا الإسناد.

وسيأتي برقم (١٣٣٧٥) و (١٣٩٧٨) عن يونس بن محمد، و (١٣٩٧٧) عن سليمان بن حرب، كلاهما عن حماد بن زيد.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٠٣

وسيأتي من طريق عبد الله بن جبر عن أنس برقم (١٣٧٣٦) .

وفي الباب عن بريدة الأسلمي عند ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٥٥٤) .

قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٢٢١/٣: في الحديث جواز استخدام المشرك، وعيادته إذا مرض، وفيه حسن العهد، واستخدام الصغير، وعرض الإسلام على الصبي، ولولا صحته منه ما عرضه عليه، وفي قوله: "أنقذه بي =." [(١)]

"ﷺإن حسن العهد من الإيمان." [(٢)]

"٩٧١ - أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبي، أبنا أحمد بن محمد بن زياد، ثنا محمد بن يونس، ثنا الضحاك بن مخلد، ثنا صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وذكر حديثا، وفيه ﷺإن حسن العهد من الإيمان»." [(٣)]

"١٦١- حدثنا أبو القاسم ابن البسري إملاء قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن هارون بن الصلت الأهوازي قال حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي قال حدثنا سلم بن جنادة قال حدثنا حفص عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فيكرمها فقلت له؟ فقال: إن هذه كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ".." [(٤)]

"فلذاتها مثل لمعان البرق ومصيبتها واسعة الخرق، سوت عواقبها بين سلطان الغرب والشرق، فما نجا منها ذو عدد، ولا سلم فيها صاحب عدد، مزقت الكل بكف البدد ثم ولت فما ألوت على أحد.

قال – صلى الله عليه وسلم – "سبعة يظلهم الله في ظله منهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله".

اسمع يا من أجاب عجوزا هتماء عمياء صماء جرباء سوداء شوهاء مقعدة على مزبلة ولكن غلبت عليك محبتها عرضت على النبي – صلى الله عليه وسلم – بطحاء مكة ذهبا فأبى أن يقبلها. – صلى الله عليه وسلم –

ما هذه الدنيا بدار مسرة ... فتخوفي مكرا لها وخداعا

بينا الفتى فيها يسر بنفسه ... وبماله يستمتع استماعا

حتى سقته من المنية شربة ... وحمته فيه بعد ذاك رضاعا

فغدا بما كسبت يداه رهينة ... لا يستطيع لما عرته دفاعا

لو كان ينطق قال من تحت الثرى ... فليحسن العمل الفتى ما استطاعا

مواعظ ونصائح وحكم

٢٠٤- الجهل مطية من ركبها ذل والجهل داء قاتل وهو أشد من الفقر وجواب الجاهل السكوت.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة   أحمد بن حنبل ١٨٧/٢٠

(٢) مسند الشهاب القضاعي   القضاعي ١٠٢/٢

(٣) مسند الشهاب القضاعي   القضاعي ١٠٢/٢

(٤) مشيخة قاضي المارستان   قاضي المارِسْتان ٦٤٩/٢

٢٠٥- الحرص رأس الفقر وهو محقرة ومن علامات الشقاوة والحريص فقير ولو كثر ملكه.

٢٠٦- حسن العهد من الإيمان وحسن اللقاء والبشاشة يولدان الألفة." (١)

ج"

شعرا: ... تواضع لرب العرش علك ترفع

فما خاب عبد للمهيمن يخضع

وداو بذكر الله قلبك إنه

لأشفى دواء للقلوب وأنفع

آخر: ... تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع ...

... ولا تك كالدخان يرفع نفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع ... ›

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت)) .

وعن بن أبي أوفى قال كان رسول الله لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجته وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت يا رسول الله إن لي إليك حاجة قال: ((يا أم فلان خذي في أي طريق شئت قومي حتى أقوم معك)) . فخلا معها رسول الله يناجيا حتى قضى حاجتها.

وقالت عائشة رضي الله عنها كنت أرى امرأة تدخل على النبي وكان يقبل عليها بحفاوة فشق ذلك علي فعلم ذلك مني فقال: ((يا عائشة هذه كانت تغشانا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان)) .

قلت: ولله در القائل:

... وإن أولى الموالي أن تواليه ... عند السرور الذي واساك في الحزن ...

... إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن ... ›

وعن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي ذر قالا: كان رسول الله يجلس." (٢)

"قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة علي رسول الله فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال اللهم هالة قالت: فغرت. ... الحديث.

وفي الاستيعاب لأبي عمر ج ص ١٨١٠ بسنده إلي عائشة قالت: جاءت عجوز إلي النبي فقال لها من أنت قالت أنا جثامة المزنية: قال بل أنت حسانة المزنية: كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل علي هذه العجوز هذا الإقبال قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ١٢/٣

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٩٢/٤

الإيمان: مقابلة طيبة وملاطفة جميلة وتودد محمود ووفاء من النبي لزوجته خديجة التي ماتت وطالما أيدته وخففت عنه وسلته وعاشرته وتبادل هو وإياها المودة ولم تكدر خاطره ولا مرة واحدة عكس ما عليه زوجات هذا الجيل المنحرف إلا النادرة.

وأخرج أبو داود ج٢ ص ٦٣ أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها نصف ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام له رسول الله فأجلسه بين يديها.

وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة: آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني إذ حرمني الناس ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء وكان جميع أولاده عليه السلام منها عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية وتوفيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وحزن عليها حزنا." (١)

١-" (ألا قل لذات الخال يا صاح في الخد ... تدوم إذا بانت على أحسن العهد)

(ومنها علامات بمجرى وشاحها ... وأخرى تزين الجيد من موضع العقد)

(وترعى من الود الذي كان بيننا ... فما يستوي راعي الأمانة والمبدي)

(وقل قد وعدت اليوم وعدا فأنجزي ... ولا تخلفي لا خير في مخلف الوعد)

(وجودي علي اليوم منك بنائل ... ولا تبخلي قدمت قبلك في اللحد)

(فمن ذا الذي يبدي السرور إذا دنت ... بك الدار أو يعنى بنأيكم بعدي)

(دنوكم منا رخاء نناله ... ونأيكم والبعد جهد على جهد)

(كثير إذا تدنوا اغتباطي بك النوى ... ووجدي إذا ما بنتم ليس كالوجد)

(أقول ودمعي فوق خدي مخضل ... له وشل قد بل تهتانه خدي)

(لقد منح الله البخيلة ودنا ... وما منحت ودي بدعوى ولا قصد)

أخبرني محمد بن خلف قال وحدثت عن المدائني ولست أحفظ من حدثني به قال طافت ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود وأمها ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب بالكعبة فرآها الحارث بن خالد فقال فيها

(أطافت بنا شمس النهار ومن رأى ... من الناس شمسا بالعشاء تطوف)

(أبو أمها أوفى قريش بذمة ... وأعمامها إما سألت ثقيف)

وفيها يقول

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤/٣٨٧

(أمن طلل بالجزع من مكة السدر ... عفا بين أكناف المشقر فالحضر) ". [١]

٢-" (لحا الله فودي مسرف وابن عمه ... وآثار نعلي مسرف حيث أثرا)

(مررت على ربعيهما فكأنني ... مررت بجبارين من سرو حميرا)

ويروى تضيفت جبارين

(على أن ذا العليا عمارة لم أجد ... على البعد حسن العهد منه تغيرا)

(حباني ببرديه وعنس كأنما ... بنى فوق متنيها الوليدان قهقرا) - طويل -

وقال أبو عمرو الشيباني خاصمت امرأة من بني مرة سهية أم أرطاة بن سهية وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه فاستطالت عليها المرأة وسبتها فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها فجاء قومه ولاموه وقالوا له مالك تدخل نفسك في خصومات النساء فقال لهم

(يعيرني قومي المجاهل والخنا ... عليهم وقالوا أنت غير حليم)

(هل الجهل فيكم أن أعاقب بعدما ... تجوز سبي واستحل حريمي)

(إذا أنا لم أمنع عجوزي منكم ... فكانت كأخرى في النساء عقيم) ". [٢]

٣-"""""""" صفحة رقم ٢١١ """"""""

وقال صلى الله عليه وآله : ' حسن العهد من الإيمان ' ؛ قال هذا في امرأة كانت تغشاه في منزل عائشة ، فكأنها وجدت في نفسها من ذلك . فقال عليه السلام : ' إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان ' : دل بهذا القول على حفظ الحالة السالفة ومراعاة من شوهد ، وحث أيضا على جميع ما كان موصولا به قريبا منه ، لأن اللفظ مطلق إطلاقا ، وفي ضمنه إيضاح عن حسن الخلق ، وقد قال عليه السلام : ' إن أحدكم ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم ' . وكيف لا يقول هذا وقد قاله الله عز وجل ' وإنك لعلى خلق عظيم ' . ٦٥١ ب - سمعت القاضي أبا حامد يقول : لما نهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبء الرسالة ، وأدى ما فيها من حق الأمانة ، وبلغ الحد فيما رسمه التكليف وورد به الأمر ، أمره الله عز وجل بأشياء تكميلا لشأنه ودلالة على فخامة أمره فقال ' خذ العفو ' وقال ' فإذا الذي". [٣]

٤-"" الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى " . " نية المؤمن خير من عمله " . " آفة العلم النسيان " . " إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا " . " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " . " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه " . " أنزلوا الناس منازلهم " . " ما قل وكفى خير مما كثر وألهى " . " من ضمن لي ما بين فكيه، ضمنت له الجنة " . " اليد العليا

---

(١) الأغاني ٣/٣٢٨

(٢) الأغاني ١٣/٤٧

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع ٧/٢١١

خير من اليد السفلى " . " ما عال من اقتصد " . " ما أملق تاجر صدوق " . " من مات غريبا مات شهيدا " . " المؤمنون عند شروطهم " . " مطل الغني ظلم " . " يد الله مع الجماعة " . " الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد " . " الرغب شؤم " . " لا جباية إلا بحماية " . " تهادوا تحابوا " . " الهدية مشتركة " . " الهدية تسل السخيمة " . " القلوب تتشاهد " . " خير الصحابة أربعة: الجار، ثم الدار، والرفيق، ثم الطريق " . " من غشنا فليس منا " . " ترك الشر صدقة " . " سيد القوم خادمهم " . " الحياء شعبة من الإيمان " . " لا تطرقوا الطير في أوكارها، فإن الليل أمان " . " من بدا جفا " . " من اتبع الصيد غفل " . ؟تخيروا لنطفكم " . " حدث عن البحر ولا حرج " . " ابدأ بنفسك ثم بمن تعول " . " المجالس بالأمانة " . " خير الأمور أوساطها " . " من أتى السلطان فتن " . "كل ميسر لما خلق له " . " لا تمسح يدك بثوب من لم تكسه " . " اطلبوا الخير عند حسان الوجوه " . " إياك وما يعتذر منه " . " حسن العهد من الإيمان " . " الوحدة خير من جليس السوء " . " السعيد من اتعظ بغيره " . " استعينوا على الحوائج بالكتمان " . " الخير عادة والشر لجاجة " . " البركة في البكور " . " بلوا أرحامكم ولو بسلام " . " اليمين حنث أو مندمة " . " الندم توبة " . " لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا " . " الندم توبة " . " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " . " ما هلك امرؤ عرف قدره " . " من كثر سواد قوم فهو منهم " . " إليك انتهت الأماني يا صاحب العافية " . " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " . " انتظار الفرج بالصبر عبادة " . " لا تطرحوا الدر في أفواه الكلاب " . " الأعمال بخواتيمها " . " ساقي القوم آخرهم شربا " . " احترسوا من الناس بسوء الظن " . " المرء على دين خليله، فلينظر امرؤ من يخال " . "كاد الفقر أن يكون كفرا " . " لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف " . " نعم صومعة الرجل بيته " . " المستشير معان، والمستشار مؤتمن " . " ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن " . " المرء كثير بأخيه " . " لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له " .

أنموذج ينخرط في سلك الأمثال من كلام الصحابة

والتابعين رضي الله تعالى عنهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: صنائع المعروف تقي مصارع السوء. الموت أهون مما بعده، وأشد مما قبله. ليست مع العزاء مصيبة. ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر. ولما بلغه أن الفرس ملكت عليها بنت أبرويز قال : ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة. إن الله قرن وعده بوعيده، ليكون العبد راغبا راهبا.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كتم سره كان الخيار في يده. اتقوا من تبغضه قلوبكم. أشقى الولاة من شقيت به رعيته. أعقل الناس أعذرهم للناس. لا تؤخر عمل يومك لغدك. اجعلوا الرأس رأسين، وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم. أبت هذه الدراهم إلا أن تخرج أعناقها. لي على كل خائن أمينان لا يخونان: الماء والطين. تكثروا من العيال، فإنكم لا تدرون بمن ترزقون. لو كان الشكر والصبر بعيرين، ما باليت أيهما أركب. من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه. ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع. لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفا. مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا. قلما أدبر شيء فأقبل. إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى.

عثمان ذو النورين رضي الله عنه: ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن. أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال.

قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه. يكفيك من الحاسد أنه يغتم يوم سرورك.". [١]

٥-"كأني وشبلا لم نبت ليلة معا ... ولم نصطحب خدنين قبل التفرق

ولم نتماحض صادق الود بيننا ... ولم نبتعد يوما لخير فنلتقي

حليم إذا ما الجهل أنصل نبله ... وحص أثيث الريش عن كل أفوق

سجيه حلم صاغها الله شيمة ... فتمت على ما قال غير التخلق

آخر:

ومن يتخذ جلى إخائك جنة ... وممتنعا لا تلقه الدهر معورا

آخر:

وقد كنت جارا للشباب وصاحبا ... فكيف ولم أغدر به ملء جانبي

وغني على ما فات منه لقائل ... عليك السلام من خليل وصاحب

آخر:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضا ليدفع معورا عن معور

آخر:

ذهب الذين إذا رأوني مقبلا ... هشوا وقالوا: مرحبا بالمقبل

وبقيت في خلف كأن حديثهم ... ولغ الكلاب تهارشت في منهل

آخر:

ألا ربما كان الشفيق مضرة ... عليك من الإشفاق وهو ودود

قالت عائشة: كنت أرى امرأة تدخل على النبي صلى الله عليه وآله، وكان يقبل عليها بحفاوة فشق ذاك علي فعلم ذاك مني فقال: يا عائشة هذه كانت تغشانا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.

وأروي هنا ذراوة من كلام أرباب الحذق والخرق فإن فيه فائدة حسنة لا أرى الإضرار عنه، والإخلال به.

سمعت ابن السراج الصوفي يقول: قلت لأبي الحسن البوشنجي: من أصحب؟ قال: من يصفو كدرك بصفائه، ولا يكدر صافيك بكدره.

وقلت لغلام ابن بابويه القمي: من أعاشر؟ فقال: من إذا أحسنت قال: الحمد لله الذي وفق هذا لم أرى، وإذا أسأت قال: الحمد لله الذي لم نبله بأشد مما أرى.

وقال أبو المتيم الرقي: قلت لابن الموله: من أخلص إليه، وأشتمل بسري وعلانيتي عليه قال: من إذا لم يكن لنفسك كان

---

(١) التمثيل والمحاضرة ص/٨

لك، وإذا كنت لنفسك كان معك، يجلو صدأ جهلك بعلمه، ويحسم مادة غيك برشده، وينفي عنك غش صدرك بنصحه، اصحب من إن قلت صدقك، وإن سكت عذرك، وإن بذلت شكرك، وإن منعت سلم لك، قلت يا سيدي من لي بمن هذا نعته؟ قال: كن أنت ذاك تجدك على ذاك، ويجدك مثلك على ذاك، كأنك إنما تحب أن يكون غيرك لك، ولا تحب أن تكون أنت لغيرك.

وقيل لبرهان الصوفي: من الصديق؟ قال: يا هذا من بضع نصفه معدوم عليك فاطلب من يسعك بخلقه، ويؤنسك بنفسه، ويواسيك من قليله، إن رضي عنك لم يغلظك، وإن سخط عليك لم يمقتك، يبدي لك خيره لتقتدي به، ويواري عنك شره لئلا تستوحش منه، فأما من تكون مثال نفسه في كل حال تلون به الدهر، وهم صدره في كل أمر، يقلب به الليل والنهار، يقدم حظك على حظه، ولا يسارق النظر بلحظه، ولا يغلظ القول بلفظه، ولا يتغير لك في غيبه، ولا يحول عما عهدته في شهادته، يعانق مصلحتك بالاهتمام، ويثبت قدمك عند الإقدام والإحجام فذاك شيء قد سد الناس دونه كل باب، وقصر الطمع فيه عن كل قاب، فليس له شبح إلا في الوهم، ولا خيال إلا في التمني والسلام.

وقلت لجعفر بن حنظلة: من أصحب؟ قال: أخطأت، قل لي من لا أصحب، فإني إن حصرت لك من لا تصحب فقد أرشدتك إلى من تصحب، فإني إن حصرت لك من لا تصحب فقد أرشدتك إلى من تصحب، قال: فمن لا أصحب؟ قال: لا تصحبني ولا تصحب من كان مثلي، وما زادني على هذا، ولحقني من هذا الكلام كرب وصرف الزما، فرأيته بمدينة السلام سنة ثمان وخمسين وهو متوجه إلى الحج فقلت له: أيها الشيخ لقد جرحت سري بكلامك في وقت كذا وكذا، ولعلك ذاكر مما كان هناك، قال: أردت بتنفيرك مني إغراءك بي، وهذا من خدع المشايخ للمريدين.". [١]

٦-" له عند الوقوف إلا من تبحر في الوقوف على الأخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركنا من أركان الكتاب في الفصل التاسع

ومن ذلك ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوخمة فقلت ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينة مجموع لها بين حر مكة ولأواء المدينة إلا أنها لم يأمن حرمها في الخطفة ولا نقلت حماها إلى الجحفة

في هذه الكلمات القصار آية من القرآن الكريم وخبران من الأخبار النبوية فالآية من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وهذا موضع يختص بالأخبار لا بالآيات غير أن الآية جاءت ضمنا وتبعا وأما الخبران فالأول منهما قول النبي (من صبر على حر مكة ولأواء المدينة ضمنت له على الله الجنة) وأما الثاني فقوله في دعائه للمدينة (اللهم حببها إلينا كما حببت إلينا مكة وانقل حماها إلى الجحفة)

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكلمات حتى تعلم أن عدتها مصوغة من الآية والخبرين سواء بسواء وهذا طريق لو ادعيت الانفراد بسلوكه لما اختلف علي في الاعتراف به اثنان

---

(١) الصداقة والصديق ص/٥٢

ومن ذلك ما كتبته في كتاب إلى بعض الإخوان جوابا عن كتاب ورد وكان كتابه تأخر عني زمانا طويلا فقلت ولما تأملته ضممته إلي والتزمته ثم استلمته والتثمته وعلمت أن المعارف وإن قدمت أيامها أنساب وشيجة وتأسيت بالخلق النبوي في العجوز التي كانت تأتي في زمن خديجة

وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها وهو أنها قالت كان رسول الله يذبح الشاة فيعضيها أعضاء ويقسمها في أصدقاء خديجة وكانت تأتيه عجوز فيكرمها ويبسط لها رداءه فسألته عن ذلك فقال (هذه كانت تأتينا في زمن خديجة وحسن العهد من الإيمان) ". [١]

٧-"والطباع الطباع لست ترى في ... ها نبوا ولا اختلاف

ومن اختصه الإله بخير ... فهو فيه من دارج أو آت

نعم لا بأس بذكر الماضي من صلحاء الإخوان، والحنين إلى الأوطان، وإن ذلك يعد من حسن العهد، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخلت عليه امرأة فأكرمها وقال: " إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان " .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، وذلك من كثرة ما كان يذكرها صلى الله عليه وسلم.

وقيل لبعض الحكماء: بم تعرف وفاء الرجل وذمام عهده دون تجربة واختبار؟ فقال بحنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وتلهفه على ما مضى من زمانه.

وعن الأصمعي قال: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وذمام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه وكان سيدنا بلال – رضي الله عنه – ينشد:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقد تقدم شيء من هذا قبل.

وقال أبو العباس بن العريف – رضي الله عنه – :

ما زلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم ... لحظي وسمعي ونطقي إذ هم أنسي

حلوا الفؤاد فما أندى ولو قطنوا ... صخرا لجاد بماء منه منبجس

وفي الحشا نزلوا والوهم يجرحهم ... فكيف قروا على أذكى من القبس

لأنهضن إلى حشري بحبهم ... لا بارك الله فيمن خانهم فنسي

" وقال غيره:

جسمي معي غير أن الروح عندكم ... فالجسم في غربة والروح في وطن

---

(١) المثل السائر ١٤٢/١

فليعجب الناس مني أن لي بدنا ... لا روح فيه ولي روح بلا بدن
وقال آخر:
راحوا فباتت راحتي من راحتي ... صفر وأضحى حبهم لي راحا
فتحوا على قلبي الهموم وأغلقوا ... باب السرور وضيعوا المفتاحا
وقال غيره:
يا راحلا وجميل الصبر يتبعه ... هل من سبيل إلى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفوني وهي دامية ... ولا وفى لك قلبي وهو يحترق
وقال غيره:
ليكفكم ما فيكم من جوى ألقى ... فمهلا بنا مهلا ورفقا بنا رفقا
وحرمة ودي لا سئمت هواكم ... ولا رمت لي منه فكاكا ولا عتقا
سأزجر قلبا رام في الحب سلوة ... وأهجره إن لم يمت فيكم عشقا
وقال غيره:
ما ناح في أعلى الغصون الهزار ... إلا تشوقت لتلك الديار
ولا سرى من نحوكم بارق ... إلا وأجريت الدموع الغزار
وا أسفي أين زمان الحمى؟ ... وأين هاتيك الليالي القصار؟
واحر قلبي فمتى نلتقي ... وتنطفي من داخل القلب نار
وأنظر الأحباب قد واصلوا ... ويأخذ الوصل من الهجر ثار
أقول للنفس ابشري باللقا ... قد واصل الحب وقر القرار "
وذكر في التشوف عن أبي شعيب السارية – رضي الله عنه – قال: كان إذا وقف على قبر شيخه أبي علي المسطاسي يقول: أي رجل دفن هاهنا! ما رأيت مثله وأنشد:
أسفا لأيام وإخوان مضوا ... ومنازل فارقتها مغلوبا
قلبت قلبي جمرة من بعدهم ... ولبست عيشي بعدهم مقلوبا
طالبت بعدهم الزمان بمثلهم ... فأجابني هيهات لا مطلوبا
وحكي أيضا عن أبي عمران الهسكوري الأسود أنه كان لا ترقأ له دمعة، فربما سئل عن كثرة بكائه فيقول: إنما أبكي على فقد من أدركته من الإخوان في الله عز وجل.
ويحكى أيضا عن أبي جعفر الأسود صاحب تاغزوت أنه كان يقول: أدركت ببلاد تادلا ثلاثمائة وسبعين رجلا صالحا كلهم يزارون، وأنشد:
فآها من الربع الذي غير البلى ... وواها من القوم الذين تفرقوا
أصون تراب الأرض كانوا حلولها ... وأحذر من مري عليها وأفرق

ولم يبق عندي للهوى غير أنني ... إذا الركب مروا بي على الدار أشهق". [1]

٨-"توكل على الله يكفك تأخير الإساءة من الإقبال.

تدارك في آخر عمرك ما فاتك في أوله.

تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان.

تفاءل بالخير تنله.

تأكيد المودة في الحرمة.

تغافل عن المكروه تظفر بترك الذنوب.

تزاحم الأيدي على الطعام بركة.

تواضع المرء بكرمه.

توقير الأكابر من الأدب.

حرف الثاء

ثلاث مهلكات: بخل وهوى وعجب.

ثلث الإيمان حياء، وثلثه عقل، وثلثه جود.

ثلمة الدين موت العلماء.

ثلمة الحرص لا يسدها إلا التراب.

ثني "كذا " إحسانك بالاعتذار.

ثوب السلامة لا يبلى.

ثبات الملك في العدل.

ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا.

ثبات النفس بالعدل "كذا " .

ثبات الروح بالغنى "كذا " .

ثناء الرجل على معطيه مستزيد "كذا " .

ثلاث خصال من لم تكن فيه لا خير فيه: دين يرشده، أو حياء يردعه، أو خوف يمنعه.

ثلاث من السعادة: سلامة الدين، وسلامة البدن، وسلامة الدنيا.

حرف الجيم

جد ما تجد.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب ص/٨٢

جهد المقل كثير.

جمال المرء في الحلم.

جليس السوء شيطان.

جولة الباطل ساعة، وجولة الحق إلى الساعة.

جودة الكلام في الاختصار.

جليس الخير غنيمة.

جليس المرء مثله.

جالس الفقراء تزدد شكرا.

جد بالكثير واقنع بالقليل.

حرف الحاء

حلم المرء عونه.

حسن الخلق غنيمة.

حلي الرجال الأدب، وحلي النساء الذهب.

حدة المرء تهلكه.

حرفة المرء كنزه.

حياء المرء ستره.

حرقة الأولاد، محرقة الأكباد.

حرم الوفاء على من لا أصل له.

حموضات الكلام، خير من حموضات الطعام.

حرف الخاء

خف الله تأمن غيره.

خالف نفسك تسترح.

خير الأصحاب من يدللك على الخير.

خليل المرء دليل عقله.

خوف الله يجلي القلوب.

خلو القلب خير من إملاء "كذا " الكيس.

خلوص الود، من حسن العهد.

خير النساء الولود الودود.

خير المال ما أنفق في سبيل الله.

خابت صفقة من باع الدين بالدنيا.

حرف الدال

دوام السرور بر الإخوان.

دولة الأرذال، آفة الرجال.

دار من جفاك تخجله.

دواء القلب الرضا بالمقدور.

دار الظالمين خراب.

دينار البخيل حجر.

دولة الملوك العدل.

دم على كظم الغيظ تحمد عاقبتك.

حرف الذال

ذم الشيء من الاشتغال به.

ذنب واحد كثير وألف حسنة قليلة.

ذكر الأولياء ينزل الرحمات.

ذكر الظالمين في طغيانهم.

ذل المرء في الطمع.

ذليل الفقر عند الله عزيز.

ذكر الشباب حسرة.

ذكر الموت جلاء القلب.

ذكر الثناء خسارة " ؟ " .

حرف الراء

راع أباك يراعك ابنك.

رتبة العلم أعلى الرتب.

رزقك يطلبك فاسترح.

راع النفس عند غلبات الحمق.

رؤية الحبيب جلاء العين.

رفاهية العيش في الأمن.

رسول الموت الولادة.

رواية الحديث نسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رفيق المرء دليل عقله.

راع الحق عند غلبات النفس.

رعونات النفس تتبعها "كذا " .

حرف الزاي

زر المرء على قد إكرامه لك.

زيارة الضعفاء من التواضع.

زيارة الحبيب تطري المحبة "كذا " .

زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا.

زلة العالم كبيرة.

زينة الباطن خير من زينة الظاهر.

زهد الغامي مضلة.

زن الرجال بموازينهم.

زحمة الصالحين رحمة.

زوال العلم بموت العلماء.

زكاة السلطان إغاثة الملهوف.

زيارة المحبوب تزيد المحبة.

حرف السين

سرورك بالدنيا غرور.

سيرة المرء تنبئ عن سريرته.

سلامة الإنسان، في حفظ اللسان.

سادة الأمة الفقهاء.

سوء الخلق وحشة لا خلاص منها.

سكرة الأحياء سوء الخلق.

سلاح الضعفاء الشكاية.

حرف الشين

شيبك ناعيك.

شرط الألفة، ترك الكلفة.

شفاء الجنان، قراءة القرآن.

شر الناس من تتقيه الناس خوفا من شره.

شحيح غني أفقر من فقير سخي.

شر الأمور أقربها من الشر.

شمر في طلب الجنة.

شح الغني عقوبة.

شمة "كذا " من المعرفة خير من كثير من العلم.

حرف الصاد

صدق المرء نجاته.

صحة البدن الصوم.

صاحب الأخيار تأمن من الأشرار.

صلاح الدين في الورع، وفساده في الطمع.

صبرك يورثك الظفر.

صلاح البدن في السكون.". (١)

٩-" والتفاوت الباب التاسع والعشرون في الشرف والسؤدد وعلو الهمة الباب الثلاثون في الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الأولياء والصالحين رضي الله عنهم أجمعين الباب الحادى والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات الأولياء رضي الله عنهم الباب الثاني والثلاثون في ذكر الأشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة الباب الثالث والثلاثون في الجود والسخاء والكرم ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف وذكر الأمجاد وأحاديث الأجواد الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الأكلة وما جاء عنهم وغير ذلك الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم إفشائه الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول الباب الأربعون في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصول الباب الحادى والأربعون في ذكر أسماء الشجعان ذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن الباب الثاني والأربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول الباب الثالث والأربعون في الهجاء ومقدماته الباب الرابع والأربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان الباب الخامس والأربعون في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الأولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الأنساب وفيه فصول الباب السادس والأربعون في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والألوان واللباس وما أشبه ذلك الباب السابع والأربعون في

(١) المحاضرات في اللغة والأدب ص/١٣٠

ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطبيب وما جاء في التختم الباب الثامن والأربعون في الشباب والشيب ". (١)

١٠-" الباب الثالث و العشرون

في محاسن الأخلاق ومساويها

قال الله تعالى لنبيه (وإنك لعلى خلق عظيم) فخص الله تعالى نبيه من كريم الطباع ومحاسن الأخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثني الله تعالى عليه بشيء من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضي لرضاه وكان الحسن رضي الله عنه إذا ذكر رسول الله قال أكرم ولد آدم على الله عز و جل أعظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويقول إنما أنا عبد اكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفيء حر هذا وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هذا يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيه من الدباء فإنها تشد قلب الحزين وكان يقول إذا طبختم الدباء فأكثروا من مرقها وكان يكتحل بالإثمد ولا يفارقه في سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط والإبرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضي الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب ". (٢)

١١-"وأقدم عليه رجل وقاح بالشكوى والصياح، وخرج من أمره أنه اشترى حمارا فخرج فيه عيب، فرفع ذلك إلى القاضي فرد حكمه إلى أهل السوق فأفتوا أنه عيب حديث قال: فألزموني به وأنا لا أريده، فقال: تجاوزت القاضي وأهل السوق إلى الخليفة في هذه المسألة الوضيعة، ثم أمر به فضرب، نودي عليه بذلك مجرسا، ورد رأسه إلى وزرائه، وقال: أعلمتم أن الأمير عبد الله جدي بنزوله للعامة في الحكم للمرأة في غزلها، والحمال في ثمن ما يحمله، والدلال في ثمن ما ينادي عليه، أضاع كبار الأمور ومهماتها، والنظر في حروبه، ومداراة المتوثبين عليه، حتى اضطرمت جزيرة الأندلس، وكادت الدولة ألا يبقى لها رسم. وأي مصلحة في نظر غزل امرأة ينظر فيه أمين سوق الغزل، وإضاعة النظر في قطع الطرق وسفك الدماء وتخريب العمران؟!. وكان حاجبه موسى بن حدير على ذكائه يقول: ما رأيت أذكى منه، كنت والله آخذ معه في الشيء تحليقا على سواه، حتى أخرج إليه، فيسبقني لمرادي، ويعلم ما بنيت عليه تدبيري. وكان له عيون على ما قرين وبعد، وصغر، وكبر، وكان معروفا بحسن العهد، وبذلك انتفع في استنزال المتغلبين.

قال الحجاري: ورفع للناصر أن تاجرا زعم أنه ضاعت له صرة فيها مائة دينار، ونادى عليها، واشترط أن يهب للآتي بها عشرة دنانير، فجاء بها رجل عليه سمة خير، ذكر أنه وجدها، فلما حصلت في يده قال: إنما كانت مائة وعشرة، وإن

---

(١) المستطرف ١٢/١

(٢) المستطرف ٢٥٦/١

العشرة التي نقصت منها أخذها الذي أتى بها، وأبى أن يدفع له ما شرط، فوقع الناصر: صدق التاجر والرجل الذي وجد المال، ولولا صدق الرجل ما أتى بشيء مجهول، فاردد عليه المائة، وناد على مال التاجر فإنه مائة وعشرة. فكان ذلك من ملحه.

وقال لقائد عساكره ابن أبي عبدة: إن استرسلت في الكلام معك بمحفل، فتعقبه في الخلوة، ومع ذلك فإنك ترى بالمشاهدة ما لا نراه، فلا ترجع عن مصلحة.

وقتل الناصر ابنه عبد الله ذبحا بيده، وقد بلغه أنه يريد قتله وأخذ الخلافة.

ابنه

الحكم المستنصر بالله

من الجذوة: كان له إذ ولي بعد أبيه سبع وأربعون سنة، وكان حسن السيرة، جامعا للعلوم، محبا لها، مكرما لأهلها، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من ملوك الأندلس قبله، وذلك بإرساله فيها إلى الأقطار واشترائه لها بأعلى الأثمان، ونفق عليه ذلك فحمل إليه. وكان قد رام قطع الخمر من الأندلس، وأمر بإراقتها، وتشدد في ذلك، وشاور في استئصال شجرة العنب، فقيل إنهم يعملونها من التين وغير ذلك. فوقف عما هم به.

ومن المسهب: توفي يوم الأحد لليلتين خلتا من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة، فكانت مدته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام.

وحكى ابن حيان: أن عدد الكتب التي كانت فهارس بأسماء الكتب التي اجتمعت في خزائنه أربعة وأربعون، في كل فهرست منها عشرون ورقة. ووجه لأبي الفرج الأصبهاني ألف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الأغاني؛ وباسمه طرز أبو علي البغدادي كتاب الأمالي، وعليه وفد، فأحمد وفادته. وأنشد من شعره قوله:

إلى الله أشكو من شمائل مترف ... على ظلوم لا يدين بما دنت

نأت عن داري، فاستزاد صدوده ... وإني على وجدي القديم كما كنت

ولو كنت أدري أن شوقي بالغ ... من الوجد ما بلغته لم أكن بنت

وأنشد له ابن حيان:

عجبت وقد ودعتها كيف لم أمت ... وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي

فيا مقلتي العبرى عليها اسكبي دما ... ويا كبدي الحرى عليها تقطعي!

وله غزوات وفتوح مدن. ومات بالفالج.

وكان حاجبه جعفر مولاه قبل جعفر المصحفي. قال ابن غالب وفي مدته ضرب الدينار الجعفري المشهور بالأندلس.

السلك

من كتاب مشارع الصفا في حلى الشرفا

بنو أمية بالأندلس يعرفون بالشرفاء، ونذكر منهم هنا أولي الفضل من السلالة الناصرية على نسق، وغيرهم ممن كان في مدتي الناصر والمستنصر.

عبد الله بن الناصر

من الجذوة: أن كان فقيها شافعيا، متنسكا، شاعرا، أخباريا، وأنشد له:

أما فؤادي فكاتم ألمه ... لو لم يبح ناظري بما كتمه

إليك عن عاشق بكى أسفا ... حبيبه في الهوى وما ظلمه

ظلت جيوش الهوى تقاتله ... مذ نذرت أعين الملاح دمه". (١)

١٢-"كل اكشوهنى فانه يحوي عشرة " انيكنى " و كل انيكنى فانه يشتمل على ثلاثة " جم " ، و كل جم على ثلاثة " برتن " ، و كل برتن على ثلاثة " باهن " ، و كل باهن على ثلاثة "كن " ، وكل كن على ثلاثة "كلم " ، و كل كلم على ثلاثة " سينامخ٥١٧ " ، و كل سينامخ على ثلاثة " بت " ، و في كل بت " رتو " واحد و هو المسمى في الشطرنج رخا ؛ و كانت اليونانيون يسمونها " مراكب القتال " ، و أول من احدثها عندهم " منقالوس " بمدينة " اثينية " و أهلها يزعمون أنهم اول من ركبوها ، و كان قبل ذلك ابدعها " افروذيسى " الهندي بمصر لما ملكها و ذلك بعد الطوفان بقريب من تسع مائة سنة ، و عملها بفرسين يجريانها ، و من اساطير اليونانيين : ان " ايفسطس " عشق ثم " انندبال " ثم " تروجنبال " ، قيل في سنة اثنتي عشرة واربع مائة للهجرة وابنه " بهيمبال " بعده بخمس سنين، وانقضت الشاهية الهندية ولم يبق من اهل ذلك البيت نافخ نار، وكانوا مع البسطة لهجين بالمكارم وحسن العهد والاصطناع ، ولقد استحسنت من انندبال مراسلته الامير محمود والحال بينهما في غاية الخشونة بأني سمعت خروج الترك عليك وانتشارهم بخراسان ، فأن شئت جئتك في خمسة آلاف ٥١٨فارس وضعفها رجاله ومائة فيلة وان شئت وجهت اليك بأبني في ضعف ذلك ، وليس في ٥١٩ذلك اعتداد بموقع ذلك عندك ، وانما انا كسيرك فلا اريد ان يغلبك غيري ، وكان هذا شديد البغض للمسلمين من لدن اسر ابنه وكان ابنه تروجنبال بخلافه.

ن - في ادوار الكواكب في كل واحد من "كلب " و " جترجوك "

ان شرائط كلب ان يكون الكواكب السيارة فيه مجتمعة في اول برج الحمل اعني نقطة الاعتدال الربيعية مع اوجاتها وجوزهراتها ، فيكون لكل واحد منها في ايام كلب ادوار تامة لا محالة ، وفي زيج الفزاري ويعقوب بن طارق تلك الادوار مستفادة عن الرجل الهندي الذي كان في جملة وفد السند على المنصور في سنة اربع وخمسين ومائة للهجرة ، واذا قسنا بينها وبين ما عليه الهند وجدنا بينهما خلافاتلست اعرف سببها ، اهو من نقل الرجلين ؟ ام هو من املاء الهندي ؟ ام هو من تصحيح " بهرمكوبت " او غيره لها ؟ فلا محالة ان من كان متيقظا يهمه ما يراه في الكواكب من اضطراب الحساب فيجتهد لتصحيحه مثل محمد بن اسحاق السرخسي، فانه وجد في حساب زحل تخلفا ودوام على الاعتبار حتى استيقن انه ليس من جهة التعديل ، ثم اخذ يزيد على ادواره دورا ويستقرئ الى ان وافق الحساب منها عيانه، فاثبتها كذلك في زيجة ، وحكى بهرمكوبت عن ارجبهد في ادوار اوج القمر وجوزهره خلافا نذكره كما حكى اذ لم نطالع ذلك الا تقليدا له ، وفي هذا

(١) المغرب في حلى المغرب ص/٤٦

الجدول جميع ذلك ليحاط به ان شاء الله تعالى : وهذه الادوار بالحركات الوسطى ، ولان جترجوك عشر عشر " كلب " عند " بهرمكوبت " فانا اذا اخذنا من كل واحد من هذه الادوار جزءا من الف جزء منه كان هو الحركة في جترجوك، كما انا اذا اخذنا بدل هذا الجزء جزءا من عشرة آلاف٥٢٠جزء منه كان هو بالحركة في "كلجوك " لأنه عشر جترجوك ، وكل ما انكسر بكسر فأن الجبارة تكون في تضاعيف مساوية لمخرج الكسر ان كان في جترجوك فجترجوكات وان كان في كلجوك فكلجوكات ، وقد وضعنا ذلك في جدول مفرد لهما دون المننترات وان وان حوت جترجوكات تامة فان " سند " المطيف بها يعسر العمل بها: وكما انا حصلنا حصتي " جترجوك٥٢١ " و "كلجوك٥٢٢ " من الادوار التي في "كلب " عند " برهمكوبت " فكذلك نحصل من الادوار التي " جترجوك " عند " بلس " الادوار التي تكون في "كلب " على انه الف جترجوك وعلى انه الف وثمانية ، ونضعها في هذا الجدول :". [1]

١٣-"لولاك كان روي شعري ظامئا

لا يطمع الراوون في إروائه

والفضل بين بنيه أوكد نسبة

فأغث كريما أنت من نسبائه

العصر العباسي >> عماد الدين الأصبهاني >> وأفاض في شكر العوارف عارفا

وأفاض في شكر العوارف عارفا

رقم القصيدة : ٥٢٧١٤

وأفاض في شكر العوارف عارفا

بقصور با ع الشكر عن نعمائه

و تأمل الخط الكريم فأشرقت

أنوار حسن العهد من أثنائه

وجرى معين الجود من تياره

وسرى نسيم المجد من تلقائه

أضحى ظهير الدين أفضل صاحب

يستمسك الراجي بصدق ولائه

والسعد في آلائه والنجح في

أرابه والنصر في آرائه

---

(١) تحقيق ما للهند ص/١٤٦

العصر العباسي >> عماد الدين الأصبهاني >> عبدك شمس الدولة المرتجى

عبدك شمس الدولة المرتجى

رقم القصيدة : ٥٢٧١٥

عبدك شمس الدولة المرتجى

منتظر تشريفك المذهبا

فاعتب صلاح الدين لي حالتي

عساه بالإصلاح أن يعتبا

عرفه ماثم فإني أري

من فضله للفضل أن يغضبا

وكيف يرضى ذاك بعض الرضا

ومجده يأباه كل الإبا

وقل له جاءته ملبوسة

تخلفت من تبع في سبا

عمامة رقت ورثت فما

نشرتها إلى وطارت هبا

العصر العباسي >> عماد الدين الأصبهاني >> إن أغبت خدماتي

إن أغبت خدماتي

رقم القصيدة : ٥٢٧١٦

إن أغبت خدماتي

فدعائي ما أغبا

وأخو الإغباب بالتخفيف

قد يزداد حبا

فأقل عثرة عبد

تاب إن قارف ذنبا

إنه أول من نادى

ندى المولى ولبى

شاب من عتبك للخوف

وإن أعتب شبا

العصر العباسي >> عماد الدين الأصبهاني >> ورثت من سلفي رقي لطاعته

ورثت من سلفي رقي لطاعته

رقم القصيدة : ٥٢٧١٧

ورثت من سلفي رقي لطاعته

وذلك الرق للأسلاف أحساب

ما كان لولا الرضا والسؤل منه لنا

خصب ومحل وإجداء وإجداب

قد قلت لولا التقى ما غير صارمه

للعمر والرزق مناع ووهاب

معمر بعمود الصبح بيتهم

له من الشهب أوتاد وأطناب

أبشر بفتح أمير المؤمنين أتى". [١]

١٤-"يهول حداة العيس جوب يباب

تغار الرياح السافيات بطارفي

فما إن تريم الركض حول هضاب

فإن سجع الركبان في بمدحة

حثثت في وجوه المادحين ترابي

ألم تعلموا أن الوفاء سجيتي

إذا شحطت داري وشط ركابي

سقاك كدمعي أو كجودك وابل

يقلد نحر الحوض در حباب

ولا برحت تهفو لمعهدك الصبا

ويسحب فيه المزن فضل سحاب

سواي يروع الدهر أو يستفزه

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور ١١/٤٣

بيوم فراق أو بيوم إياب

وغيري يثني الحرص ثني عنانه

إلى نيل رفد والتماس ثواب

تملأت بالدنيا الدنية خبرة

فأعظم ما بالناس أيسر ما بي

وأيقنت أن الله يمنع جاهدا

ويرزق أقواما بغير حساب

فيا ذل أذن همها إذن حاجب

ويا هون وجه خلف سدة باب

وقد كان همي أن تعاني مطيتي

ببعض نبات النيل خوض عباب

وأضحي ومحراب الدمى متهجدي

وأمسي وماء الرافدين شرابي

وتضحك من بغداد بيض قبابها

إذا ما تراءت بالسواد قبابي

ولكن قضاء يغلب العزم حكمه

ويضرب من دون الحجاب حجاب

يقولون لي حتى تندب فائتا

فقلت وحسن العهد ليس بعاب

إذا أنا لم آسف على زمن مضى

وعهد تقضى في صبا وتصاب

فلا نظمت در القريض قريحتي

ولا كانت الآداب أكبر دابي

العصر الأندلسي >> لسان الدين الخطيب >> دعاك بأقصى المغربين غريب

دعاك بأقصى المغربين غريب

رقم القصيدة : ٥٤٥٥٨

دعاك بأقصى المغربين غريب

وأنت على بعد المزار قريب

مدل بأسباب الرجاء وطرفه

غضيض على حكم الحياء مريب

يكلف قرص البدر حمل تحية

إذا ما هوى والشمس حين تغيب

لترجع من تلك المعالم غدوة

وقد ذاع من رد التحية طيب

ويستودع الريح الشمال شمائلا

من الحب لم يعلم بهن رقيب

ويطلب في جيب الجنوب جوابها

إذا ما أطلت والصباح جنيب

ويستفهم الكف الخضيب ودمعه". (١)

١٥-"وقفنا وللألحاظ في معرك النوى ... سهام غرام في القلوب وقوعها

ومنها:

وبيض أعاضتني نواها بمثلها ... ألا رب بيض لا يسر طلوعها

خلعت لها برد الصبا عن مناكبي ... وعفت الهوى لما علاني خليعها

وقوله كتبها إلى والده يتشوقه:

شوقي على طول الزما ... ن يزيد في مقداره

وجوى فؤادي لا يق ... ر وكيف لي بقراره

والقلب حلف تقلب ... وتحرق في ناره

والطرف كالطرف الغر ... يق يعوم في تياره

وتأسفي وتلهفي ... باق على استمراره

من ذا يرق لنازح ... عن أهله ودياره

لعب الزمان بشمله ... وقضى ببعد مزاره

فالسقم من زواره ... والهم من سماره

والصبر من أعدائه ... والدمع من أنصاره

وهمومه مقصورة ... أبدا على تذكاره

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور ٤٧/٥٥

وقوله إلى القاضي الأجل الأشرف ابن البيساني متولي الحكم بعسقلان:

لعل تحدر الدمع السفوح ... يسكن لوعة القلب القريح

وعل البرق يروي لي حديثا ... فيرفعه بإسناد صحيح

ويا ريح الصبا لو خبرتني ... متى كان الخيام بذي طلوح

فلي من دمع أجفاني غبوق ... تدار كؤوسه بعد الصبوح

وأشواق تقاذف بي كأني ... علوت بها على طرف جموح

ودهر لا يزال يحط رحلي ... بمضيعة ويرويني بلوح

كريم بالكريم على الرزايا ... شحيح حين يسأل بالشحيح

وأيام تفرق كل جمع ... وأحداث تجيز على الجريح

فيا لله من عود بعود ... ومن نضو على نضو طليح

وأعجب ما منيت به عتاب ... يؤرق مقلتي ويذيب روحي

أتى من بعد بعد واكتئاب ... وما أنكى الجروح على الجروح

وقد أسرى بوجدي كل وفد ... وهبت بارتياحي كل ريح

سلام الله ما شرقت ذكاء ... وشاق حنين هاتفة صدوح

على تلك الشمائل والسجايا ... وحسن العهد والخلق السجيح

على أنس الغريب إذا جفاه ال ... قريب ومحتد المجد الصريح

على ذي الهمة العلياء والمن ... ة البيضاء والوجه الصبيح

ومنها:

صفوح عن مؤاخذة الموالي ... وليس عن الأعادي بالصفوح

همام ليس يبرح في مقام ... كريم، أو لدى سعي نجيح

حديد الطرف في فعل جميل ... وقور السمع عن قول قبيح

مددت إليه يدي فشد أزري ... وذاد نوائب الدهر اللحوح

وفزت بوده بعد ارتياد ... ولكن صدني عنه نزوحي

وما أدركت غايته بنظمي ... ولو أدركت غاية ذي القروح

ولكني وقفت على علاه ... عتادي من ثناء أو مديح

وقوله من قصيدة:

إلام ألوم الدهر فيكم وأعتب ... وحتام أرضى في هواكم وأغضب

أما من خليل في الهوى غير خائن ... أما صاحب يوما على النصح يصحب

بأية عضو ألتقي سورة الهوى ... ولي جسد مضنى وقلب معذب

عذيري من ذكرى إذا ما تعرضت ... تعرض لاح دونها ومؤنب

ومنها:

أرى الدهر عونا للهموم على الفتى ... وضدا له في كل ما يتطلب

فأبعد شيء منه ما هو آمل ... وأقرب شيء منه ما يتجنب". (١)

١٦-"فهذا على ما ذكره صاحب قلائد العقيان، قريب الزمان من عصر أهلنا الأعيان، وحكى عنه أنه لما انفصل عن أمير المسلمين، اختار لمسكنه سلا، واعتقد أنه بمجاورة بني القاسم يتسلى، وكانت ولايتها إلى أبي العباس، ولأبي محمد لديه يد أنجته من نكبة تمت له من البؤس واليأس، فلما سار إليه لم يرفع له الرأس ولم يوله في حال الوحشة الإيناس، فنسبه فيه إلى قلة الوفاء، وحسبه من كثرة الجفاء،ة فكتب إليه أبو العباس يعتذر، بأنه من أمير المسلمين يحذر:

واحسرتا لصديق ما له عوض ... إن قلت من هو لا يلقاك معترض

ألقاه بالنفس لا بالجسم من حذر ... لعلة ما رأيت الحر ينقبض

فكتب الوزير أبو محمد ابن القاسم إليه في جوابه:

شد الجياد إذا أجريت منقبض ... ما للوجيه على الميدان معترض

أنى تضاهيه فرسان الكلام ومن ... غباره في هواديهن ما نفضوا

جرت على مستو من طبعه كلم ... هي المشارب لكن ما لها فرض

كأن منشدها نشوان من طرب ... أو بلبل من سقيط الطل ينتفض

تحية من أبي العباس زار بها ... طيف من العذر في أثوابه يمض

لا بالجلي فتستوفي حقيقته ... ويستبان بعين ما لها غمض

لكن أغض عليه جفن ذي مقة ... كما يسد مكان الجوهر العرض

يا من يعز علينا أن نعاتبه ... إلا عتاب محب ليس يمتعض

ناشدتك الله والانصاف مكرمة ... أما الوفاء بحسن العهد مفترض

هب المزار لمعنى الريب مرتفع ... ما للوداد بظهر الغيب ينخفض

أما لكل نبيه في العلى حيل ... تقضى الحقوق بها والمرء منقبض

كن كيف شئت فمن دأبي محافظة ... على الذمام وعهد ليس ينتقض

وهمة لم تضق ذرعا بحادثة ... إن الكريم على العلات ينتهض

والحر حر وصنع الله منتظر ... والذكر يبقى وعمر المرء ينقرض

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر ١/٢

ومن منثوره ما ذكر القيسي في كتابه، أنه كتب إليه في جوابه، فراجعه به من رقعة كتبها إليه مودعا ووصف النجوم:". [1]

١٧-"البحر : كامل تام (وأفاض في شكر العوارف عارفا ** بقصور با ع الشكر عن نعمائه) (وتأمل الخط الكريم فأشرقت ** أنوار حسن العهد من أثنائه) (وجرى معين الجود من تياره ** وسرى نسيم المجد من تلقائه) ٤ (أضحى ظهير الدين أفضل صاحب ** يستمسك الراجي بصدق ولائه) ٥ (والسعد في آلائه والنجح في ** أرابه والنصر في آرائه)

___

". [2]

١٨-"٣(وتضحك من بغداد بيض قبابها ** إذا ما تراءت بالسواد قبابي)(ولكن قضاء يغلب العزم حكمه ** ويضرب من دون الحجاب حجاب)(يقولون لي حتى تندب فائتا ** فقلت وحسن العهد ليس بعاب)٤ (إذا أنا لم آسف على زمن مضى ** وعهد تقضى في صبا وتصاب)٥ (فلا نظمت در القريض قريحتي ** ولا كانت الآداب أكبر دابي)

___

". [3]

١٩-"أجرى الخير على يديكم وألهمكم ما يحفظ نعمه الجزيلة لديكم ويضفي ستر عصمته عليكم وكتبنا إليكم هذا الكتاب فلو أن حمرة مثله معتادة حسبما اقتضاه عرف وعادة لقلنا خجل من تقصيره فعلته حمرة الخجل لما ضاق عن مراده ذرع المروى والمترجل لاكن على إغضا ذلك المقام المعتمد فهو الذي يعد منه في الفضل الأمد والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتبت أيضا المقام الذي بر ووفى وكفل وكفى وخلص على كدر الزمان وصفا وشفا الأمر على شفا وأوجب ما أوجبه المجد ونفا وسجل عقد الرعى والوفا الحميد السعي فاستقل رسمه واكتفى وسكنت صولة عزه ريح الكفر وقد كان هفا وقامت على قصده الجميل الأدلة التي تسعد بها الملة مما بدا عما خفا مقام محل أبينا الذي إلى ظل فضله الاستناد بحجة نصره يرتفع العناد وعلى مجده الاعتماد وتشيعنا إلى أبوته يشهد به الحي والجماد أبقاه العناد وعلى مجده الاعتماد وتشيعنا إلى أبوته يشهد به الحي والجماد أبقاه الله يخلف أولياءه في أبنائه أحسن الخلف ويتحلى من حسن العهد بأكرم ما يؤثر عمن شهر من السلف ويتحمل في سبيل الله ثقيل المون وباهظ الكلف وحرس بدر علاه من السرار والكلف معظم مقامه وملتزم إجلاله وإعظامه فلان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

___

(١) خريدة القصر وجريدة العصر ٨٩/٣

(٢) ديوان عماد الدين الأصبهاني ص/١٤

(٣) ديوان لسان الدين الخطيب ص/١٣٨

". (١)

٢٠-"من فضل الله الاغتنام وعبس الجو العباس وضحك النصل البسام وأورد الخيل موارد الطعان والإقدام فكان لحربكم الظهور الذي حكم المهندة في الرقاب والسمر الطوال في البعر ثم في الأعقاب وبشرت برؤية هلال الفتح عيون الارتقاب وحط عن وجه الصنع الجميل ما راب من النقاب وأن من بغى عليه حسبما قررتم وعلى نحو ما أجملتم وفسرتم من شيوخ العرب المجلية ووجوه الخدام المنتهية إلى حسن العهد المنتمية تحصل في حكم استرقاقكم وتحت شد وثاقكم وربما سفر المكروه عن المحبوب وانجلى المرهوب عن المرغوب والله مقلب القلوب وشيمتكم في ايتلاف النافر والأخذ من فضل العفو بالحظ الوافر كفيل لكم بالصنع السافر والله يحملكم على ما فيه رضاه ويخير لكم فيما قضاه فصلنا ما اتصل لكم من الصنع واطرد ورحبنا هذا الوارد الكريم الذي ورد وشكرنا فضلكم في التعريف بالمودود والشرح لمقامه المحمود وكتبنا نهنيكم به هنا مشفوعا وبالدعاء لكم متبوعا والله يطلع من توالى مسرتكم على ما يبسط الآمال وينجح الأعمال ويفتح في السعد المجال والذي عندنا من ودكم أعظم من استيفائه بالمقال ونهوض اليراع بوظائفه الثقال يعلم ذلك عالم الخفيات والمجازي بالنيات سبحانه والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام

ومن ذلك المقام الذي نطالعه أخبار الجهاد ونهدي إليه عوالي العوالي صحيحة الإسناد وتبشره بأخبار الفتح البعيد الآماد ونسأل الله له توالى الإسعاف ودوام الإسعاد ونرتقب من صنع الله على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد وامتعاضا يطلع بأفاق البلاد نجوم غرر الجياد ويفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف

". (٢)

٢١-"عقيما عميان قد هجرت الكحال وأملت في رد أبصارها المحال ما الذي رابكم أنس الله اغترابكم من سيرة السلف الذين تجروا وكسبوا وانتموا لغنى الأكف وانتسبوا وتصدقوا ووهبوا وجاهدوا وحجوا وما انحرفوا ولا لجوا وبسيرة أعمالهم احتجوا وسعوا والتمسوا وأكلوا الطيب ولبسوا وجوارحهم بميزان الشريعة أرسلوا وحبسوا وشهد لهم بالخلاص عقدهم الذي حفظوا ودرسوا لم يزمعوا لغير الضرورة طلاقا وأشفقوا من فراق أهليهم إشفاقا ولا حلوا لحسن العهد نطاقا ولا قتلوا أولادهم إملاقا ولم يضرهم مع الاستقامة معاشهم ولا قطع بهم عن الله أثاثهم ولا رياشهم بل إلى فئة الحق انحياشهم وأنتم على الحقيقة ومن لكم بذلك أوباشهم فإن قلتم وسعوا ما ضاق عنه احتمالنا ولم تستطعه أعمالنا فهلا تفطنتم وتنبهتم وتكلفتم هديهم وتشبهتم أتظنون أنهم غاب عنهم ما أدركتم أو عجزوا عما إليه تحركتم وهب أن ثم مقامات عالية ولمقدمات أصل الشريعة بزعمكم بالية هلا استربتم إذ لم تدركوها وإن لم تحصلوا منها إلا على أن تحكوها فرجعتم إلى الأصل المجرد والطريق المقرر فمن ضل وجب عليه أن يعرس حتى يصبح ويبدو المهيع ويتضح فاقتحام المفاز بلا دليل شأن غير النبيل وبالانقطاع كفيل ويا ليتكم بلغتم درجة البله المشهود بتوفيقهم وصحة طريقهم ومن أجهده الحزن أمهل ومن تحير وجب عليه أن يسأل ويترك

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ٣٧٦/١

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ١٥/٢

اللجاج أجمل ولم ير في الأمر حتى يتأول ومن لم يستيقن فلا يستعجل والطريق الذي احتقرتم والله أهمل وأحجكم بالشيخ عبد الجليل الذي ظلمتموه وبكشف الغيوب اتهمتموه وبالولاية حددتموه ورسمتموه وهو يقوم على السلب بيعا وشرا واعتمارا وكرا ويصلح من كرمه الذي لم يعه فإن قلتم ذلك شيخ هداية فقد كان ذا بداية ومفتقرا مثلكم إلى داية فلم تلح عليه من شيء مما أنتم عليه آية ولم يطلق زوجه مجانا

". (١)

٢٢-"""""""" صفحة رقم ٣٤ """""""

العقد ، ولا يكون فيها التواء عوج ولا أمت ؛ وضم الصافية القشور ، الخفية الإبن ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكاد أسافلها تهتز من أعلاها ، لاستواء أصولها برؤوسها ، المستكملة يبسا ، القائمة على سوقها ، قد تشربت الماء في لحائها ، وانتهت في النضج منتهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وإبان ينعها ، ولم تؤخر في الأيام المخوفة عاهاتها ؛ من خصر الشتاء ، وعفن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعا رفيقا تتحرز معه أن تتشعب رؤوسها ، أو تنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية ، وعليها الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من يحتاط في حراستها وحفظها وإيصالها ؛ إذ كان مثلها يتوانى فيه ، لقلة خطرها عند من لا يعرف فضل جوهرها ؛ واكتب معه بعدتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير تأخير ولا إبطاء .

فأجابه ووجه إليه مع الأنابيب : أتاني كتاب الأمير - أعزه الله - بما أمر به ولخصه ، من البعث بما شاكل نعته ، وضاهى صفته ، من أجتاس الأقلام ، فتيممت بغيته قاصدا لها ، وانتهجت معالم سبله آخذا بها ، فأنفذت إليه حزما أنشئت بلطيف السقيا ، وحسن العهد والبقيا ، لم تعجل بإخراجها ، ولا بودرت قبل إدراكها ؛ فهي مستوية الأنابيب معتدلتها ، مثقفة الكعوب مقومتها ؛ لا يرى فيها أمت زور ، ولا وصم صغر ولا عوج ، وقد رجوت أن يجدها الأمير عند إرادته وحسب بغيته .

ومن كلام منصور بن عمار في صفة القلم ، ويقال إنه لسليمان بن الوليد الكاتب : أو ليس من عجائب الله في خلقه ، وإنعامه على عباده ، تعليمه إياهم الكتاب المفيد للباقين حكم الماضين ، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، بمعان مفترقة معقودة ، وأحرف مقلوبة ، من ألف وتاء ، وجيم وباء ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، ونتاجها التأليف ، تخرس مفردة ، وتنطق مزدرجة ، بلا أصوات مسموعه ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، بل قلم حرف باريه قطته ، ليعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه إليه ، وشق في رأسه ليحتبس الاستعداد عليه ، ورفع من شعبيته لتجتمع حواشي تصويره ؛ فهنالك روى القلم في شقه ، وقفف المادة إلى صدره ، فإذا علقتها العيون حكتها الألسن ، فالقلوب حينئذ راعية ، والآذان واعية ، لكلام سداه العقل ، وألحمه اللسان ، وأدته

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ٤٣٢/٢

اللهوات ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، علي". [1]

٢٣-"""""""" صفحة رقم ٤٣٩ """""""

ودخل أبو دلف على المأمون بعد الرضا عنه ، فسأله عن عبد الله بن طاهر ، فقال : خلفته يا أمير المؤمنين أمين غيب ، نصيح جيب ، أسدا عاتيا ، قائما على براثنه ، يسعد به وليك ، ويشقى به عدوك ، رحب الفناء لأهل طاعتك ، ذا بأس شديد لمن زاغ عن قصد محجتك ، قد فقهه الحزم ، وأيقظه العزم ، فقام في نحر الأمور على ساق التشمير ، يبرمها بأيده وكيده ، ويفلها بحده وجده ؛ وما أشبهه في الحرب إلا بقول العباس بن مرداس : الوافر :

أكر على الكتيبة لا أبالي . . . أحتفي كان فيها أم سواها

فقال قائل : ما أفصحه على جبلييته فقال المأمون : وإن بالجبل قوما أمجادا ، كراما أنجادا ، وإنهم ليوفون السيف حظه يوم النزال ، والكلام حقه يوم المقال ، وإن أبا دلف منهم .

من إنشاء الميكالي

فصل لأبي الفضل الميكالي من كتاب تعزية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب : لئن كانت الرزية بمصيبة مؤلمة ، وطرق العزاء والسلوة مبهمة ، لقد حلت بساحة من لا تنتقض بأمثالها مرائره ، ولا تضعف عن احتمالها بصائره ، بل يتلقاها بصدر فسيح يحمي أن يفتح الحزن بابه ، وصبر مشيح يحمي أن يحبط الجزع أجره وثوابه ، ولم لا وآداب الدين من عنده تلتمس ، وأحكام الشرع من بنانه ولسانه تستفاد وتقتبس ؟ والعيون ترمقه في هذه الحال لتجري على سننه ، وتأخذ بآدابه وسننه ، فإن تعزت القلوب فبحسن تماسكه عزاؤها ، وإن حسنت الأفعال فإلى حميد أفعاله ومذاهبه اعتزاؤها .

وله من تعزية إلى أبي عمرو البحتري : قدس الله روحه ، وسقى ضريحه ؛ فلقد عاش نبيه الذكر ، جليل القدر ، عبق الثناء والنشر ، يتجمل به أهل بلده ، ويتباهى بمكانه ذوو مودته ، ويفتخر الأثر وحاملوه بتراخي بقائه ومدته ، حتى إذا تسنم ذروة الفضائل والمناقب ، وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب ، اختطفته يا المقدار ، ومحي أثره بين الآثار ، فالفضل خاشع الطرف لفقده ، والكرم خالي الربع من بعده ، والحديث يندب حافظه ودارسه ، وحسن العهد يبكي كافله وحارسه .

وله : فأما الشكر الذي أعارني رداءه ، وقلدني طوقه وسناءه ؛ فهيهات أن ينتسب إلا". [2]

٢٤-"وقال أبو محمد بن عبد البر في مجذوم:

مات من كنا نراه أبدا ... سالم العقل سقيم الجسد

بحر سقم ماج في أعضائه ... فرمي في جلده بالزبد

كان مثل السيف إلا أنه ... حسد الدهر عليه فصدي

وقال أبو بكر بن الملح:

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٣٤

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٤٣٩

والروض يبعث بالنسيم كأنما ... أهداه يضرب لاصطباحك موعدا
سكران من ماء النعيم فكلما ... غناه طائره وأطرب رددا
يأوي إلى زهر كأن عيونه ... رقباء تعقد للأحبة مرصدا
زهر يبوح به اخضرار ذباته ... كالزهر أسرجها الظلام وأوقدا
ويبيت في فنن توهم ظله ... بالصبح في عين القرارة مرودا
قد خف موقعه عليه وربما ... مسح النسيم بعطفه فتأودا
وقال الفقيه أبو الحسن بن زنباع:
ومن يطفي بنزر الماء نارا ... فليس يزيدها إلا اتقادا
وقال أبو جعفر التطيلي:
تنافس الناس في الدنيا وقد علموا ... أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
تبادروها وقد آذتهم فشلا ... وكلثروها وقد أحصتهم عددا
قل للمحدث عن لقمان اة لبد ... لم يترك الموت لقمانا ولا لبدا
ولا الذي همه البنيان يرفعه ... إن الردى لم يغادر في الشرى اسدا
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه ... يرجو غدا وعسى إلا يعيش غدا؟
وقال الآخر:
باح مجنون عامر بهواه ... وكتمت الهوى فمت بوجدي
فإذا كان في القيامة نودي: ... من قتيل الهوى؟ تقدمت وحدي!
وقال الآخر:
يقولون: إن الحب كالنار في الحشى ... لقد كذبوا فالنار تذكو وتخمد
وما هو إلا جذوة مس عودها ... تسعر قلبا للمشوق وتوقد!
وقال الآخر:
أمسك ملامك عني إنني كمد ... إذ لم تجد في الهوى يوما كما أجد
إن لم تصدق دموعي في الذي شهدت ... فأنظر إلى جسدي إن كان لي جسد
يا ويح أهل الهوى إني لأرحمهم ... تبلى الجسوم وأثواب الهوى جدد
لولا ترحمهم أيقنت انهم ... يشقون دهرهم أضعاف ما سعدوا!
وقال الآخر:
كفى حزنا إني مقيم بلذة ... وأحباب قلبي نازحون بعيد
أقلب طرفي في الديار فلا أرى ... وجوها لأحبابي الذين أريد!
و قد قلت في غرض الباب قصيدة، فرأيت إن أثبتها هنا، وإن كان فيها بعض ول، وهي:

أبى الدهر إلا أن يجوز على القصد ... وأن يعكس الآمال في كل ما يبدي

ويبسط بين الفرقدين يد النوى ... ويدني الثريا من سهيل على بعد

ويسمو بالوهد الحضيض على الذرى ... ويسفل بالطود السمي على الوهد

ويستبدل البردي في الطعن بالقنا ... وغصن النقى الأملود بالصارم الهندي

وأن يجعل العقبان في الجو طعمة ... لورقاء والضبعان مفترس الأسد

ويهدي بالضب القطاة ركية ... على العشر والسمع النتائف بالخلد

ويرفع أقدار اللئام على الألى ... لهم قدم في المجد والشرف العد

ويلوي تدبير الورى كل مائق ... وفضل الغنى كل امرئ شكس نكد

أجل إنها الأحداث تجري مدارة ... مقاليدها في قبضة الصمد الفرد!

مقادير منه أبرمت عن مشيئة ... قديما وعن علم محيط وعن قصد

وعدل وأحكام مبين وحكمة ... تحار النهي في نيل فياضها المد

وليست بما تهوى النفوس صروفها ... ولا حذر المحتال في صرفها يجدي

ولا يحرم الوفر الفتى بجهالة ... وعجز ولا يحظى بعقل ولا كد

ولكنها الأرزاق أعددن للفتى ... قديما على قدر الشقاوة والجد

فكائن رأينا من حليم مفتر ... عليه وغمر بات في عيشة رغد

أراني عروفا بالزمان فمن يكن ... كمثلي لم يصبح على الدهر ذا نقد

ولم يبتئس إن مسه بمضوفة ... ولم يزه بالدنيا إذا فاز بالوجد

وقد قرعتني الحادثات فلم تلن ... قناتي لغمز من شابها ولا لهد

وما رسنني حتى نزعن عن امرئ ... بعيد الهوى ثبت الحشا حازم جلد

إذا ظفرت كفاه لو يزه فاخرا ... وإن نيل لم يضرع ولم يمس ذا وجد

فأصبحت لا آسى على فقد هالك ... ولا يعتريني بين غانية رأد

ولا أبتغي امرئ عن تكلف ... وإن كان حسن العهد ديني لذي ود". (١)

٢٥-"لا حاجة لي في العمل. وقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال: يا رسول الله اختر لي، فقال: اقعد في بيتك وفي الأمثال: إن الهدية نعمي وتصم. وقال بعض الحكماء: الرشوة رشاء الحاجة. وأنشد بعضهم:

إذا أتت الهدية دار قوم ... تطايرت الأمانة من كواها

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم ص/٢٦٦

ولبعضهم:

إن الهدية حلوة ... كالسحر يجتلب القلوبا

تدني البعيد من الهوى ... حتى تصيره قريبا

وترد مضطغن العداوة ... بعد جفوته حبيبا

ومما قلته في الرشوة:

وأكرم من يدق الباب شخص ... ثقيل الحمل مشغول اليدين

ينوء إذا مشى نفسا ونفخا ... وينطح بابه بالركبتين

وأكرم شافع يمشي إليها ... أبو المنقوش فوق الصفحتين

ولبعضهم:

إذا كنت في حاجة مرسلا ... وأنت بإنجازها مغرم

فأرسل بأكمه جلابة ... به صمم أغطش أبكم

ودع عنك كل رسول سوى ... رسول يقال له الدراهم

وكتب عبد الملك إلى قاضيه الحارث بن عامر، وقد ارتشى بمكرمة:

إذا رشوة في باب قوم تقحمت ... لتسكن فيه والأمانة فيه

سعت هربا منه وولت كأنها ... حليم تولى عن جواب سفيه

الباب الخامس والخمسون

في معرفة حسن الخلق

اعلموا أرشدكم الله تعالى أن هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقبلوا القوس ركوة، فعمدوا إلى أخلاق العامة وخلائق الغوغاء والدناة، وما يجري بينهم إذا تلاقوا وتعاشروا من الإفراط في مدح بعضهم بعضا، وتعاطيهم الكذب والتصنع والملق والمراآة، والمعاريض عن الأمور المكنونة التي يفحش إظهارها، والانخراط في سلك المزاح والمهاترة. فهذا وما أشبهه عندهم من أحسن الخلق. وهذا عندنا نقيض ما نص الله تعالى عليه ورسوله من حسن الخلق. فأول ذلك أن يعلم أنه لم تحتو الأرض على بشر أحسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم، فكل من تخلق، بأخلاق رسول الله أو قاربها كان أحسن الناس خلقا وكل خلق ليس يعد من أخلاقه فليس من حسن الخلق.

وهذا فصل الخطاب في هذا الباب لمن عقل، وإنما أتى الناس لأنهم استحسنوا الأخلاق العامية واستخشنوا الأخلاق النبوية لجهلهم بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم. وها أنا أتلو عليك من أخلاق الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم والأولياء والأصفياء والعلماء والصالحين، نرجو ما نرجو أن ينفعنا الله وإياك به. قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم: " وإنك لعلى خلق عظيم " القلم: آيه:٤. فخص الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الأخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره، ثم ما أثنى الله عليه من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال: وإنك لعلى خلق عظيم. وعن هذا قالت الشيوخ أن الله تعالى دعا الخلق إلى حسن الخلق، ودعا نبيه صلى الله عليه وسلم

إلى حسن الخلق.
قال عبيد بن عمير: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمير المؤمنين صفي لي خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لي: أما تقرأ القرآن؟ كان خلقه القرآن. وحسبك بهذا القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق، وإذا كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة ويحث عليها، وينهي عن كل نقيصة ورذيلة ويوضحها ويبينها، ولذلك لما أنزل الله تعالى: " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا جبريل؟ فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك، فهذا من حسن الخلق كما ترى. فانظر أين أخلاق العامة من هذا النمط، إن أحدهم ليقطع من وصله ويحرم من أعطاه، ويظلم من سأله ويغضب على من اتهمه.". (١)

٢٦-" وجه الصنع الجميل ما ران من النقاب وأن من بغى عليكم حسب ما قررتم وعلى نحو ما أجملتم وفسرتم من شيوخ الغرب المجلبة ووجوه الخدم المنتمية إلى حسن العهد المنتسبة تحصل في حكم استرقاقكم وتحت شد وثاقكم وربما أسفر المكروه عن المحبوب وانجلى المرهوب عن المرغوب والله مقلب القلوب وشيمتكم في ائتلاف النافر والأخذ من فضل العفو بالحظ الوافر كفيل لكم بالصنع السافر والله يحملكم على ما فيه رضاه ويخير لكم فيما قضاه فسررنا بما اتصل لكم من الصنع واطرد ورحبنا بهذا الوارد الكريم الذي ورد وشكرنا فضلكم في التعريف بخبره المودود والشرح لمقامه المحمود وكتبنا نهنئكم به هناء مشفوعا وبالدعاء لكم متبوعا والله يطلع من توالي مسرتكم على ما يبسط الآمال وينجح الأعمال ويفسح في السعد المجال

والذي عندنا من ودكم أعظم من استيفائه بالمقال أو نهوض اليراع بوظائفه الثقال يعلم ذلك عالم الخفيات والمجازي بالنيات سبحانه

والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الطرف الثاني عشر في الكتب الصادرة عن وزراء الخلفاء المنفذين أمور الخلافة اللاحقين بشأو الملوك وفيه جملتان

الجملة الأولى في الكتب الصادرة عن وزراء خلفاء بني العباس ببغداد ووزراء ملوكها يومئذ

أما وزراء إقطاعاتها فقد ذكر أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب ". (٢)

٢٧-" الباب الثالث من المقالة الخامسة في العهود وفيه فصلان

الفصل الأول في معنى العهد

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معان

أحدها الأمان ومنه قوله تعالى (فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم)

---

(١) سراج الملوك ص/١١٨

(٢) صبح الأعشى ٧٦/٧

الثاني اليمين ومنه قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم)

الثالث الحفاظ ومنه قوله حسن العهد من الإيمان

الرابع الذمة ومنه قوله لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده

الخامس الزمان ومنه قولهم كان ذلك على عهد فلان ". (١)

٢٨-"قال: وحدثني محمد بن داود " قال " : حدثني سعيد بن منصور عن جرير عن عبد الحميد عن عنبسة قال: قال ابن سيرين: لا تكرم أخاك بما يكره، ولا تحملن كتابا إلى أمير حتى تعلم ما فيه.

وكان يقال: يستحسن الصبر عن كل أحد إلا عن الصديق.

لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء:

إذا ضيفت أمرا ضاق جدا ... وإن هونت ما قد عز هانا

فلا تهلك بشيء فات يأسا ... فكم أمرا تصعب ثم لانا

سأصبر عن رفيقي إن جفاني ... على كل الأذى إلا الهوانا

لابن المقفع وقال ابن المقفع: ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك وتحيتك، ولعدوك عدلك، وضن بدينك وعرضك عن كل أحد.

لخالد بن عبد الله بن أبي بكرة لما ولي قضاء البصرة قال أبو اليقطان: ولي خالد بن عبد الله بن أبي بكرة قضاء البصرة فجعل يحابي؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: وما خير رجل لا يقطع لأخيه قطعة من دينه.

للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجوز، فقال: " إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان " .

لابراهيم النخعي فال إبراهيم النخعي: إن المعرفة لتنفع عند الأسد الهصور والكلب العقور فكيف عند الكريم الحسيب وقال الخليل بن أحمد:

وفيت كل صديق ودني ثمنا ... إلا المؤمل دولاتي وأيامي

ولعمربن أبي ربيعة في مساعدة الصديق وقال عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصديق:

وخل كنت عين النصح منه ... إذا نظرت ومستمعا سميعا

أطاف بغية فنهيت عنها ... وقلت له أرى أمرا شنيعا

أردت رشاده جهدي فلما ... أبى وعصى أتيناها جميعا

لبعض الكوفيين وقال بعض الكوفيين:

فإن يشرب أبو فروخ أشرب ... وإن كانت معتقة عقارا

---

(١) صبح الأعشى ٣٦٢/٩

وإن يأكل أبو فروخ آكل ... وإن كانت خنانيصا صغارا

قول أعرابي لأخ له وقال رجل من الأعراب لأخ له: أما والله رب يوم كتنور الطاهي رقاص بشرارة، قد رميت بنفسي في أجيج لهيبه فأحتمل منه ما أكره لما تحب شعر لابن الأعرابي، ولكثير وغيرهما وأنشد ابن الأعرابي:

أغمض للصديق عن المساوي ... مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال كثير:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

وقال آخر:

إذا ما صديقي رابني سوء فعله ... ولم يك عما ساءني بمفيق

صبرت على أشياء منه تريبني ... مخافة أن أبقى بغير صديق

ومن المشهور في هذا قول النابغة:

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

وكان يقال: من لك بأخيك كله وأنشدني الرياشي:

إقبل أخاك ببعضه ... قد يقبل المعروف نزرا

وأقبل أخاك فإنه ... إنساء عصرا سر عصرا

ونحوه قول الآخر:

أخ لي كأيام الحياة إخاؤه ... تلون ألوانا علي خطوبها

إذا عبت منه خلة فهجرته ... دعتني إليه خلة لا أعيبها

شعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

اصبر إذا عضك الزمان،ومن ... أصبر عند الزمان من رجله

ولا تهن للصديق تكرمه ... نفسك حتى تعد من خوله

يحمل أثقاله عليك كما ... يحمل أثقاله على جمله

ولست مستبقيا أخا لك لا ... تصفح عما يكون من زلله

ليس الفتى بالذي يحول عن ال ... عهد ويؤتي الصديق من قبله

لخالد بن صفوان في أحب إخوانه إليه وقيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زللي، ويقبل عللي ويسد خللي.

لبشار وقال بشار:

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

شعر الخريمي لأبي دلف وقال الخريمي لأبي دلف:

تملك إن كنت ذا إربة ... من العالمين لشيخ وصيف". [1]

٢٩-"وحسب الفتى من نصحه ووفائه ... تمنيه أن يؤذي ويسلم صاحبه

آخر

قوم إذا حالفتهم ... لم تخش نائبة الصروف

وإذا وصلت بحبلهم ... حبلا أمنت من المخوف

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي يمدح الأمين بحسن العهد والتذمم

أخذت بحبل من حبال محمد ... أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهري بفضل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام عني لما درت ... وأين مكاني ما عرفن مكاني

من أمتن أسباب الحسب والديانة وفاء العهد وأداء الأمانة

قالوا الوفاء أفضل شمائل العبد وأوضح دلائل المجد وأقوى أسباب الاخلاص في الود وأحق الأفعال بالشكر والحمد وقالوا الوفاء أتم حميد الخلال ومنتهى غاية الكمال تمس الحاجة إليه وتجب المحافظة عليه ولقد صار رسما دارسا وحلة لا تجد لها لابسا ومنقبة قل أن تجد فيها مستأنسا ولله در من قال

وصادق الود صادق الخبر ... مغري برعي العهود مصطبر

هذا الذي لا أزال أسمعه ... وما له في الزمان من أثر

لو أن كفى بمثله ظفرت ... قاسمته في المتاع والعمر

وقالوا من صحب الناس بلسان صادق وعاملهم بحسن الخلائق وألزم نفسه رعى العهود والمواثق فقد أرضى المخلوق والخالق ويقال بالوفاء تملك القلوب وتستدام الألفة بين المحب والمحبوب وقالوا من تحلى بالوفاء وتخلى عن الجفاء فذلك من اخوان الصفاء ولقد أحسن من قال

إذا أنت محضت المودة صافيا ... ولم تر عن وصل الصديق مجافيا

ووفيت بالعهد الذي خانه الورى ... ولم أر مخلوقا على العهد باقيا

فقد حزت أسباب المكارم كلها ... وجددت للعليا رسوما عوافيا

وقالوا الوفاء ضالة كثير ناشدها قليل واجدها كما قيل الوفاء من شيم الكرام والغدر من خلائق اللئام وقالوا إذا ترك الوفاء نزل البلاء ويقال من أودع الوفاء صدور الرجال ملك أعناقهم ومن أمثالهم في ذلك أوفى من السموأل وهو السموأل بن عادياء بن حياء اليهودي صاحب قصر تيماء المسمى بالأبلق الفرد ومن خبره أن امرأ القيس كان قاصدا للشأم فأودع السموأل أدراعه وكراعه فمات امرؤ القيس بأنقرة فقصد السموأل بعض ملوك غسان يطلب منه ما كان أودعه امرؤ القيس

---

(١) عيون الأخبار ص/٢٨٥

عنده فأبى أن يسلمه له فقال إن لم تسلمه ذبحت ولدك وكان قد أسره عند نزوله على القصر فقال أبلني الليلة ثم جمع أهله واستشارهم فكل أشار بأن يدفع إليه ما طلبه منه فلما أصبح قال له ليس إلى دفعها سبيل فافعل ما بدا لك فذبح الملك ولده ورحل عنه ثم إن السموأل وافى الموسم بالادراع فدفعها لورثة امرئ القيس وفيه يقول الأعشى يخاطب شريح بن السموأل بن عادياء وقيل شريح بن حصن بن السموأل وقيل شريح بن عمران بن السموأل من أبيات

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدار

فسامه خطتي خسف فقال له ... قل ما بدا لك إني مانع جاري

فقال ثكل وغدر أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل أسيرك إني مانع جاري

فقال تقدمة إذرام يقتله ... أشرف سموأل فانظر في الدم الجاري

أأقتل ابنك صبرا أو تجئ بها ... طوعا فأنكر هذا أي إنكار

فشك أوداجه والصدر في مضض ... عليه منطويا كاللذع بالنار

واختار ادراعه من أن يسببها ... ولم يكن عهده فيها بختار

وقال لا أشتري عارا بمكرمة ... فاختار مكرمة الدنيا على العار

والصبر منه قديما شيمة خلق ... وزنده في الوفاء الثاقب الواري

وفي ذلك يقول السموأل مفتخرا

وفيت بأدرع الكندي إني ... إذا ما خان أقوامي وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا ... تخرب يا سموأل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا ... وماء كلما شئت اشتفيت". (١)

٣٠-"""""""" صفحة رقم ٣٠٢ """""""

فذهب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة فماتت بقومس ، ويقال بحلوان : ذكر أبو عمر بن حيويه في ما نقلته من خطه قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا الحسين بن جعفر قال : حدثنا عبد الله بن أحمد العبدي قال : حدثني سليمان بن علي الهاشمي أن علي بن صالح بن داود ذكر عن جارية من القيان أنها تميل إليه محبة وكلفا ، وكانت موصوفة بالأدب شاعرة ، فكره مراسلتها ، فحضر يوما عند بعض أهل البصرة ، وكانت عنده ، فلما رأت علي بن صالح قالت : طاب عيشنا في يومنا هذا ، فلم يلتفت إليها وأطرقت هي أيضا فلم تنظر إليه ، ثم دعت بداوة فكتبت على منديل ، كان معها ، ثم غافلت أهل المجلس ، فألقت إليه المنديل ، فأخذه فإذا فيه : لعل الذي يبلو

---

(١) غرر الخصائص الواضحة ص/١٥

بحبك يا فتى ، . . . يردك لي يوما إلى أحسن العهد . قال : فما هو إلا أن قرأت الشعر حتى وجدت في قلبي من أمرها مثل النار ، وقمت فانصرفت خوفا من الفضيحة ، ثم لم أزل أعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تعلم ، فعسر ذلك علي ، فعرفتها الخبر ، وما عزمت عليه من ابتياعها ، فأعانتني على ذلك حتى ملكتها ، فلم أوثر عليها أحدا من حرمي ، ولا أهلي ، ولا كان عندي شيء يعدلها ، فتوفيت ، فأنا لا عيش لي بعدها ، ولا سرور . فوالله ما لبث بعد هذا الكلام إلا أياما يسيرة حتى مات أسفا وكمدا ، فدفن إلى جنبها . ريقته مدام ولي من قصيدة أولها : قفي أخبرك ما صنع الغرام ، . . . عشية قوضت تلك الخيام . لقد فتك الهوى بي يوم ساروا ، . . . ولو لم يؤثروا قتلي أقاموا . سروا والليل في ثوبي حداد ، . . . وقد ألقى مراسيه الظلام . وقد هتكوا الأكلة عن بدور . . . كوامن ليس يبرحها التمام .". (١)

٣١-"""""""" صفحة رقم ١١٨ """""""

ومن كلامه صلى الله عيه وسلم : ' المؤمن مألفة ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ' . ' المرء مع من أحب ' ' حبك الشيء يعمي ويصم ' . ' المؤمن مؤآة المؤمن ' . ' حسن العهد من الإيمان ' . ' دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ' . ' فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ' . ' لا تنزع الرحمة إلا من شقى ' . ' من لا يرحم لا يرحم ' . ' الدنيا نعم مطية المؤمن ' . ' الدال على الخير كفاعله ' .". (٢)

٣٢-"""""""" صفحة رقم ١٤٧ """""""

وقال : ' مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس في آخيته يجول ثم يرجع إلى آخيته ، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان ' . ودخلت عليه (صلى الله عليه وسلم) عجوز ؛ فسأل وأحفى ، وقال : ' إنها كانت تأتينا أزمان خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان ' . سئل عليه السلام عن البر والإثم ؛ فقال : ' البر حسن الخلق ، والإثم ما حك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ' . وقال : ' إن من شر ما أعطى العبد شح هالع وجبن خانع ' . وقال : ' ما من أمير عشرة إلا وهو يجئ يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه ، حتى يكون عمله هو الذي يطلقه أو يوكفه ' . وقال : ' وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم ' . وأهدى إليه عليه السلام هدية ؛ فلم يجد شيئا يضعه عليه فقال : ' ضعه بالحضيض ، فإنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ' . وندب - (صلى الله عليه وسلم) - إلى الصدقة ؛ فقيل له : قد منع أبو جهم وخالد بن الوليد والعباس عم النبي عليه السلام ، قال : فقال عليه السلام : ' أما أبو جهم فلم ينقم منا إلا أن أغناه الله ورسوله من فضله ، وأما خالد فإن الناس يظلمون خالدا . إن خالدا قد جعل رقيقه ودوابه حبسا في سبيل الله ، وأما العباس فإنها عليه ومثلها معها ' . وكتب عليه السلام لأكيدر : هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام ، مع خالد بن الوليد ، سيف الله في دوماء الجندل وأكنافها ، أن لنا الضاحية من البعل

---

(١) مصارع العشاق ٣٠٢/١

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع ١١٨/١

، والبور والمعامى وأغفال الأرض والحقلة ، ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من المعمور". [1]

٣٣-"رجع إلى أخبار ابن العربي - فنقول: إنه سمع بالأندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزني وأبا عبد الله السرقسطي، وببجاية أبا عبد الله الكلاعي، وبالمهدية أبا الحسن ابن الحداد الخولاني، وسمع بالإسكندرية من الأنماطي، وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره، وبدمشق غير واحد كأبي الفتح نصر المقدسي، وبمكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن بندار، وقرأ الأدب على التبريزي وعمل، رحمه الله تعالى، على مدينة إشبيلية سورا بالحجارة والآجر بالنورة من ماله. وكان -كما في الصلة - [مقدما في المعارف كلها] حريصا على أدائها ونشرها (١) ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب فيها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة ولين الكنف، وكثرة الاحتمال وكرم النفس، وحسن العهد وثبات الود.

وذكره ابن بشكوال في الصلة وقال فيه: الإمام الحافظ، ختام علماء الأندلس، رحل إلى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ودخل الشام والعراق وبغداد، وسمع بها من كبار العلماء، ثم حج في سنة تسع وثمانين، وعاد إلى بغداد، ثم صدر منها (٢) .

وقال ابن عساكر: خرج من دمشق راجعا إلى مقره سنة ٤٩١، ولما غرب صنف " عارضة الأحوذي " ولقي بمصر والإسكندرية جملة من العلماء، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وقدم إشبيلية بعلم كثير، وكان موصوفا بالفضل والكمال، وولي القضاء بإشبيلية، ثم صرف عنه، ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة، وتوفي بمغيلة بمقربة (٣) من مدينة فاس، ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين

(١) في أصول النفح: آدابها وسيرها، والتصحيح عن الصلة وابن خلكان، والضمير راجع إلى " المعارف " ، واضطرب النقل على المقري.

(٢) النقل عن الصلة باختصار شديد.

(٣) ق: بمقيلة بقرية.". [2]

٣٤-"حاله من الكتاب المؤتمن (١) - كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة ابن أبي زيد، حسن الإقراء لهما، وله عليهما تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصغير، حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الأندلس من فاس، ولم أر في متصدري بلده أحسن تدريسا منه، كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، موفيا حقوقها، وذلك لمشاركته الحضر فيما بأيديهم من الأدوات، وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة، وكان مع ذلك سمحا فاضلا، حسن اللقاء، على خلق بائنة على أخلاق أهل مصره، امتحن بصحبة السلطان، فصار يستعمله في الرسائل، فمر في ذلك حظ كبير من

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع ١٤٧/١

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢٨/٢

عمره ضائعا لا في راحة دنيا ولا في نصب آخرة، ثم قال: وهذه سنة الله فيمن خدم الملوك، ملتفتا إلى ما يعطونه، لا إلى ما يأخذون من عمره، وراحته أن يبوء بالصفقة الخاسرة، لطف الله بمن ابتلي بذلك وخلصنا خلاصا جميلا.

ومن كتاب " عائد الصلة " : الشيخ الفقيه الحافظ القاضي، من صدور المغرب (٢) ، مشاركة في العلم، وتبحرا في الفقه، كان وجيها عند الملوك، صحبهم وحضر مجالسهم واستعمل في السفارة، فلقيناه بغرناطة، وأخذنا بها عنه، تام السراوة حسن العهد مليح المجالس أنيق المحاضرة، كريم الطبع صحيح المذهب.

تصانيفه – قيد على المدونة بمجلس شيخه أبي الحسن كتابا مفيدا، وضم أجوبته على المسائل في سفر، وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الإفادة.

مشيخته – لازم أبا الحسن الصغير، وهو كان قارئ كتب الفقه عليه، وجل انتفاعه في التفقه به، وروى عن أبي زكريا ابن يس (٣) ، قرأ عليه كتاب

---

(١) الكتاب " المؤتمن " من تأليف أبي البركات ابن الحاج البلفيقي وسيأتي ذكره في ترجمته ص: ٤٨٦.

(٢) في الأصلين: العلم، والتصويب عن الإحاطة.

(٣) الإحاطة: ابن أبي ياسين.". [1]

٣٥–"زينتها على العموم والخصوص، ثم أنتم مدار أفلاكها،وسر سياسة أملاكها وترجمان بيانها ولسان إحسانها وطب مارستانها والذي عليه عقد إدارتها وبه قوام إمارتها فلديه يحل المشكل وإليه يلجأ في الأمر المعضل فلا غروأن تتقيد بكم الأسماع والأبصار وتحدق نحوكم الأذهان والأفكار ويزجر عنكم السانح والبارح ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح استقراء لمرامكم واستطلاعا لطالع اعتزامكم واستكشافا عن مرام سهامكم لاسيما مع إقامتكم على جناح خفوق وظهوركم في ملتمع بروق واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق حتى تستقر بكم الديار ويلقي عصاه التسيار ولها العذر في ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل وسرورها بلقائكم لم يكتمل ولم يبرأ بعد جناحها المهيض ولا جم ماؤها المغيض ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ولا استوى نهارها ولا تألفت أنهارها ولا اشتملت نعماؤها ولانسيت غماؤها بل هي كالناقه والحديث العهد بالمكاره يستشعر نفس العافية ويتمسح منكم باليد الشافية فبحنانكم عليها وعظيم حرمتكم على من لديها لا تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج وتفطموها عما عودت من طيب المزاج فما لدائها وحياة قربكم غير طبكم من علاج.

" وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم وعناية بما يعنيكم ما نال جانبكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفاء ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء وأن الوطن إحدى المواطن الأظآر التي يحق لهن جميل الاحتفاء وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح وبحق نفسكم عن حق أوليائكم أسمح وللتي هي أعظم قيمة

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥/٣٨٨

من فضائلكم أوهب وأسجح وهب أن الدر لا يحتاج في الإثبات إلى شهادة النحور واللبات والياقوت غني في المكان عن مظاهرة القلائد والتيجان أليس أنه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة البرهان تألقها في تاج الملك أنوشروان فالشمس وإن كانت أم الأنوار وجلاء الأبصار مهما أغما مكانها من الأفق". (١)

٣٦-"""""""" صفحة رقم ٣٣ """""""

وأرغب إليه – لا زالت الرغبات إليه – ، وأسأله – لا خيم السؤال إلا لديه – ؛ أن يلاطف بكتابه قلبي ، ويمثل لي بمثاله أيام قربي

والله لولا أنني . . . أرجو اللقا لقضيت نحبي

هذا وما فارقتكم . . . لكنني فارقت قلبي .

وكتب جواب كتاب ورد عليه :

شكرت لدهري جمعه الدار مرة . . . وتلك يد عندي له لا أضيعها

وطلعة مولانا يطالع عبده . . . وكل ربوع كان فيها ربوعها

فؤاد سقاه لا يعود غليله . . . وعين رأته لا تفيض دموعها ورد على الخادم كتاب المجلس – أعلى الله سلطانه وأثبته ، وأرغم أنف عدوه وكبته ، وأصماه بسهام أسقامه وأصمته ؛ ولا أخلى الدنيا من وجوده ، كما لم يخل أهلها من جوده ، ولا عطل سماء المجد من صعوده ، كما لم يعطل أرضها من سعوده – وهو كتاب ثان يثني إليه عنان الثناء ، ويصف لي حسن العهد على التناء ، ويستنهض الأدعية الصالحة في الأطراف والآناء ، ويبشر الخادم بأنه وإن كان بعيد الدار فإنه بمثابة المقيم في ذلك الفناء ، وأن هذه الخدمة التي أنعم الله عليه بها وثيقة الأساس على الدهر شامخة البناء ؛ فقام له قائما على قدمه ، وسجد في الطرس ممثلا سجود قلمه ، واسترعى الله العهد على أنه تعالى قد رعى ما أودعه في ذمة كرمه ؛ وصارت له نجران علاقة خير صرف إليها وجهه فكأنها قبله ، ودعا بنى الآمال إلى اعتقاد فضل مالكها فكأنما يدعوهم إلى مله ؛ والله يوزعه شكر هذا الافتقاد على البعاد ، ولا يخله من هذا الرأي الجميل الذي هو ملجأ الاستناد ؛ وعقد الإعتقاد ؛ والخادم لا ينفك متطلعا لأخبار المولى فترده مفضلة ومجمله ، ومفصلة ومجمله ؛ ويعرف منها ما يعرف به موقع اللطف بالمولى في أحواله ،". (٢)

٣٧-"""""""" صفحة رقم ١٧٤ """""""

وأما وفاؤه وحسن عهده وصلته للرحم (صلى الله عليه وسلم)

فكان (صلى الله عليه وسلم) قد بلغ من ذلك الغاية التي لا يدرك شأوها ، ولا يبلغ مداها ، ولا يطمع طامع سواه بالاتصاف بها ، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة ، من ذلك ما رويناه بإسناد متصل عن عبد الله بن

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢٩/٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع ٣٣/٨

أبي الحمساء قال : بايعت النبي (صلى الله عليه وسلم) ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث ، فجئت فإذا هو في مكانه ، فقال : " يا فتى لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك " . وعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا أتي بهدية قال : " اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة " . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ؛ لما كنت أسمعه يذكرها ، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها ، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ، ودخلت عليه امرأة فهش لها ، وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : " إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان " . وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها " . وعن أبي قتادة قال : وفد وفد للنجاشي ، فقام النبي (صلى الله عليه وسلم) يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : " إنهم لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم " . ولما جيء بالشيماء أخته من الرضاعة في سبايا هوزان وتعرفت له ، بسط لها رداءه ، وقال لها : " إن أحببت أقمت عندي مكرمة محبة أو متعتك ورجعت إلى قومك " فاختارت قومها فمتعها . وقال أبو الطفيل : رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنا غلام ، إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه ، فبسط لها رداءه فجلست عليه ، فقلت من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته . وعن عمرو بن السائب أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأجلسه بين يديه . وكان يبعث إلى ثوبيه مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة ، فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل : لا أحد . وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له (صلى الله عليه وسلم) في ابتداء النبوة : أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .". (١)

٣٨-"أبقاه للدين والدنيا معا ... وللمعالي ربنا عز وجل

وقال فيه أيضا:

بنفسي أخ نفسه أمة ... وتدبيره في الورى فيلق

أخ باب إحسانه مطلق ... وباب إساءته مغلق

كريم السجايا فلا رأيه ... بهيم ولا خلقه أبلق

محمد أنت قرى ناظري ... فكيف إذا غبت لا أقلق

رهنت قلبي وحكم القلوب ... إذا رهنت أنها تغلق

وقال فيه أيضا من الرجز:

يا من أراه للزمان حسنة ... ومن حوى من كل شيء أحسنه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع ١٧٤/١٨

إن غبت عني سنة فهي سنة ... وسنة تحضر فيها وسنة

وعلى ذكر أبي الفتح بعض العصريين من أهل نيسابور فيه:

إذا قيل من فرد العلى ومحمد ... أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد

همام له في مرتقى المجد مصعد ... يلوح له العيون في ثوب حاسد

كريم حباه المشترى بسعوده ... وأصبح في الآداب بكر عطارد

به سحبت خوارزم ذيل مفاخر ... على خطة الشعر وربع الفراق

فلا زال في ظل السعادة ناعما ... يحوز جميع الفضل في شخص واحد

وحدثني أبو سعيد محمد بن منصور قال: لما ورد أبو عبد الله رسولا على شمس المعالي وصل إلى مجلسه فأبلغ الرسالة وأدى الألفاظ واستغرق الأغراض أعجب به شمس المعالي إعجابا شديدا، وأفضل عليه فضل كثيرا، ورغب في جذبه إلى حضرته واستخلاصه لنفسه، فأمرني بمجاراته في ذلك، ورسم لي أن أبلغ كل مبلغ في حسن الضمان له، وأركب الصعب والذلول في تحري وتحريضه على الانتقال إلى جنبته، فامثل الأمر، وجهدت جهدي، وأظهرت جدي في إرادته عليه، وإدارته بكل حيلة، وتمني جميلة، فلم يجب ولم يوجب، وقال: معاذ الله من لبس ثوب الغدر والانحراف عن طريق حسن العهد، وانصرف راشدا إلى أوطانه وحضرة سلطانه.

وقد كتبت لمعا من شعره وليس يحضرني الآن سواها لغية عن منزلي فتأخر كثير مما أحتاج إليه عني، قال من قصيدة ي الصاحب:

غدا دفتري أنسا وخطي روضة ... وحبري مد وارتجالي ساقيا

ولا شدو لي إلا التحفظ قارئا ... ولا سكر حين أنشد واعيا

تجشم أوصافا حسانا لعبده ... فطوقه عقدا من العز حاليا

فلولا امتثال الأمر لا زال عاليا ... لطار مكان النظم رجلان حافيا

على أنني إن سرت أو كنت قاطنا ... فغاية جهدي أن أطول داعيا

رسائله لي كالطعام وشعره ... كما زلال حين أصبح صاديا

فإن ظلت الآمال تشكر ظله ... فإن لسان المال قد ظل شاكيا

كأن له الخلق قال لجوده ... أفضل كل ما تحويه ورق عباديا

ومن أخرى:

ما أنس لا أنس أياما نعمت بها ... وهذبتني طوف وترداي

أيام أركب متن الريح تحملني ... والطر والنفس والأقلام دون

كافي الكف أدام الله نصرته ... نجل الأمين الكريم الشيخ عباد

غمر الرداء لرواد وراد ... سهل الحجاب لزوار وفاد

لا زالت الدولة العلياء تلزمه ... ما قالت العرب حيوا الحي بالوادي

ومن أخرى:

ليهنك هي الملك والعمر ... ماساير سيران الشعر والسمر

وطال عمر سناك المستضاء به ... ماعمر بقين الكتب والسير

يفدي الورى كلهم كافي الكف فقد ... صفا به أفضل العدل والنظر

له مكارم لا تحصى محاسنها ... أو يحسب أكثر الرمل والشجر

لكيده النصر من دون الحسام وإن ... تمرد شجع الترك والخز

ما سار موكبه إلا ويخدمه ... في ظله شيء الفتح والظفر

وإن أمر على طر أنامله ... أغضب له بهجة شيء والزهر

دامت تقبلها صيد الملوك كما ... يقبل الأكرم الركن والحجر

وهي تربي على ثلاثين بيتا". (١)

٣٩-"والأدب، منتحلا للشعر، غاية في الكرم وحسن العهد، وسذاجة النفس، ولما مررت به سنة أربع وستين، أنزلني ببيته إزاء المسجد الجامع، وبلوت منه ما لا يقدر مثله من الملوك، وأركبني الحراقة ليلة سفري، يباشر دحرجتها إلى الماء بيده، إغرابا في الفضل

والمساهمة. وحططت بجبل الفتح وهو يومئذ لصاحب المغرب. ثم خرجت منه إلى غرناطة، وكتبت إلى السلطان ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب بشأني. وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها، لقيني كتاب ابن الخطيب يهنئني بالقدوم ويؤنسني، ونصه:

حللت حلول الغيث بالبلد المحل ... على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه ... من الشيخ والطفل المهدإ والكهل

لقد نشأت عندي للقياك غبطة ... تنسي اغتباطي بالشبيبة والأهل

وودي لا يحتاج فيه لشاهد ... وتقريري المعلوم ضرب من الجهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته، وقبر صرفت، أزمة الأحياء لميته، ونور ضربت الأمثال بمشكاته وزيته. لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الأمنية السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة المطيفة، بين رجع الشباب يقطر ماء، ويرف نماء، ويغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة وإيماء، بحيث لا الوخط يلم بسياج لمته، أو يقدح ذباله في ظلمته، أو يقدم حواريه في ملته، من الأحابش وأمته، وزمانة روح وراح، ومغدى في النعيم ومراح، وقصف صراح، ورقى وجراح، وانتخاب واقتراح، وصدور ما بها إلا انشراح، ومسرات تردفها أفراح، وبين قدومك". (٢)

(١) يتيمة الدهر ٢/٦٣

(٢) رحلة ابن خلدون ص/٨٤

٤٠-"والأوطان. وبعد أن لم يذخر عنه كرامة رفيعة، ولم يحجب عنه وجه صنيعة، فولاه القيادة والسفارة، وأحله جليسا معتما بالإشارة، وألبسه من الحظوة والتقريب أبهى الشارة، وجعل محله من حضرته مقصودا بالمثل معنيا بالإشارة، ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضنانة بفراقه، ويجمع له بر الوجهة من جميع آفاقه، ويجعله بيده رتيمة خنصر، ووثيقة سامع أو مبصر، فمهما لوى أخدعه إلى هذه البلاد بعد قضاء وطره، وتمليه من نهمة سفره، أو نزع به حسن العهد وحنين الود، فصدر العناية به مشروح، وباب الرضا والقبول مفتوح، وما عهده من الحظوة والبر ممنوح. فما كان القصد في مثله من أمجاد الأولياء ليتحول، ولا الاعتقاد الكريم ليتبدل، ولا الأخير من الأحوال لينسخ الأول. على هذا فليطو ضميره، وليرد متى شاء نميره، ومن وقف عليه من القواد والأشياخ والخدام، برا وبحرا، على اختلاف الخطط والرتب، وتباين الأحوال والنسب، أن يعرفوا حق هذا الاعتقاد، في كل ما يحتاج إليه من تشييع ونزول، وإعانة وقبول، واعتناء موصول، إلى أن يكمل الغرض، ويؤدى من امتثال هذا الأمر الواجب المفترض، بحول الله وقوته.

وكتب في التاسع عشر من جمادى الأولى عام ستة وستين وسبع مائة.

وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان، ونصها: صح هذا.

الرحلة من الأندلس إلى بجاية

وولاية الحجابة بها على الاستبداد

كانت بجاية ثغرا لإفريقية في دولة بني أبي حفص من الموحدين. ولما صار أمرهم للسلطان أي بكر بن يحيى منهم، واستقل بملك إفريقية، ولى في ثغر بجاية

ابنه الأمير أبا زكرياء، وفي ثغر قسنطينة ابنه الأمير عبد الله. وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط، ينازعونه في أعماله، ويجمرون العساكر على بجاية، ويجلبون على قسنطينة، إلى أن تمسك السلطان أبو بكر بذمة من السلطان أبي". (١)

٤١-"""""""" صفحة رقم ٦٧ """""""

القراءة ، إمام في الوثيقة ، حسن الخط ، مليح السمة والشيبة عذب الفكاهة ، حسن العهد ، تام الرجولية .

نباهته

تصدر للاقراء ببلده على وفور أهل العلم ، فكان سابق الحلبة ، ومناخ الطية ، إمتاعا ، وتفننا ، وحسن إلقاء . وتصرف في القضاء ببلش وغيرها من غربي بلده ، فحسنت سيرته ، واشتهرت طريقته ، وحمدت نزاهته . ثم ولي خطة القضاء بمالقة ، والنظر في الأحباس بها ، على سبيل من الحظوة والنباهة ، مرجوعا إليه في كثير من مهمات بلده ، سائمة وجوه السعادة ، ناطقة ألسن الخاصة والعامة بفضله ، جماعة نزاهته ، آويا إلى فضل بيته . واتصلت ولايته إياها إلى هذا العهد ، وهي أحد محامد الوالي ، طول مدة الولاية ، لا سيما القاضي ، مما يدل على الصبر ، وقلة القدح ، وسد أبواب التهم ، والله

(١) رحلة ابن خلدون ص/٩٢

يعينه ، ويمتع به بمنه .

مشيخته قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن بكر ، وهو نجيب حلبته ، والسهم المصيب من كنانته ، لازمه وبه تفقه وانتفع ، وتلا القرآن عليه وعلى محمد بن أيوب ، وعلى أبي القاسم بن درهم علمي وقتهما في ذلك ، وعلى غيرهما ، وتعلم الوثيقة على العاقد القاضي أبي القاسم بن العريف . وروي عن الخطيبين المحدثين أبي عثمان ابن عيسى وأبي عبد الله الطنجالي وغيرهما .

دخوله غرناطة

تردد إليها غير ما مرة ، منها في أمور عرضت في شئونه الخاصة به ، ومنها مع الوفود الجلة ، من أهل بلده ، تابعا قبل الولاية ، متبوعا بعدها . ومن شعره قوله في جدول :

ومقارب الشطين أحكم صقله . . . كالمشرفي إذا اكتسى بفرنده

فحمائل الديباج منه خمائل . . . ومعانق فيها البهار بورده

وقد اختفى طرف له في دوحة . . . كالسيف رد ذبابه في غمده". (١)

٤٢-"""""""" صفحة رقم ١٢٠ """"""

ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح ، استقراء لمرامكم ، واستطلاعا لطالع اعتزامكم ، واستكشافا لمرامي سهامكم ، لا سيما مع إقامتكم على جناح خفوق ، وظهوركم في ملتمع بروق واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق ، حتى تستقر بكم الدار ، ويلقى عصاه التسيار ، وله العذر في ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل ، وسرورها بلقائكم لم يكتمل ، فلم يبر بعد جناحها المهيض ، ولا جم ماؤها المغيض ، ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ، ولا استوى نهارها ، ولا تألقت أنوارها ، ولا اشتملت نعماؤها ، ولا نسيت غماؤها ، بل هي كالناقة ، والحديث العهد بالمكاره ، تستشعر نفس العافية ، وتتمسح منكم باليد الشافية ، فبحياتكم عليها ، وعظيم حرمتكم على من لديها ، لا تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج ، وتقنطوها مما عودت من طيب المزاج ، فما لدائها ، وحياة قربكم ، غير طبكم من علاج ، وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم ، وعناية بما يعنيكم ، ما نال جانبكم صانه الله بهذا الوطن من الجفاء ، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء ، وأن الوطن إحدى المواطن الأظآر التي يحق لهن جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأولى الصفاء ، فيغلب على ظني ، أنكم لحسن العهد أجنح ، وبحق نفسكم على أوليائكم أسمح ، والتي هي أعظم قيمة في فضائلكم أوهب وأمنح ، وهب أن الدر لا يحتاج في الإثباب إلى شهادة النحور واللبات ، والياقوت غني المكان ، عن مظاهرة القلائد والتيجان ، أليس أنه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة البرهان ، تألقها في تاج الملك أنو شروان ، والشمس وإن". (٢)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ٦٧/١

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ١٢٠/١

٤٣-"""""""" صفحة رقم ١٩٧ """""""

ومن كتاب عائد الصلة : الشيخ ، الحافظ ، الفقيه ، القاضي ، من صدور المغرب ، مشاركا في العلم ، متبحرا في الفقه ، كان وجيها عند الملوك صحبهم ، وحضر مجالسهم ، واستعمل في السفارة ، فلقيناه بغرناطة ، وأخذنا بها عنه ، تام السراوة ، حسن العهد ، مليح المجالس ، أنيق المحاضرة ، كريم الطبع ، صحيح المذهب .

تصانيفه

قيد على المدونة ، بمجلس شيخه القاضي أبي الحسن ، كتابا مفيدا ، وضم أجوبته على المسائل في سفر ، وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الفائدة .

مشيخته

لازم أبا الحسن الصغير ، وهو كان قارىء كتب الفقه عليه ، وجل انتفاعه في التفقه به ، وروى عن أبي زكريا بن أبي ياسين ، قرأت عليه كتاب الموطأ إلا كتاب المكاتب وكتاب المدبر ، فإنه سمعه بقراءة الغير ، وعن أبي عبد الله بن رشد ، قرأ عليه الموطأ ، وشفاء ، عياض ، وعن أبي الحسن ابن عبد الجليل السداري ، قرأ عليه الأحكام الصغرى لعبد الحق ، وأبي الحسن ابن سليمان ، قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد ، وعن غيرهم .

وفاته

فلج بآخرة ، فالتزم منزله بفاس ، يزوره السلطان فمن دونه ، وتوفي بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة .

إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التنوخي

أصله من جزيرة طريف ونشأ بغرناطة واشتهر .". (١)

٤٤-"""""""" صفحة رقم ٨٤ """""""

وحده في أصالة عريقة ، وسجية على السلامة مفطورة فما شيت من صدر سليم ، وعقد وثيق ، وغور قريب ، ونصح مبذول ، وتصنع مرفوض ونفس ساذجة ، وباطن مساو للظاهر ، ودمعة سريعة ، وهزل يثمر تجلة . وانبساط يفيد حسن نية ، إلى حسن العهد ، وفضل المشاركة ، ورقة الحاشية ، وصلابة العود ، وصدق العزيمة ، وقوة الحامية ، وبلاغة الموعظة ، وجلة الوقت . وفايدة العصر ، تفننا وإمتاعا ، فارس المنابر غير الهيابة ، ولا الجزوع ، طيب النغمة بالقرآن ، مجهشا في مجال الرقة ، كثير الشفقة لصالح العامة ، متأسفا لضياع الأوقات ، مدمعا على الفيئة ، مجما ، محولا في رياسة الدين والدنيا . هذا ما يسامح فيه الإيجاز ، ويتجافى عنه الاختصار ، ويكفى فيه الإلماع والإشارة ، أبقى الله شيخنا أبا البركات .

مشيخته ولايته

تقدم قاضيا بقنالش ، في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبع مائة ثم ولي مربلة ، وإستبونة ثم كانت رحلته إلى بجاية . ثم عاد فقعد بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مسلم ، متفقا على اضطلاعه بذلك . ثم رحل إلى فاس . ثم آب

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ١٩٧/١

إلى الأندلس ، واستقر ببلده ألمرية ، فقعد بمسجدها الجامع للإقراء ثم قام قاضيا ببرجة ودلاية ، والبنيول وفنيانة ، ثم نقل عنها إلى بيرة ، ثم غربي ألمرية . ثم قدم قاضيا بمالقة ، ثم قدم بغرها مضافا إلى الخطابة ، ثم أعيد إلى قضاء ألمرية ، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصايغ . ومن كتاب طرفة العصر من تأليفنا في خبر ولايته ما نصه : فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبع وأربعين وسبعمائة ، ثالث يوم وصوله مستدعي ، وانتابه الطلبة ، ووجوه الحضرة والدولة ، مهنئين بمثواه من دار الصيانة ، ومحل التجلة ، إحدى دور الملوك بالحمراء ، فطفقوا بغشونه بها زرافات ووجدانا في إتاحة الخير ، وإلهام السداد ، وتسويغ الموهبة . وكان وصوله ، والأفق قد اغبر ، والأرض قد اقشعرت لانصرام حظ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته ، لم". [١]

٤٥-"""""""" صفحة رقم ٣٧١ """""""

أدار السحر من عينيه خمرا . . . معتقة فأسكر كل صاح وأهدى إذ تمادى كل طيب . . . كخوط البان في أيدي الرياح

وأحيا حين حيا نفس صب . . . غدت في قبضة الحب المتاح

وسوغ منه عتبي بعد عتب . . . وعللني براح فوق راح

وأجناني الأماني في أمان . . . وجنح الليل مسدول الجناح

وقال أيضا :

ومنعم الأعطاف معسول اللما . . . ما شيت من بدع المحاسن فيه

لما ظفرت بليلة من وصله . . . والصب غير الوصل لا يشفيه

أنضحت وردة خده بنفسي . . . وظللت أشرب ماءها من فيه

وقال أيضا :

رحكت السلاف صفاته بحبابها . . . من ثغره ومذاقها من رشفه

وتوردت فحكت شقايق خده . . . وتأرجت فيسيمها من عرفه

لعبت بألباب الرجال وغادرت . . . أجسامهم صرعى كفعلة طرفه

ومن الغرباء في هذا الحرف محمد بن حسن العمراني الشريف

من أهل فاس

حاله

كان جهويا ساذجا ، خشن البزة ، غير مرهف التجند ، ينظم الشعر ، ويذكر كثيرا من مسائل الفروع ، ومعانات الفرائض ، يجعجع بها في مجالس الدروس ، تشقى به المدرسون ، على وتيرة من صحة السجية وحسن العهد ، وقلة التصنع . وجرى ذكره في الكليل : كريم الانتماء ، مستظل بأغصان الشجرة الشماء ، من رجل ، سليم الضمير ، ذي باطن أصفى من الماء

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ٢/٨٤

النمير ، له في الشعر طبع بشهد بعروبية أصوله ، ومضاء نصوله .". [1]

٤٦-""""""""" صفحة رقم ٢٤٨ """""""

ومن طارئي المقريين والعلماء

منصور بن علي بن عبد الله الزواوي

صاحبنا ، يكنى أبا علي ،

حاله

هذا الرجل طرف في الخير والسلامة ، وحسن العهد ، والصون والطهارة والعفة ، قليل التصنع ، مؤثر للاقتصاد ، منقبض عن الناس ، مكفوف اللسان واليد ، مشتغل بشأنه ، عاكف على ما يعنيه ، مستقيم الظاهر ، ساذج الباطن ، منصف في المذاكرة ، موجب لحق الخصم ، حريص على الإفادة والاستفادة ، مثار على تعلم العلم وتعليمه غير أنف عن حمله عمن دونهن جملة من جمل السذاجة والرجولة وحسن المعاملة ، صدر من صدور الطلبة ، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلة ، واطلاع تقييد ، ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام ، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات . يكتب الشعر فلا يعدو الإجادة والسداد .

قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ، فلقى رحبا ، وعرف قدره ، فتقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهة ، وحلق للناس متكلما على الفروع الفقهية والتفسير . وتصدر للفتيا ، وحضر بالدار السلطانية مع مثله . جربت وصحبته ، فبلوت منه دينا ونصفة ، وحسن عشرة .

محنته

امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية ، لمتوقف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والنبوة ، وشك في القول بتكفيره ، فقال القوم بإشراكه في التفكير ولطخه بالعاب الكبير ، إذ كان كثير المشاحة لجماعتهم ، فأجلت الحال عن صرفه عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعماية .

مشيخته

طلبت منه تقييد مشيخته ، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه : ' يتفضل سيدي الأعلى الذي أهتدي بمصباحه ، وأعشو إلى غرره وأوضاحه ، جامع أشتات العلوم ، وفاتق الفهوم ، حامل راية البديع ، وصاحب آيات التورية فيه". [2]

٤٧-""""""""" صفحة رقم ٢٥٤ """""""

حرف النون الملوك والأمراء

نصر بن عقيل الخزرجي الأنصاري نصر بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ٢/٣٧١

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ٣/٢٤٨

الأنصاري

أمير المسلمين بالأندلس ، بعد أبيه وجده وأخيه . يكنى أبا الجيوش وقد تقدم من أولية هؤلاء الملوك ما يغنى عن الإعادة .

حاله

من كتاب طرفة العصر في أخبار الملوك من بني نصر من تصنيفنا . قال : كان فتى يملأ العيون حسنا وتمام صورة ، دمث الأخلاق ، لين العريكة ، عفيفا ، مجبولا على طلب الهدنة وحب الخير ، مغمد السيف ، قليل الشر ، نافرا للبطر وإراقة الدماء ، محبا في العلم وأهله ، آخذا من صناعة التعليل بحظ رغيب ، يخط التقاويم الصحيحة ، ويصنع الآلات الطريفة بيده ، اختص في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرقام ، وحيد عصره . فجاء واحد دهره ظرفا وإحكاما . وكان حسن العهد ، كثير الوفاء . حمله الوفاء على اللجاج في وزيره المطلوب بعزله ، على الاستهداف للخلع .

تقدم يوم خلع أخيه ، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعماية ، وسنه ثلاث وعشرون سنة ، فكان من تمام الخلق ، وجمال الصورة ، والتأنق في ملوكي اللباس ، آية من آيات الله خالقه . واقتدى برسوم أبيه وأخيه ، وأجرى الألقاب والعوايد لأول دوالته ، وكانت أيامه كما شاء الله ، أيام محس مستمر ، شملت المسلمين فيها الأزمة ، وأحاط بهم الذعر ، وكلب العدو . وسيمر من ذالك ما فيه كفاية . وكان فتى أي فتى ، لو ساعده الجد . والأمر لله من قبل ومن بعد .". (١)

٤٨-"""""""" صفحة رقم ٣٣٤ """"""""

ومن المقربين

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي

يكنى أبا زكريا ، شيخنا أبو زكريا بن هذيل رحمه الله أرجدوني الأصل ، ينسب إلى سلفه أملاك ومعاهد كولابج هذيل ، مما يدل على أصالة .

حاله

كان آخر حملة الفنون العقلية بالأندلس ، وخاتمة العلماء بها ، من طب وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب ، إلى إمتاع المحاضرة ، وحسن المجالسة ، وعموم الفائدة ، وحسن العهد ، وسلامة الصدر ، وحفظ الغيب ، والبراءة من التصنع والسمت ، مؤثرا للخمول ، غير مبال بالناس ، مشغولا بخاصة نفسه . خدم أخيرا باب السلطان بصناعة الطب ، وقعد بالمدرسة بغرناطة ، يقرىء الأصول والفرايض والطب .

عمن أخذ : قرأ على جملة من شيوخ وقته ، كالأستاذ أبي عبد الله الأركشي ، وأبي زكريا القصري ، وجملة من الإسلاميين بالعدوة . وقرأ كراسة الإمام فخر الدين الرازي المسراة بالآيات البينات ، على الأستاذ أبي القاسم بن جابر . ونظر الأصول على الأستاذ النظار أبي القاسم بن الشاط ، وأخذ الحساب عن أبي الحسن بن راشد . والحساب والهندسة والأصول وكثيرا من عمليات الحساب وجبره ومقابلته والنجوم ، على الأستاذ أبي عبد الله بن الرقام ، ولازمه كثيرا .

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ٣/٢٥٤

تواليفه

وله تصانيف وأوضاع منها ، ديوان شعره المسمى بالسليمانيات والعربيات وتنشيط الكسل . ومنها شرحه لكراسة الفخر ، وهو غريب المأخذ ، جمع فيه بين طريقتي القدماء والمتأخرين من المنطقيين . وكتابه المسمى بالاختيار والاعتبار في الطب . وكتابه المسمى بالتذكرة في الطب .

شعره

وجرى ذكره في التاج المحلى بما نصه : درة بين الناس مغفلة ، وخزانة على كل فائدة مقفلة ، وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة . أبدع من رتب". (١)

٤٩-" المخلوقين أو ما علمت أن كثيرا من العوام يعتقد جواز ذلك إذ رآك ارتكبته فتكون قد سننت هذه السنة وضل بسبب ذلك كثير من الناس أو ما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب أو ما كنت تعير من يرتكب مثل ذلك من الولاة وتتأسف عليه (لا تعير أخاك المؤمن) الحديث

(لا تنه عن خلق وتأتي مثله ** عار عليك إذا فعلت عظيم)

أما انتبهت لما وقع لأهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الأحرار وهتك الحرم (إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام) الحديث وقد أتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكتانة ذلك ولم يستطع إذ ذاك من نظر بنور العلم أن يقول لهم في وزر نظرا إلى ما آل إليه الحال في أهل درعة مع أن جلهم حملة القرآن وعامتهم بله (وأكثر أهل الجنة البله) أفيليق بحق الصلحاء أن يسلط عليهم من لا يرحمهم (ولا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي) (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) (من لا يرحم لا يرحم) (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) أو نسيت أنه يقتص للجماء من القرناء وأن الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض أفي علمك أن حسناتك تفي بما عليك من التبعات أو أنه لا تباعة لأحد عليك ولو كنت بدريا لاحتمل أن يقال في شأنك ما قاله صلى الله عليه وسلم لعمر (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر) فقال (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) أو كما قال صلى الله عليه وسلم (والظلم ظلمات يوم القيامة) أو تستطيع أن تقتحم ظلمات الصراط وأنت مسؤول عن القيراط وحتى أهل تارودانت بلغنا أنه لم يغن في شأنهم الترويع بل بلغ بهم الحال والجور إلى التقريع فاتق الله أيها الشيخ ولا تكن كمن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم هذا ما يتعلق ببعض حقوق الناس على العموم ويتعلق بحق كاتبه على الخصوص إنك أخذت عليه أن يؤدي الطاعة للأمير ويرعى ما هو من شيم المؤمنين من حسن العهد والتبري من الغدر وشق العصا بعد أن بذل وسعه في نصحك ونصح الأمير وحاول بكليته على جمع الكلمة وتعب في ذلك

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . موافقا للمطبوع ٤/٣٣٤

". (١)

٥٠-" أسدوه إليك فقال أنا المنذر بن المغيرة من أهل دمشق كنت بدمشق في نعمة عظيمة واسعة فزالت عنى حتي أفضى بي الحال إلى أن بعت داري ثم لم يبق لى شئ فأشار بعض أصحابي على بقصد البرامكة ببغداد فأتيت أهلى وتحملت بعيالي فأتيت بغداد ومعي نيف وعشرون امرأة فأنزلتهن في مسجد مهجور ثم قصدت مسجدا مأهولا أصلى فيه فدخلت مسجدا فيه جماعة لم أر أحسن وجوها منهم فجلست إليهم فجعلت أدبر في نفسي كلاما أطلب به منهم قوتا للعيال الذين معى فيمنعنى من ذلك السؤال الحياء فبينا أنا كذلك إذا بخادم قد أقبل فدعاهم فقاموا كلهم وقمت معهم فدخلوا دارا عظيمة فإذا الوزير يحي بن خالد جالس فيها فجلسوا حوله فعقد عقد ابنته عائشة على ابن عم له ونثروا فلق المسك وبنادق العنبر ثم جاء الخدم إلى كل واحد من الجماعة بصينية من فضة فيها ألف دينار ومعها فتات المسك فأخذها القوم ونهضوا وبقيت أنا جالسا وبين يدي الصينية التي وضعوها لى وأنا أهاب أن آخذها من عظمتها في نفسي فقال لي بعض الحاضرين ألا تأخذها وتذهب فمددت يدي فأخذتها فأفرغت ذهبها في جيبى وأخذت الصينية تحت إبطي وقمت وأنا خائف أن تؤخذ منى فجعلت أتلفت والوزير ينظر إلى وأنا لا أشعر فلما بلغت الستارة أمرهم فردوني فيئست من المال فلما رجعت قال لى ما شأنك خائف فقصصت عليه خبرى فبكى ثم قال لأولاده خذوا هذا فضموه إليكم فجاءني خادم فأخذ منى الصينية والذهب وأقمت عندهم عشرة أيام من ولد إلى ولد وخاطري كله عند عيالي ولا يمكنني الانصراف فلما انقضت العشرة الأيام جاءني خادم فقال ألا تذهب إلى عيالك فقلت بلى والله فقام يمشى أمامي ولم يعطنى الذهب ولا الصينية فقلت يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ منى الصينية والذهب ياليت عيالي رأوا ذلك فسار يمشى أمامي إلى لم أر أحسن منها فدخلتها فإذا عيالي يتمرغون في الذهب والحرير فيها وقد بعثوا إلى الدار مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار وكتابا فيه تمليك الدار بما فيها وكتابا آخر فيه تمليك قريتين جليلتين فكنت مع البرامكة في أطيب عيش فلما أصيبوا أخذ منى عمرو بن مسعدة العريتين وألزمنى بخارجهما فكلما لحقتني فاقة قصدت دورهم وقبورهم فبكيت عليهم فأمر المأمون برد القريتين فبكى الشيخ بكاء شديدا فقال المأمون مالك ألم استأنف بك جميلا قال بلى ولكن هو من بركة البرامكة فقال له المأمون امض مصاحبا فإن الوفاء مبارك ومراعاة حسن العهد والصحبة من الايمان وفيها توفي

الفضيل بن عياض

أبو على التميمى أحد أئمة العباد الزهاد وهو أحد العلماء والأولياء ولد بخراسان بكورة دينور وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحصين بن ". (٢)

٥١-"عيالي يتمرغون في الذهب والحرير فيها، وقد وصل إليهم مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار، وكتاب فيه تمليك الدار بما فيها، وبقريتين جليلتين لهم، فكنت مع البرامكة في أطيب عيش، فلما أصيبوا أخذ مني عمرو بن مسعدة

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٦٦/٦

(٢) البداية والنهاية ١٩٨/١٠

القريتين، وألزمني بخراجهما، فكلما لحقتني فاقة قصدت دورهم وقبورهم فبكيت عليهم. فأمر المأمون برد القريتين عليه وخراجهما. فبكى الشيخ بكاء شديدا، فقال له المأمون: ألم أستأنف بك جميلا ؟ قال: بلى، ولكن هو من بركة البرامكة. فقال المأمون: امض مصاحبا فإن الوفاء مبارك، وحسن العهد من الإيمان.

وممن توفي فيها من الأعيان:

الفضيل بن عياض،

أبو علي التميمي، أحد أئمة العباد، وعلم الزهاد، وواحد العلماء الأولياء، ولد بخراسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع الأعمش، ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن، وغيرهم، ثم انتقل إلى مكة فتعبد بها، وكان حسن تلاوة القرآن، كثير الصلاة والصيام، وكان سيدا كبير الشأن، ثقة من أئمة الرواية، رحمه الله، ورضي عنه، وله مع الرشيد قصة موعظته له، وقد روينا ذلك". (١)

٥٢-" عاد الحديث من أول دخولنا إلى دمشق

ولما دخلنا إلى دمشق وجدنا رسل الخلافة قد وصلوا بأسباب العاطفة والرأفة وكان حينئذ صاحب المخزن ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر العطار وهو من ذوي الأخطار وله التحكم في الإيراد والإصدار وقد توفر على محبة السلطان وتربية رجائه وتلبية دعائه وتسنية آرائه فوصل كتابه ورسوله بكل ما سر السرائر ونور البصائر وكان الكتاب بخطه وقد جرى للتقرب في شوطه ووفى للتودد بشرطه ولم يقبض في كل ما يشرح الصدر ويرفع القدر عنان بسطه واقترح على السلطان أبياتا يكتبها إليه بخطه فقلت ما ضمنه الكتاب ٪ وأفاض في شكر العوارف عارفا ٪ ٪ بقصور باع الشكر عن نعمائه ٪ ٪ وتأمل الخط الكريم فأشرقت ٪ ٪ أنوار حسن العهد من أثنائه ٪ ٪ وجرى معين الجود من تياره ٪ ٪ وسرى نسيم المجد من تلقائه ٪ ٪ أضحى ظهير الدين أفضل صاحب ٪ ٪ يستمسك الراجي بصدق ولائه ٪ ٪ والسعد في آلائه والنجح في ٪ ٪ آرابه والنصر في آرائه ٪ وأنشأت إليه عن السلطان كتابا بخطى ابتداؤه

ضاعف الله علاء المجلس السامي الظهيري وساعف بالنجح رجاءه وأردف بالمنح آلاءه ولا أخلى الأيام من التجلي بأنوار حسناته والتحلي بأضواء مكرماته والتملي بأنواع مبراته ولا زالت أطواق المنن منه لأعناق المنن لازمة ومباسم المحامد عن ثنايا الثناء على غر مفاخرة وزهر مآثره باسمة ونفحات مكارمه لمناشق المنى بعرف المناجح وعرف المناجح فاغمة ومعاطس عداته بطوراق الردى من صواعق الصغار وبوارق البوار راغمة ولا برحت مقانب مناقبه لسرايا الحمد مجهزة ومراقب مراتبه لتوقل مطامح الأمل إلى أمده معجزة ونصائع صنائعه لذخاير شكر الأخاير محرزة وحوالي الأحوال بسنا محاسنه ومزايا مزاينه معلمة مطرزة ما همى صيب وهام صب وأرج طيب وراج طب

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ٦٦٠/١٣

ووردت المكاتبة الكريمة المفداة والتكرمة الأثيرة المهداة والمكرمة الخطيرة المسداة والعارفة العارفة حق الولاء والموهبة الواهبة نجح الرجاء والمنة المضعفة منة الشكر

". (١)

٥٣-"في تدبير الأحوال والأنفاق من مواد البلاغة التي لا يخشى فيها مع الثروة الاقلال والسيف في الروع لا يخشى الفرق كما أن الدر في اللجة لا يخشى الغرق وهي بحمد الله ملية باملاء المحاسن التي لم يستطعها الأوائل ولا الأواخر إن حضرت فما غاب غائب وإن غابت فما حضر حاضر وهي تخدم بحرا وملكا وواحد قد جعل الله خلقه في فضله مشتركا فلا تستنبط عوائد سحبه ولا تؤثر موثرا على نعمة قربه

وأما الجماعة الذين ذكرت عهدهم فطرته وأطرته ومدحت بلدهم فعمرته وغمرته فكل منهم وصله سلامها فاستطابه واستعاد طيب ذكرها واستثابه واسترجع قصدها في حسن العهد واستصابه واستقصر نفسه عن مقابلة درها بمشخلبة وخشي أن لا يعيد إلى مالك البلاغة قولا الا يقال هذا من حلبه فأمسك صامت اللسان ناطق النية قارع الثنية على ما حرمه من الاستكثار من محاسن مولى قارع المنية وأما تفضل القاضي شمس الدين فأحسن الله جزاه ووفر من الفضل أجزاءه فنعم الصدر الكريم وصاحب الصدر السليم والإمام الذي كل من ناظره أميم وكل من سمع قوله عوذه بحاميم وقد أبقى عندنا من نصفاته ما يبقيه السحاب من الربيع ونحن نسأله في الجديد من غير زهد في الخليع ففلك ذلك الخاطر محال أن يعوقه شيء من دورانه وروض ذلك الفكر لا يستغني أن يستطرف ريان ريحانه ولا تنفرد حضرته العالية بجنى فنونه دوننا وظل أفنانه والنور لا يخفيه معاوضه والمسك لا تكتمه مخاوضه وخزانة الكتب فقط كانت حضرته حاضرة أولا أيام جلوتها وآخرا أيام خلوتها وما فصلت غيرها إلا وهي رازمة تحت أثقالها ولا شغلت عنا بها الا بما استبضعت من القليل من جدودها والكثير من أخلاقها وكتابها إذا وصل غنيت بامتاعه وتجهرت وتجهزت رفق السرور الى متاعه وتفرقت محتشدات الأمور عني شعاعا فما أولاها أن تمن به وهي لا تحتاج في الفضل إلى منته ووصلني أيضا كتاب كريم منه بتاريخ رابع عشر المحرم وهو

وقفت على كتاب حضرة سيدنا لا زالت هممه عالية ووفود السعود إليه متوالية وعين عناية الله الجميلة له كالية وفرق اعدائه لنار الخطوب صالية واستشففت جوهره الثمين واستشفيت بفضله المبين واستسقيت ماء مورده المعين رفأيت كتابه ورفت

". (٢)

---

(١) البرق الشامي ٦٩/٣

(٢) البرق الشامي ١٠٨/٣

٥٤-"لا عار ولا في الفرار فقد ... فر نبي الهدى إلى الغار ونظرت في مفارقة الوطن، والبين عن الأحبة، فتبين لي أن إيحاش نفسي، بإيناس أهلي، وقطعها في صلة وطني، غبن في الرأي، وخور في العزم، ووجدت الحر ينام على الثكل، ولا ينام على الذل، وأذنت إلى قولهم: ليس بينك وبين البلاد نسب فخيرها ما حملك.

وإذا نبابك مبزل فتحول ...

وقال بعض المحدثين:

أرى الناس أحدوثة ... فكوني حديثا حسن

كأن لم يزل ما أتى ... وما قد قضى لم يكن

إذا وطن رابني ... فكل مكان وطن ولم أستغرب أن أسام مثل هذا الخسف في مسقط رأسي، ومعق تمائمي، وأول أرض مس ترابها جلدي، فقديما ضاع المرء الفاضل في وطنه، وكسد العلق الغبيط في معدته؛ قال بعضهم:

أضيع في معشري وكم بلد ... يعد عود الكباء من حطبه فاستخرت الله عز وجل، واضح العذر، ثابت قدم الحجة، عند من غض عين الهوى، وخزن لسان التعسف. والله يصيب غرض الصواب برأيي، ويقرب غاية النجاح على سعيي، حسبما في علمه أني مظلوم مبغي عليه، منسوب ما لم آته إلي، فهو المؤمل بذلك والمرجو له.

ولعمرك يا سيدي إن ساحة العذر لتضيق، وما تكاد تتسع لك في إسلامك لتلميذك وابن جارك وشيخك الذي لم تزل متوفرا عليه، آخذا عنه، مقتبسا منه، مع إكثارك من ذكر هذا،والاعتداد به، وادعاء الحفظ له. وقد رويت أن حسن العهد". (١)

٥٥-"الود وانتحاله، وحسن العهد وجماله، تمتريه كل فرقة ، وتتعاطاه كل طائفة، حتى قد كاد يقع الالتباس بين المحق والمبطل، وتختلج الظنون والظنن في عيان المتأمل، بكثرة الدعاوى في الناس والنفاق، وعدم التصافي في الأغلب والوفاق، فالكلام منهل مورود، وحبل ممدود، وباب غير مسدود، فما عسى الموالي المحق أن يكتب به، معربا عن صحة ضميره ومذهبه، ولعل الظنين المستراب به قد سبق من القول في هذا الباب إلى كل ثنية، وأتى من الإسهاب والإغراب بكل قضية سنية ، قبل إعمال الروية، فهي ألفاظ مشتركة غير متميزة، وكلمات مختلطة غير متحيزة .

وفي فصل من أخرى [له]: وكنت أضرب صفحا عن ذكر حالي معك والاتباطها، وانجذاب نفسي إليك وانبساطها، وامتزاج ذاتي بك واختلاطها، إلا أني قلت: لا بد للنفوس من أن تظهر ألإعالها، وللحقائق ان تعطي أحوالها، فإن وراء كل دعوى، ستارا من النجوى، يعلم به هل تغلغلت في الضمير ذاهبة، أو أخذت في بعض الجوانب وازبة ؛ وعلمت أنه لا بد من شواهد اللسان، مع معاقد الجنان، والله المطلع على الضمائر لم يقبل عقد الإيمان، حتى يصحبه عقد اللسان، ولهذا السبب لا بد". (٢)

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٤١٣/١

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١٩٤/٥

٥٦-"فهو يجلوك للعيون بكنبو ... ش جديد مستحسن منقوش

كم عدو من بأسه في عثار ... وولي بجوده منعوش

والموالي على الأسرة، والأع ... داء تحت الهوان فوق النعوش

قال: وأقطع أسد الدين حمص وأعمالها، فسار إليها؛ فسد ثغورها، وضبط أمورها، وحمى جمهورها. وكان نور الدين قد جدد سورها وحصن دورها، وبلى الفرنج منه بالمغاور والمراوغ، ذي البأس الدامغ. وسأله نور الدين في السلو عن حب مصر، وقال: قد عتبت مرتين واجتهدت، ولم يحصل لك ما طلبت؛ وقد أذعنوا بالطاعة، وشفعوا السؤال بالشفاعة، وسمحوا بكل ما يدخل تحت الاستطاعة.

قلت: وأنشد العماد أسد الدين في رجب من هذه السنة:

دمت في الملك آمرا ذا نفاذ ... أسد الدين شيركوه بن شاذي

يا كريما عن كل شر بطيئا ... وإلى الخير دائم الإغذاذ

وملاذ الإسلام أنت، فلا زل ... ت لأهل الإسلام خير ملاذ

في نفوس الكفار رعبك قد حل ... بصدع الأكباد والأفلاذ

لم تدع بالظبا، رؤسا وأصنا ... ما من المشركين غير جذاذ

أنت من نازل الدعيين في مص ... ر لنصر الإمام في بغداذ

وبلاد الإسلام أنقذتها أن ... ت من الشرك أيما إنقاذ

فصل في وفاة زين الدين

قال ابن الأثير، وغيره: في سنة ثلاث وستين سار زين الدين علي بن بكتكين، نائب أتابك قطب الدين، عن الموصل إلى إربل، وسلم جميع ماكان من البلاد والقلاع إلى قطب الدين ماعدا إربل، فإنها كانت له من أتابك زنكي رحمه الله تعالى. فمن ذلك سنجار وحران وقلعة عقر الحميدية، وقلاع الهكارية جميعها. وكان نائبه بتكريت الأمير تبر، فأرسل إليه ليسلمها، فقال: إن المولى أتابك لايقيم بتكريت ولابد له من نائب فيها، وأنا أكون ذلك النائب، فليس له مثلي؛ فما أمكن محاققته لأجل مجاورة بغداد. وأما شهرزور فكان بها الأمير بوزان، فقال مثله أيضا، فأقرت بيده؛ فكان في طاعة قطب الدين.

وسبب فراق زين الدين أنه أصابه عمى وصمم، وأقام بإربل إلى أن توفي بها، في ذي الحجة من هذه السنة، وكان قد استولى عليه الهرم وضعفت قوته.

وكان خيرا عادلا حسن السيرة، جوادا، محافظا على حسن العهد وأداء الأمانة، قليل الغدر بل عديمه. وكان إذا وعد بشئ لابد له من أن يفعله وإن كان فعله خطيرا. وكان حاله من أعجب الأحوال، بينما يبدو منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته حتى يبدو منه ما يدل على إفراط الذكاء وغلبة الدهاء. بلغني أنه أتاه بعض أصحابه بذنب فرس ذكر أنه نفق له، فأمر له بفرس؛ فأخذ ذلك الذنب أيضا غيره من الأجناد فأحضره وذكر أنه نفق له دابة، فأمر له بفرس وتدوال ذلك الذنب اثنا عشر رجلا كلهم يأخذ فرسا. فلما أحضره آخرهم قال لهم: أما تستحيون مني كما أستحيي أنا منكم؟ قد أحضر هذا عندي اثنا عشر رجلا وأنا أتغافل لئلا يخجل أحدكم. أتظنون أنني لاأعرفه؟ بلى والله، وإنما أردت أن يصلكم عطائي

بغير من ولاتكدير، فلم تتركوني!

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

قال: وكان يعطي كثيرا ويخلع عظيما؛ وكان له البلاد الكثيرة، فلم يخلف شيئا بل أنفذه جميعا في العطايا والإنعام على الناس. وكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه كل ما يحتاج إليه من سكين ودرفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودسترك وغير ذلك. وكان أشجع الناس، ميمون النقيبة، لم تنهزم له راية. وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته وكان تركيا أسمر اللون خفيف العارضين قصيرا جدا؛ وبنى مدارس وربطا بالموصل وغيرها. وبلغني أنه مدحه الحيص بيص، فلما أراد الإنشاد قال له: أنا لاأدري ما تقول لكن أعلم أنك تريد شيئا؛ وأمر له بخمسمائة دينار وأعطاه فرسا وخلعة وثيابا، يكون مجموع ذلك ألف دينار. قال ومكارمه كثيرة.

ولما توفي بإربل كان الحاكم بها خادمه مجاهد الدين قايماز، وهو المتولي لأمورها. وولى بعد زين الدين ولده مظفر الدين كوكبري مدة ثم فارقها لخلف كان بينه وبين مجاهد الدين قايماز؛ وجرت أمور يطول ذكرها.". [١]

٥٧-"هو(١) .

ب- زين الدين علي كجك بن بكتكين ٥٣٩ - ٥٤١هـ: يعتبر زين الدين علي كجك من أبرز رجال عماد الدين، وأحد قادته الكبار وقد اشترك معه في معظم حروبه في بغداد والشام ومناطق الأكراد وكان زين الدين رجلا صالحا، ذا أصل تركماني، لقب بكجك أي : القصير اللطيف وكان معروفا بالقوة والشجاعة والأقدام رؤوفا بالفقراء مواسا للمرضى (٢) . اشتهر بالمحافظة على حسن العهد، وأداء الأمانة، ولم يمارس غدرا قط (٣) ، وبلغ من تقواه أن قال عنه زنكي : إنه يخاف الله ولا يخافني (٤) ، وقد رأى عنه أهل الموصل كل خير (٥)، واستقام له الأمر، وحسنت بتدبيره الأحوال (٦)، وانتشر الأمن في المنطقة وازداد عمران البلاد (٧) ، وتحققت بهذا آمال السكان (٨).

---

(١) عماد الدين زنكي ص ٢٤٠.

(٢) الاعتبار ص ١٧٧ – ١٧٨.

(٣) الباهر ص ١٣٥.

(٤) الاعتبار ص ١٥٧ عماد الدين زنكي ص ٢٤١.

(٥) وفيات الأعيان (٣١٦/١) عماد الدين زنكي ص ٢٤٢.

(٦) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ – ٢٨٢.

(٧) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ – ٢٨٢.

---

(١) الروضتين في أخبار النورية والصلاحية ص/١٦٢

(٨) الباهر ص ٨٤ عماد الدين زنكي ص ٢٤٢.". [١]

٥٨-"@ ٤٨٨ @ $ ذكر موت سبكتكين وملك ولده إسماعيل $ # وفي هذه السنة توفي ناصر الدولة سبكتكين في شعبان وكان مقامه ببلخ وقد ابتنى بها دورا ومساكن فمرض وطال مرضه وانزاح إلى هواء غزنة فسار عن بلخ إليها فمات في الطريق فنقل ميتا إلى غزنة ودفن فيها وكان مدة ملكه نحو عشرين سنة وكان عادلا خيرا كثير الجهاد وحسن الاعتقاد ذا مروءة تامة وحسن العهد ووفاء لا جرم بارك الله في بيته ودام ملكهم مدة طويلة جازت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم وكان ابنه محمود أول من لقب بالسلطان ولم يلقب به أحد قبله ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده إسماعيل بالملك بعده فلما مات بايع الجند لإسماعيل وحلفوا له وأطلق لهم الأموال وكان أصغر من أخيه محمود فاستضعفه الجند فاشتطوا في الطلب حتى أفنى الخزائن التي خلفها أبوه $ ذكر استيلاء أخيه محمود بن سبكتكين على الملك $ # لما توفي سبكتكين وبلغ الخبر إلى ولده يمين الدولة محمود بنيسابور جلس للعزاء ثم أرسل إلى أخيه إسماعيل يعزيه بأبيه ويعرفه أن أباه إنما عهد إليه لبعده عنه ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير ويطلب منه الوفاق وإنفاذ ما يخصه من تركة أبيه فلم يفعل وترددت الرسل بينهما فلم تستقر القاعدة فسار محمود عن نيسابور إلى هراة عازما على قصد أخيه بغزنة واجتمع بعمه بغراجق بهراة فساعده على أخيه إسماعيل وسار نحو بست وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه إلى غزنة وبلغ الخبر إلى إسماعيل وهو ببلخ فسار عنها مجدا فسبق أخاه محمودا إليها وكان الأمراء الذين مع إسماعيل كاتبوا أخاه محمودا يستدعونه ووعدوه الميل إليه فجد المسير والتقى هو". [٢]

٥٩-"@ ٨٦ @ $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من أعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الأموال ويقطعون الطريق إلا أنهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة أطرحوا المراقبة وعملوا الأعمال الشنيعة فاستعمل أيلغازي بن أرتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن أخيه بلك بن بهرام بن أرتق وأمره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام في ذلك القيام المرضي وحمى البلاد وكف الأيدي المتطاولة وسار بلك إلى حصن خانيجار وهو من أعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه # وفيها في شعبان جعل السلطان محمد قيسم الدولة سنقر البرسقي شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا في حروبه كلها # وفيها أقطع السلطان محمد الكوفة للأمير قايماز وأوصى صدقة أن يحمي أصحابه من خفاجة فأجاب إلى ذلك # وفيها في شهر رمضان وصل السلطان محمد إلى أصبهان فأمن أهلها ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها هاربا متخفيا وعوده إليها سلطانا متمكنا وعدل في أهلها وأزال عنهم ما يكرهون وكف الأيدي المتطرقة إليهم من الجند وغيرهم فصار كلمة العامي أقوى من كلمة الجندي ود الجندي قاصرة عن العامي من هيبة السلطان وعدله # وفيها ذكر الجدري في كثير من البلدان لا سيما العراق فإنه كان به كله ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت

---

(١) السيرة الزنكية ٧٧/١

(٢) الكامل في التاريخ ٤٨٨/٧

عظيم # وتوفي في هذه السنة في شوال أحمد بن محمد بن أحمد أبو علي البرادني الحافظ ومولده سنة ست وعشرين وأربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكي والعشاوي وغيرهم # وتوفي أبو المعالي ثابت بن بندار بن إبراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة وأربعمائة سمع أبا بكر البرقاني وأبا علي بن شاذان وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة # وفي رابع جمادي الأولى توفي أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الفقيه الشافعي ومولده سنة تسع وأربعمائة وكان أديبا شاعرا فمن قوله # (من قال لي جاه ولي حشمة ٪ ولي قبول عند مولانا) # (ولم يعد ذاك بنفع على ٪ صديقه لا كان من كانا)". [١]

٦٠-"وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه أحد إلا بخير السمع فلا يحب أن يسمع عن أحد إلا الخير وطاهر اللسان فما رأيته ولع بشتم قط وكان حسن العهد والوفاء فما أحضر بين يديه يتيم إلا وترحم على مخلفيه وجبر قلبه وأعطاه وجبر مصابه وإن كان له من أهله كبير يعتمد عليه سلمه إياه وإلا أبقى له من الخير ما يكف حاجته وسلمه إلى من يعتني بتربيته ويكفلها .

وكان لا يرى شيخا إلا ويرق له ويعطيه ويحسن إليه ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله إلى مقر رحمته ومكان رضوانه .

فهذه نبذ من محاسن أخلاقه ومكارم شيمه اقتصرت عليها خوف الإطالة والسآمة وما سطرت إلا ما شاهدته أو أخبرني الثقة به وحققته وهذا بعض ما اطلعت عليه في زمان خدمتي له وهو يسير فيما اطلع عليه غيري ممن طالت صحبته وتقدمت خدمته ولكن هذا القدر يكفي الأديب في الاستدلال على طهارة تلك الأخلاق والخلال وحيث نجز هذا القسم فنشرع الآن في القسم الثاني من الكتاب في بيان تقلبات أحواله ووقائعه وفتوحاته في تواريخها قدس الله روحه .

ونور بنور رحمته ضريحه .

- القسم الثاني في بيات تقلبات أحواله وفتوحاته في تواريخها:

ذكر حركته إلى مصر:

في الدفعة الأولى صحبة عمه أسد الدين سبب ذلك أن شاور وزير المصريين كان قد خرج عليه إنسان يقال له الضرغام وكان يروم منصبه ومكانه فجمع له جموعا كثيرة لم يكن له بها قبل وغلب عليه وأخرجه من القاهرة وقتل ولده واستولى على المكان وولي الوزارة .". [٢]

٦١-"ثغابة ونمى إلى فخر الدولة انه يتجسس عدد الجند وغوامض الطرق فبعث إلى سبكتكين بالعتاب في ذلك ثم ضعف الحال بينهما واتصل ما بين فخر الدولة والامير نوح على يد سبكتكين * (وفاة سبكتكين وولاية ابنه اسمعيل) * ولما فرغ سبكتكين من أمر ايلك خان ورجع إلى بلخ وأقام بها قليلا طرقه المرض فبادر به إلى غزنة وهلك في طريقه في شعبان سنة سبع وثمانين لعشرين سنة من ملكه في غزنة وخراسان ودفن بغزنة وكان عاد لا خيرا حسن العهد محافظا على الوفاء

---

(١) الكامل في التاريخ ٨٦/٩

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص/٢٥

كثير

الجهاد ولما هلك بايع الجند لابنه اسمعيل بعهده إليه وكان أصغر من محمود فأفاض فيهم العطاء وانعقد أمره بغزنة * (استيلاء محمود بن سبكتكين على ملك أبيه وظفره بأخيه اسمعيل) * ولما ولى اسمعيل بغزنة استضعفه الجند واستولوا عليه واشتطوا عليه في العلب حتى أنفذ خزائن أبيه وكان أخوه محمود بنيسابور فبعث إليه أن يكتب له بالاعمال التى لنظره مثل بلخ فأبى وسعى أبو الحرب والى الجوزجان في الاصلاح بينهما فامتنع اسمعيل فسار محمود إلى هراة معتزما عليه وتحيز معه عمه بغراجق ثم سار إلى بست وبها أخوه نصر فاستماله وساروا جميعا إلى غزنة وقد كتب إليه الامراء الذين مع اسمعيل واستدعوه ووعدوه بالطاعة وأغذ السير ولقيه اسمعيل بظاهر غزنة فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم اسمعيل واعتصم بقلعة غزنة واستولى محمود على الملك وحاصر أخاه اسمعيل حتى استنزله على الامان فأكرمه وأشركه في سلطانه وذلك لسبعة أشهر من ولاية اسمعيل واستقامت الممالك لمحمود ولقب بالسلطان ولم يلقب به أحد قبله ثم سار إلى بلخ * (استيلاء محمود على خراسان) * لما ولى أبو الحرث منصور بعد نوح استوزر محمد بن ابراهيم وفوض أمره إلى فائق كفالة وتدبير الصغره وكان عبد الله بن عزيز قد هرب من بخارا عند قدوم محمد إليها في استحثاث الامير نوح للقاء ايلك خان كما مر فلما مات الامير نوح وولى ابنه منصور أطمع عزيز أبا منصور محمد بن الحسين الاسبيجابى في قيادة الجيش بخراسان وحمله على الانحدار به إلى بخارا مستغيثا بايلك خان على غرضه فنهض ايلك خان لمصاحبتهما وسار بهما كائنه يريد سمرقند ثم قبض على أبي منصور وابن عزيز وأحضر فائقا وأمره بالمسير على مقدمته إلى بخارا فهرب أبو الحرث وملك فائق بخارا ورجع ايلك خان واستدعى فائق أبا الحرث فاطمأن وبعث من مكانه بكثر زون الحاجب الاكبر على". (١)

٦٢-"وبعد وفاته وكان معظما وقور المجلس هش اللقاء كريم الوفادة متحليا بالعلم والادب منتحلا للشعر غاية في الكرم وحسن العهد وسذاجة النفس ولما مررت به سنة أربع وستين أنزلنى ببيته ازاء المسجد الجامع ورأيت منه ما لا يقدر مثله من الملوك وأركبنى الحراقة ليلة سفري يباشرد حرجتها إلى الماء بيده اغرابا في الفضل والمساهمة وحططت بجبل الفتح وهو يومئذ لصاحب المغرب ثم خرجت منه إلى غرناطة وكتبت للسلطان ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب بشأني وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها لقيني كتاب ابن الخطيب يهنيني بالقدوم ويؤنسني ونصه حللت حلول الغيث في البلد المحل * على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه * من الشيخ والطفل المعصب والكهل لقد نشأت عندي للقياك غبطة * تنسى اغتباطي بالشبية والاهل وودى لا يحتاج فيه لشاهد * وتقريري المعلوم ضرب من الجهل أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الاحياء لميته (١) ونور ضربت الامثال بمشكاته وزيته لوخيرت أيها المحب الحبيب الذى زيارته الامنية السنية والعارفة الوارفة واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماؤه ويرف نماؤه ويغازل عيون الكواكب فضلا عن الكواعب اشارة وايماء بحيث لا آلو في حظ يلم بساج لمته أو يقدح ذباله في ظلمته أو يقدم حواريه في ملته من الاحابش وأمته وزمانه روح وراح ومغدى

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/٣٦٣

في النعيم ومراح وخصب صراح وربى وجراح وانتخاب واقتراح وصدر ما به الا انشراح ومسرات يردفها افراح وبين قدومك خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن محكما في نسك الجنيد أوفتك السحن ممتعا بطرف المعارف مالئا ألف الصيارف ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف لما اخترت الشباب وان شاقنى زمنه وأعيانى ثمنه وأجرت سحاب دمعى دمنه فالحمد لله الذى رفأحنوه اغترابي وملكنى أزمة آرابى وغبطني بمالى وترابي ومألف اترابى وقد أغصنى بالذيذ شرابي ووقع على سطوره المعتبرة اضرابي وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية وملتقى للسعود غير البطية وتهنى الآمال الوثيرة الوطيه فما شئت من نفوس عاطشة إلى ريك متجملة بزيك عاقلة خطى سمهريك ومولى مكارمه مشيدة لامثالك ومضان منالك وسيصدق الخبر ما هنالك ويسع فضل مجدك في التخلف عن الاصحار لابل اللقاء من وراء البحار والسلام ثم أصبحت من الغد قادما على البلد وذلك ثامن ربيع الاول عام أربعة وستين وقد اهتز السلطان لقدومي وهيأ لي المنزل من قصوره بفرشه وماعونه وأركب خاصته للقائي تحفيا وبراو مجازاة بالحسنى ثم دخلت". (١)

٦٣-"الجليل الكبير الرفيع الماجد القائد الحظى المعظم الموقر المبرور المرحوم أبي عبد الله ابن خلدون وصله الله أسباب السعادة وبلغه من فضله أقصى الارادة أعلن بما عنده أيده الله من الاعتقاد الجميل في جانبه المرفع وان كان غنيا من الاعلان وأعرب عن معرفة مقداره في الحسبان العلماء الرؤساء الاعيان وأثاد باتصال رضاه عن مقاصده البرة وشيمه الحسان من لدن وفد على بابه وفادة العزا لراسخ البنيان واقام المقام الذى عين له رفعة المكان واجلال الشان إلى أن عزم على قصد وطنه أبلغه الله في ظل الامن والامان وكفالة الرحمن بعد الاغتباط المربى على الخير بالعيان والتمسك بجواره بجهد الامكان ثم قبول عذره بما جبلت الانفس عليه من الحنين إلى المعاهد والاوطان بعد أن لم يدخر عنه كرامة رفيعة ولم يحجب عنه وجه صنيعه فولاه القيادة والسيادة وأجله جليسا معتمدا بالاستشارة ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضنانة بفراقه ويجمع له بر الوجاهة من جميع آفاقه ويجعله بيده رثيمة خنصرو وثيقة سامع أو مبصر فمهما لوى إلى هذه البلاد بعد قضاء وطره وتمليه من نهمة سفره أو نزع به حسن العهد وحنين الود فصدر العناية به مشروح وباب الرضا والقبول مفتوح وما عهده من الحظوة والبر ممنوح فما كان القصد في مثله من امجاد الاولياء التحول ولا الاعتقاد الكريم التبدل ولا الزمن الاخيران ينسخ الاول على هذا فليطو ضميره وليرد ما شاءنميره ومن وقف عليه من القواد والاشياخ والخدام براو بحرا على اختلاف الخطط والرتب وتباين
الاحوال والنسب أن يعرفوا حق هذا الاعتقاد في كل ما يحتاج إليه من تشييع ونزول واعانة وقبول واعتناء موصول إلى أن يكمل الغرض ويؤدى من امتثال هذا الامر الواجب المفترض بحول الله وقوته وكتب في التاسع عشر من جمادى الاولى عام ست وستين وسبعمائة وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان ونصها صح هذا * (الرحلة من الاندلس إلى بجاية وولاية الحجابة بها على الاستبداد) *كانت بجاية ثغر الافريقية في دولة بنى أبى حفص من الموحدين ولما صار أمرهم للسلطان أبي يحي منهم واستقل بملك افريقية ولى في ثغر بجاية ابنه الامير أبو زكريا وفى يغر قسنطينة أبنه الامير أبو عبد الله وكان بنو عبد الواد

(١) تاريخ ابن خلدون ٤١١/٧

ملوك تلمسان والمغرب الاوسط ينازعونه في أعماله ويجرون الكتائب على بجاية ويجلبون على قسنطينة إلى أن تمسك السلطان أبو بكر بذمة من السلطان أبي الحسن ملك المغرب الاوسط والاقصى من بنى مرين وله الشفوف على سائر ملوكهم وزحف السلطان أبو الحسن إلى تلمسان فأخذ بمخنقها سنتين أو أزيد وملكها عنوة وقتل سلطانها أبا تاشفين وذلك سنة سبع وثلاثين وخف ما كان على الموحدين من أمر بنى عبد الواد واستقامت دولتهم ثم هلك". (١)

٦٤-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء السابع والثلاثون الصفحة ١٦٠

وتفقه عندهم. ثم صدر عن بغداد، ولقي بمصر، والإسكندرية جماعة، فاستفاد منها، وعاد الى بلده سنة ثلاث وتسعين بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة الى المشرق. وكان من أهل التفنن في العلوم، والاستبحار فيها، والجمع لها، مقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، نافذا في جميعها، حريصا على آدابها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب) منها. يجمع الى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة، ولين الكنف، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود. واستقتي ببلده، فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته، ونفوذ أحكامه. وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة. ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه. قرأت عليه، وسمعت منه بإشبيلية، وقرطبة كثيرا من روايته وتواليفه. وتوفي بالعدوة، ودفن بفاس في ربيع الآخر. قال ابن عساكر: سمع أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبا الفضل بن الفرات، وأبا البركات أحمد بن طاوس، وجماعة. وسمع ببغداد: نصر بن البطر، وأبا طلحة النعالي، وطراد بن محمد. وسمع ببلده من خاله الحسن بن عمر الهوزني، يعني المذكور سنة اثنتي عشرة. قلت: ومن تصانيفه: كتاب عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، وكتاب التفسير في خمس مجلدات كبار، وغير ذلك من الكتب في الحديث، والفقه، والأصول.". (٢)

٦٥-" النعم فذكر الحديث اسم راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قتلوه يسار

الحديث التاسع والستون بعد المائة روى سعد بن عبيدة عن ابن عمر قال بني الإسلام على خمس على أن تعبد الله وتكفر ما دونه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام رمضان فقال رجل نعبد الله ونكفر بما دونه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت قال لا أجعل صيام رمضان إلا آخرهن كما سمعت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرجل المتكلم مع ابن عمر هو يزيد بن بشر السكسكي

الحديث السبعون بعد المائة روى عطاء أن رجلا ذكر عند عائشة فلعنته وسبته فقيل لها إنه قد مات فقالت أستغفر الله فقيل لها يا أم المؤمنين لعنتيه ثم استغفرت له فقالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذكروا موتاكم إلا بخير هذا الرجل يزيد بن قيس الأرحبي وقيل الرحبي وإنما لعنته عائشة لأنه كان سفيرا بينها وبين علي بن أبي طالب فبلغ ما لم تقل

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤١٦/٧

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ١٦٠/٣٧

الحديث الحادي والسبعون بعد المائة روى علقمة أن امرأة من بني أسد أتت عبد الله بن مسعود فقالت إنه بلغني أنك لعنت ذيت وذيت والواشمة والمستوشمة وإني قد قرأت ما بين اللوحين فلم أجد الذي تقول وإني لأظن على أهلك منها فقال لها عبد الله ادخلي فانظري فدخلت فلم تر شيئا ثم خرجت فقالت لم أر شيئا فقال لها عبد الله أما قرأت ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الحشر ٧ قالت بلى قال فهو ذاك هذه المرأة الأسدية أم يعقوب

الحديث الثاني والسبعون بعد المائة روى محمد بن زياد بن المهاجر ابن قنقذ قال دخلت عجوز سوداء على النبي صلى الله عليه وسلم فحياها وقال كيف أنتم كيف حالكم فلما خرجت قالت عائشة يا رسول الله ألهذه السوداء تحي وتصنع ما أرى قال إنها كانت تغشانا في حياة خديجة وإن حسن العهد من الإيمان هذه السوداء اسمها جثامة وتكنى أم زخر المزينة وهي ماشطة خديجة وهذا الحديث لم يذكره الخطيب

____

". (١)

٦٦-"وقد كان رفع إلى السلطان المغرى بالبناء وتخليد الآثار أبي عنان رحمه الله، خبر ما عليه الناس من إخافة عدوهم، واهتضام عرصتهم واستهداف عقوتهم، فأمر بارتياد محل لتأسيس مدينة، فاختير على غلوات منهم، محل أرضه صخر منطبق على تراب، يتأتى فيه اتخاذ الخندق غير مثلوم الشفا، بعيد المهوى، يبني السور بما يخرج منه من الثرى ويصون الأطباق المعدة للاختزان عن أضرار السماء، ويكون سطح الأرض على خمس قامات من منبع الماء. فشرع في البناء واستبعد الفضاء، ومثلت الأبواب العديدة، والأبراج المشيدة. وعاق عن إتمامها هجوم حمامه وانصرام أيامه، فرغب أهله في التنبيه على تكميل نقيصته واحتياز حسنته.

وتلقانا مشرف المحبي بها الشيخ الفقير الخير أبو عبد الله اللجائي، قريع الأمانة والفضل، العف اليد، الحصور عن مساس الجباية، المتصل الاستعمال باستصحاب الحال الرقيقة، وسقوط التهمة من أهل الطلب والسذاجة وحسن العهد وكرم العشرة، الجواد على كونه منينا عدم العتاد في حال الكبرة. تلقانا في جملة من أتباع الخدمة، ثم تلاهم مركب القاضي والعدول، وقاضيها الحاج أبو عبد الله محمد ابن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي الزموري، رجل مختصر البنية والثوب قد طرقه الوخط على حداثة، يحفظ غثاء من منقول كتب التفسير وغيرها، ذاكر لمسائل متعددة، مسترسل اللسان في أسلوب يفضحه الإعراب عادة لا جهلا بقانون النحو. شموس عند المذاكرة في المسائل العلمية، أطرف بحديث رحلته. ولما نزلنا خنس فلم نسمع له ذكرا إلى أن شيعنا من الغد، فسعطته بخردل العتب ديدني في مقصري هذا الصنق القمن بفعل الأغنياء في البر المستحق لولا رؤية الفضل لنفسه بمزية الفضل، فزلة العالم معروفة بعدم الإقالة، فاستعتب واعترف، وسألته الإجازة فيما يحمله، واكتتاب شيء من منظومة الكثير، وقد سمى موضوعات ذكرها من تأليفه فوعد بذلك مطيرا به إلى محل المبيت ليلتئذ. وتلاحق بي رسوله بنزر يتضمن ذكر أشياخ أكثرهم غير مسمى، وجلب شيئا من حاله حتى عن القابلة

____

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ص/٤٩٦

التي التقطته ورؤيتها إياه على هيئة عن المكلف المخاطب بوظائف الشريعة من سجود ورفع يد إلى السماء، إلى أمثال هذا. فخاطبته وأعدت الرسول إليه بقولي:

أليس قليل نظرة إن نظرتها ... إليك وكلا ليس منك قليل

وصلت أيها الفاضل رقعتك التي تضمنت الفوائد، وصلتك التي استصحبت العائد، وشاهد فضلك الذي بين تصريفه الأصلي والزايد، متفننة في ضروب لا تجنح شمسها لغروب، هزت ألحانها مني عطفى طروب، واستقر قراها بين يدي أكول لمثلها وشروب. فلله ما تضمنت من فوائد رحلة حجازية لبست من حسن الحجى زيه، وذكر أعلام وأركان استلام إلا أنها كانت كليلة الوصل ما عابها إلا القصر، فلوددت أن لو أمدها بسواده مني القلب أو البصر. بخس وزنها الاختصار لا بل الاقتصار، وافتقرت إلى شرح يقع به على متعاصي معانيها الانتصار، ووعد المجلس القاضوي باكتتاب شيء من منظومه بعد اعترافه بأنه كثير ومهاد وثير فما كان إلا الوعد، والأخلاف من بعد:

يا لواة الدين عن ميسرة ... والضنينات وما كن لئاما

والظن بسيدي أنه دعا عند شربه من بئر الحرم، بأن ترفع عنه مؤنة الكرم، فأجيبت الدعوة كما ورد، واستقام العمل واطرد، فكان اللقاء على مسافة قصيرة، وملاحظة البر بمقلة غير بصيرة، والزيارة مزورة، وأظنه لاحظ بيت شاعر المعرة:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم ... والعذب يهجر للإفراط في الخصر". (١)

٦٧-"رأسه عن عسر متصلا ببعض ترقوته، وضمه بعضهم في فضل ثوبه فأوصله إلى ما بين يدي الثائر والعيون ناظرة إلى خليفتها بالأمس على هذه الحال فلم تحرك الحمية نفسا، ولم يقم حسن العهد رسما، وأمر والي البلدة بمواراته، فأضيف رأسه إلى جسده، لأم غاسله بينهما بطين القيموليا العلك. وقضى مشاهده العجب من بدانته وفرط شحمه. واستدعي له من سراة الناس ووجوه الطبقات من حضر جنازته وقد نوه بجهازه وخشب مواراته، ودفن بالقبلة من المقبرة بازاء المصلى العيدي المطلة من كثب على باب الجيسة، فانقضى أمره على هذه الوتيرة. وكان رحمه الله على تطامن همته وتقاصر مدى خصاله، دمثا شديد الحياء وسيما غير عري عن الإدراك سيما في مبادئ الحساب. وقام بالأمر على سنن الحجابة العامرية الوزير الناهض بالكل البائي بالعبئ، مكفي السماء على الأرض، وخائض بحر الهول، وفاصل خطة الكريهة وابن جلا الإقدام وطلاع ثنايا الجرأة من مرهف البدن نحيله، يتوقد ذكاء، حديد اللحظ خفيف الحركة، نومه فكرة وجوارحه مسامع:

رقيق كما غنت حمامة أيكة ... وجزل كما شق الهواء عقاب". (٢)

٦٨-"ثم دبر الأمر ابن رائق فدبره أشد تسحبا في باب المال منهم، وانفرد بشربه ولهوه. ولو بلغه وبلغ الذين قبله أن على فراسخ منهم فرسانا قد أخذوا الأموال واجتاحوا الناس فقيل لهم اخرجوا إليهم فرسخا لطلبوا المال وطالبوا بالاستحقاق،

---

(١) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ص/١٢

(٢) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ص/٩٠

وربما أخذوه ولم يبرحوا ويتعدى الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية، بل على أسبابي وآمر فيه بأمر فلا يمتثل ولا ينفذ ولا يستعمل، وأكثر ما فيه أن يسألني فيه كلب من كلابهم فلا أملك رده، وإن رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا فلما جاء هذا الغلام جاء من لا يقول لي صنعتك أو أجلستك كما كانوا يقولون بل اجترأنا عليه بالاصطناع، ووجدته إن تعدى أحد من أصحابه لم يرض إلا بقتله والمبالغة في عقوبة. وإن بلغه أن عدوا قد تحول في ناحية نهض إليه فسبق خبره من غير اعتساف لي بطلب مال ولا تلبث لوفاء استحقاق، فرضيت ضرورة به وكان أوفق وأحب إلي ممن قبله، وكان الأجود أن يكون الأمر كله لي كما كان لمن مضى قبلي، ولكن لم يجر القضاء بهذا لي! وكان دعا بجكم مرات ما منها مرة إلا وهو ينفق عليه في خلعه.

وما يحمله معه عشرين ألف دينار وزيادة عليها من صواني ذهب وفضة وعنبر وند ومسك وكافور وبلور.

وعلم أن عادته في داره وحشمه ألا يشرب الماء إذا جاءه حتى يذوقه بين يديه الذي جاء به يصب منه في إناء معه فيشربه ثم يناوله إياه فكان يستعمل الراضي معه هذا إذا حمل إليه لون وضع بين يدي الراضي أولا فأكل منه ثم وضع بين يدي بجكم وكذلك النبيذ وجميع ما يوضع بين يديه، وكان يستعفيه من هذا فلا يعفيه.

ولقد قبل في آخر دعوة دعاه فخذه ويده فضمه الراضي إليه وأخرج من إصبعه خاتمين فوضعهما في إصبعه أحدهما يشبه الجبل في حمرته وكبره، فنظر ابن حمدون إلي ونظرت إليه واغتممنا أن يكون الجبل في يد غيره ففطن لنا، فلما انصرف بجكم قال لنا قد رأيت نظركما وقت الخاتم وأحسبكما ظننتماه الجبل ليس به ولكنه أقرب فص في الدنيا شبها به.

ولقد قال لي بجكم بعد موت الراضي، وأنا معه بواسط، وعلى رأسه من خدم الراضي جماعة، إن هؤلاء حدثوني أن الراضي أراد أن يقبض علي في بعض دعواته، أفكان كذا؟ فقلت له: الأمير يعلم أن الراضي لا يرجى في هذا الوقت ولا يخاف، وبالله ما استبنا منه ذلك في حال صحوه ولا سكر ولا جده ولا هزله. وما كان محبا للأمير مغتبطا به، ولقد كان يتصنع في مدح ابن رائق حين كرهه ويقرظه ويصفه فما كان يخفى علينا ضميره فيه هذا من قبل أن يظهر لنا ما في نفسه عليه فقال لي صدقت والله وكذب هؤلاء، وما يدريهم؟ كان الأمر عندي كما قلت ثم حدثته بما قد ذكرته من قول الراضي أنا أعلم أن الناس يقولون.. فضحك وقال ما كان إلا نهاية في عقله ودهائه وملقه – يريد بجكم هذه وإن لم يلفظ بهذا اللفظ – ولكني أعتب عليه بأنه كان شديد الجبن يؤثر لذته وشهوته على رأيه. فعجبت والله من عقل بجكم، جاء والله بعيبيه اللذين ما كان فيه غيرهما ثم حدثته أنا كنا نقف على مكاتبته الأمير سرا ليأذن له في المصير إلى بغداد ويشكو إليه ما كان يجري عليه من ابن رائق فيكتب إليه.

عليك بالوفاء لمن اصطنعك، وأحسن إليك، إلى أن كتب إليه الأمير أعوذ بالله أن يكون مولاي يريد قتلي كما يريده ابن رائق لأنه أعطاني جيشا بمال معلوم ثم لم يوفني استحقاقهم، وهذا يبقى على دمي، وأنه لما ورد عليه كتاب الأمير بهذا كتب إليه: والله ما أحب أن يتأذى بشيء أقل جندك وأتباعك لموضعك عندي، وما يستحقه شجاعتك ومناصحتك فكيف أحب ما ذكرته فيك وإذ صار الأمر إلى هذا، وجعلت وصيتي لك بالتمسك بالوفاء وحسن العهد سببا لزوال أمرك فما

أحب هذا افعل ما يصلحك.". (١)

٦٩-"" و إلى هذا سيدي ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله تعالى بطول بقائكم، وضاعف في العز درجات ارتقائكم، فانه من الأمر الذي لم يغب عن رأى العقول، ولا أختلف فيه أرباب العقول؛ أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، وتاج مفرقها؛ ووساطة سلكها، وطراز ملكها؛ وقلادة نحرها، وفريدة درها، وعقد جيدها المنصوص، وكمال زينها على العموم والمخصوص؛ ثم انتم مدار أفلاكها، وسر سياسة أملاكها؛ وترجمان بيانها، ولسان إحسانها، وطبيب مارستانها، والذي عليه إدارتها، وبه قوام إمارتها؛ فلديه يحل المشاكل، وإليه يلتجأ في الأمر المعضل، فلا غر وأن تقيد بكم الأسماع والأبصار، وتحدق نحوكم الأذهان والأفكار؛ ويزجر عنكم السانح والبارح؛ ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتخلج الجوارح؛ واستقراء لمرامكم، واستطلاع لطالع أعتزامكم، واستكشاف عن مرامي سهامكم؛ لا سيما مع إقامتكم على جناح خفوق، وظهوركم في ملتمع بروق، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق؛ حتى تستقر بكم الديار، ويلقى التسيار، ولها العذر في ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل، وسرورها بلقائكم لم يكتمل؛ فلم يبر بعد جناحها المهيض، ولا جم ماؤها المغيض، ولا تميزت من داجيها لياليها البيض؛ ولا استوى نهارها، ولا تألقت أنوارها؛ ولا اشتملت نعماؤه؛ ونسيت غماؤها؛ بل هي كالناقة، والحديث العهد بالمكاره، تستشعر نفس العافية، وتتمسح منكم باليد الشافيه؛ فبحناكم عليها، وعظيم حرمتكم على من لديها؛ لا تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج، وتفطموها عما عودت من طيب المزاج؛ فما لدائها وحياة قربكم غير طبكم من علاج؛ وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم وعناية بما يعنيكم ما نال جانبكم صانه الله بهذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء؛ وأن الوطن إحدى الحواضن الأظآر، التي يحق لها جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء؛ فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أنجح، وبحق نفسكم عن حق أوليائكم أسمح، والتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسجح. وهب أن الدر لا يحتاج في الإثبات، إلى شهادة النحور والبات؛ والياقوت غنى المكان، عن مظاهرة القلادة والتيجان، أليس أنه أعلى للعيان، وابعد عن مكابرة البرهان، تألقها في تاج الملك انوشروان؛ فالشمس وإن كانت أم الأنوار، وجلاء الأبصار، مهما أغمى مكنها من الأفق قيل: أليل هو أم نهار؛ وكما في علمكم ما فارق ذوو الأرحام، وأولو الأحلام؛ موطن استقرارهم، وأماكن قرارهم، إلا برغمهم واضطرارهم، واستبدال دار خير من دارهم؛ ومتى توازن الأندلس بالمغرب، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعباد، وما فوقه مرابط جهاد، ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد؛ ثم يبوى ولده مبوأ أجداده، ويجمع له بين طارفه وتلاده، أعيذ أنظاركم المسددة من رأى فائل، وسعى طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من هـ الإياب السعيد، والعود الحميد " وهي طويلة. قال ابن الخطيب: فأجبته بقولي:

لم في الهوى العذري أو لا تلم ... فالعذل لا يدخل أسماعي

شأنك تعنيفي وشأني الهوى ... كل الهوى في شأنه ساعي

---

(١) أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص/١٦

أهلا بتحفة القادم، وريحانة المنادم، وذكرى الهوى المتقادم؛ لا يصفر الله مسراك، بما أسراك؛ لقد جبت إلى من همومي ليلا، وجست رجلا وخيلا، ووفيت من صاع الوفاء كيلا، وظننت بي الأسف على ما فات فأعلمت الالتفات لكيلا؛ فأقسم لو أن أمري اليوم بيدي، أو كانت اللمة السوداء من عددي؛ ما أفلت شراكي المنصوبة لأمثالك، وحول المياه وبين المسالك، ولا علمت ما هنالك؛ لكنك طرقت حمى كسعته الغارة الشعواء، وغيرت ربعة الأنواء؛ فحمد بعد ارتجحه، وسكت أذين دجاجه، وتلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه، وطال عهده بالزمان الأول، وهل عند رسم دارس من معول؛ وحيا ا ندبا الى زيارتي ندبك، وبآدابه الحكيمة أدبك:

فكان وقد أفاد بك الأماني ... كمن أهدى الشفاء إلى العليل

و هي شيمة بوركت من شيمة، وهب الله من لدن المشيمة، ومن مثله في صلة رعى، وفضل سعى، وقول ووغى؟

قسما بالكواكب الزهر ... و الزهر عاتمه

إنما الفضل ملة ... ختمت بابن خاتمة". (١)

٧٠-"وإن انقضت أيام عمري قبله ... فاجعل على ما تريضيه مماتي

لا شيء للدنيا وللأخرى معا ... أرجو إذا ضاقت علي جهاتي

إلا يقني أن جودك فوق ما ... يرجى وانك غافر الزلات

ومن نثره آخر فصل خاطب به الشيخ أبا علي الجراوي رحمه الله قوله: و هأنا أجري معه على حسن مغتقده وأكلمه في هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى تودده وأجيز له ولولديه، اقر الله بهما عينه، وجمع بينهما وبينه رواية جميع ما حملته ونقلته وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته، فقد أطلعت لهم الإذن في جميعه، وأبحت لهم الحمل عني ولهم الاختيار في تنويعه، والله عز وجل يخص أعمالنا لذاته، ويجعلها ابتغاء مرضاته.

قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد اللخمي بن الحكيم، عفا الله عنه، حامدا الله عز وجل ومصليا على رسوله المصطفى، ومسلما عليه وعلى آله، في منتصف جمادي الآخرة، عام ثلاث وسبع مائة.

و حكي غير واحد أن ذا الوزارتين أبن الحم المذكور لما اجتمع مع الفقيه الجليل الكاتب أبن أبي مدين أنشده أبن مدين رحمه الله تعالى:

عشقتكم بالسمع قبل لقاكم ... وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه

وحببني ذكر الجليس إليكم ... فلما التقينا كنتم فوق وصفه

فأنشده ذو الوزارتين:

ما زلت أسمع عن علياك كل سنى ... أبهى من الشمس أو أجلى من القمر

حتى رأى بصري فقوق الذي سمعت ... أذني فوفق بين السمع والبصر

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص/٨٩

و تذمرت هنا قول الحاج الكاتب أبي إسحاق الحسناوي رحمه الله تعالى:

سحر البيان بناني صار يعقده ... والنفث في عقده من منطقي الحسن

لا أنشد المرء يلقاني ويبصرني: ... أنا المعيدي فاسمع بي ولا تربي

و كان الوزير أبن الحكيم المذكور كما أسلفناه رفيق أبن رشيد الفهري في رحلته الحجازية وقد اشتملت رحلة أبن رشيد على رأي وروى.

و هو محمد بن عمر بن عمر بن محمد إدريس بن عبد الله بن سعيد أبن مسعود بن حسن بن محمد الفهري، من أهل سبته، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بأبن رشيد، وكأنه تصغير رشد، الخطيب المحدث الشهير.

رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم سنة ثلاث وثمانين وست مائة، وكانت إجازته البحر من المرية فتلاقى بها هو وذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المذكور وكان قصدهما واحد ومسعاهما متعاضدا؛ فترافقا في السفر، كما ترافقا في الوطر. فدخل إفريقية ومصر والشام والحجاز وأخذ عمن لقي من الأئمة الأعلام، وأكثر من هذا الشان وأجاد فيه الضبط والإتقان وتوسع في الرواية وذهب في ذلك إلى ابعد غاية. وكان له تحقق بعلوم الحديث وبزجاله، وضبط أسناده، ومعرفة انقطاعه واتصاله، إماما في هذا الشأن مشار إليه في هذا الفن معتمدا عليه مع كمال اثقة وشهوة العدالة.

قال القاضي أبو البركات أبن الحاج في حقه: أبن رشيد ثقة عدل من أهل هذا الشأن المتحققين به ، وكان أيضا من أهل المعرفة بعلم القراءات وصناعة العربية وعلم البيان والآداب والعروض والقوافي مشاركا في غير ذلك من الفنون من خدام الكتاب والسنة، حسن العهد كريم العشرة برا بأصدقائه، فاضلا في جميع أنحائه، أديبا بليغا، ذاكرا متأدبا يقرض الشعر على تكلف ويجود النثر ويبصر مواقع حسنه، وأعظم عنايته بعلم الحديث: متنه وسنده ومعرفة رجاله، ولذلك كان جل اشتغاله، وفيه عظم احتماله، حتى حصل منه على غاية قصده ومنتهى آماله.". (١)

٧١-"١٨٣ المرأة المذكورة في حديث جابر قال أول خبر قدم المدينة عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في مخرجه امرأة كان لها تابع فجاء في صورة طائر الحديث اسمها فطيمة اليثربية

١٨٤ المرأة ذات الجنين مليكة بنت عويم

١٨٥ والمرأة الضاربة أم عفيف بنت مسروح وفي رواية أخرى وفيه فقال العلاء ابن مروح أيغرم من لا شرب ولا أكل

١٨٦ المرأة التي كانت تأتي النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فيكرمها يقال لها أم زفر وقال الزبير بن بكار في النسب العجوز التي دخلت مع النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فحياها إن حسن العهد من الإيمان هي أم زفر ماشطة خديجة رضي الله عنها

١٨٧ المرأة المسكينة التي مرضت فماتت فدفنت ولم يعلم رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ هي أم محجن

١٨٨ المرأة التي رأت النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يهرول بين الصفا والمروة ثم عرفه لها اسمها تملك الشيبية من طريق مهران بن أبي عمر عن الثوري عن المثنى بن الصباح عن المغيرة بن حكيم عن صفية بنت شيبة عن تملك ورواه الفريابي محمد بن

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص/٢٢٠

يوسف عن الثوري فقال في حديثه امرأة ولم يسمها

١٨٩ المرأة التي قالت عائشة أنها لا تنام الليل فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عليكم من العمل بما تطيقون اسمها الحولاء بنت تويت ابن حبيب بن أسد بن عبد العزي

١٩٠ المرأة التي أتت النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فقالت أني زنيت فأقم علي الحد فرددها حتى فطمت الصبي اسمها سبيعة القرشية روت عنها عائشة رضي الله عنها

١٩١ المرأة التي ظاهر منها زوجها من رواية عكرمة عن ابن عباس اسمها خولة بنت خويلد وفيها نزلت أية الظهار وقال يوسف بن عبدالله بن سلام حدثتني خولة بنت مالك بن ثعلبة وكانت عند أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وذكر الحديث في الظهار

١٩٢ المرأة التي خرجت تداوي الجرحى مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ اسمها أم الضحاك بنت مسعود أخت حويصة ومحيصة ابني مسعود

١٩٣ المرأة التي أراد رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أن يتزوجها وكان لها أولاد فقالت إنك أحب البرية إلي ولكن لي صبية فأكره أن يتضاغون عند رأسك فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خير نساء ركبن الإبل نساء قريش الحديث ". (١)

٧٢-"كان ابن العربي من أهل التفنن في مختلف العلوم، قد أخذ من كل فن بطرف مع براعة فائقة في الحديث والفقه، متقدما في المعارف كلها، متكلما في مختلف أنواعها، ثاقب الذهن حاضر البديهة، حريصا على نشر العلم وأدائه، وكان فصيحا، حافظا، أديبا، شاعرا، كثير الملح، خفيف المجلس، فقد جمع إلى سعة علمه خلقا فريدا ومعشرا طيبا، مع ثبات وكثرة احتمال.

ويذكر ابن الزبير في كتابه: "الصلة" فيقول: "إن القاضي ابن العربي كان في مقامه بأشبيلية ملتزما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أصيب من جراء ذلك بذهاب كتبه وماله، فاحتمل ذلك وأحسن الصبر.

وزيادة على مكانته العلمية اتصف ابن العربي بصفات كثيرة كلها خير وبركة. فقد كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، متقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها، نافذا في جمها حريصا على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تميز الصواب منها، يجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود" (١) .

هذه الصفات هيأت له وضعا اجتماعيا متميزا وسط أهله وعشيرته، حيث سكن بلده وشور فيه، وسمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، ورحل إليه للسماع، قال الذهبي: "قال القاضي عياض، وهو ممن أخذوا عنه: استقضى ببلده، فنفع الله به أهلهان لصرامته وشدة نفوذ أحكامه، كانت له في الظالمين سورة مرهوبة، وتؤثر عنه في قضياه أحكام

(١) إيضاح الإشكال . للمقدسى ص/١٨

غريبة، ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه" (٢) .

مؤلفاته:

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤٨، القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث، د. بشير الترابي، ص ١٣٩-١٤٠.". [١]

٧٣-"من أهل تيزى يكنى أبا سالم ويعرف بابن أبي يحيى كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة بن أبي زيد حسن الإقراء لهما وله عليهما تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصغير قال المؤلف: حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الأندلس من فاس ولم أر في متصدري مدته أحسن تدريسا منه.

كان فصيح اللسان سهل الألفاظ موفيا حقوقها وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة وكان مع ذلك سمحا فاضلا حسن اللقاء - امتحن بصحبة السلطان فصار يستعمله في الرسائل فانصرف في ذلك حظ كبير من عمره لا في راحة ولا في نصيب الآخرة.

وهذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتا إلى ما يعطونه لا إلى ما يأخذون من عمره وراحته - لطف الله بنا وبمن ابتلى بذلك وخلصنا خلاصا جميلا.

وذكره بن الخطيب في كتابه المسمى عائد الصلة فقال: الشيخ الفقيه الحافظ القاضي من صدور المغرب له مشاركة في العلم وتبحر في الفقه كان وجيها عند الملوك واستعمل في السفارة وكان حسن العهد مليح المجالس كريم الطبع قيد على المدونة - بمجلس شيخه القاضي أبي الحسن - كتابا مفيدا وضم أجوبته على المسائل في سفر وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الإفادة ولازم أبا الحسن الصغير.

وهو كان قارئ كتب الفقه عليه وجل انتفاعه في التفقه به وروى عن أبي زكريا بن ياسين قرأ عليه الموطأ إلى كتاب المكاتب وكتاب الدية فإنه سمعه بقراءة الغير وروى عن أبي عبد الله بن رشيد: قرأ عليه الموطأ وشفاء عياض رحمه الله تعالى وعن أبي الحسن بن عبد الجليل السدراني قرأ عليه الأحكام الصغرى لعبد الحق وأبي الحسن بن سليمان - قرأ عليه رسالة بن أبي زيد وفلج في آخر عمره فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان فمن دونه وتوفي بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة.

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي

يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن المرأة كان متقدما في علم الكلام حافظا ذاكرا للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك.

وكان الكلام أغلب عليه فصيح اللسان والقلم ذاكرا لكلام أهل التصوف يطرز مجالسه بأخبارهم.

قال أبو جعفر بن الزبير: وكان صاحب حيل وفوارج مستظرفة مطلعا على أشياء غريبة - من الخواص وغيرها - فتن بها بعض الجهلة واطلع كثيرا ممن قصده على ذلك ونافره الشيخ الفاضل أبو بكر بن المرابط بسبب ما شهد من ذلك وألف

(١) ابن العربي المالكي ومنهجه في كتابه: (أحكام القرآن) ص/٥

شرح كتاب الإرشاد لأبي المعالي وشرح الأسماء الحسنى وألف جزءا في إجماع الفقهاء وشرح محاسن المجالس لأبي العباس بن العريف وألف غير ذلك وتآليفه نافعة في أبوابها حسن الرصف والمباني. روى عنه أبو محمد بن عبد الحق بن برطلة وغيره. وتوفي بعد سنة عشر وستمائة.

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري

تلمساني وقشي الأصل نزيل سبتة يكنى أبا إسحاق ويعرف بالتلمساني.

كان فقيها عارفا بعقد الشروط مبرزا في العدد والفرائض أديبا شاعرا محسنا ماهرا في كل ما يحاول ونظم في الفرائض وهو بن عشرين سنة – أرجوزة محكمة بعملها ضابطة عجيبة الوضع.

قال بن عبد الملك: وخبرت منه في تكراري عليه تيقظا وحضور ذكر وتواضعا وحسن إقبال واشتغالا بما يعينه في أمر معاشه وتخاملا في هيئته ولباسه.

قال بن الزبير: كان أديبا فاضلا لغويا إماما في الفرائض لقي أبا بكر بن محرز وأجاز له وكتب إليه مجيزا أبو الحسن بن طاهر الدباج وأبو علي الشلوبين ولقي بسبتة أبا العباس علي بن عصفور الهواري وأبا المطرف: أحمد بن عبد الله بن عميرة وسمع علي أبي يعقوب: يوسف بن موسى المحاسني الغماري.

روى عنه الكثير ممن عاصره: كأبي عبد الله بن عبد الملك وغيره وله تآليف منها: الأرجوزة الشهيرة في الفرائض: لم يصنف في فنها مثلها ومنظوماته في السير وأمداح النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك المعشرات: على أوزان المغرب وقصيدته في المولد الكريم وله مقالة في علم العروض الدوبيتي وله كتاب اللمع في الفقه شرح بن الجلاب شرحا جليلا واسعا وله شعر منه:

الغدر في الناس شيمة سلفت ... قد طال بين الورى تصرفها

ما كل من قد سرت له نعم ... منك يرى قدرها ويعرفها

بل ربما أعقب الجزاء بها ... مضرة عز عنك مصرفها". (١)

٧٤-"وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع له متقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها نافذا في جميعها حريصا على أدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود: فسكن بلده وشوور فيه وسمع ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ورحل إليه للسماع وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة حسنة مفيدة منها: أحكام القرآن كتاب حسن وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس وعارضة الأحوذي على كتاب الترمذي والقواصم والعواصم والمحصول في أصول الفقه وسراج المريدين وسراج المهتدين وكتاب المتوسط وكتاب المتكلمين.

وله تأليف في حديث أم زرع وكتاب الناسخ والمنسوخ وتخليص التلخيص وكتاب القانون في تفسير القرآن العزيز وله غير

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص/٤٦

ذلك من التآليف. وقال في كتاب القبس: إنه ألف كتابه المسمى: أنوار الفجر في تفسير القرآن في عشرين سنة ثمانين ألف ورقة وتفرقت بأيدي الناس.

قلت: وأخبرني الشيخ الصالح أبو الربيع: سليمان بن عبد الرحمن البورغواطي في سنة إحدى وستين وسبعمائة بالمدينة النبوية قال: أخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بالإسكندرية في سنة ستين وسبعمائة قال: رأيت تأليف القاضي أبي بكر بن العربي في تفسير القرآن المسمى أنوار الفجر كاملا في خزانة السلطان الملك العادل أمير المسلمين أبي عنان: فارس بن السلطان أمير المسلمين أبي الحسن: علي بن السلطان أمير المسلمين أبي سعيد: عثمان بن يوسف بن عبد الحق.

وكان السلطان أبو عنان إذ ذاك بمدينة مراكش وكانت له خزانة كتب يحملها معه في الأسفار وكنت أخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها فعددت أسفار هذا الكتاب فبلغت عدتها ثمانين مجلدا. ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء.

قال أبو الربيع: وهذا المخبر يعني يوسف: ثقة صدوق رجل صالح كان يأكل من كده.

قلت: قال بن خلكان في كتاب الوفيات في معنى عارضة الأحوذي العارضة: القدرة على الكلام والأحوذي: الخفيف في الشيء لحذقه.

وقال الأصمعي: الأحوذي المشمر في الأمور القاهر لها لا يشذ عليه شيء منها.

والأحوذي بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وفي آخره ياء مشددة.

قال القاضي عياض: واستقضي ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة وتؤثر عنه في قضائه أحكام غريبة ثم صرف من القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه. وذكر أنه ولي قضاء حلب.

وكان رحمه الله تعالى فصيحا أديبا شاعرا كثير الخبر مليح المجلس وممن أخذ عنه في اجتيازه لسبتة القاضي أبو الفضل: عياض ولقيه أيضا بإشبيلية وبقرطبة فناوله وكتب عنه واستفاد منه. وتوفي رحمه الله تعالى في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة منصرفه من مراكش وحمل ميتا إلى مدينة فاس ودفن بها بباب الجيسة والصحيح خارج باب المحروقي من فاس. ومولده ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة.

ومن كتاب الصلة تصنيف الشيخ الفقيه المحدث الثقة أبي القاسم بن بشكوال:

محمد بن أحمد بن بدر الصدفي من أهل طليطلة يكنى أبا عبد الله

روى عن أبي إسحاق: إبراهيم بن محمد بن حسين وأبي جعفر بن ميمون وعبد الله بن ذنين وأبي محمد بن عباس والتبريزي والمنذر بن المنذر وغيرهم.

وكان مقدما في فقهاء طليطلة وحافظا للمسائل جامعا للعلم كثير العناية به وقورا عالما عاقلا متواضعا وكان يتخير للقراءة على الشيوخ لفصاحته ونهضته وقد قرأ الموطأ على المنذر بن المنذر في يوم واحد. وكان أكثر كتبه بخطه وتوفي في رجب سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

ومن كتاب التكملة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالأبار:

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد الشهير بالحفيد". [١]

٧٥-"فأمسكت عنه هيبة وتأهبا ... وخوفا وإعظاما لأرفع جانب

ورب سكوت كان فيه بلاغة ... ورب كلام فيه عتب لعاتب

وله أيضا:

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ... فما أطيق لها حصرا ولا عددا

وليس لي بعذاب النار من قبل ... ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا

فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ... ولا تذيقني حر الجحيم غدا

توفي شهيدا يوم الكائنة بطريف في عام أحد وأربعين وسبعمائة رحمه الله تعالى.

محمد بن إبراهيم بن محمد السياري ويعرف بالبياني

يكني أبا عبد الله من أهل غرناطة كان رحمه الله تعالى حسن الطريقة في الخير مأمون الغائلة كهفا للطلبة حسن العهد حسن الخلق كثير التواضع. أقرأ الفقه ودرسه عمره وانتصب للفتيا وتكلم للجمهور وكان مفزعا في المشكلات ومستشارا في الأحكام يقوم على الفقه أحسن قيام عاكفا على تدريسه مكبا على تبيينه سهل الألفاظ حسن التعليم يشارك في العربية والفرائض والأصول خطيبا جهوريا بليغ الخطبة حسن التلاوة طيب النغمة.

قرأ على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير وعلى الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد وأخذ عن أبي الوليد الحضرمي وتلمذ للشيخ الصالح أبي عبد الله الساحلي وأخذ عن الخطيب الصالح أبي جعفر الزيات والأستاذ أبي القاسم بن الشاط وغيرهم. وتوفي رحمه الله تعالى مدرسا بالمدرسة النصرية وخطيبا بمسجد المنصورة في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة.

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري يكنى أبا عبد الله ويعرف بالطراز

من أهل غرناطة كان رحمه الله تعالى مقرئا جليلا ومحدثا حافلا وبه ختم بالمغرب هذا الباب ألبتة وكان ضابطا متقنا ومقيدا حافلا بارع الخط حسن الوراقة عارفا بالأسانيد والطرق والرجال وطبقاتهم عارفا بالقراءات ومختلف الروايات: ماهرا في صناعة التجويد مشاركا في علم العربية والفقه والأصول وغير ذلك مجموعا فاضلا ثقة فيما روى عدلا ممن يرجع إليه فيما قيد وضبط لإتقانه وحذقه.

كتب بخطه كثيرا وترك أمهات حديثية اعتمدها الناس بعده وعولوا عليها وتجرد آخر عمره إلى كتاب مشارق الأنوار تأليف القاضي أبي الفضل: عياض وكان قد تركه في مبيضته في أنهى درجات التشبيج والإدماج والأشكال وإهمال الحروف حتى اخترمت منفعتها حتى استوفى ما نقل منه المؤلف وجمع عليها أصولا حافلة وأمهات هائلة: من الغريب وكتب اللغة فتخلص الكتاب على أتم وجه وأحسنه وكمل من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة. والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله.

وروى أبو عبد الله عن القاضي أبي القاسم بن سمجون وعن أبي جعفر بن شراحيل وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام وأبي

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص/١٤٩

الحسن: علي بن جابر بن فتح الأنصاري وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجاء وأبي القاسم الملاحي.
وأخذ بقرطبة عن أبي الحسن: علي بن أحمد الغافقي وأخذ بمالقة عن الحافظ أبي محمد القرطبي ولازمه وانتفع به في صناعة الحديث وعن أبي علي الرندي وأبي إسحاق بن أغلب وابني حوط الله وأبي محمد بن عطية وبسبتة عن أبي العباس العزفي وبإشبيلية عن أبي بكر بن عبد النور وأبي جعفر بن فرقد وأبي الحسن بن زرقون وبمدينة فاس عن أبي عبد الله بن زيدان وأبي البقاء: يعيش بن القديم وأبي محمد: قاسم الشريف وبمرسية عن أبي القاسم الطرطوشي وغيره. وتوفي بغرناطة عام خمسة وأربعين وستمائة.
محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي المكي من أهل بلش يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الكماد
كان من جلة صدور الفضلاء زهدا وقناعة وانقباضا. إلى دماثة الخلق ولين الجانب وحسن اللقاء والعمل على التقشف والعزلة قديم السماع والرحلة إماما مشهورا في القراءات يرحل إليه محدثا ثبتا فقيها متصرفا في المسائل أعرف الناس بعقد الشروط ذا حظ من اللغة والعربية والأدب رحل إلى العدوة وتجول في بلاد الأندلس فأخذ عن كثير من الأعلام وروى وقيد وصنف وأفاد وتصدر للإقراء بغرناطة وغيرها. وتخرج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة انتفعوا به.". (١)

٧٦-"قرأ ببلده على الأستاذ أبي الحسن: علي بن محمد بن لب وتلا عليه وسمع من الخطيب أبي الحسن: علي بن يوسف بن باق ومن أبي عبد الله محمد بن أحمد الشهير بابن الجون وتلا عليه وقرأ العربية على الغافقي وأبي بكر يحيى بن مهلب وأبي علي بن أبي الأحوص والقاضي أبي بكر: محمد بن إبراهيم الدباغ الأوسي وأبي جعفر الطباع وإمام العربية الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع وأجازه جماعة من أهل المشرق منهم قطب الدين القسطلاني وجار الله أبو اليمن بن عساكر وابن أبي الدنيا وغيرهم.
وله تآليف: واختصر كتاب المقنع في القراءات اختصارا بديعا وسماه: الممتع في تهذيب المقنع وله غير ذلك. ومن شعره:
عليك بالصبر وكن راضيا ... بما قضاه الله تلق النجاح
واسلك طريق الجد والهج به ... فهو الذي يرضاه أهل الصلاح
توفي في عام اثني عشر وسبعمائة.
محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني
من أهل مالقة يكنى أبا القاسم ويعرف بابن حفيد الأمين كان من أهل العلم والفضل والدين المتين والدأب على تدريس كتب الفقه استظهر منها على كتاب الجواهر لابن شاس واضطلع بها فكان مجلسه من مجالس حفاظ المذهب وانتفع به الناس وكان معظما فيهم متبركا به على سنن الصالحين من الزهد والانقباض سني المنازع شديد الإنكار على أهل البدع والأهواء.
جلس للتدريس العام بالمسجد الجامع وأقرأ به الفقه والعربية والفرائض وأخذ عن أبي علي بن أبي الأحوص وأبي جعفر بن

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص/١٥٥

الزبير وأبي محمد بن أبي السداد والقاضي أبي القاسم المكوى. وله تقييد حسن في الفرائض وجزء في تفضيل التين على التمر وكلام على نوازل من الفقه. فقد في الكائنة العظمى بطريف وقد تقدم أنها كانت عام أحد وأربعين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة يكنى أبا بكر ويعرف بابن حفيد الأمين كان فقيها جليلا حافظا لفروع الفقه إماما منقبضا يدرس مختصر بن الحاجب الفرعي عمره وعرضه في مجلس واحد واجتهد اجتهادا كثيرا ورحل إلى المشرق فحج ورجع إلى الأندلس وكان أكثر أهل بيته تواضعا وأملحهم خلقا جميل الاعتقاد في الناس متحليا بالصدق والعفاف مثابرا على الخير حسن العهد على سنن الصالحين متقشفا. توفي عام ستة وثلاثين وسبعمائة أو في حدوده. قلت: هذان المذكوران أخوان ولهم أخ ثالث: اسمه أيضا: محمد ويكنى أبا الحكم. من أهل العلم والدين المتين جلس للتدريس في الجامع الأعظم بعد موت أخيه أبي القاسم وكان خطيبا. وتوفي عام تسعة وأربعين وسبعمائة.

محمد بن إبراهيم بن محمد

بن إبراهيم بن الفرج الأوسي المعروف بابن الدباغ الإشبيلي كان واحد عصره في مذهب مالك وفي عقد الوثائق ومعرفة عللها عارفا بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ كثير البشاشة والانقباض طيب النفس جميل العشرة صبورا على المطالعة سهل الألفاظ في تعليمه وإقرائه. أقرأ بجامع غرناطة أكابر علمائها: الفقه وأصوله وكان يقرئ العقائد العامة قرأ على والده الأستاذ أبي إسحاق: إبراهيم وعلى أبي الحسن الدباج وعلى القاضي أبي الوليد: محمد بن الحاج التجيبي القرطبي وعلى القاضي أبي عبد الله: محمد بن عياض. توفي عام ثمانية وستين وستمائة.

محمد بن حكيم بن محمد بن أحمد بن باق الجزامي

من أهل سرقسطة سكن غرناطة ثم مدينة فاس يكنى أبا جعفر.

كان مقرئا مجودا متحققا بعلم الكلام وأصول الفقه محصلا لهما متقدما في النحو حافظا للفقه حاضر الذكر لأقوال أهل تلك العلوم جيد النظر متوقد الذهن ذكي القلب فصيح اللسان.

ولي أحكام فاس وأفتى بها ودرس بها العربية: كتاب سيبويه وغيره. روى عن أبي الأصبغ بن سهل وأبي الحسن الحضرمي وابن سابق وأبي العباس الدلائي وأبي عبد الله البكري وأبو الفوارس: محمد بن عاصم وأبي الفوارس بن زرقون وعبد الدائم بن زرقون وأجاز له أبو الوليد الباجي. روى عنه أبو إسحاق بن قرقول وأبو الحسن: صالح بن خلف واللواتي وخلائق. وله شرح كتاب الإيضاح للفارسي وكان قيما عليه وصنف في الجدل مصنفين كبيرا وصغيرا وله عقيدة جيدة. توفي بفاس وقيل: بتلمسان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف الأنصاري". (١)

"-٧٧

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص/١٥٦

وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه يكرم من يدخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها إن أبى ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وطعن في الحديث الذي ورد بذلك وإذا سمع بكاء الصغير وهو يصلي تجوز فيها أي خففها

أكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ومن ثم رغب صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أن يجعل سبه ولعنه لأحد من المسلمين رحمة له أي إذا كان لا يستحق ذلك السب في باطن الأمر ويستحقه في ظاهر الأمر أي وقال صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد

وكان صلى الله عليه وسلم يقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد

وكان يركب الحمار أي وربما ركبه عريانا ويردف خلفه فعن أنس رضي الله عنه رأيته صلى الله عليه وسلم يوما على حمار خطامه ليف أي وقد جاء أن ركوب الحمار براءة من الكبر وكان يجلس على الأرض وكان يشرب قائما وقاعدا وينتعل قائما وقاعدا ويصلي منتعلا وحافيا

وفي لفظ كان أكثر صلاته صلى الله عليه وسلم في نعليه وكان يحب التيامن في شأنه كله في طهوره وترجله وتنعله وكان يحب السواك حتى لقد أحفى لثته وكان يكتحل بالإثمد عند النوم ثلاثا في كل عين وفي لفظ ثلاثا في اليمنى ومرتين في اليسرى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالإثمد فإن يجلو البصر وينبت الشعر وإنه من خير أكحالكم وكان يعود المساكين ويجلس بين اصحابه

وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دارهم وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة كما تقدم واهدى في حجة ذلك مائة بدنة كما تقدم

وكان يفلي ثوبه أي وإن كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن القمل لا يؤذيه

". (١)

٧٨-" وكان : من أهل الفضل الكامل والدين والتصاون والعفاف والعقل الجيد مع الوقار والسمت الحسن والهدى الصالح . وكان حافظا للقرآن العظيم مجودا لحروفه . حسن الصوت به عالي الهمة عزيز النفس مخروق اللسان طويل الصلاة كريم النفس واسع الكف بالصدقات كثير المعروف والخيرات مشاركا بجاهه وماله كثير البر بالناس حسن العهد لمن صحبه منهم معظما عند الخاصة والعامة شرف بنفسه وبأبوته وتولى خطة أحكام المظالم بقرطبة قديما مع شيخه قاضي الجماعة أبي الوليد ابن رشد وكان يستحضره عنده مع مشيخة الشورى في وقته لمكانه ومنصبه وصرف عن ذلك بصرفه ثم تقلد قضاء

---

(١) السيرة الحلبية ٤٤٩/٣

الجماعة بقرطبة مدة طويلة ثم صرف عن ذلك وأقبل على التدريس وإسماع الحديث وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة فأنسى من قبله لحسن قراءاته وتمكين صلاته واستمر على ذلك إلى أن توفي رحمه الله على أجمل أحواله عديم النظير في وقته سحر ليلة الثلاثاء ودفن بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم من سنة ست وثلاثين وخمس مائة . وهو من أبناء الستين . وصلى عليه ابنه أبو القاسم بالربض وشهده جمع عظيم من الناس بعد العهد بهم وأتبعوه ثناء حسنا جميلا . وكان أمثل لذلك رحمه الله وغفر له

محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي : من أهل إشبيلية سكن قرطبة ؛ يكنى : أبا بكر

روى عن أبي علي الغساني وأبي عبيد البكري وأبي الحسين بن سراج وغيرهم . وكان حافل الأدب قديم الطلب عالما باللغة والعربية ومعاني الشعر كاتبا بليغا مجيدا وقد أخذ عنه وتوفي رحمه الله منتصف ذي الحجة من سنة ست وثلاثين وخمس مائة

محمد بن عبد الرحمن بن سيد بن معمر المذحجي : من أهل مالقة ؛ يكنى : أبا عبد الله

روى ببلده عن أبيه وعن أبي المطرف الشعبي ؛ وأبي عبد الله بن خليفة القاضي . وسمع بقرطبة من أبي بكر المصحفي وأبي عبد الله محمد بن فرج وأبي مروان بن سراج وأبي علي الغساني وغيرهم

وكان من أهل العلم والفضل والدين والعفاف والتصاون . أخذ الناس عنه وأجاز لنا ما رواه بخطه . وتوفي رحمه الله في النصف الثاني من ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي : من أهل سرقسطة . سكن قرطبة ؛ يكنى : أبا الطاهر صاحبنا

سمع : من أبي علي الصدفي كثيرا ومن أبي محمد بن ثابت وأبي عمران بن أبي تليد وأبي محمد بن السيد وبقرطبة وإشبيلية من غير واحد من شيوخنا . وكان مقدما في اللغة والعربية شاعرا محسنا وله مقامات من تأليفه . أخذت عنه واستحسنت . وتوفي رحمه الله بقرطبة في جمادى الأولى من سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة

محمد بن موسى بن وضاح : من أهل مرسية ؛ يكنى : أبا عبد الله

أخذ عن أبي علي الصدفي كثيرا ومن غيره . وله رحلة إلى المشرق حج فيها ولقي فيها أبا بكر الطرطوشي وابن مشرف وغيرهم . وكان فاضلا عفيفا معتنيا بالعلم . كتب إلينا بإجازة ما رواه بخطه وشوور بالمرية وتوفي رحمه الله سنة تسع وثلاثين وخمس مائة

محمد بن أحمد الحمزي : من أهل المرية . يكنى : أبا عبد الله

يحدث عن أبي العباس العذري وأبي عبد الله بن المرابط وغيرهما . وقد أخذ الناس عنه . وأجاز لنا وخطب ببلده مدة ثم صرف عن ذلك . وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمس مائة

محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي : من أهل سقورة . سكن قرطبة ؛ يكنى : أبا عبد الله . مفخرة وقته وجمال جماعته

روى عن أبي الحسين بن سراج وجماعة من شيوخنا وأجاز له أبو علي الغساني ما رواه وكان متفننا في العلوم مستبحرا في الآداب واللغات . قوي المعرفة بهما متقدما في معرفتهما وإتقانهما . وكان كاتبا بليغا عالما بالأخبار ومعاني الحديث .

والآثار والسير والأشعار . وله تواليف حسان ظهر فيهما نبله واستبان بها فهمه . وكان حسن البيان حلو الكلام أجدر رجال الكمال في وقته . واستشهد رحمه الله ودفن يوم الأحد الثالث عشر من شهر ذي الحجة سنة أربعين وخمس مائة . ودفن بمقبرة ابن عباس وكان مولده فيما أخبرني به سنة خمس وستين وأربع مائة

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن حكم بن سليمان ابن الناصر عبد الرحمن بن محمد ؛ يكنى : أبا عبد الله ويعرف : بالأحمر ". (١)

٧٩-" سمع : من أبي عبد الله محمد بن فرج وأبي مروان بن سراج وجماعة سواهم . وكان حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه مقدما فيه متفننا في المعارف والعلوم وقد نوظر عليه وتوفي رحمه الله بمدينة قبرة وقد كف بصره في سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة

محمد بن أحمد بن طاهر القيسي : من أهل إشبيلية يكنى : أبا بكر

أخذ عن أبي علي الغساني كثيرا واختص به وسمع من ابن سعدون القروي . وكان مشهورا بالحديث ومعرفته معتنيا به أخذ الناس عنه . وتوفي رحمه الله ليلة السبت وهي ليلة سبع وعشرين من جمادى الأولى من سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة . وكان مولده سنة تسع أربعين وأربع مائة

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري : من أهل إشبيلية ؛ يكنى : أبا بكر الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها . لقيته بمدينة إشبيلية حرسها الله ضحوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة ست عشرة وخمسمائة فأخبرني رحمه الله أنه رحل مع أبيه إلى المشرق يوم الأحد مستهل ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وأربع مائة . وأنه دخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين

ودخل بغداد وسمع بها من أبي الحسين المبرك بن عبد الجبار الصيرفي ومن الشريف أبي الفوارس طراد بن محمد الزيبقي ومن أبي بكر بن طرخان وغيرهم كثير ثم رحل إلى الحجاز فحج في موسم سنة تسع وثمانين وسمع بمكة من أبي علي الحسين ابن علي الطبري وغيره . ثم عاد إلى بغداد ثانية وصحب بها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الطوسي وغيرهما من العلماء والأدباء فأخذ عنهم وتفقه عندهم وسمع العلم منهم ثم صدر عن بغداد ولقي بمصر والإسكندرية جماعة من المحدثين فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادهم ؛ ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم بلده إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق

وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها نافذا في جميعها حريصا على أدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن

---

(١) الصلة ص/١٩١

المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الوعد . واستقضى ببلده فنفع الله به أهله لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه . وكان له في الظالمين سورة مرهوبة . ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه

قرأت عليه وسمعت بإشبيلية وقرطبة كثيرا من روايته وتواليفه . وسألته عن مولده فقال لي : ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربع مائة . وتوفي رحمه الله بالعدوة ودفن بمدينة فاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن مسعود يعرف : بابن الوراق . صاحب الصلاة بجامع قرطبة ؛ يكنى : أبا الحسن

روى عن أبي عبد الله محمد بن فرج قديما وأخذ عن جماعة شيوخنا . وكان دينا فاضلا معتنيا بالعلم والآثار جامعا لها حسن النقل لجميعها جميل الخط والوراقة ثقة ثبتا طويل الصلاة كثير الذكر لله تعالى . وتوفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة . ودفن بالربض

محمد بن عبد الرحمن بن علي النميري : من أهل غرناطة ؛ يكنى : أبا عبد الله صاحبنا

أخذ عن جماعة عمرو شيوخنا وكان من أهل العناية الكاملة بتقييد العلم والآثار والسنن والأخبار جامعا لها متفننا لما كتبه منها . وكان ثقة ثبتا عالما بالحديث والرجال . وتوفي رحمه الله ببلده سنة أربع وأربعين وخمس مائة

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن مسلمة : من أهل قرطبة وعين من أعيانها ؛ يكنى : أبا بكر

روى عن أبي علي الغساني كثيرا وعن أبي الحسن العبسي . وأجاز له أبو عبد الله محمد بن فرج وغيره . وكان فاضلا سريا دينا متصاونا عالي القدر طويل الصلاة كثير الذكر لله تعالى مسارعا إلى أفعال البر والأعمال الصالحة . وتوفي رحمه الله في جمادى الأولى من سنة خمس وأربعين وخمس مائة ومولده سنة ست وثمانين وأربع مائة

محمد بن يونس بن مغيث : من أهل قرطبة وبيوتها الرفيعة ؛ يكنى : أبا الوليد ". (١)

٨٠-"وكتب إلى والده، يتشوق إليه، قوله:

شوقي على طول الزما ... ن يزيد في مقداره

وجوى فؤادي لا يقر ... وكيف لي بقراره

والقلب حلف تقلب ... وتحرق في ناره

والطرف كالطرف الغري ... ق يعوم في تياره

وتلهفي وتأسفي ... باق على استمراره

من ذا يرق لنازح ... عن أهله ودياره

لعب الزمان بشمله ... وقضى ببعد مزاره

---

(١) الصلة ص/١٩٢

فالسقم من زواره ... والهم من سماره

والصبر من أعدائه ... والدمع من أنصاره

وهمومه مقصورة ... أبدا على تذكاره

وقوله، إلى القاضي الأجل الأشرف ابن البستاني، متولى الحكمم بعسقلان:

لعل تحدر الدمع السفوح ... يسكن لوعة القلب القريح

وعل البرق يروي لي حديثا ... فيرفعه بإسناد صحيح

ويا ريح الصبا لو خبرتني ... متى كان الخيام بذ طلوح

فلي من دمع أجفاني غبوق ... تدار كؤوسه بعد الصبوح

وأشواق تقاذف بي كأني ... علوت بها على طرف جموح

ودهر لا يزال يحط رحلي ... بمضيعة ويرويني بلوح

كريم بالكريم على الرزايا ... شحيح حين يسأل بالشحيح

وأيام تفرق كل جمع ... وأحداث تجيز على الجريح

فيالله من عود بعود ... ومن نضو على نضو طليح

وأعجب ما منيت به عتاب ... يورق مقلتي ويذيب روحي

أتى من بعد بعد واكتئاب ... وما أنكى الجروح على الجروح

وقد أسرى بوجدي كل وفد ... وهبت بارتياحي كل ريح

سلام الله ما شرقت ذكاء ... وشاق حنين هاتفه صدوح

على تلك الشمائل والسجايا ... وحسن العهد والخلق السجيح

على أنس الغريب إذا جفاه ال ... قريب ومحتد المجد الصريح

على ذي الهمة العلياء والمن ... ة البيضاء والوجه الصبيح

ومنها:

صفوح عن مؤاخذة الموالي ... وليس عن الأعادي بالصفوح

همام ليس يبرح في مقام ... كريم أو لدى سعي] نجيح

حديد الطرف في فعل جميل ... وقور السمع عن قول قبيح

مددت يدي إليه فشد أزري ... وذاد نوائب الدهراللحوح

وفزت بوده بعد ارتياد ... ولكن صدني عنه نزوحي

وما أدركت عايته بنظمي ... ولو أدركت غاية ذي القروح

ولكن وقفت على علاه ... غنائي من ثناء أو مديح

وله، من قصيدة:

إلى م ألوم الدهر فيك وأعتب ... وحتى م أرضى في هواك وأغضب

أما من خليل في الهوى غير خائن ... أما صاحب يوما على النصح يصحب

بأية عضو التقى سورة الهوى ... ولي جسد مضنى وقلب معذب

عذيري من ذكرى إذا ما تعرضت ... تعرض لاح دونها ومونب

ومنها:". (١)

٨١-"ولقد دخل البرنس أرناط صاحب الكرك مع ملك الإفرنج بالساحل لما أسرهما في وقعة حطين في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة والواقعة مشهورة تجيء مشروحة في موضعها إن شاء الله تعالى وكان قد أمر بإحضارهما وكان أرناط هذا اللعين كافرا عظيما جبارا شديدا وكانت قد اجتازت به قافلة من مصر حين كان بين المسلمين وبينهم هدنة فغدرها وأخذها ونكل بهم وعذبهم وأسكنهم المطامير والحبوس الحرجة وذكروا له حديث الهدنة فقال قولوا لمحمدكم يخلصكم فلما بلغه رحمه الله ذلك عنه نذر أنه متى أظفره الله به قتله بنفسه فلما أمكنه الله منه في ذلك اليوم قوى عزمه على قتله وفاء بنذره فأحضره مع الملك فشكا الملك العطش فأحضر له قدحا من شراب فشرب منه ثم ناوله أرناط فقال السلطان للترجمان قل للملك أنت الذي سقيته وأما أنا فما أسقيه من شرابي ولا أطعمه من طعامي فقصد رحمه الله أن من أكل من طعامي فالمروءة تقتضي أن لا أؤذيه ثم ضرب عنقه بيده وفاء بنذره وأخذ عكا وأخرج الأسرى كلهم من ضيق الأسر وكانوا زهاء أربعة آلاف أسير وأعطى كل واحد منهم نفقة يصل بها إلى بلده وأهله. هكذا بلغني على ألسنة جماعة لأني لم أحضر هذه الواقعة.

وكان حسن العشرة لطيف الأخلاق طيب الفكاهة حافظا لأنساب العرب ووقائعهم عارفا بسيرهم وأحوالهم حافظا لأنساب خيلهم عالما بعجائب الدنيا ونوادرها بحيث كان يستفيد محاضره منه ما لا يسمع من غيره.

وكان حسن الخلق يسأل الواحد منا عن مرضه ومداواته ومطعمه ومشربه وتقلبات أحواله.

وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه أحد إلا بخير السمع فلا يحب أن يسمع عن أحد إلا الخير وطاهر اللسان فما رأيته ولع بشتم قط، وكان حسن العهد والوفاء فما أحضر بين يديه يتيم إلا وترحم على مخلفيه وجبر قلبه وأعطاه وجبر مصابه وإن كان له من أهله كبير يعتمد عليه سلمه إياه وإلا أبقى له من الخير ما يكف حاجته وسلمه إلى من يعتني بتربيته ويكفلها.

وكان لا يرى شيخا إلا ويرق له ويعطيه ويحسن إليه ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله إلى مقر رحمته ومكان رضوانه.

فهذه نبذ من محاسن أخلاقه ومكارم شيمه اقتصرت عليها خوف الإطالة والسآمة وما سطرت إلا ما شاهدته أو أخبرني الثقة به وحققته وهذا بعض ما اطلعت عليه في زمان خدمتي له وهو يسير فيما اطلع عليه غيري ممن طالت صحبته وتقدمت

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ص/٢٣٦

خدمته ولكن هذا القدر يكفي الأديب في الاستدلال على طهارة تلك الأخلاق والخلال، وحيث نجز هذا القسم فنشرع الآن في القسم الثاني من الكتاب في بيان تقلبات أحواله ووقائعه وفتوحاته في تواريخها قدس الله روحه. ونور بنور رحمته ضريحه.

القسم الثاني

في بيات تقلبات أحواله وفتوحاته في تواريخها". (١)

٨٢-"ومن شعره: من الطويل

وذي خطل في نصحه لا أجيزه ... يعاتبني في أن أطلت مقامي

يقيدني في أرض أندلس التي ... قصرت عليها صبوتي وغرامي

فقلت له: إن البلاد بربها ... لها عند أهل الرعي خير دمام

إليك فصرفي دون أيسر بعضه ... إزالة ركني يذبل وشمام

قلت: شعر مقبول خال من الغوص.

حسانة المزنية

حسانة المزنية، كان اسمها جثامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنت حسانة، وكانت صديقة خديجة رضي الله عنها. قالت عائشة: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية فقال: بل أنت حسانة كيف حالكم كيف أنتم بعدنا؟ قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: من هذه العجوز تقبل عليها هذا الإقبال: قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان. وقد روي هذا في حق حولاء بنت تويت والأصح أنه في حق حسانة هذه وسيأتي ذكرها في مكانه.

الصحابي

حسل بن خارجة الأشجعي، ويقال حسيل مصغرا وقيل حنبل بالنون والياء والموحدة. اسلم يوم خيبر وشهد فتحها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطى الفارس يومئذ ثلاثة أسهم سهمان لفرسه وسهم له وأسهم للراجل سهما واحدا.

الحسن

ابن زولاق

الحسن بن إبراهيم بن زولاق، أبو محمد المصري الليثي. من أعيان علماء أهل مصر ووجوهها، وله عدة تصانيف في تواريخ مصر، توفي يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة سنة ست وثمانين وثلاثمئة في أيام العزيز وقيل مات سنة سبع وثمانين في أيام الحاكم ومن تصانيفه: سيرة محمد بن طغج الأخشيذ. كتاب سرة جوهر. كتاب سيرة المادرانين. التاريخ الكبير على السنين. كتاب فضائل مصر. كتاب سيرة كافور. كتاب سيرة المعز. كتاب سيرة العزيز، وغيره. وكان قد سمع الحديث ورواه

---

(١) النوادر السلطانية ص/١٣

فسمع منه عبد الله بن وهبان بن أيوب بن صدقة وغيره، ولم يؤرخه ابن عساكر، وقد رحل إلى دمشق بعد الثلاثين ومولده سنة ست وثلاثمئة.

القاضي أبو علي بن برهون الشافعي

الحسن بن إبراهيم بن برهون، أبو علي الفارقي، الفقيه الشافعي العلامة. تفقه بميا فارقين على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني تلميذ المحاملي ثم إنه رحل إلى الشيخ أبي إسحاق وحفظ المهذب وتفقه على ابن الصباغ وحفظ الشامل، وهو زاهد ورع، وتولى القضاء بواسط بعد أبي تغلب فظهر من عدله وحسن سيرته ما زاد على الظن به وسمع من الخطيب أبي بكر ومن طبقته، وله كتاب الفوائد على المهذب، وعنه أخذ القاضي أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون وكان يلازم الدرس من الشامل إلى أن توفي بواسط سنة ثمان وعشرين وخمسمئة ومولده بميا فارقين سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة.

فخر الكتاب الكاتب

الحسن بن إبراهيم بن علي فخر الكتاب الجويني المجود. كان أوحد زمانه في براعة الخط، كتب عليه خلق ببغداد وخطه يتغالى فيه بالثمن الوافر. مات سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة.

أبو علي المالقي

الحسن بن إبراهيم بن محمد بن مفرج بن الغيث بن تقي، أبو علي الجذامي من أهل مالقة. خرج من بلاده وسمع بالاسكندرية من أبي الحسن علي الأنماطي وغيره وسافر إلى مكة وأقام بها وسمع الحديث، ثم قدم بغداد وسمع من شيوخها وروى بها شيئا من شعره، وخرج إلى العراق وسمع بأصبهان، ودخل خراسان ونيسابور وأقام بها إلى أن توفي سنة خمس وعشرين وخمسمئة وكان حافظا للحديث قيما باللغة والنحو محققا لما يقوله ضابطا صدوقا ورعا دينا وقورا ساكنا على قانون السلف ومن شعره: من البسيط

الغرب يعرف أني كنت سيده ... شيخ الشيوخ لعمري كنت محتلما

لكنما شرف الإنسان بلدته ... لا يعرف الأمر إلا من مشى قدما

لا تبخلن فما الدنيا بباقية ... ركن البخيل إذا ما مات قد هدما

وصاحب الجود لا تفنى محامده ... تبلى العطايا ولا يبلي الندى الكرما

قلت: شعر نازل.

أبو محمد التنوخي الحلبي". (١)

٨٣-"حوثرة بن أشرس أبو عامر العدوي البصري. روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وأبو يعلى الموصلي، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

الألقاب

---

(١) الوافي بالوفيات ١٠٩/٤

الحوراني: أحمد بن عبد الواحد بن مرى.

الحورافي: يوسف بن محمد.

الحوضي: حفص بن عمر.

ابن حوط الله: اسمه داود بن سليمان داود، والآخر عبد الله بن سليمان ابن داود.

الحوفي النحوي صاحب الإعراب: اسمه علي بن إبراهيم بن سعيد.

ذو ظليم

حوشب بن طخية بضم الطاء المهملة وبعدها خاء معجمة ساكنة وياء آخر الحروف مفتوحة هو ذو ظليم بفتح الظاء المعجمة وضمها الصحابي. بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جريرا البجلي وإلى ذي الكلاع في التعاون على الأسود العنسي، وكانا رئيسي قومهما. وقتل رحمه الله بصفين سنة سبع وثلاثين، وقد روي المنام الذي رؤي في ترجمة أيفع لهذا حوشب أيضا، رآه عمرو بن شرحبيل أيضا.

حولاء القرشية

حولاء بنت ثويب بن حبيب بن أسد بن عبد العزى القرشية. كانت من المهاجرات المجتهدات في العبادة، وفيها جاء الحديث أنها كانت لا تنام الليل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا الله لا يمل حتى تملوا، تكلفوا من العمل ما لكم به طاقة. قالت عائشة: استأذنت الحولاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها وأقبل عليها وقال: كيف أنت؟ فقلت: يا رسول الله أتقبل على هذه هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان كذا قال محمد بن موسى الشامي عن أبي عاصم، وقد تقدم هذا في ترجمة حسانة وهو الصواب والله أعلم.

الألقاب

الحويرث بن عبد الله، بن خلف بن مالك الغفاري، هو آبي اللحم وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة مكانه.

الحويزي: الحسن بن أحمد.

الحويزي: الوزير أحمد بن محمد بن سليمان.

أبو سعيد الأنصاري الحارثي

حويصة بن مسعود بن كعب الأنصاري الحارثي، أبو سعيد أخو محيصة لأبيه وأمه. كان حويصة أسن، وفيهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكبر الكبر إذ قالا له قصة ابن عمهما عبد الله بن سهل المقتول بخيبر، وشكوا ذلك إليه مع أخيه عبد الرحمن بن سهل. فاراد عبد الرحمن أن يتكلم لمكانه من أخيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كبر كبر في حديث القسامة.

شهد حويصة أحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القرشي العامري

حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسيل بن عامر بن لؤي، أبو محمد ويقال: أبو الأصبع القرشي العامري. أسلم عام الفتح، وشهد حنينا والطائف وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ مائة بعير. وخرج

إلى الشام مجاهدا مع الحارث بن هشام وسهيل بن عمر. وهو أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب بتجديد أنصاب الحرم. وكان ممن دفن عثمان بن عفان، وباع دارا بالمدينة بأربعين ألف دينار لمعاوية ومات في آخر خلافة معاوية وله مائة وعشرون سنة. وقال ابن سعد: مات بالمدينة سنة أربع وخمسين، وله دار بالمدينة بالبلاط عند أصحاب المصاحف. قال شهاب الدين أبو شامة رحمه الله تعالى: وليس لحويطب رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما روى السائب بن يزيد عن حويطب عن عبد الله بن السعدي عن عمر بن الخطاب حديثا في العمالة فيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر: ما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك. وهذا إسناد يمتحن فيه الحفاظ. وهو أنه اجتمع فيه أربعة من الصحابة بعضهم يروي عن بعض، وقد امتحن به الوزير ابن حنزابة لما قدم حلب. وقد نظمت ذلك في بيتين: من البسيط

وفي العمالة إسناد بأربعة ... من الصحابة فيه عنهم ظهرا

السائب بن يزيد عن حويطب عب – د الله حدثه بذاك عن عمرا". (١)

٨٤-"""""""" صفحة رقم ١٣٨ """""""

به الحال ، واقتضيت الحقوق إلى آخر مدة مستقضيه رحمه الله وكانت صدر شعبان من عام ٧٠١ . وافضى الأمر إلى ولده أبي عبد الله محمد ، ثالث الأمراء من بني نصر ؛ فجرى على منهاج أبيه في الاغتباط بقاضيه ؛ فأقره على ما كان يتولاه ، وزاد في التنويه . فظهرت الخطة بواحدها وصدر رجالها ؛ وبقي يتولاه إلى أن توفي ، وذلك عام ٧٠٤ . ذكره القاضي أبو عامر يحيى بن ربيع في مزيده وقال فيه : كان فقيها عارفا ، أديبا ، كاتبا بارعا ، فاضلا ، لين الجانب ، سمحا ، دريا بالأحكام ، عدلا ، نزيها ؛ وتولى الخطبة بجامع الحمراء . قال المؤلف رضي الله عنه لله در محمد بن هشام في إصراره على الاباية من القضاء في الفتنة الأشقيلولية فإنه جرى في تمنعه على منهاج السداد ، وأخذ لنفسه الواجب في الاحتياط . وقد تقدم صدر هذا الكتاب أن الداعي إلى العمل ، إذا كان غير عدل ، لم يجز لأحد إعانته على أموره ، لأنه مقعد في فعله ؛ فيجب عليه أن يصبر على المكروه ، ولا يلي العمل معه ؛ وإن كان عدلا ، جاز ، وقد تستحب له الإعانة . والله الموفق للصواب

ذكر القاضي أبي جعفر أحمد بن فركون

وولي بعد ابن هشام قضاء الجماعة الشيخ الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد القرشي ، المعروف بابن فركون ، أحد صدور الفقهاء بهذا القطر الأندلسي اطلاعا بالمسائل ، وحفظا للنوازل ، وقوة على حمل أعباء القضاء ، وتفننا في المعارف . وكان رحمه الله منشرح الصدر ، مثلا في حسن العهد بمن عرفه ولو مرة في الدهر ، مفيد المجالسة ، رائق المحاضرة ، مترفقا بالضعيف في أقضيته ، كثير الاحتياط عند الاشتباه ، دقيق النظر ، مهتديا لاستخراج غريب الفقه وغوامض نكت العلم ، رائق الأبهة ، موصوفا بالنزاهة والعدالة ، شديد الوقار ، مشغلا عند المواجهة والتجلة ، مع التحلي

(١) الوافي بالوفيات ٣٣٧/٤

بالفضل ، والخلق الرحب ، والدعابة الحلوة . طال يوما بين يديه قعود رجل". (١)

٨٥-"""""""" صفحة رقم ١٥٣ """"""

ذكر القاضي أبي بكر محمد بن أحمد بن شبرين

ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الجذامي نزيل غرناطة ، وأصله من إشبيلية ، من حصن شلب من كورة باجة غربي صقعها ؛ يكنى أبا بكر ، ويعرف بابن شبرين . وانتقل أبوه عن إشبيلية عند تغلب العدو عليها ، وذلك عام ٦٤٦ : فاحتل رندة ، ثم غرناطة ، ثم انتقل إلى سبتة ، وبها ولد ابنه أبو بكر هذا . ثم عاد عند الحادثة التي كانت بها في أواخر عام ٧٠٥ إلى غرناطة ؛ فارتسم بها في الكتابة السلطانية . ثم تولى القضاء بكثير من الجهات . وكان رحمه الله فريد دهره في حسن السمت ، وجمال الرواء ، وبراعة الخط ، وطيب المجالسة ، من أهل الدين والفضل والعدالة ، غاية في حسن العهد ومجاملة العشرة ، أشد الناس اقتدارا على نظم الشعر والكتب الرائق . قرأ على جده لأمه الأستاذ أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي ، وعلى الأستاذ أبي إسحاق الغافقي . وكانت له رحلة إلى مدينة تونس ، لقي بها قاض الجماعة الشيخ الإمام أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الرفيع وغيره ؛ فاتسع بذلك نطاق روايته . ومن شعره : لي همة كلما حاولت أمسكها . . . على المذلة في أرجا أراضيها قالت : ألم تك أرض الله واسعة . . . حتى يهاجر عبد المؤمن فيها وله في برد غرناطة : رعى الله من غرناطة متبوءا . . . يسر كئيبا أبو يجير طريدا تبرم منها صاحبي بعد ما رأى . . . مسارحها بالبرد عدن جليدا هي الثغر صان الله من أهلت به . . . وما خير ثغر لا يكون برودا توفي ، عن غير عقب من الذكور ، ثالث شعبان من عام ٧٤٧ .". (٢)

٨٦-"لا زال محروس الجناب مؤيدا ... في حالتيه؛ إيابه وذهابه

الحسن بن الأديب يعقوب

خلف أبيه، اللائحة مخايل الخير فيه. وقد حصل صدرا صالحا من فوائده، ونظم في سلك الأدب كثيرا من فرائده. وللأيام فيه مواعد، وسينجزها. وله في تنجز تلك المواعد فرص، وسينتهزها. فمما كتب إلي قوله:

نظامك مسكر لا الراح صرفا ... ونثرك لؤلؤ لا ما ينظم

فإن تنظم فسحر بابلي ... وإن تنثر فمنثور وأنعم

علي بقيت للعلياء تكسى ... لباس الأمن في عيش منعم

وله يهجو عفي عنه:

قل للغراب: اغرب فحد صوارمي ... لم ينب يا ابن القحبة البظراء

إن كان ذنبا مدحتيك فتوبتي ... خلصت فقد قفيتها بهجائي

(١) تاريخ قضاة الاندلس ص/١٣٨

(٢) تاريخ قضاة الاندلس ص/١٥٣

وأنشدني لنفسه في الغزل قوله:

أيها المعرض عني ... أرني أنظر إليكا

وترفق بفؤادي ... إنه وقف عليكا

وله في أوحال نيسابور:

قل لمن يعذلني في انجحاري ... بعد أن شاد الشتاء رواقه

لا تلمني في لزومي لبيتي ... إن عومي في الخرا لحماقه

قلت: وهذا الشعر بعد حصرم، فإذا نضج عاد عنبا هنيا، وبسر فإذا أينع، صار رطبا جنبا. وقد أودعت هذين البيتن في رسالتي التي سميتها " غالية السكارى " ، اقرح علي انشاؤها بنيسابور في صفة أحوال أوحالها. فقلت في بعض فصولها: ولم يزل يقرع سمعي ما بنيت عليه نيسابور من رهل التربة وابتلاع طينها رجل الماشي من الأخمص إلى الركبة، خسفا، وحاشا الوجوه بذكر قارون وبليته والعياذ بالله منها، نعني القرون ووحلا بلغ منكب خائضهظن فالتحفه، وأودع القلب مصحفه، ودجنا يزم في الهواء كل سارية كلفاء، إذا حلقت ألصقت بأشراف الكواكب سنامها، وإذا أسقت علقت من آناف المثاعب زمامها.

الشيخ أبو إبراهيم أسعد بن مسعود

جلاء بصري، وإن تغيم أحيانا سماؤه، وشفاء ظمأي، وإن تكدر في بعض الأوقات ماؤه. وهو لأبي النضر العتبي حافد، وبغضه النضر لدوحته العلياء مرافد. وزعمت تلك التي أودعته لبانها، ورضعته لبانها، أن شيخي الحسن، رحمه الله، من أشبه الناس بأبيها أبي النضر، وللشبيه تناسب وإن لم يكن بين المتشابهين تناسل، وللشيخ أبي إبراهيم هذا شعر كتابي كقوله من قصيدة في الصاحب نظام الملك:

يا سيد الوزراء والأركان ... أيام دهرك مفخر الأزمان

ورفيع قدرك بالنجوم متوج ... وسناء مجدك باهر البرهان

نسخت مناقبك المناقب كلها ... نسخ الشريعة سائر الأديان

ولقد كسيت من المحاسن حلة ... مرقومة بصنائع الرحمان

بهشاشة تدعو الوفود إلى الغنى ... وتبشر العافين بالإحسان

وعزائم مثل الشهاب توقدت ... برزانة تحكي ذرا ثهلان

وسماحة صوب الغمام قريبها ... ينشال وابلها بكل مكان

يا نقطة الفلك المدار ونكتة ... من صحف كل مآثر ومعان

يا قرة عين كل مسرة ... يا غرة في وجه كل زمان

للقائم النبوي أرضى ناصح ... للدولة العلياء أكرم بان

ومنها:

وقوام دين الهاشمي محمد ... ونظام كل ممالك السلطان

اسكندر الرومي أصبح فاخرا ... إذ سد يأجوجا بقطر آن

سد الوزير أبي علي سيفه ... والسيف أحصن ما بناه بان

تشتاق نيسابور غرتك التي ... هي كالزلال العذب للعطشان

وقفت في العود الجميل برجعة ... من سفرة ممدودة الأرسان

فاجعل جمامك حجة في عيشة ... بين الشراب الصفو والندمان

كم مقتر أغنيته وأنلته ... ونعشته من ذلة وهوان

جدي يخاصمني ويزعم ما الذي ... ألقاك طي جريدة النسيان

هبني وزير المشرقين ضعيفة ... تأتي خديجة زينة النسوان

كان الرسول إذا أتته يعزها ... ويقول: حسن العهد في الإيمان

عزم الزمان وجار فاحسم جوره ... عن عبدك المظلوم بالريحان". (١)

٨٧-"قال الشيخ ولي الدين العراقي: خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار، وقيل: عائشة. وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرح بهجة الحاوي المسمى بالغرر البهية، في شرح البهجة الوردية: أفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضليتهما خلاف، صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له: لا تزال تلهج بذكر خديجة، إن هي إلا عجوز من عجائز قريش، كأني أنظر إلى حمرة شدقيها ودردرها، وقد رزقك الله خيرا منها. فقال عليه الصلاة والسلام: لا والله ما رزقني خيرا منها، آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس. وسئل ابن داود: أيهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام عن جبريل، وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فهي أفضل.

وقيل له: فمن أفضل خديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فاطمة بضعة مني فلا أعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا. ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنة عمران. واحتج من فضل عائشة بما احتجت به هي من أنها في الآخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة، وفاطمة مع علي فيها.

وسئل العلامة السبكي عن ذلك فقال: الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أمها خديجة، ثم أمها خديجة، ثم عائشة. ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه. وأما خبر الطبراني: خير نساء العالمين مريم بنة عمران، ثم خديجة بنت خويلد، ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، ثم آسية امرأة فرعون فأجاب عنه ابن العماد بأن خديجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الأمومه لا باعتبار السيادة، واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة لهذا الخبر للاختلاف في نبوتها.

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر ص/١٦٥

وقال ابن النقاش: إن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ومؤازرتها ونصرتها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام في حمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من الأمر ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميز به عن غيرها. وفي مسيرة الشامي: روى الطبراني برجال الصحيح عن الزهري، قال: لم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت بعد أن مكثت عنده صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين سنة وأشهرا.

وروى الطبراني بسند فيه من لا يعرف، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة من عنب الجنة. وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالشيء يقول: اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت صديقة لخديجة رواه ابن حبان والدولابي. وفي رواية: فإنها كانت تحب خديجة، وفي رواية: جاءت عجوز إليه صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت؟ فقالت: جثامة المزنية. فقال: كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

وعن عائشة رضي الله عنها: كانت عجوز تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيبش لها ويكرمها. وفي لفظ: كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقلت: يا رسول الله، من هذه؟ وفي لفظ: بأبي أنت وأمي؛ إنك لتصنع بهذه العجوز ما لم تصنع بأحد، وفي لفظ: فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال: يا عائشة، إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان. وفي لفظ: فإن كرم العهد من الإيمان. انتهى". [1]

٨٨-"وقالت عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها (١).

قلت: وهذا من أعجب شئ (٢) أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيره من عدة نسوة يشاكنها في النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا من الطاف الله بها وبالنبي صلى الله عليه وسلم، لئلا يتكدر عيشهما.

ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي صلى الله عليه وسلم لها وميله إليها.

فرضي الله عنها وأرضاها.

معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: دخلت امرأة سوداء على النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليها.

قالت: فقلت: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الاقبال ! فقال: " إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الايمان " (٣).

---

(١) أخرجه البخاري ٧ / ١٠٢ في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ١/١٨٧

خديجة وفضلها، ومسلم (٢٤٣٥) في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة، والترمذي (٣٨٧٥).

(٢) علق الشوكاني رحمه الله على هذا الموطن فقال: سبب الغيره ما كانت تسمعه من ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة، وتفخيمه لنشأنها كما سبق في ترجمتها رضي الله عنها، فلا عجب إذن.

(٣) رجاله ثقات وهو في المصنف.

وأخرجه أيضا بنحوه الحاكم في " المستدرك " ١ / ١٥، ١٦ من طريق صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنت ؟ قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأم ي يا رسول الله، فلما خرجت، قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال ؟ قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الايمان.

وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، مع أن صالح بن رستم لم يخرج له البخاري إلا تعليقا، وقد ارتضى المصنف في الميزان مقالة الامام أحمد فيه: صالح الحديث، فمثله يكون حديثه ؟ ؟ وانظر " فتح الباري " ١٠ / ٣٦٥.

[*]". (١)

٨٩-"قلت: وهذا من أعجب شيء أن تغار - رضي الله عنها - من امرأة عجوز، توفيت قبل تزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي -صلى الله عليه وسلم- لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي -صلى الله عليه وسلم- لها، وميله إليها، فرضي الله عنها وأرضاها.

معمر: عن الزهري، عن عروة، عن عائشة:

دخلت امرأة سوداء على النبي -صلى الله عليه وسلم- فأقبل عليها.

قالت: فقلت: يا رسول الله! أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال.

فقال: (إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان). (١٦٦/٢)

أخبرنا أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن المعدل، أخبرنا الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي سنة ست عشرة وست مائة، أخبرنا هبة الله بن الحسن الدقاق، أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن علي بن زكري، حدثنا علي بن محمد المعدل، قال:

". (٢)

٩٠-"كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة

١٤٢ الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود واستقضى ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢

(٢) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع] ١٤٥/٣

وكانت له في الظالمين صورة مرهوبة ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وسألته عن مولده فقال ولدت يوم الخميس ثاني عشرى شعبان سنة ثمانين وأربعمائة وتوفي بالغدوة ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر رحمه الله تعالى انتهى وقال ابن خلكان وهذا الحافظ له مصنفات منها كتاب عارضة الأحوذي في شرح الترمذي وغيره من الكتب وتوفي ولده بمصر منصرفا عن الشرق في السفرة التي كان والده المذكور صحبه وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة رحمه الله تعالى ومعنى عارضة الأحوذي فالعارضة القدرة على الكلام يقال فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرة عل الكلام والأحوذي الحنيفي في المشي لحذقه وقال الأصمعي الأحوذي المشمر في الأمور القاهر لها الذي لا يشذ عليه منها شيء انتهى كلام ابن خلكان ملخصا وفيها نوشتكين الرضواني مولى ابن رضوان المرسي شيخ صالح متودد روى عن علي بن البسري وعاصم وتوفي في ذي القعدة عن اثنتين وثمانين سنة وفيها أبو الوليد بن الدباغ يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيره اللخمي الأندلسي الأندي بالضم وسكون النون نسبة إلى أندة مدينة بالأندلس محدث الأندلس كان حافظا متقنا مصنفا ثقة نبيلا متفننا إماما رأسا في الحديث وطرقه ورجاله وهو تلميذ أبي علي بن سكرة عاش خمسا وستين سنة وفيها الجنيد بن يعقوب بن الحسن بن الحجاج بن يوسف الجيلي الفقيه الحنبلي الزاهد أبو القسم ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة بناحية من أرض جيلا ثم قدم بغداد وأقام بباب الأزج وقرأ الفقه على يعقوب الزينبي والأدب على ابن الجواليقي وسمع الحديث من أبي محمد بن التميمي والقاضي أبي الحسين وغيرهما وحديث باليسير وكتب بخطه الكثير وكان فاضلا دينا". (١)

٩١-" الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود واستقضى ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه وكانت له في الظالمين صورة مرهوبة ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وسألته عن مولده فقال ولدت يوم الخميس ثاني عشرى شعبان سنة ثمانين وأربعمائة وتوفي بالغدوة ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر رحمه الله تعالى انتهى وقال ابن خلكان وهذا الحافظ له مصنفات منها كتاب عارضة الأحوذي في شرح الترمذي وغيره من الكتب

وتوفي ولده بمصر منصرفا عن الشرق في السفرة التي كان والده المذكور صحبه وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة رحمه الله تعالى ومعنى عارضة الأحوذي فالعارضة القدرة على الكلام يقال فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرة على الكلام والأحوذي الخفيف في المشي لحذقه وقال الأصمعي الأحوذي المشمر في الأمور القاهر لها الذي لا يشذ عليه منها شيء انتهى كلام ابن خلكان ملخصا

وفيها نوشتكين الرضواني مولى ابن رضوان المرسي شيخ صالح متودد روى عن علي بن البسري وعاصم وتوفي في ذي القعدة عن اثنتين وثمانين سنة

(١) شذرات الذهب - ابن العماد ١٤١/٤

وفيها أبو الوليد بن الدباغ يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيره اللخمي الأندلسي الأندي بالضم وسكون النون نسبة إلى أندة مدينة بالأندلس محدث الأندلس كان حافظا متقنا مصنفا ثقة نبيلا متفننا إماما رأسا في الحديث وطرقه ورجاله وهو تلميذ أبي علي بن سكرة عاش خمسا وستين سنة

وفيها الجنيد بن يعقوب بن الحسن بن الحجاج بن يوسف الجيلي الفقيه الحنبلي الزاهد أبو القسم ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة بناحية من أرض جيلا ثم قدم بغداد وأقام بباب الأزج وقرأ الفقه على يعقوب الزيني والأدب على ابن الجواليقي وسمع الحديث من أبي محمد بن التميمي والقاضي أبي الحسين وغيرهما وحدث باليسير وكتب بخطه الكثير وكان فاضلا دينا حسن الطريقة جمع

". (١)

٩٢- " حسن العهد من الإيمان

جمال الرجل فصاحة لسانه

منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا

لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعود من العقل ولا وحشة أشد من العجب

الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت ". (٢)

٩٣-"العرب ووقائعهم عارفا بسيرهم وأحوالهم، حافظا لأنساب خيلهم، عالما بعجائب الدنيا ونوادرها، بحيث كان يستفيد محاضره منه مالا يسمع من غيره، وكان حسن الخلق يسأل الواحد منا عن مرضه ومداواته ومطعمه ومشربه، وتقلبات أحواله وكان طاهر المجلس، لا يذكر بين يديه أحد إلا بالخير وطاهر السمع فلا يحب أن يسمع عن أحد إلا الخير، طاهر اللسان، قال ابن شداد : فما رأيته ولع بشتم قط؛ وطاهر القلم، فما كتب بقلمه إيذاء مسلم قط (١) وكان حسن العهد والوفاء، فما أحضر بين يديه يتيم إلا وترحم على مخلفيه، وجبر قلبه، وأعطاه خبز مخلفه وإن كان له من أهله كبير يعتمد عليه سلمه إليه، وإلا أبقى له من الخبز ما يكفي حاجته، وسلمه إلى من يكفله ويعتني بتربيته، وكان ما يرى شيخا إلا ويرق له ويعطيه ويحسن إليه، ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله (٢).

---

(١) سيرة الناصر صلاح الدين ص ٩٣.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ٤/١٤٢

(٢) صفة الصفوة ١/٢١٣

(٢) المصدر نفسه ص ٩٣، ٩٤.". [1]

٩٤-" ما ذكر من حيائه وظهر من عهده ووفائه

عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أشد حياء من العذراء في خدرها . وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفنا ذلك في وجهه . وعن عائشة رضي الله عنها قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أشد حياء من العواتق في خدورهن . أخبر الحسن بن علي بن أبي رافع أن أبا رافع أخبره : أنه أقبل ركبان من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال : فلما رأيت النبي صلى الله عليه و سلم ألقي في قلبي الإسلام . فقلت : يا رسول الله إني والله لا أرجع إليهم أبدا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد ولكن ارجع إليهم فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن فارجع . قال : فرجعت إليهم ثم إني أقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلمت . وكان أبو رافع قبطيا . وعن عائشة قالت : جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه و سلم وهو عندي فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : من أنت ؟ قالت : أنا حنانة المزينة . قال : بل أنت حسانة المزينة وفي رواية قالت : أنا حثامة المزينة . قال : بل أنت حضانة كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قالت : فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ! قال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة . وإن حسن العهد من الإيمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت عجوز تأتي النبي صلى الله عليه و سلم فيبش بها ويكرمها . فقلت : بأبي أنت وأمي إنك لتصنع بهذه العجوز شيئا لا تصنعه بأحد ؟ قال : إنها كانت تأتينا عند خديجة . أما علمت أن كرم الود من الإيمان ؟ وعن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت النبي صلى الله عليه و سلم قبل أن يبعث ببيع فبقي له علي شيء فوعدته أن آتيه مكانه فنسيت أن آتيه يومه ذلك ومن الغد فأتيته اليوم الثالث فوجدته في مكانه ذلك . فقال لي : لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاثة أيام وفي رواية : أنتظرك . وعن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ثلاث ليس لأحد من الناس فيهن رخصة : بر الوالدين مسلما كان أو كافرا والوفاء بالعهد لمسلم كان أو كافر وأداء الأمانة إلى مسلم كان أو كافر "

ما ورد من مزاجه وسعة صدره ". [2]

٩٥-"[3] ما ذكر من حيائه وظهر من عهده ووفائه عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفنا ذلك في وجهه وعن عائشة رضي الله عنها قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العواتق في خدورهن أخبر الحسن بن علي بن أبي رافع أن أبا رافع أخبره أنه أقبل ركبان من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ألقي في قلبي الإسلام فقلت

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ٣٣٩/١

(٢) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٢١٦

(٣) ٢١٥

يا رسول الله إني والله لا أرجع إليهم أبدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد ولكن ارجع إليهم فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن فارجع قال فرجعت إليهم ثم إني أقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وكان أبو رافع قبطيا وعن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت قالت أنا حنانة المزينة قال بل أنت حسانة المزينة وفي رواية قالت أنا حثامة المزينة قال بل أنت حضانة كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله قالت فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! قال إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت عجوز تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيبش بها ويكرمها فقلت بأبي أنت وأمي إنك ﷺ". (١)

٩٦-"من مآثر صلاح الدين الأيوبي

اشتهر صلاح الدين بين المسلمين بكفاحه وجهاده ، وبين الأوربيين بسماحته وعدله ، ورغم ذلك لم تقتصر مآثره ـ رحمه الله ـ على جهاده الذي انتهى بتحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين ـ وإن كان هذا شرفا لا يدانيه فيه كثير من العظماء ـ ولا على سماحته التي قلما تخلق بها أحد بعد الأنبياء ، وإنما تعددت تلك المآثر ، وكثرت كثرة تدعونا لتقديره والثناء عليه. ونحن لو نظرنا في جهوده في رعاية المسلمين ، وإصلاح شئون الدولة الإسلامية لوجدناها لا تقل عظمة عما قام به من جهاد في تحرير كثير من البلاد الإسلامية ولم شعثها ، ولا عجب في ذلك ، فالقائد العظيم قلما ينجح في الخارج قبل نجاحه في الداخل .

وهذه سطور نبرز فيها من جهوده ومآثره ما عساه أن ينفع العاملين لدين الله ، وغيرهم من المسلمين ممن يبتغون الاقتداء بهذا الرجل الذي تبحث أمتنا الآن عن شبيهه ؛ ليعيد إليها بعضا من عزتها المسلوبة ، وكرامتها المفقودة.

وأول هذه المآثر التي تحمد له ـ رحمه الله ـ على مر التاريخ ما أسداه إلى المسلمين المهاجرين من بلاد المغرب والأندلس تحت ضغط التعذيب والقتل والإبادة على يد الإسبان ، إذ شمل هؤلاء بعطفه وحنانه وشفقته.

واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى إنه أمر بأن يوفر لهم كل ما يحتاجون إليه ؛ لينسيهم هول ما تعرضوا له من محن ، وأنشأ حمامات لهم في الأماكن التي ينزلون بها ، يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، وبنى لهم مارستانا لعلاج من يمرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وجعل تحت أيديهم خداما ، يأمرونهم بالنظر في مصالحهم ، وما يحتاجونه من علاج وغذاء ، كما وظف الأطباء لزيارة المرضى الذين يستحيون من الذهاب إلى المارستان المجاني ، وجعل لمن يمر ببلاده من أبناء السبيل وجبات غذائية في كل يوم .

وأكثر هذه النفقات كانت من ماله الخاص ، إذ كان رحمه الله شديد الحرص على الإنفاق في سبيل الله ، حتى روي أن

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ٢/٢١٥

صدقة النفل قد استنفذت جميع ما ملكه من الأموال ، وأنه مات ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ، وجراما واحدا ذهبا ، ولم يخلف دارا ولا عقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة .

وهذا العمل النبيل منه لعل في ذكره تذكرة لأهالي البلاد الإسلامية التي عافاها الله من الوقوع تحت نيران الاحتلال ؛ ليقوموا بواجبهم تجاه إخوانهم الذين حوصروا في ديارهم أو أخرجوا منها دون ملجأ أو ملاذ.

وثاني هذه المآثر قضاؤه على كثير من الأنظمة والتقاليد الفاسدة والبدع التي عمت مصر أيام الحكم الفاطمي ، ومن بينها الضرائب الباهظة غير الشرعية التي أثقلت كاهل المصريين من قبل ، تحت مسميات شتى ، ولم يبق منها إلا ما له سند شرعي كالجزية والخراج وعشور التجارة .وثالث تلك المآثر عدله بين رعيته ، حيث وصفه من عايشه من العلماء بأنه كان عادلا رءوفا رحيما ناصرا للضعيف على القوي ، وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام ، يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء ، ويفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل إليه كل واحد من كبير وصغير وعجوز وهرم وشيخ كبير ، وكان يفعل ذلك سفرا وحضرا .

كما كان في جميع زمانه قابلا لما يعرض عليه من الشكاوي، كاشفا لما ينهى إليه من المظالم ، وكان يجمع القصص (الشكاوى) في كل يوم ، ثم يجلس مع الكاتب ساعة ، إما في الليل أو في النهار ، ويوقع على كل قصة بما يطلق الله على قلبه ، وما استغاث إليه أحد إلا وقف وسمع ظلامته ، وأخذ قصته ، وكشف كربته ، كما قال القاضي ابن شداد .

ورابع تلك المآثر عطفه وشفقته على اليتامى ، فما أحضر بين يديه يتيم إلا وترحم على من خلفه ، وجبر قلبه ، وأعطاه راتبه إن كان له من أهله كبير يعتمد عليه وسلمه إليه ، وإلا أبقى له من الراتب ما يكفي حاجته ، وسلمه إلى من يكفله ، ويعتني بتربيته .

وخامس تلك المآثر كرمه وإجلاله للعلم والعلماء ، فقد قال قاضيه : إنه كان يكرم من يرد عليه من المشايخ ، وأرباب العلم والفضل ، وذوي الأقدار، وكان يوصينا لئلا نغفل عمن يجتاز بالخيم من المشايخ المعروفين حتى نحضرهم عنده ، وينالهم من إحسانه ، وقد جعل في قصره مكانا لبيع الكتب ، يفتح يومين من كل أسبوع ، وتباع الكتب فيه بأرخص الأثمان .

كما كان مجلا لحفظة القرآن الكريم ، وقد مر يوما على صبي صغير بين يدي أبيه ، وهو يقرأ القرآن ، فاستحسن قراءته ، فأوقف عليه وعلى أبيه مزرعة .

وسادس تلك المآثر محافظته على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها حتى قال عنه ابن شداد : فما رأيته صلى إلا في جماعة ، ولم يؤخر له صلاة من ساعة إلى ساعة ، وكان له إمام راتب ملازم مواظب ، فإن غاب يوما صلى به من حضره من أهل العلم ، إذا عرفه متقيا متجنبا للإثم .

وكان يواظب على السنن الرواتب ، وكان له ركعات يصليها إن استيقظ بوقت من الليل ، وإلا أتى بها قبل صلاة الصبح ، وما ترك الصلاة إلا في الأيام الثلاثة التي تغيب فيها ذهنه ، وكان إذا أدركته الصلاة وهو سائر نزل وصلى .

وسابع تلك المآثر ورعه وعفته وتواضعه ، فكان لا يلبس إلا ما يحل لبسه ، وتطيب به نفسه كالكتان والقطن والصوف ، كما كانت مجالسه مصونة من الحظر ، ومنزهة من الهزء والهزل ، آهلة بأهل الفضل ، وما سمعت له قط كلمة تسقط ، ولا لفظة فظة تسخط ، وكان من جالسه لا يعلم أنه جليس السلطان ، بل يعتقد أنه جليس أخ من الإخوان ، وكان حليما

مقيلا للعثرات ، متجاوزا عن الهفوات تقيا نقيا وفيا صفيا .

يقول أحد المرافقين له : ولقد كان يسمع من المستغيثين إليه والمتظلمين أغلظ ما يمكن أن يسمع ، ويلقى ذلك بالبشر والقبول .

ومع ذلك كان يغضب للكبائر ، ولا يغضي عن الصغائر ، متشبها برسول الله الذي ما غضب لنفسه قط ، وما كان يغضب إلا إذا انتهك حد من حدود الله ، ويرشد إلى الهدى ، ويهدي إلى الرشاد ، ويسدد الأمر ، ويأمر بالسداد ،وكان مماليكه وخواصه بل أمراؤه وأجناده أعف من الزهاد .

قال ابن شداد : وأما صبره فلقد رأيته بمرج عكا ، وهو على غاية من مرض ، اعتراه بسبب كثرة دماميل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبته ، بحيث لا يستطيع الجلوس ، وإنما يكون متكئا على جانبه إذا كان في الخيمة ، وامتنع من مد الطعام بين يديه لعجزه عن الجلوس ، وكان يأمر أن يفرق على الناس ، وكان مع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر ، يطوف على الأطلاب ، ومن العصر إلى صلاة المغرب ، وهو صابر على شدة الألم ، وقوة ضربان الدماميل ، وكنا نعجب من ذلك ، فيقول . رحمه الله . إذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل ، قال : وهذه عناية ربانية.

وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه أحد إلا بالخير ، وطاهر السمع ، فلا يحب أن يسمع عن أحد إلا بالخير ، وطاهر اللسان ، فما رأيته أولع بشتم قط ، وطاهر القلم ، فما كتب بقلمه أذى لمسلم قط ، وكان حسن العهد والوفاء ، وكان ما يرى شيخا إلا ويرق له ، ويعطيه ويحسن إليه ، ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله عز وجل إلى مقر رحمته ومحل رضوانه.

تلكم بعض مآثر صلاح الدين الأيوبي جمعت في طياتها الأسوة لكل أمير أو مجاهد أو عابد أو ثري يبتغي الرشاد إلى طريق العزة والنصر والتمكين في الدنيا ، ومرضاة الله في الآخرة .

"." (١)

٩٧-"فقلت قول امرئ لبيب ما المرء إلا بدرهميه

من لم يكن معه درهماه ... لم تلتفت عرسه إليه

وكان من ذله حقيرا ... تبول سنوره عليه

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال: قدم عبد الصمد، ابن بابك الشاعر إلى الري، في أيم الصاحب، فتوقع أبو الحسين، أحمد بن فارس، أن يزوره ابن بابك، ويقضي حق علمه وفضله، وتوقع ابن بابك، أن يزوره ابن فارس، ويقضي حق مقدمه، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه، فكتب ابن فارس إلى القاسم بن حسولة:

تعديت في وصلي فعدي عتابك ... وأدنى بديلا من نواك إيابك

تيقنت أن لم أحظ والشمل جامع ... بأيسر مطلوب فهلا كتابك

---

(١) مشاهير أعلام المسلمين ص/١٥

ذهبت بقلب عيل بعدك صبره ... غداة أرتنا المرقلات ذهابك

وما استمطرت عيني سحابة ريبة ... لديك ولا مست يميني سخابك

ولا نقبت والصب يصبو لمثلها ... عن الوجنات الغانيات نقابك

ولا قلت يوما عن قلى وآمة ... لنفسك: سلى عن ثيابي ثيابك

وأنت التي شيبت قبل أوانه ... شبابي سقى الغر الغوادي شبابك

تجنبت ما أوفى وعاقبت ما كفى ... ألم يأن سعدى أن تكفي عتابك؟

وقد نبحتني من كلابك عصبة ... فهلا وقد حالوا زجرت كلابك

تجافيت عن مستحسن البر جملة ... وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات، أرسلها إلى ابن بابك، وكان مريضا، فكتب جوابها بديها: وصلت الرقعة – أطال الله بقاء الأستاذ – وفهمتها، وأنا أشكو إليه الشيخ أبا الحسن، فإنه صيرني فصلا لا وصلا، وجا لا نصلا، ووضعني موضع الحلاوى من الموائد، وتمت من أواخر القصائد، وسحب اسمي منها مسحب الذيل، وأوقعه موقع الذنب المحدوف من الخيل، وجعل مكاني مكان القفل من الباب، وفذلك من اعلحساب، وقد أجبت عن أبياته بأبيات، أعلم أن فيها ضعفا لعلتين: علتي، وعلتها، وهي:

أيا أثلات الشعب من مرج يابس ... سلام على آثاركن الدوارس

لقد شاقني والليل في شملة الحيا ... إليكن ترجيع النسم المخالس

ولمحة برق مستضيئ كأنه ... تردد لحظ بين أجفان ناعس

فبت كأني صعدة يمنية ... تزعزع في نقع من الليل دامس

ألاى حبذا صبح إذا ابيض أفقه ... تصدع عن قرن من الشمس وارس

ركبت من الخلصاء أرقب سيلها ... وورود المطي الظامئات الكوانس

فيا طارق الزوراء قل لغيومها ... أهلي على مغنى من الكرخ آنس

وقل لرياض القفص تهدي نسيمها ... فلست على بعد المزار بآيس

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... لقى بين أقراط المها والمحابس

وهل أرين الري دهليز بابك ... وبابك دهليز إلى أرض فارس

ويصبح ردم السد قفلا عليهما ... كما صرت قفلا في قوافي ابن فارس

فعرض أبو القاسم الحسولي المقطوعين على الصاحب، وعرفه الحال، فقال: البادئ أظلم، والقادم يزار، وحسن العهد من الإيمان.

أحمد بن الفضل، بن شبابة الكاتب، أبو الصقر

النحوي الهمذاني، من أهل همذان، ذكره شيرويه كان يلقب بساسي دوير، مات سنة خمسين وثلاثمائة، روى عن إبراهيم بن الحسين ديزيل، وأبي خليفة الفضل ابن الخباب الجمحي، وأبي القاسم عبد الله، بن محمد، بن عبد العزيز البغوي، وأبي سعيد

الحسن بن علي، بن زكريا العدوي، وأبي بكر محمد، بن خلف وكيع، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وأبي العباس، محمد بن يزيد المبرد، وأبي بكر بن دريد النحوي، وأبي الحسن علي بن سعيد العسكري، وعلي بن الفضل الرشيدي وغيرهم. روى عنه أبو بكر أحمد بن علي، بن بلال، وأبو العباس، أحمد ابن إبراهيم، بن تركان، وأبو الحسن، إبراهيم بن عفر الأسدي، وأبو بكر بن خلف، بن محمد الخياط، وأبو عبد الله أحمد بن عمر الكاتب، وابن روزنة، وغيرهم.". (١)

٩٨-"ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود. واستقضي ببلدة فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة، ثم صرف عن القضاء، واقبل على نشر العلم وبثه.وسألته عن مولده فقال: ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة. وتوفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، رحمه الله تعالىانتهى كلام ان بشكوال.

قلت أنا: وهذا الحافظ له مصنفات: منها كتابعارضة الأحوذي في شرح الترمذي وغيره من الكتب، وكانت ولادته بإشبيلية، وقيل إن ولادته كانت سنة تسع وستين، وقيل إن وفاته كانت في جمادى الأولى على مرحلة من فاس عند رجوعه من مراكش، ونقل إلى فاس، ودفن بمقبرة الجياني.

(١٨٢) وتوفي والده بمصر منصرفا عن المشرق في السفرة التي كان ولده المذكور في صحبته، وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، ومولده سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة (١) ، رحمه الله تعالى.

وقد تقدم الكلام على المعافري والإشبيلي.

ومعنعارضة الاحوذي فالعارضة: القدرة على الكلام، يقال: فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرة على الكلام، والأحوذي: الخفيف في الشيء لحذقه، وقال الأصمعي: الأحوذي المشمر في الأمور القاهر لها الذي لايشذ عليه منها شيء، وهو بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وفي آخره (٢) ياء مشددة.

---

(١) لي: والكفاية.

(٢) ن: آخرها.". (٢)

٩٩-"توفي سنة (٣١٤هـ) (١).

١١٨٣ - إبراهيم [٣] بن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، مولى لبني عامر بن لؤي، من أهل الحجاز.

---

(١) معجم الأدباء ١٥٨/١

(٢) وفيات الأعيان ٢٩٧/٤

يروي المراسيل، روى عنه ابن المبارك (٢).

وروى عنه إسحاق بن جعفر قاله البخاري (٣)، وأخرج له عن محمد بن زيد التيمي عن عائشة مرفوعا: «حسن العهد من الإيمان» من حديث يعقوب بن محمد عن إسحاق عنه.

١١٨٤ - إبراهيم بن محمد بن عبيد بن جهينة، أبو إسحاق الشهرزوري.

سمع الكثير وحدث (٤).

١١٨٥ - إبراهيم بن محمد بن عبيد، أبو مسعود الدمشقي، الحافظ مؤلف «أطراف الصحيحين».

قال الخطيب: كان صدوقا، دينا، فهما، ورعا، مات سنة (٤٠١هـ).

روى عن عبد الله بن محمد بن السقاء، وإبراهيم بن المقرئ (٥).

وكان عارفا بهذا الشأن، ومات كهلا فلم ينتشر حديثه، توفي في رجب سنة

---

(١) ترجمه المقريزي في «المقفى»: (١/ ١٨٣).

(٢) «الثقات»: (٦/ ١٠).

(٣) «التاريخ الكبير»: (١/ ٣١٩).

(٤) ترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام»: (٧/ ٦٠١).

(٥) «تاريخ بغداد»: (٧/ ١١٢ - ١١٣).". [١]

١٠٠-"١٧٤ - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر ابن العربي، المعافري، الأندلسي، الإشبيلي، الحافظ [المتوفى: ٥٤٣ هـ]

أحد الأعلام.

ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة.

قال ابن بشكوال: أخبرني أنه رحل مع أبيه إلى المشرق سنة خمس وثمانين، وأنه دخل الشام ولقي بها: أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، وتفقه عنده، ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين، وأنه دخل بغداد، وسمع بها من طراد الزينبي، ثم حج سنة تسع وثمانين، وسمع من الحسين بن علي الطبري، وعاد إلى بغداد، فصحب أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الغزالي، وغيرهما، وتفقه عندهم، ثم صدر عن بغداد، ولقي بمصر، والإسكندرية جماعة، فاستفاد منهم وأفادهم، وعاد إلى بلده سنة ثلاث وتسعين بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق، وكان من أهل التفنن في -[٨٣٥]- العلوم، والاستبحار فيها، والجمع لها، مقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، نافذا في جميعها، حريصا على آدائها ونشرها،

---

(١) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ٢/٢٣٤

ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، يجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة، ولين الكنف، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود، واستقضي ببلده، فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته، ونفوذ أحكامه، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه، قرأت عليه، وسمعت منه بإشبيلية، وقرطبة كثيرا من روايته وتواليفه، وتوفي بالعدوة، ودفن بفاس في ربيع الآخر.

وقال ابن عساكر: سمع أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبا الفضل بن الفرات، وأبا البركات أحمد بن طاوس، وجماعة، وسمع ببغداد: نصر بن البطر، وابن طلحة النعالي، وطراد بن محمد، وسمع ببلده من خاله الحسن بن عمر الهوزني، يعني المذكور سنة اثنتي عشرة.

قلت: ومن تصانيفه: كتاب " عارضة الأحوذي في شرح الترمذي "، وكتاب " التفسير " في خمس مجلدات كبار، وغير ذلك من الكتب في الحديث، والفقه، والأصول.

وورخ وفاته في هذه السنة أيضا الحافظ أبو الحسن بن المفضل، والقاضي أبو العباس بن خلكان.

وكان أبوه رئيسا، عالما، من وزراء أمراء الأندلس، وكان فصيحا، مفوها، شاعرا، توفي بمصر في أول سنة ثلاث وتسعين.

روى عن أبي بكر: عبد الرحمن وعبد الله ابنا أحمد بن صابر، وأحمد بن سلامة الأبار الدمشقيون، وأحمد بن خلف الكلاعي قاضي إشبيلية، والحسن بن علي القرطبي الخطيب، والزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المجاهد، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن الجد الفهري، ومحمد بن إبراهيم ابن الفخار، ومحمد بن مالك الشريشي، ومحمد بن يوسف بن سعادة الإشبيلي، ومحمد بن علي الكتامي، ومحمد بن جابر الثعلبي، ونجبة بن يحيى الرعيني، وعبد الله -[٨٣٦]- ابن أحمد بن جمهور، وعبد الله بن أحمد بن علوش نزيل مراكش، وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، وعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري، وعبد المنعم بن يحيى بن الخلوف الغرناطي، وعلي بن صالح بن عز الناس الداني، وعلي بن أحمد الزهري قاضي إشبيلية، وعلي بن أحمد بن لبال الشريشي، ويحيى بن عبد الرحمن المجريطي، وروى عنه بالإجازة في سنة ست عشرة وست مائة أبو الحسن علي بن أحمد الشقوري، وأحمد بن عمر الخزرجي التاجر، وروى عنه خلق سوى هؤلاء.

وكان أحد من بلغ رتبة الاجتهاد، وأحد من انفرد بالأندلس بعلو الإسناد، وقد وجدت بخطي أنه توفي سنة ست وأربعين، فما أدري من أين نقلته، ثم وجدت وفاته في سنة ست في " تاريخ ابن النجار "، نقله عن ابن بشكوال، والأول الصحيح إن شاء الله.

وذكر ابن النجار أنه سمع أيضا من: محمد بن عبد الله بن أبي داود الفارسي بمصر، ومن أبي الحسن علي بن الحسن القاضي الخلعي، وبالقدس من مكي الرميلي، وقرأ كتب الأدب ببغداد على أبي زكريا التبريزي، وقرأ الفقه والأصلين على الغزالي، وأبي بكر الشاشي، وحصل الكتب والأصول، وحدث ببغداد على سبيل المذاكرة، فروى عنه: أبو منصور ابن الصباغ، وعبد الخالق اليوسفي، وروى الكثير ببلده، وصنف مصنفات كثيرة في الحديث، والفقه، والأصول، وعلوم القرآن، والأدب، والنحو، والتواريخ، واتسع حاله، وكثر أفضاله، ومدحه الشعراء، وعمل على إشبيلية سورا من ماله، وولي قضاءها، وكان من الأئمة المقتدى بهم.

وقد ذكره اليسع بن حزم، وبالغ في تعظيمه، وقال: ولي القضاء فمحن، وجرى في أغراض الإمارة فلحن، وأصبح يتحرك

بإثارة الألسنة، ويأبى بما أجراه القدر عليه النوم والسنة، وما أراد إلا خيرا، نصب الشيطان عليه شباكه، وسكن الإدبار حراكه، فأبداه للناس صورة تذم، وسورة تتلى، لكونه تعلق بأذيال الملك، ولم يجر مجرى العلماء في مجاهرة السلاطين وحزبهم، بل داهن، ثم انتقال إلى قرطبة مكرما، حتى حول إلى العدوة، فقضى نحبه. -[٨٣٧]-

قرأت بخط ابن مسدي في " معجمه ": أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد ابن مفرج النباتي بإشبيلية، قال: سمعت الحافظ أبا بكر بن الجد وغيره يقولون: حضر فقهاء إشبيلية أبو بكر بن المرجى، وفلان وفلان، وحضر معهم أبو بكر ابن العربي، فتذاكروا حديث المغفر، فقال ابن المرجى: لا يعرف إلا من حديث مالك، عن الزهري، فقال ابن العربي: قد رويته من ثلاثة عشر طريقا، غير طريق مالك، فقالوا له: أفدنا هذه الفوائد، فوعدهم، ولم يخرج لهم شيئا، وفي ذلك يقول خلف بن خير الأديب:

يا أهل حمص ومن بها أوصيكم ... بالبر والتقوى وصية مشفق

فخذوا عن العربي أسمار الدجا ... وخذوا الرواية عن إمام متقي

إن الفتى حلو الكلام مهذب ... إن لم يجد خبرا صحيحا يخلق

قلت: هذه الحكاية لا تدل على ضعف الرجل ولابد.". (١)

١٠١-"شرح على الخارج وكب أخرى توفي سنة: ٣٨٨ هـ قال النوبي كان ثقة مثبتا من قيمية العلم أنظر تأيهرة الحفاظ ر/١٠١٨.

(١٧) هو محمد بن عد أله بن محمد المعوش بابن الربط الغافرى الاثيلط الاكف يعد في اشبيدية ورحل إلى الشرق يكلاد بعلم كثير!هفنن في علم كثو!!ولى الرضا- قال ابن بشكواه ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها ترك حقه !!لية جبهة في مصنفات جليلة يدل على بلده رتبة الاجتهاد منها: أحكام الؤآ، يكلارضة الأحلأى في شرح الترمذي والتيمم من القواصم، والقوى شرح موطأ مالك بن أنس، ومسائل الحلاف في عرين لجدا، !!انهن

التأ!لل منهما من الكتب وصبمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشة ولين اكنس يحسن العهد!!بات اللا توفي سنة ٣٤٣ خارج فاس !هقل! !هايدفن خارج باب المحهق!. أنظر!يات الأعيان: ٤/ ٢٩٦. !!اريخ قضاة الأندا!: ص:؟ هـ ٤، نفع الحب ٢/ ء والمدة: ٢/٣٩٠. ألاعلام ٦/٢٣٠. أزهار الرياض للقرى: ٣ ل!٦،

سوسة ابن خيري: ٤ و. أحكام صفحة اسلام لكلاعط ص: ١٩٤. مطمع المنفى غضبى: ٣٦٩. البنية القاضي عاض ص: ١٣٣، الجريدة للعماد الاصفهاني: ٢/ ٢٩٦.

- كما-". (٢)

١٠٢-" وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت وأبي أمامة

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٨٣٤/١١

(٢) البرهان في تفسير سور القرآن ص/٢٠٤

مثله

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر

مثله

وأخرج البخاري في تاريخه والحاكم وصححه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " حسن العهد من الإيمان "

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل قال : الرحم والقرابة

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ويفسدون في الأرض قال : يعملون فيها بالمعصية

وأخرج ابن المنذر عن مقاتل في قوله تعالى أولئك هم الخاسرون يقول هم أهل النار

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر ومسرف وظالم وفاسق فإنما يعني به الكفر وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب

قوله تعالى : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون

ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم قال : لم تكونوا شيئا فخلفكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامه

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في قوله وكنتم أمواتا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ثم يميتكم موتة الحق ثم يحييكم حياة الحق حين يبعثكم

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في الآية قال : كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله فأخرجهم ثم أماتهم الموتة التي لابد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة

فهما حياتان وموتتان

وأخرج وكيع وابن جرير عن أبي صالح في الآية قال يميتكم ثم يحييكم في القبر ثم يميتكم ". (١)

١٠٣-"وأخرج البخاري في تاريخه والحاكم وصححه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن العهد من الإيمان.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة في قوله ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ قال : الرحم والقرابة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿ويفسدون في الأرض﴾ قال : يعملون فيها بالمعصية.

وأخرج ابن المنذر عن مقاتل في قوله تعالى ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ يقول هم أهل النار.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم ، مثل خاسر ومسرف وظالم وفاسق فإنما يعني به الكفر وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب.

---

(١) الدر المنثور ١/١٠٥

قوله تعالى : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون.

أخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله ﴿وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم﴾ قال : لم تكونوا شيئا فخلفكم ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يوم القيامه". [1]

١٠٤-"والإشفاق من امر يتوقع لأن نيل عذاب الله للمؤمنين متوقع والأكثر ناج بحمد الله لكن عذاب الله لا يامنه الا من لا بصيرة له والفروج في هذه الآية هي الفروج المعروفة والمعنى من الزنى وقال الحسن بن أبي الحسن أراد فروج الثياب والى معنى الوطء يعود

ثم استثنى تعالى الوطء الذي أباحه الشرع في الزوجة والمملوكات

وقوله تعالى " الا على ازواجهم " وحسن دخول " على " في هذا الموضوع قوله " غير ملومين " فكانه قال الا انهم غير ملومين على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم

وقوله تعالى " ابتغى " معناه طلب وقوله " وراء ذلك " معناه سوى ماذكر كانه أمر قد حد فيه حد فمن طلب بغيته وراء الحد فهو كمستقبل حد في الأجرام وهو يتعدى وراءه أي خلفه و " العادون " الذين يتجاوزون حدود الأشياء التي لها حدود كان ذلك في الأجرام او في المعنى

قوله عز وجل

سورة المعارج ٣٢ - ٣٩

الأمانات جمع امانة وجمعها لأنها تكون متنوعة من حيث هي في الأموال وفي الأسرار فيما بين العبد وربه وفيما امره ونهاه عنه قال الحسن الدين كله امانة

وقرأ ابن كثير وحده من السبعة (لأمانتهم) بالإفراد والعهد كل ما تقلده الإنسان من قول او فعل او مودة إذا كانت هذه الأشياء على طريق البر فهو عهد ينبغي وعيه وحفظه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (حسن العهد من الإيمان) و " راعون " جمع راع أي حافظ وقوله تعالى " والذين هم بشهاداتهم قائمون " معناه في قول جماعة من المفسرين انهم يحفظون ما يشهدون فيه ويتيقنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير وهذا هو وصف من تمثيل قول النبي صلى الله عليه وسلم (على مثل الشمس فاشهد)

وقال آخرون معناه الذين إذا كانت عندهم شهادة ورأوا حقا يدرس او حرمة لله

تنتهك قاموا بشهادتهم وقال ابن عباس شهادتهم في هذه الآية (لا إله الا الله وحده لا شريك له)

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل ان يسألها) واختلف الناس في معنى هذا الحديث بحسب المعنيين اللذين ذكرت في الآية إحداهما ان يكون يحفظهما متقنة فيأتي بها ولا يحتاج أن يستفهم عن شيء منها ولا ان يعارض

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢٢٨/١

والثاني إذا رأى حقا يعمل بخلافه وعنده في احياء الحق شهادة
وروي أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
٣٧٠
انه قال (سيأتي قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون ويظهر فيهم السمن)
واختلف الناس في معنى هذا الحديث فقال بعض العلماء هم قوم مؤمنون يتعرضون ويحرصون على وضع أسمائهم في وثائق الناس وينصبون لذلك الحبائل من زي وهيئة وهم غير عدول في انفسهم فيغرون بذلك ويضرون
". (١)

١٠٥-"ص : ٢٥٠
واليمين : عهد ، قال الله تعالى : وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم [النحل : ٩١].
والوصية : عهد ، قال الله تعالى : ألم أعهد إليكم يا بني آدم [يس : ٦٠].
والحفاظ : عهد ،
قال صلى الله عليه وسلم : «إن حسن العهد من الإيمان» «١».
والزمان : عهد ، يقال : كان ذلك بعد فلان.
والعهد : الميثاق. ومنه قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين [البقرة : ١٢٤] أي : لا ينال ما وعدتك من الإمامة ، الظالمين من ذريتك. والوعد من الله : ميثاق.
٥ - الإل
الإل هو : الله تعالى. قال مجاهد في قوله سبحانه : لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة [التوبة : ١٠] ويعني الله عز وجل. ومنه (جبر إل) في قراءة من قرأه بالتشديد.
ويقال للرحم : إل كما اشتق لها الرجم من الرحمن. وقال حسان «٢» :
لعمرك إن إلك في قريش كإل السقب من رأل النعام
أي : رحمك فيهم ، وقرباك منهم.
ومن ذهب بالإل في قوله تعالى : لا يرقبون في مؤمن إلا إلى الرحم ، فهو وجه حسن. كما قال الشاعر «٣» :
دعوا رحما فينا ولا يرقبونها وصدت بأيديها النساء عن الدم
يريد : أن المشركين لم يكونوا يرقبون في قراباتهم من المسلمين رحما ، وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى : ٢٣].

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع ٣٤١/٥

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٥ ، وابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٤٣٦ ، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٨٤ ، ومناهل الصفا ٢١ ، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٦٣ ، والشهاب في مسنده ٩٧١ ، ٩٧٢.

(٢) البيت من الوافر ، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص ١٠٥ ، ولسان العرب (ألل) ، وديوان الأدب ٤/ ١٥٥ ، وكتاب الجيم ٣/ ٢٢٦ ، وتاج العروس (ألل) ، وأمالي القالي ١/ ٤١ ، وكتاب الحيوان ٤/ ٣٦٠ ، وتفسير الطبري ١٠/ ٦٠ ، والمعاني الكبير ١/ ٣٣٦ ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٢١ ، وكتاب العين ٨/ ٣٦١ ، والمخصص ٣/ ١٥١ ، والأضداد لابن الأنباري ص ٣٤٦. [.....]

(٣) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في المعاني الكبير ٢/ ٩٤٩.". [١]

١٠٦-"يعلمهم حسن العهد ونعت الكرم في العشرة ، فيقول لا تجمع الفرقة واسترداد المال عليها ، فإن ذلك ترك الكرم؛ فإن خولت واحدة مالا كثيرا ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسير في جنب ما أذقتها من الفراق .

قوله : ﴿ وكيف تأخذونه . . . . ﴾ : يعني أن للصحبة السالفة حرمة أكيدة ، فقفوا عند مراعاة الذمام ، وأوفوا بموجب الميثاق .". [٢]

١٠٧-"التأويل : ﴿ لن تنالوا البر ﴾ وهو صفة الله ﴿ حتى تنفقوا ﴾ أحب الأشياء إليكم وهو أنفسكم . إن الفراش لم ينل من بر الشمع وهو شعلته حتى أنفق مما أحبه وهو نفسه ﴿كل الطعام كان حلا ﴾ الخلق ثلاثة أصناف : الملك النوراني العلوي وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة ، والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة ، والإنسان المركب من القبيلين وغذاؤه لروحانيته الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة والخلافة . وهذا الصنف على ثلاثة أقسام : منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ [التوبة : ١٠٢] ﴿ ومنهم سابق بالخيرات ﴾ [فاطر : ٣٢] وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو المذكور ، وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه ﴿ أولئك هم خير البرية ﴾ [البينة : ٧] فكان كل الطعام حلالا للإنسان كما للحيوان إلا ما حرم الإنسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء الروح من قبل أن ينزل الوحي والإلهام كما قيل : المجاهدات تورث المشاهدات ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] فمن افترى على الله الكذب بأن يريد أن يهتدي إلى الحق من غير جهاد النفس ﴿ قل صدق الله ﴾ في قوله : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا ﴾ ﴿ فاتبعوا ملة إبراهيم ﴾ وكان من ملته إنفاق المال على الضيفان ، وبذل الروح عند الامتحان ، وتسليم الولد للقربان ﴿ وما كان من المشركين ﴾ الذين يتخذون مع الله إلها آخر ﴿ إن أول بيت وضع للناس ﴾ لا لله لأنه غني

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص/٢٥٠

(٢) تفسير القشيري ٤٦٤/١

عن العالمين . وإن أنموذج بيت الله في الإنسان وهو العالم الصغير القلب الذي وضع ببكة صدر الإسلام مباركا عليه وهدى يهتدي به جميع أجزاء وجوده إلى الله بجوده . فإن النور الإلهي إذا وقع في القلب انفسح له واتسع ، فبه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن ﴿ فيه آيات بينات ﴾ يصل بها الطالب إلى مطلوبه والقاصد إلى مقصوده ، ومنها مقام إبراهيم وهو الخلة التي توصل الخليل إلى خليله ﴿ ومن دخله ﴾ يعني مقام إبراهيم ببذل المال والنفس والولد وإرضاء خليله ﴿كان آمنا ﴾ من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ، ثم أخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل إن استطاع إليه السبيل وذلك بأن وجد شرائط السلوك وإمكانه وآداب السير وأركانه . ومنها الإحرام بالخروج عن الرسوم والعادات ، والتجرد عن الطيبات والمألوفات ، والتطهر عن الأخلاق المذمومات ، والتوجه إلى حضرة فاطر الأرض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ، ومنها الوقوف بعرفات المعرفة ، والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء ، وحسن العهد والوفاء . ومنها الطواف بالخروج عن الأطوار البشرية السبعية بالأطواف السبعة حول الكعبة الربوبية . ومنها السعي بين صفا الصفات ومروة الذات . ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الأنوار الإلهية . وقس سائر المناسك على هذا . ﴿ ومن كفر ﴾ بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الألطاف ، ولا يترقب لجذبات الأعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة ﴿ فإن الله غني عن العالمين ﴾ لا يستكمل هو منهم وإنما يستكملون هم منه . ﴿ قل يا أهل الكتاب ﴾ ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون ، وما العصمة عن اتباع الهوى إلا منه تعالى .". (١)

١٠٨-"والثانى ما يكمل به الحج وهو اجتناب افعال الاثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصى
قال ابو جعفر الباقر ما يعبأ من يؤم هذا البيت اذا لم يأت بثلاث ورع يحجره اى يمنعه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج اليها من يسافر خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه فعلى السالك ان يخالق الناس بخلق حسن

ازمن بكوى حاجئ مردم كزايرا ... كاوبوستين خلق بازار مى درد

حاجى تونيستى شترست ازبراى آنك ... بيجاره خار ميخورد وبارميبرد

قال بعض المشايخ علامة الحج المبرور ان يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة

قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته والاشارة ان الله تعالى جعل البيت والحج اليه واركان الحج والمناسك كليها اشارات الى اركان السلوك وشرائط السير الى الله وآدابه . فمن اركانه الاحرام وهو اشارة الى الخروج عن الرسوم وترك المألوف والتجرد عن الدنيا وما فيها والتطهر من الاخلاق وعقد احرام العبودية بصحة التوجه . ومنها الوقوف بعرفة وهو اشارة الى الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عقبه جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفا . ومنها الطواف وهو اشارة الى الخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية . ومنها السعى وهو اشارة الى السير بين صفا الصفات

---

(١) تفسير النيسابوري ٢/٣٢٠

ومروة الذات . ومنها الحلق وهو اشارة الى محو آثار العبودية بموسى انوار الالهية وعلى هذا فقس المناسك كلها . والحج يشير الى عين الطلب والقصد الى الله بخلاف سائر اركان الاسلام فان كل ركن منه يشير الى طرف من استعداد الطلب فالله تعالى خاطب العباد بقوله ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ وما قال فى شىء آخر من الاركان والواجبات ولله على الناس وفائدته ان المقصود المشار اليه من الحج هو الله وفى سائر العبادات المقصود هو النجاة والدرجات والقربات والمقامات والكرامات

والاستطاعة فى قوله ﴿ من استطاع اليه سبيلا ﴾ هى جذبة الحق التى توازى عمل الثقلين ولا يمكن السير الى الله والوصول اليه لا بها ﴿ ومن كفر ﴾ اى لا يؤمن بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الطاف الرب ولا يتقرب بجذبات الالوهية كما يشير اليها اركان الحج ﴿ فان الله غنى عن العالمين ﴾ بان يستكمل بهم وانما الاستكمال للعالمين به ولا غنى بهم عنه تعالى جعلنا الله واياكم من الكاملين والواصلين الى كعبة اليقين والتمكين". (١)

١٠٩-"قال نجم الدين الكبرى في "تأويلاته" : والإشارة أن الله تعالى جعل البيت والحج إليه وأركان الحج والمناسك كلها إشارات إلى أركان السلوك وشرائط السير إلى الله وآدابه.

فمن أركانه الإحرام وهو إشارة إلى الخروج عن الرسوم وترك المألوف والتجرد عن الدنيا وما فيها والتطهر من الأخلاق وعقد إحرام العبودية بصحة التوجه.

ومنها الوقوف بعرفه وهو إشارة إلى الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عقبة جبل الرحمة بصدق الإلتجاء وحسن العهد والوفا.

ومنها الطواف وهو إشارة إلى الخروج عن الأطوار البشرية السبعية بالأطواف السبعة حول كعبة الربوبية.

ومنها السعي وهو إشارة إلى السير بين صفا الصفات ومروة الذات.

ومنها الحلق وهو إشارة إلى محو آثار العبودية بموسى أنوار الإلهية وعلى هذا فقس المناسك كلها.

والحج يشير إلى عين الطلب والقصد إلى الله بخلاف سائر أركان الإسلام فإن كل ركن منه يشير إلى طرف من استعداد الطلب فالله تعالى خاطب العباد بقوله : ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ وما قال في شيء آخر من الأركان والواجبات ولله على الناس وفائدته أن المقصود المشار إليه من الحج هو الله وفي سائر العبادات المقصود هو النجاة والدرجات والقربات والمقامات والكرامات ، والاستطاعة في قوله ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ هي جذبة الحق التي توازي عمل الثقلين ولا يمكن السير إلى الله والوصول إليه إلا بها ﴿ومن كفر﴾ أي لا يؤمن بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الطاف الرب لا يتقرب بجذبات الألوهية كما يشير إليها أركان الحج ﴿فإن الله غنى عن العالمين﴾ بأن يستكمل بهم وإنما الاستكمال للعالمين به ولا غنى به عنه تعالى جعلنا الله وإياكم من الكاملين والواصلين إلى كعبة اليقين والتمكين.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦٦

---

(١) تفسير حقي ٢/٢٤٤

﴿قل يأهل الكتاب﴾ هم اليهود والنصارى سموا بذلك فإن الكتاب لا يختص بالمنزل فنسبوا إلى ما كتبوا سواء كان من إلقاء الروح الأمين أو تلقاء النفس ﴿لم تكفرون باايات الله﴾ توبيخ وإنكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الأسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والإنجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ حال من فاعل تكفرون والمعنى لأي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال أنه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في أن ذلك يسد

٦٩

جميع أنحاء ما تأتونه ويقطع أسبابه بالكلية

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦٩

﴿قل يا اأهل الكتاب لم تصدون﴾ أي تصرفون ﴿عن سبيل الله﴾ أي دينه الحق الموصل إلى السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الإسلام ﴿من ءامن﴾ مفعول تصدون كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون إن صفته صلى الله عليه وسلم ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم ﴿تبغونها﴾ بحذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير أي تبغون لها لأن البغي لا يتعدى إلا إلى مفعول يقال بغيت المال والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث أي تطلبون سبيل الله التي هي أقوم السبل ﴿عوجا﴾ اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بأن تلبسوا على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم إن شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون.

والعوج بكسر العين وفتحها الميل والانحراف لكن المكسور يختص بالمعاني والمفتوح بالأعيان تقول في دينه وكلامه عوج بالكسر وفي الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح ﴿وأنتم شهدآء﴾ حال من فاعل تصدون باعتبار تقيده بالحال الأولى أو والحال أنكم شهداء تشهدون بأنها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة إعوجاج وأن الصد عنها إخلال ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أي من الصد عن سبيله وكتمان الشهادة لنبيه ، ولما وبخ أهل الكتاب بصد المؤمنين نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين فقال : ﴿يأأيها الذين ءامنوا إن تطيعوا فريقا﴾ طائفة وإنما خص فريقا لأن منهم من آمن ﴿من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ قوله كافرين مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير.

قال عكرمة نزلت في شاس بن قيس اليهودي رأى منتدى محتويا على زخام من أوس وخزرج فغاظه الفتهم فأرسل شابا ينشدهم أشعار يوم بغاث وكان ذلك يوما اقتتل فيه الحيان المذكوران وكان الظفر فيه للأوس فنعر عرق الداء الدفين فتشاجروا فأخبر النبي عليه السلام فخرج يصلح ذات بينهم.

". (١)

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٥٦/٢

١١٠-" قوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل فيه خمسة أقوال

أحدها فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أقروا به بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم هذا قول أبي بن كعب

والثاني فما كانوا ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا به يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من صلب آدم فآمنوا كرها حيث أقروا بالألسن وأضمروا التكذيب قاله ابن عباس والسدي

والثالث فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم هذا قول مجاهد

والرابع فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية بل شاركوهم في التكذيب قاله يمان بن رباب

والخامس فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا قبل رؤيتها

وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أثرهم لفاسقين

قوله تعالى وما وجدنا لأكثرهم قال مجاهد يعني القرون الماضية من عهد قال أبو عبيدة أي وفاء قال ابن عباس يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم حين أخرجهم من صلب آدم وقال الحسن العهد هاهنا ما عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئا

قوله تعالى وإن وجدنا قال أبو عبيدة وما وجدنا أكثرهم إلا الفاسقين ". (١)

١١١-"تفسير قوله تعالى: (وإن لك لأجرا غير ممنون ، وإنك لعلى خلق عظيم)

﴿ وإن لك لأجرا غير ممنون ﴾ [القلم:٣] فالآية فيها دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها تصديق لقوله تعالى ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ [الحج:٣٨] ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجرا غير ممنون ﴾ [القلم:٢-٣] أي: غير مقطوع، يعني: أجرك ثابت، ومتواصل لا ينقطع، ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم:٤]، عليه الصلاة والسلام، إذا: القسم على ثلاثة أشياء: الشيء الأول: ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ [القلم:٢] نفي الجنون.

والشيء الثاني: أن للنبي أجرا لا ينقطع.

والشيء الثالث: أنه عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم، صلى الله عليه وسلم.

وما معنى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم:٤] ؟ من العلماء من فسر الخلق هنا: بالدين، قال: وإنك على دين عظيم، إذ الإسلام خير الأديان ومنهم من فسرها بعموم الأخلاق، وعلى كل فما زالت الآية مجملة، فما هو هذا الخلق العظيم، إذا قيل: إن المراد به عموم الأخلاق؟ تفسيرها في آيات أخر، كما قال الله تعالى في شأنه عليه الصلاة والسلام: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران:١٥٩] فخلقه مع أصحابه لين، ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [آل عمران:١٥٩] فهذا من خلقه عليه الصلاة والسلام، فهذه الآية ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم:٤]

---

(١) زاد المسير ٣/٢٣٦

مجملة فسرتها آيات، وفسرتها أحاديث، أوضحت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوامره كلها تحمل أخلاقا حميدة، لما سأل هرقل أبا سفيان ، بم يأمركم محمد: قال: يأمرنا بالعفاف، والصلة والصلاة والزكاة وهجر الأوثان، إلى غير ذلك.

ومن خلقه أنه حريص على أمته وليس حسودا لها، بل هو حريص على المؤمنين ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [التوبة:١٢٨] هذه أخلاقه على وجه الإجمال، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت للسائل: (ألست تقرأ القرآن؟ قال: نعم، يا أماه! قالت: كان خلقه القرآن، ثم تلت: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم:٤]) و أبو ذر لما أرسل أخاه يتفقد أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء أخوه وقال: إني وجدت رجلا يأمر بمكارم الأخلاق، فكانت أخلاقه حسنة في كل شيء، إذ خلقه القرآن في العبادات، وفي المعاملات، وفي سائر شئونه عليه الصلاة والسلام.

في العبادات إذا أنفق لا يتبع الإنفاق بالمن والأذى، ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ [البقرة:٢٦٤] ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ [البقرة:٢٦٣] .

إذا أعطى يعطي لوجه الله، ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ [الإنسان:٩] .

إذا علم يعلم لله إذا صبر يصبر لله إذا تصدق كان رءوفا بالمتصدق عليه، هذا في أبواب الإنفاق.

وفي أبواب الصلاة إذا قام يصلي قام خاشعا لله حتى تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم.

في أبوب الصيام يقول: (من لم يدع قول الزور، والعمل به والجهل؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) في أبوب الحج، ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة:١٩٧] إذا حج لا يطرد الناس عنه طردا ويضربون ضربا كما يحدث الآن، إنما كما قال الصحابي الكريم: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك) صلى الله عليه وسلم.

في الاجتماع يأتي كذلك يعلم المؤمنين ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ [النور:٢٧] .

ينزل الناس منازلهم فيعرف للكبير حقه، جاء رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حويصة و محيصة ، فذهب أحدهما يتكلم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (كبر، كبر) وقال عليه الصلاة والسلام: (أراني أتسوك، فأتاني رجلان فدفعت السواك للأصغر منهما، فقيل لي: كبر كبر) قال عليه الصلاة والسلام في حالة التساوي في حفظ القرآن والسنة: (وليؤمكم أكبركم) هكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم، فأعطى للكبير حقه، وأنزل الناس منازلهم، وعرف لصاحب المنصب منصبه، ولصاحب الجاه جاهه، وعرف للفقير حاله؛ فرفق به ورحمه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفتح: (من دخل المسجد فهو آمن) قال ذلك للمشركين الخائفين من القتل لما فتح مكة: (من دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن) ثم الشاهد (ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) فأنزل أبا سفيان منزلته باعتباره شيخا لقريش، وأنزل أبا بكر منزلته، لما جاء أبو قحافة مع أبي بكر الصديق ورأسه مشتعلة بياضا كالثغامة –أي: القطن– قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو جلس في بيته يا – أبا بكر – لأتيناه؛ تكرمة لـ أبي بكر) ولما ذهب سعد بن معاذ رضي الله عنه

يحكم في بني قريظة فرآه الرسول وهو مقبل -وكان سيد الأوس، والأوس من الأنصار- فقال عليه الصلاة والسلام للأنصار: (قوموا إلى سيدكم) ولما استأذن عليه عثمان والرسول حاسر عن بعض فخذه عليه الصلاة والسلام، فلما سمعه يستأذن غطى فخذيه، في رواية أنه قال: (ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة) وفي الرواية الأخرى أنه قال: (إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إذا رآني على هذه الحال ألا يبلغ إلي في حاجته) يعني: يستحيي أن يتكلم معي ويشكو إلي حاجته، ويسألني مسألته إذا رآني على هذه الحال.

ومن باب رده صلى الله عليه وسلم للجميل وحفظه للمعروف -إذ ليس بجاحد للمعروف ولا منكر للجميل- كان عليه الصلاة والسلام إبان مرجعه إلى الطائف وقد طرد وأخرج من مكة إلى الطائف، فلما رجع إلى مكة نزل في جوار المطعم بن عدي ، و المطعم كان كافرا، فلما نزل الرسول في جواره، حمل المطعم بن عدي سلاحه هو وقبيلته، وقال: يا معشر قريش! إني قد أجرت محمدا فمن مسه بسوء كانت الفيصل بيني وبينه، فحفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم لما مات المطعم ، وجاءت غزوة بدر الكبرى، وأسر من المشركين سبعون؛ جاء النبي صلى الله عليه وسلم ونظر إليهم وقال: (لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء لتركتهم له) فكان يحفظ الجميل صلى الله عليه وسلم، ولا يضيع عنده المعروف عليه الصلاة والسلام.

وكان حسن العهد بمن مات، فيخلفه في ذراريه وفي أقاربه بخير، قال عليه الصلاة والسلام: (إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد موته) فإذا كان أبوك يزور شخصا، أو يزور امرأة من أقاربك، أو من الفقيرات، فلا تقطع الود، ولا تقطع الصلة بموت الأب، ولا تشعر من كان أبوك يحسن إليهم بالانقطاع، فزرهم وصلهم كما كان أبوك يفعل؛ قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد موته) هكذا قال رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وأيضا كانت هالة بنت خويلد كلما جاءت واستأذنت على رسول الله -وهي أخت خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم- عرف من نبرات صوتها نبرات صوت أختها خديجة ، تلكم المرأة الصالحة التي كانت تعينه على نوائب الحق، وتؤازره بحنانها وعطفها وما رزقها الله من مال، فلما ماتت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت هالة ، لما فيه من مشابهة لصوت خديجة ارتاع لذلك، وقال: (اللهم! هالة) حتى غارت عائشة رضي الله عنها لكثرة ما كان النبي يكثر من ذكر خديجة رضي الله عنها، فكان حافظا للعهد عليه الصلاة والسلام، ولا ينكر المعروف أبدا.

كان قوي الملاحظة عليه الصلاة والسلام فليس كل الناس يستطيعون التعبير عما في أنفسهم باللسان، بل منهم من يظهر ما في قلبه على وجه، ومنهم من يعبر عما في نفسه إشارة، ومنهم من فاض الذي في قلبه حتى خرج على لسانه فيلزمك أن تكون كرسولك محمد صلى الله عليه وسلم قوي الملاحظة فهامة تفهم من حولك، وتفهم مدلولات الألفاظ.

من الناس من امتلأ قلبه لك حبا، فإذا رآك لا تسمع منه إلا كل خير، وكل كلم طيب معبر عما في النفس، ولا ترى منه إلا البشاشات، ولا ترى منه إلا الترحيبات، ومن الناس من ملئ قلبه حنقا، وغيظا عليك، فكما قال الله في أضرابه من أهل النفاق: ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ [آل عمران:١١٨] إن كنتم تفهمون، وقال تعالى: ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم

أعمالكم ﴾ [محمد:٣٠] فكان الرسول قوي الملاحظة كما كان أصحابه، وكما علم أصحابه رضي الله عنهم، يقول لأم المؤمنين عائشة : (".[1]

١١٢-"" صفحة رقم ٢٢٣ "

عذاب الحجاب ، ثم أخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل إن استطاع إليه السبيل وذلك بأن وجد شرائط السلوك وإمكانه وآداب السير وأركانه .

ومنها الإحرام بالخروج عن الرسوم والعادات ، والتجرد عن الطيبات والمألوفات ، والتطهر عن الأخلاق المذمومات ، والتوجه إلى حضرة فاطر الأرض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ، ومنها الوقوف بعرفات المعرفة ، والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء ، وحسن العهد والوفاء ، ومنها الطواف بالخروج عن الأطوار البشرية السبعية بالأطواف السبعة حول الكعبة الربوبية .

ومنها السعي بين صفا الصفات ومروة الذات .

ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الأنوار الإلهية .

وفس سائر المناسك على هذا .

) ومن كفر (بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الألطاف ، ولا يترقب لجذبات الأعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة) فإن الله غني عن العالمين (لا يستكمل هو منهم وإنما يستكملون هم منه) قل يا أهل الكتاب (ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون ، وما العصمة عن اتباع الهوى إلا منه تعالى .

(آل عمران : (١٠٢ - ١١١) يا أيها الذين . . . .

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون "

(القرآت)

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي ٣/٧٠

حق تقاته (بالإمالة : علي) ولا تفرقوا (بتشديد الراء : البزي وابن فليح .". [1]

١١٣-"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ٣٢٣

يعلمهم حسن العهد ونعت الكرم فى العشرة ، فيقول لا تجمع الفرقة واسترداد المال عليها ، فإن ذلك ترك الكرم فإن خولت واحدة مالا كثيرا ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسير فى جنب ما أذقتها من الفراق.

قوله : و كيف تأخذونه ... : يعنى أن للصحبة السالفة حرمة أكيدة ، فقفوا عند مراعاة الذمام ، وأوفوا بموجب الميثاق.

قوله جل ذكره :

[سورة النساء (٤) : آية ٢٢]

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة و مقتا و ساء سبيلا (٢٢)

تشير الآية إلى حفظ الذمام ، والوقوف على حد الاحترام ، فإن السجية تتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره ، فنهى الأبناء عن تخطى حقوق الآباء فى استفراش منكوحة الأب.

قوله جل ذكره :

[سورة النساء (٤) : آية ٢٣]

حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم و أخواتكم و عماتكم و خالاتكم و بنات الأخ و بنات الأخت و أمهاتكم اللاتي أرضعنكم و أخواتكم من الرضاعة و أمهات نسائكم و ربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم و حلائل أبنائكم الذين من أصلابكم و أن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما (٢٣)". [2]

١١٤-" صفحة رقم ١٤٥

الحميد (الذي وفقهم لسلوك ما يحمدون عليه فيحمدون عاقبة ، فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا ، فدخلوا الجنة التي هي أشرف دار عند خير جار وحلوا فيها أشرف الحلي كما الدنيا بأشرف .

الطرائق ، هذا بعد أن حازوا أشرف الذكر في الدنيا عكس حال الكفار في اقتراف ما أدخلهم ما كلما أرادوا الخروج منه اعيدوا فيه ، مع ما نالهم من سوء الذكر ، بإقبالهم كالبهائم على الفاني مع خسته لحضوره ، وإعراضهم عن الباقي مع شرفه لغيابه .

ولما بين ما للفريقين ، تضمن ما للفريق الثاني بيان أعمالهم الدالة على صدق إيمانهم ، كرر ذكر الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ، ويؤكد بيان جزائهم ، فقال : (إن الذين كفروا) أي أوقعوا هذا الفعل الخبيث .

ولما مان المضارع قد لا يلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال ، بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٢٣/٢

(٢) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع ٣٢٣/١

كقولهم : فلان يعطي ويمنع ، قال عاطفا له على الماضي : (ويصدون) أي ويديمون الصد) عن سبيل الله) أي الملك الأعظم ، باقتسامهم طرق مكة ، وقول بعضهم لمن يمر به : خرج فينا ساحر ، وآخر يقول شاعر ، وآخر ك كاهن ، فلا تسمعوا منه ، فإنه يريد أن يردكم عن دينكم ؛ قال بعض من أسلم : لم يزالوا ب حتى جعلت في أدنى الكرسف مخافة أن أسمع شيئا من كلامهم .

وكانوا يؤذون من أسلم – إلى غير ذلك من أعمالهم ، ولعله إنما عبر بالمضارع رحمة منه لهم ليكون كالشرط في الكفر فيدل على أن من ترك الصد زال عنه الكفر وإن طال ذلك منه) و (يصدون عن) المسجد الحرام (أن تقام شعائره من الطواف فيه بالبيت والصلاة والحج والاعتمار ممن هو أهل ذلك من أوليائنا .

ثم وصفه بما يبين شديد ظلمهم في الصد عنه فقال : (الذين جعلناه (بما لنا من العظمة) للناس) أي كلهم ؛ ثم بين جعله لهم بقوله : (سواء العاكف فيه) أي المقيم) والباد) أي الزائر له من البادية ؛ قال الرازي في اللوامع : (سواء (رفع بالابتداء ،) والعاكف (خبره ، وصلح من تنكيره للابتداء ، لأنه كالجنس في إفادة العموم الذي هو أحسن العهد .

ولما ذكر الكفار ودليل كفرهم بما استعطفهم ، وزاد في الاستعطاف بحذف الخبر عنهم ، ودل آخر الآية هلى أنه يذيقهم العذاب الأليم ، عطف عليه ما ينفر عن وصفهم فقال : (ومن يرد فيه) أي شيئا من أفعال الكفار من الصد المذكور وغيره ، أي يقع منه إرادة لشيء من ذلك) بإلحاد) أي مصاحبة تلك الإرادة وماتبسة بجور عن الأمر المعروف وميل واعوجاج .

ولما كان ذلك يقع على مطلق هذا المعنى ، بين المراد بقوله : (بظلم) أي في غير موضعه ، وأما صد الكفار عنه فإنه بحق ، لأنهم نجس لا ينبغي قربانهم المحال المقدسة ، وكذا صد الحائض والجنب والخائن) نذقه (ولما كان". [(١)]

١١٥-"الطرائق ، هذا بعد أن حازوا أشرف الذكر في الدنيا عكس حال الكفار في اقتراف ما أدخلهم ما كلما أرادوا الخروج منه اعيدوا فيه ، مع ما نالهم من سوء الذكر ، بإقبالهم كالبهائم على الفاني مع خسته لحضوره ، وإعراضهم عن الباقي مع شرفه لغيابه.

ولما بين ما للفريقين ، تضمن ما للفريق الثاني بيان أعمالهم الدالة على صدق إيمانهم ، كرر ذكر الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ، ويؤكد بيان جزائهم ، فقال : ﴿إن الذين كفروا﴾ أي أوقعوا هذا الفعل الخبيث.

ولما مان المضارع قد لا يلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال ، بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كقولهم : فلان يعطي ويمنع ، قال عاطفا له على الماضي : ﴿ويصدون﴾ أي ويديمون الصد ﴿عن سبيل الله﴾ أي الملك الأعظم ، باقتسامهم طرق مكة ، وقول بعضهم لمن يمر به : خرج فينا ساحر ، وآخر يقول شاعر ، وآخر ك كاهن ، فلا تسمعوا منه ، فإنه يريد أن يردكم عن دينكم ؛ قال بعض من أسلم : لم يزالوا ب حتى جعلت في أدنى الكرسف مخافة أن

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ١٤٥/٥

أسمع شيئا من كلامهم.

وكانوا يؤذون من أسلم – إلى غير ذلك من أعمالهم ، ولعله إنما عبر بالمضارع رحمة منه لهم ليكون كالشرط في الكفر فيدل على أن من ترك الصد زال عنه الكفر وإن طال ذلك منه ﴿و﴾ يصدون عن ﴿المسجد الحرام﴾ أن تقام شعائره من الطواف فيه بالبيت والصلاة والحج والاعتمار ممن هو أهل ذلك من أوليائنا.

ثم وصفه بما يبين شديد ظلمهم في الصد عنه فقال : ﴿الذين جعلناه﴾ بما لنا من العظمة ﴿للناس﴾ أي كلهم ؛ ثم بين جعله لهم بقوله : ﴿سواء العاكف فيه﴾ أي المقيم ﴿والباد﴾ أي الزائر له من البادية ؛ قال الرازي في اللوامع : ﴿سواء﴾ رفع بالابتداء ، ﴿والعاكف﴾ خبره ، وصلح من تنكيره للابتداء ، لأنه كالجنس في إفادة العموم الذي هو أحسن العهد.

". (١)

١١٦-"المبحث الثالث:

الوفاء للزوجة وأهل العشرة والمعروف

كلنا يلقى الخير من والديه وزوجه وأساتذته وبعض جيرانه وأحبابه، ثم تدور الأيام، فينسى المرء حق هؤلاء أو بعضهم عليه، ولربما لقي في الشارع أستاذه فأعرض عن السلام عليه، ولربما نسي الواحد فضل زوجه عليه وتعبها في تربية أبنائه ورعاية بيته، فطلقها بعد طول خدمتها له ولأولاده لسبب تافه أو لغير سبب، وأعظم منه جرما أن ينسى بعضنا حق والديه عليه وما قدماه له حال صغره، فيعرض عنهما في كبرهما، ولربما أهمل رعايتهما، وأسلمهما إلى دور الرعاية لتقوم بالواجب نيابة عنه.

لذا فنحن أحوج ما نكون للتأمل في خلة جميلة تزين بها المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، وهي الوفاء الذي هو حسن العهد، وهو الذي عده النبي – صلى الله عليه وسلم – من خصال الإيمان: «وإن حسن العهد من الإيمان» (١).

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٦٢)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٥١٧)، وقال البخاري في صحيحه: "باب: حسن العهد من الإيمان".". (٢)

١١٧-"وقد شرح الشوكاني الحديث بقوله: " «إن حسن العهد» أي الوفاء والخفارة ورعاية الحرمة «من الإيمان» أي من أخلاق أهل الإيمان ومن خصائلهم أو من شعب الإيمان " (١).

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٢٨٦/٥

(٢) الدين المعاملة ص/١٢٢

صور من وفاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لزوجه خديجة:

ولمزيد من التأكيد والغرس لهذا الخلق الفاضل نتذاكر بعض مواقف الأسوة الحسنة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - في وفائه وحسن عهده لزوجه خديجة رضي الله عنها، فقد تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في الخامسة والعشرين من العمر، بينما بلغت الأربعين حينذاك، وكان زواجه منها ميمونا، فكانت نعم الأم لأبنائه، كما واسته بمالها، وآزرته برجاحة عقلها وحسن تبعلها، فكانت سيدة الزوجات وقدوتهن إلى يوم الدين.

ولما أكرم الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالنبوة والرسالة كانت أم المؤمنين خديجة أول من صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - وآمن به، ووقفت معه بمالها ومشاعرها وكلها إلى أن ماتت رضي الله عنها في العام العاشر للبعثة النبوية، فسمي - صلى الله عليه وسلم - عام فراقها بعام الحزن، لبالغ حزنه على موت خديجة رضي الله عنها.

---

(١) فيض القدير (٢/ ٤٤٦).". [1]

١١٨-"مظهران من مظاهر الوفاء لخديجة الحبيبة الراحلة: ذكرها بلسان محب لا يمل من ذكر الحبيب ومآثره، وإكرام أهلها وذويها وصديقاتها؛ برا بها.

وفي رواية أن عائشة رضي الله عنها لما رأت النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر من ذكر خديجة رضي الله عنها، ويهدي إلى صديقاتها قالت: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة. فكان الزوج الوفي يرد بالقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد» (١).

قال النووي: "في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف ذلك الصاحب" (٢).

وقال ابن بطال: "حسن العهد في هذا الحديث هو إهداء النبي عليه السلام اللحم لأجوار [أي جيران] خديجة ومعارفها؛ رعيا منه لذمامها، وحفظا لعهدها" (٣).

وتنقل أم المؤمنين عائشة صورة أخرى عجيبة من صور الوفاء للزوجة بعد وفاتها، لا يقف عند ذكر الزوجة بالخير، بل

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٨١٦) و (٣٨١٨)، ومسلم ح (٢٤٣٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٠٢).

(٣) شرح ابن بطال (٩/ ٢١٦).". [2]

---

(١) الدين المعاملة ص/١٢٣

(٢) الدين المعاملة ص/١٢٥

١١٩-"وفي مرة أخرى دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عند عائشة - عجوز تدعى أم زفر كانت ماشطة لخديجة، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من أنت؟» قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فلما خرجت قالت عائشة: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» (١).

ومن صور الوفاء للزوجة ولغيرها من أصحاب الحقوق الدعاء لهم بعد وفاتهم، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها والاستغفار لها (٢)، فالاستغفار للميت من خير ما يهدى إليه، وهو دليل وفاء، وحجة صدق في العهد، لا يفرط في فعله كل من يحب النبي - صلى الله عليه وسلم - ويتأسى به.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٦٢)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٥١٧).

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ح (١٨٥٥٥)." [1]

١٢٠-"هذا الحديث "وعظ وزجر عن كفر الإحسان وجحده عند بعض التغيير ومواقعة شيء من الإساءة؛ فإنه لا يسلم أحد مع طول المؤالفة من إساءة أو مخالفة في قول أو فعل، فلا يجحد لذلك كثير إحسانه ومتقدم أفضاله" (١).

والنبي - صلى الله عليه وسلم - أكمل الناس خلقا، كان يأمر أصحابه بالتماس المعاذير لأهل الخطأ، وكان يصفح عما يقع فيه بعض أهل عشرته، ممن أحسن وأجاد فيما سبق، فلا ينسى سابقته لخطأ أخطأه أو لهفوة فعلها، فهذا هو حسن العهد الذي نسميه الوفاء.

وقد صنع ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - مع من أخطأ من أصحابه، صنعه مع حاطب بن أبي بلتعة حين أرسل إلى قريش يفشي لهم أسرار جيش النبي - صلى الله عليه وسلم - القادم إلى مكة، فأطلع الله نبيه على صنيع حاطب، فدعاه، وقال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله.

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، الباجي (١/ ٤٥٤)." [2]

١٢١-"لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة الغضب فقهرها بحلمه، وصرعها بثباته كان كالصرعة الذى يصرع الرجال ولا يصرعونه.

---

(١) الدين المعاملة ص/١٢٧

(٢) الدين المعاملة ص/١٢٩

وقوله: «ليس الخبر كالمعاينة» «١» .

رواه أحمد وابن منيع والطبراني والعسكرى.

وقوله: «المجالس بالأمانة» «٢» .

رواه العقيلى فى ترجمة حسين بن عبد الله بن ضمرة عن أبيه عن جده عن على رفعه، وعن جابر بن عتيك «إذا حدث الرجل ثم التفت فهى أمانة» «٣» ورواه أبو داود فى سننه والترمذى فى جامعه وابن أبى الدنيا فى الصمت. وغيرهم.

ففى هاتين الكلمتين من الحمل على آداب العشرة وآداب الصحبة وكتم السر، وحفظ الود وحسن العهد، وإصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الإخوان، الموقعة للشنان ما لا يكاد يخفى على مبادى الأذهان.

وقوله: «البلاء موكل بالمنطق» «٤» .

رواه ابن أبى شيبة، والبخارى فى الأدب المفرد، من رواية إبراهيم عن ابن مسعود، ورواه الديلمى عن أبى الدرداء مرفوعا: «البلاء موكل بالمنطق»

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» (١/ ٢١٥، ٢٧١) ، وابن حبان فى «صحيحه» (٦٢١٣ و ٦٢١٤) من حديث ابن عباس- رضى الله عنهما-، والحديث صححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٥٣٧٤) .

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٦٩) فى الأدب، باب: فى نقل الحديث، وأحمد فى «المسند» (٣/ ٣٤٢) ، من حديث جابر بن عبد الله- رضى الله عنهما-، وأخرجه أبو الشيخ ابن حبان فى التوبيخ عن عثمان، وابن عباس كما فى «صحيح الجامع» (٢٣٣٠) وانظر رقم (٦٦٧٨) أيضا.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٦٨) فى الأدب، باب: فى نقل الحديث، والترمذى (١٩٥٩) فى البر والصلة، باب: ما جاء أن المجالس أمانة، وأحمد فى «المسند» (٣/ ٣٢٤ و ٣٧٩ و ٣٩٤) عن جابر بن عتيك عن جابر بن عبد الله فذكره.

(٤) ضعيف: انظر «ضعيف الجامع» (٢٣٧٧- ٢٣٨٠) .". [1]

١٢٢-"وقوله- صلى الله عليه وسلم-: «حسن العهد من الإيمان» «١» .

رواه الحاكم فى مستدركه، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبى- صلى الله عليه وسلم- وهو عندى فقال لها: «من أنت؟» فقالت: جثامة المزينة قال: «أنت حسانة، كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا» قالت: بخير بأبى أنت وأمى، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ قال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» وقال: إنه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة.

وقوله- صلى الله عليه وسلم-: «الخمر جماع الإثم» «٢» .

وقوله- صلى الله عليه وسلم-: «جمال الرجل فصاحة لسانه» «٣» .

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢/ ٣٠

رواه القضاعى من حديث الأوزاعى والعسكرى من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر، كلاهما عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعا.

وأخرجه أيضا الخطيب وابن طاهر، وفى إسناده أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقى والديلمى من حديث جابر رفعه: «الجمال صواب المقال، والكمال حسن الفعال بالصدق» .

وعند العسكرى من حديث العباس: قلت يا نبى الله ما الجمال فى الرجل: قال: «فصاحة لسانه» .

وقوله- صلى الله عليه وسلم-: «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا» «٤» .

---

(١) حسن: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (١/ ٦٢) من حديث عائشة- رضى الله عنها-، والحديث حسنه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢٠٥٦) .

(٢) ضعيف: أخرجه القضاعى فى «مسند الشهاب» (١/ ٦٨) .

(٣) ضعيف: أخرجه القضاعى فى «مسند الشهاب» (١/ ١٦٤) .

(٤) أخرجه الدارمى فى «سننه» (٣٣٢) ، والطبرانى فى «الكبير» (١٠/ ١٨٠) ، والقضاعى فى «مسند الشهاب» (١/ ٢١٢) ، من حديث ابن مسعود- رضى الله عنه-، مرفوعا موقوفا، ولعل الصواب وقفه.". [١]

١٢٣-"قيل له : لم تسم لنا مجموعة فنسميها ، غير أن العلم يحيط أنها من طاعة الله وتقواه ، وإن لم تذكر لنا في حديث واحد ، ولو تفقدت الآثار لوجدت متفرقة فيها ، ألا تسمع قوله في إماطة الأذى ، وقد جعله جزءا من الإيمان ؟ وكذلك قوله في حديث آخر : الحياء شعبة من الإيمان ، وفي الثالث : الغيرة من الإيمان ، وفي الرابع : البذاذة من الإيمان ، وفي الخامس : حسن العهد من الإيمان@". [٢]

١٢٤-"١١. منصور بن عبد الله بن منصور العمروي، سديد صالح مستور من أصحاب أبي حنيفة، سمع من الثانية، وكان من خواص الصاعدية. سمع من الرئيس أبي طاهر الإسماعيلي البخاري القادم رسولا، بقراءة أبي القاسم الحسكاني(١).

١٢. عبد الرحمن بن الجنيد، أبو نصر الحاكم الحنيفي، مستور صالح، من خواص الصاعدية، كان ينوب في الخطابة في الجامع القديم في الأحايين. سمع من أصحاب الأصم، وكان مولده سنة ٤١٤هـ(٢).

١٣. حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسين الحسني السيد، أبو الغنائم (ت ؟)

بقية السادة والأشراف بنيسابور. كان ركنا في طلب الحديث وسماعه عن مشايخ وقته ما أمكنه أن يسمع، وطاف به على المشايخ والصدور، وأحضر داره بعضهم. حصلت له فوائد ومسموعات جمة، فسمع من أكثر الطبقة الثانية، كأبي حفص بن مسرور، والكنجري، والصابوني، وعبد الغار بن محمد الفارسي، والشاذياخي، والبجلي، والبيحيرية، والصاعدية، وعن

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢/٤٤

(٢) الإيمان للقاسم بن سلام ص/٢٨

السادة الكبار من أهل بيته، ثم من المخلدي، والخفاف، وطبقتهم(٣).

١٤. عبد الله بن عمر بن الحسين الشريف البكري، أبو محمد (ت ؟)

شاب فاضل نبيل، حضر مجلس الاستفادة من الإمام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي النحوي القادم سنة ٤٧٠، وسمع من تصانيفه نكت القرآن، واستنسخها، ثم توفي.

سمع من الصاعدية، والحاكم السراجي(٤).

١٥. الفضل بن عبد الرحمن بن أحمد السردادي، أبو علي، (ت ؟)،

الأصيل الزكي المشهور، من بيت العدالة والتزكية، ظريف الصحبة، حسن العهد والمودة، من أقارب القاضي أبي محمد عبيد الله بن صاعد. سمع من الصاعدية، ومن أبي الحسين عبد الغافر الفارسي(٥).

١٦. الفضل بن محمد بن الفضل الجلاب النسوي، أبو العباس الحسكاني (ت ؟)

سماعه في كتاب التاج مع القاضي أبي العلاء صاعد(٦).

١٧. قيس بن أصرم الشيباني، أبو حنيفة، (ت ؟)

---

(١) المنتخب ص ٤٨٥.

(٢) المنتخب ص ٣٤٧.

(٣) المنتخب ص ٢٢٢.

(٤) المنتخب ص ٣١٩.

(٥) المنتخب ص ٤٥٣.

(٦) المنتخب ص ٤٤٥.". [١]

١٢٥-"الشبهة الثانية والخمسون:

كيف أنتم؟ كيف حالكم؟

روى ابن أبي مليكة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «جاءت عجوز إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو عندي فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «من أنت؟»، قالت: «أنا جثامة المزنية»، فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟»

قالت: «بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله».

فلما خرجت قلت: «يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟»، فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة؛ وإن حسن العهد من الإيمان» (١).

---

(١) الاعتقاد - صاعد النيسابوري ص/٧٩

الجواب:

هذا لقاء عابر، وهذه المرأة العجوز من القواعد من النساء.

---

(١) رواه الحاكم في (المستدرك) وصححه، وصححه أيضا الذهبي والألباني، انظر: السلسلة الصحيحة رقم ٢١٦.".
(١)

١٢٦-"الشبهة السبعون:

هل أكل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مع امرأة كانت تزور خديجة - رضي الله عنها -؟

عن ابن أبي نجيح، عن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: «دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - امرأة، فأتي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بطعام، فجعل يأكل من الطعام ويضع بين يديها، فقلت: «يا رسول الله، لا تغمر يديك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد، أو حفظ العهد من الإيمان، ولما ذكر خديجة أخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فقلت: «يا رسول الله، قد أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، ثم قال: «ما ذنبي أن رزقها الله مني الولد، ولم يرزقك؟»، قلت: «والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير».

الجواب:

١ - هذا الحديث رواه الطبراني في (المعجم الكبير)، ولا يصح، فقد قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «ورجاله ثقات رجال الشيخين لكن فيه انقطاع بين ابن أبي نجيح وعائشة، فإنه لم يسمع منها» (١).

وقال الشيخ الألباني: «وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين لكنه منقطع بين ابن أبي نجيح - واسمه عبد الله - وعائشة، فإنه لم يسمع منها» (٢).

٢ - على فرض صحة الحديث فهذه المرأة من القواعد من النساء.

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد ط الرسالة (٤١/ ٣٥٧).

(٢) انظر: السلسلة الصحيحة رقم ٢١٦.". (٢)

"سول الله" ١.

وأورد في كتاب الجنائز ما رواه بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع

---

(١) الاختلاط بين الرجال والنساء ٢/ ٤٨٠

(٢) الاختلاط بين الرجال والنساء ٢/ ٥٠٩

أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار"٢، وفي رواية "الحمد الله الذي أنقذه بي من النار" ٣.

قال ابن حجر: "وفي الحديث جواز استخدام المشرك، وعيادته إذا مرض، وفيه حسن العهد، واستخدام الصغير، وعرض الإسلام على الصبي، ولولا صحته منه ما عرضه عليه، وفي قوله (أنقذه بي من النار) دلالة على أنه صح إسلامه"٤.

كما دل الحديث على جواز حضور المسلم وفاة الكافر؛ ليعرض الإسلام عليه، رجاء أن يسلم٥.

وعلى من يحضر المحتضر ألا يقول إلا خيرا، فعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون.." ٦ الحديث.

---

١ رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام ح١٣٥٤، وكتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي ح٣٠٥٥.

٢ رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام ح١٣٥٦.

٣ في سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في عيادة الذمي، ح٣٠٩٥.

٤ فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٢١/٣ وانظر ١٧٢/٦، وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٩١/١٨.

٥ انظر أحكام الجنائز ص١٢.

٦ رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض والميت ح٩١٩.." [(١)]

"صحوه ولا سكر ولا جده ولا هزله. وما كان محبا للأمير مغتبطا به، ولقد كان يتصنع في مدح ابن رائق حين كرهه ويقرظه ويصفه فما كان يخفى علينا ضميره فيه هذا من قبل أن يظهر لنا ما في نفسه عليه فقال لي صدقت والله وكذب هؤلاء، وما يدريهم؟ كان الأمر عندي كما قلت ثم حدثته بما قد ذكرته من قول الراضي أنا أعلم أن الناس يقولون.. فضحك وقال ما كان إلا نهاية في عقله ودهائه وملقه - يريد بجكم هذه وإن لم يلفظ بهذا اللفظ - ولكني أعتب عليه بأنه كان شديد الجبن يؤثر لذته وشهوته على رأيه. فعجبت والله من عقل بجكم، جاء والله بعيبيه اللذين ما كان فيه غيرهما ثم حدثته أنا كنا نقف على مكاتبته الأمير سرا ليأذن له في المصير إلى بغداد ويشكو إليه ما كان يجري عليه من ابن رائق فيكتب إليه.

عليك بالوفاء لمن اصطنعك، وأحسن إليك، إلى أن كتب إليه الأمير أعوذ بالله أن يكون مولاي يريد قتلي كما يريده ابن رائق لأنه أعطاني جيشا بمال معلوم ثم لم يوفني استحقاقهم، وهذا يبقى على دمي، وأنه لما ورد عليه كتاب الأمير بهذا كتب إليه: والله ما أحب أن يتأذى بشيء أقل جندك وأتباعك لموضعك عندي، وما يستحقه شجاعتك ومناصحتك فكيف أحب ما ذكرته فيك وإذ صار الأمر إلى هذا، وجعلت وصيتي لك بالتمسك بالوفاء وحسن العهد سببا لزوال أمرك فما

---

(١) أحوال المحتضر محمد عبد العزيز أحمد العلي ص/١٢٩

أحب هذا افعل ما يصلحك.

فلما قرأ الأمير هذا الكتاب أقبل إلى بغداد. فقال كان كذا والله." (١)

"حرمتكم على من لديها؛ لا تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج، وتفطموها عما عودت من طيب المزاج؛ فما لدائها وحياة قربكم غير طبكم من علاج؛ وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم وعناية بما يعنيكم ما نال جانبكم صانه الله بهذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء؛ وأن الوطن إحدى الحواضن الأظآر، التي يحق لها جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء؛ فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أنجح، وبحق نفسكم عن حق أوليائكم أسمح، والتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسجح. وهب أن الدر لا يحتاج في الإثبات، إلى شهادة النحور والبات؛ والياقوت غنى المكان، عن مظاهرة القلادة والتيجان، أليس أنه أعلى للعيان، وابعد عن مكابرة البرهان، تألقها في تاج الملك انوشروان؛ فالشمس وإن كانت أم الأنوار، وجلاء الأبصار، مهما أغمى مكنها من الأفق قيل: أليل هو أم نهار؛ وكما في علمكم ما فارق ذووا الأرحام، وأولو الأحلام؛ موطن استقرارهم، وأماكن قرارهم، إلا برغمهم واضطرارهم، واستبدال دار خير من دارهم؛ ومتى توازن الأندلس بالمغرب، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعباد، وما فوقه مرابط جهاد، ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد؛ ثم يبوى ولده مبوأ أجداده، ويجمع له بين طارفه وتلاده، أعيذ أنظاركم المسددة من رأى فائل، وسعى طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من ه الإياب السعيد، والعود الحميد "

وهي طويلة. قال ابن الخطيب: فأجبته بقولي:

لم في الهوى العذري أو لا تلم ... فالعذل لا يدخل أسماعي

شأنك تعنيفي وشأني الهوى ... كل الهوى في شأنه ساعي." (٢)

"وست مائة، وكانت إجازته البحر من المرية فتلاقى بها هو وذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم المذكور وكان قصدهما واحد ومسعاهما متعاضدا؛ فترافقا في السفر، كما ترافقا في الوطن. فدخل إفريقية ومصر والشام والحجاز وأخذ عمن لقي من الأئمة الأعلام، وأكثر من هذا الشان وأجاد فيه الضبط والإتقان وتوسع في الرواية وذهب في ذلك إلى ابعد غاية. وكان له تحقق بعلوم الحديث وبرجاله، وضبط أسناده، ومعرفة انقطاعه واتصاله، إماما في هذا الشأن مشار إليه في هذا الفن معتمدا عليه مع كمال اثقة وشهوة العدالة.

قال القاضي أبو البركات أبن الحاج في حقه: أبن رشيد ثقة عدل من أهل هذا الشأن المتحققين به، وكان أيضا من أهل المعرفة بعلم القراءات وصناعة العربية وعلم البيان والآداب والعروض والقوافي مشاركا في غير ذلك من الفنون من خدام الكتاب والسنة، حسن العهد كريم العشرة برا بأصدقائه، فاضلا في جميع أنحائه، أديبا بليغا، ذاكرا متأدبا يقرض الشعر على تكلف ويجود النثر ويبصر مواقع حسنه، وأعظم عنايته بعلم الحديث: متنه وسنده ومعرفة رجاله، ولذلك كان جل اشتغاله، وفيه عظم احتماله، حتى حصل منه على غاية قصده ومنتهى آماله.

---

(١) أخبار الراضي بالله والمتقي لله = تاريخ الدولة العباسية الصولي ص/٤٣

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢٦٧/١

قرأ بسبتة بلده على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع القرآن العزيز بالقراءات السبع بمضمن كتاب التفسير، وتفقه عليه في العربية وقيد عنه." (١)

"٦٧٩٩- جثامة المزنية

س: جثامة المزنية

(٢١٩٧) أخبرنا عمر بن محمد بن طبرزد، أخبرنا ابن البناء، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو بكر بن مالك، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أبو عاصم، حدثنا صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: " من أنت؟ " قالت: أنا جثامة.

قال: " بل أنت حضانة، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ " قالت: بخير يا رسول الله.

قالت عائشة: فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! قال: " إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان "، وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لما قالت أنا جثامة: " بل أنت حسانة ". أخرجها أبو موسى، ويرد ذكرها في حسانة إن شاء الله تعالى." (٢)

"٦٨٤٩- حسانة المزنية

ب س: حسانة المزنية كان اسمها جثامة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنت حسانة ".

كانت صديقة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلها، ويقول: " حسن العهد من الإيمان ".

روى ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " من أنت؟ " قالت: أنا جثامة المزنية، قال: " بل أنت حسانة، كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ " قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز كل هذا الإقبال؟ ! قال: " إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ".

أخرجه أبو عمر، وأبو موسى، قال أبو عمر: وهذه الرواية أولى بالصواب من رواية من روى ذلك في الحولاء بنت تويب.

وروى ثابت، عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أهديت إليه هدية، قال: " اذهبوا ببعضها إلى فلانة فإنها كانت صديقة خديجة " أو: " إنها كانت تحب خديجة ".." (٣)

"٦٨٦٥- الحولاء بنت تويت

ب د ع: الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية هاجرت إلى المدينة، وكانت كثيرة العبادة.

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٣٤٨/٢

(٢) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٤٨/٧

(٣) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٦٦/٧

(٢٢١٨) أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر، أخبرنا جعفر بن أحمد، أخبرنا الحسن بن شاذان، أخبرنا عثمان بن أحمد، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أن الحولاء بنت تويت مرت بها وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: هذه الحولاء يزعمون أنها لا تنام الليل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا " وروى أبو عاصم النبيل، عن صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: استأذنت الحولاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها وأقبل عليها، وقال: "كيف أنت؟ " فقلت: أتقبل على هذه هذا الإقبال؟ ! فقال: " إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان ".

قال أبو عمر: هكذا رواه محمد بن موسى الشامي، عن أبي عاصم فقال: الحولاء ولم ينسبها، ولا قال: بنت تويت، وقد غلط، فإن الصواب أنها: حسانة المزنية، وقد تقدم ذكرها.

أخرجها الثلاثة.." (١)

"حرف الجيم

٦٧٩٢- جثامة المزنية

(س) حشامة المزنية.

أخبرنا عمر بن محمد بن طبرزد، أخبرنا ابن البناء، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو بكر بن مالك، حدثنا محمد بن يونس. حدثنا أبو عاصم، حدثنا صالح بن رسم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: من أنت؟

قالت: أنا جثامة. قال: بل أنت حضانة. كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟

قالت بخير يا رسول الله قالت عائشة. فلما خرجت قلت: يا رسول الله. تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان. وقيل:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لما قالت أنا جثامة: بل أنت حسانة. أخرجها أبو موسى، ويرد ذكرها في «حسانة» إن شاء الله تعالى.

٦٧٩٣- حبلة بنت المصفح

(ب) حبلة بنت المصفح، أدركت النبي صلى الله عليه وسلم. روى عنها فضيل بن مرزوق.

أخرجها أبو عمر مختصرا.

٦٧٩٤- حدامة بنت جندل

جدامة بنت جندل. ذكرها ابن [١] إسحاق فيمن هاجر من نساء بني غنم بن دودان بن أسد ابن خزيمة.

٦٧٩٥- جذامة بنت الحارث

---

(١) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٧٦/٧

(د ع) جذامة بنت الحارث. أخت حليمة بنت الحارث أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

نذكر نسبها عند ذكر حليمة، تلقب: الشيماء، لا تعرف لها رواية.

أخرجها ابن منده وأبو نعيم.

قلت: كذا قال «لقبها شيماء» ، وإنما الشيماء بنت حليمة، وهي أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة لا خالته.

---

[١] في سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٢: «جدامة» ، والضبط عن تاج العروس، مادة جدم. وهذه الترجمة في الاستيعاب ٤/ ١٨٠٠، ويبدو أنها مما استدرك عليه وألحق بكتابه.." (١)

"٦٨٤٠- حرملة بنت عبيد بن ثعلبة

حرملة بنت عبيد بن ثعلبة بن سواد بن غنم الأنصارية، من بني مالك بن الخزرج، بايعت النبي صلى الله عليه وسلم.

قاله ابن حبيب.

٦٨٤١- حزمة بنت قيس الفهرية

(ب د ع) حزمة بنت قيس الفهرية، أخت فاطمة بنت قيس. تزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فولدت له.

حديثها عند الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله.

أخرجه الثلاثة.

حزمة: بفتح الحاء وسكون الزاى.

٦٨٤٢- حسانة المزنية

(ب س) حسانة المزنية، كان اسمها جثامة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنت حسانة.

كانت صديقة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلها، ويقول: «حسن العهد من الإيمان [١] » . روى ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية، قال: بل أنت حسانة، كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز كل هذا الإقبال؟! قال: إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان. أخرجه أبو عمر، وأبو موسى، قال أبو عمر: وهذه الرواية أولى بالصواب من رواية من روى ذلك في «الحولاء بنت تويت [٢] » وروى ثابت، عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أهديت إليه هدية قال: اذهبوا ببعضها إلى فلانة فإنها كانت صديقة خديجة أو: إنها كانت تحب خديجة.

---

[١] أخرجه أبو عمر في الاستيعاب: ٤/ ١٨١٠.

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٤٧

[٢] في المطبوعة: «الحولي بنت ثويب» ، والصواب عن المصورة، وإن كان فيها أيضا «ثويب» بثاء وباء، وهو خطأ. وسيأتي في ترجمتها أنها «ثويت» ، وقال الحافظ في الإصابة ٤/ ٢٦٩ «تويت بمثناتين مصغرا» .." (١)

"٦٨٥٨- الحولاء بنت تويت

(ب د ع) الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية.

هاجرت إلى المدينة، وكانت كثيرة العبادة.

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر، أخبرنا جعفر بن أحمد، أخبرنا الحسن ابن شاذان، أخبرنا عثمان بن أحمد، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن الحولاء بنت تويت مرت بها وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: هذه الحولاء يزعمون أنها لا تنام الليل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خذوا من العمل ما تطيقون، فو الله لا يسأم الله حتى تساموا [١] . وروى أبو عاصم النبيل، عن صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: استأذنت الحولاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأذن لها، وأقبل عليها، وقال: كيف أنت؟ فقلت: أتقبل على هذه، هذا الإقبال؟! فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.

قال أبو عمر: هكذا رواه محمد بن موسى الشامي، عن أبي عاصم فقال: «الحولاء» ولم ينسبها، ولا قال: «بنت تويت» ، وقد غلط، فإن الصواب أنها: حسانة المزنية، وقد تقدم ذكرها.

أخرجها الثلاثة.

٦٨٥٩- الحولاء امرأة عثمان بن مظعون

(د) الحولاء امرأة عثمان بن مظعون لها ذكر، لا تعرف لها رواية.

أخرجها ابن مندة مختصرا.

٦٨٦٠- الحولاء العطارة

(س) الحولاء العطارة.

أخبرنا أبو موسى إجازة، أخبرنا أبو علي محمد بن علي الكاتب والحسن بن أحمد قالا: أخبرنا أبو منصور عبد الرزاق بن أحمد، أخبرنا أبو الشيخ عبد الله بن محمد، حدثنا محمد، حدثنا إسحاق ابن جميل، حدثنا إسحاق بن الفيض، حدثنا القاسم بن الحكم، حدثنا جرير بن أيوب البجلي،

---

[١] أخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب «أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر، بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عن ذلك» من طريق يونس: ٢/ ١٨٩- ١٩٠. وكذلك أخرجه الإمام أحمد في مسندة عن عثمان بن عمر: ٦/ ٢٤٧.." (٢)

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٦٤/٦

(٢) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٧٥/٦

". . . . .

فيه جمع، بل قال أحمد باطل، «النساء حبائل الشيطان» (١) الديلمى، «حسن العهد من الإيمان» (٢) صححه الحاكم، «جمال المرء فصاحة لسانه» (٣) رواه جماعة، «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا» (٤) له طرق حسنة (٥) «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعز من العقل، ولا وحشة أشد من العجب» (٦) ابن ماجه «الذنب لا ينسى، والبر لا

= وذكره فى مجمع الزوائد (٤/ ١٤٥)، وعزاه للطبرانى فى الكبير والصغير من حديث أنس رضى الله عنه، وقال: ورجال الكبير ثقات وذكر الحديث الآخر بنحو ما ذكره المصنف، وعزاه للطبرانى من حديث أبى أمامة، وقال: فيه يحيي بن عثمان بن صالح المصرى، قال ابن أبى حاتم: تكلموا فيه.

(١) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء (٢/ ٣١٦،٣١٥)، وعزاه للديلمى فى مسند الفردوس من حديث عقبة بن عامر. وقال أيضا فى (٢/ ٤): ورواه أبو نعيم عن ابن مسعود والديلمى عن عبد الله بن عامر وعقبة بن عامر فى حديث طويل مرفوعا.

(٢) رواه البخارى فى التاريخ الكبير (١/ ٣١٥)، وذكره السيوطى فى الدر المنثور (١/ ١٠٥)، وعزاه للبخارى فى التاريخ وللحاكم وقال: صححه من حديث عائشة رضى الله عنها وكذا ذكره الهندى فى الكنز (١٠٩٣٧)، وعزاه للحاكم وذكره العجلونى فى كشف الخفاء (١/ ٣٦٠)، وعزاه للحاكم والديلمى عن عائشة. . . فذكر الحديث. وقال: قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وليس له علة، ورواه ابن عبد البر عن أبى عاصم. . وذكر حديثه. . . وقال: وروى البيهقى فى شعبه بسند غريب عن عائشة. . . الحديث وفيه: وإن حسن العهد من الإيمان.

(٣) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء (١/ ٣٣٣)، وقال: رواه القضاعى والعسكرى والخطيب عن جابر رضى الله عنه مرفوعا بلفظ: «جمال الرجل. . .» بدل «جمال المرء».

(٤) رواه الدارمى فى سننه (١/ ٩٦)، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (ص ٢٦٤)، وأبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف، (٨/ ٥٤١)، والبزار فى مسنده (١٦٣ كشف الأستار)، والطبرانى فى الكبير (١١/ ٧٦،٧٧) (١١١٩٥) من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما. ورواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٩٢)، والبيهقى فى الشعب (١٠٢٧٩)، وابن عدى فى الكامل (٦/ ٢٩٦)، وابن الجوزى فى الواهيات (١١٣) من حديث أنس رضى الله عنه.

(٥) قلت: الحديث فى طرق إسناده ضعف، وهو صحيح بشواهده، وخرجنا منها عن عبد الله بن عباس، وأنس بن مالك كلاهما مرفوعا. رواه أيضا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عند الطبرانى فى الكبير (١٠/ ٢٢٣)، (١٠٣٨٨)،

والقضاعي فى مسنده (٣٢٢)، وابن الجوزى فى الواهيات (١١١). قلت: فقد حسنه المصنف بمجموع طرقه (الضعيفة).

(٦) رواه الطبراني فى الكبير (٣/ ٦٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣٦). ذكره الهيثمى فى مجمع =." [١]

"وأما حسن عهده عليه السلام

فخرج البخاري في المناقب من حديث الليث قال: كتب إلي هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة- هلكت قبل أن يتزوجني- لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاه فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن [(١)] .

وخرجه مسلم من حديث أبي أمامة قال: أخبرنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة- ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين- لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه تبارك وتعالي أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وأنه كان يذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها [(٢)] .

وخرجه البخاري من حديث أسامة بنحوه، إلا أنه قال: ثم يهدي في خلتها منها. ذكره في كتاب الأدب [(٣)] .

وخرج أيضا من حديث حفص عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت:

كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد [(٤)] .

وفي لفظ: ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا علي خديجة، وإني لم أدركها،

قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوما فقلت: خديجة!؟ فقال: إني رزقت بحبها [(٤)] .

وخرج في حديث علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله

[(١)] (صحيح البخاري) ج ٢ ص ٣١٥ باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها.

[(٢)] (مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ٣٠٠ باب فضائل خديجة رضي الله عنها.

[(٣)] (صحيح البخاري بشرح الكرماني) ج ٢١ ص ١٦٧ كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان حديث رقم ٥٦٣٣ وفيه: «حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة» ، وفي (خ) «من حديث أسامة» ولعله خطأ من الناسخ.

[(٤)] (مسلم بشرح النووي) ج ١٥ ص ٣٠١ باب فضائل خديجة رضي الله عنها.." [٢]

"

[()] يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: حسبك، فقلت: لا تعجل يا رسول الله، قالت: وما بى حب النظر إليهم،

---

(١) أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل ابن حجر الهيتمي ص/٣١٢

(٢) إمتاع الأسماع المقريزي ٢/٢٢٦

ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي، ومكاني منه.

إسناده صحيح كما قال الحافظ في (الفتح) .

يحي بن يمان، عن الثوري، عن إسماعيل بن أمية، عن عبد الله بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال، وأعرس بي في شوال، فأى نسائه كان أحظى عنده منى.

[وكانت العرب تستحب لنسائها أن يدخلن على أزواجهن في شوال، أخرجه مسلم في النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، واستحباب الدخول فيه، والدارمي في النكاح، باب بناء الرجل بأهله في شوال، وأحمد في (المسند) ، وابن سعد في (الطبقات) ، وابن ماجة في النكاح، باب متى يستحب البناء بالنساء، والنسائي في النكاح، باب التزويج في شوال، من طرق عن سفيان بن عيينة، وفيه عندهم: وكانت عائشة رضى الله عنها تستحب أن تدخل نساءها في شوال.

وقالت عائشة رضى الله عنها ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها. [أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل خديجة رضى الله عنها.

قال الحافظ الذهبي في (سير الأعلام) : وهذا من أعجب شيء! أن تغار رضى الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله تعالى من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي صلى الله عليه وسلم، لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي صلى الله عليه وسلم لها، وميله إليها. فرضى الله تعالى عنها وأرضاها.

معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: دخلت امرأة سوداء على النبي صلى الله عليه وسلم. فأقبل عليها، قالت: فقلت يا رسول الله! أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان [رجاله ثقات، وأخرج الحاكم نحوه في (المستدرك) من طريق صالح بن رستم،

عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزينية، فقال: بل أنت حسانة المزينية، كيف أنتم كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأمى يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله! تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.

صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في (التلخيص) .

وأخرج البخاري في النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل عائشة.. لأبى أسامة، عن هشام بلفظ: إني لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت علي غضبى، قالت: وكيف يا رسول الله؟ قال: إذا كنت عنى راضية، قلت: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى، قلت: لا ورب إبراهيم، قلت أجل والله، ما أهجر إلا اسمك.." (١)

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣٩/٦

"به فؤادك

«١» . وقال عز وجل «٢» : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين (٣) «٣» .

فوضح «٤» سبيل مبين، وظهر أن القول بفضله يقتضيه «٥» عقل ودين، وأن بعض المصنفين ممن ترك نومه لمن دونه، وأنزف ماء شبابه مودعا إياه بطن كتابه يقصده الناس ويردونه، اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم؛ فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان، ومنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان، عجزا عن الإحاطة بهذا الشأن، عموما في أكثر الأقطار «٦» وخصوصا في بعض البلدان، فاستهدف إلى التعميم فرسان الميدان، وتوسعوا بحسب مادة الاطلاع وجهد الإمكان، وجنح إلى التخصيص من أثر «٧» الأولوية بحسب ما يخصه من المكان، ويلزمه من حقوق السكان، مغرما برعاية عهود وطنه وحسن العهد من الإيمان، بادئا بمن يعوله كما جاء في الطرق الحسان. فتذكرت جملة من موضوعات من أفرد لوطنه «٨» تاريخا هز إليها- علم الله- وفاء وكرم، ودار عليها بقول «٩» الله من رحمته الواسعة حرم، كتاريخ «١٠» مدينة بخارى لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار. وتاريخ أصبهان لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ صاحب الحلية. وتاريخ أصبهان أيضا لأبي زكريا يحي بن عبد الوهاب بن قندة الحافظ. وتاريخ نيسابور للحاكم أبي عبد الله بن اليسع، وذيله لعبد الغافر بن إسماعيل. وتاريخ همذان لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه محمد بن فنا خسرو الديلمي. وتاريخ طبقات أهل شيراز لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن القصار. وتاريخ هراة، أظنه لأبي عبد الله الحسن بن محمد الكتبي.

وأخبار هراة أيضا ومن نزلها من التابعين وغيرهم من المحدثين لأبي إسحاق أحمد بن ياسين الحداد. وتاريخ سمرقند لعبد الرحمن بن محمد الأردسي. وتاريخ نسف لجعفر بن المعبر المستغفري. وتاريخ جرجان لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي. وتاريخ الرقة لأبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري.

وتاريخ بغداد للخطيب أبي بكر بن ثابت، وذيله لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن." (١)

"القراءة «١» ، إمام في الوثيقة، حسن الخط، مليح السمة والشيبة، عذب الفكاهة، حسن العهد، تام الرجولية.

نباهته: تصدر «٢» للإقراء ببلده على وفور أهل العلم، فكان سابق الحلبة، ومناخ الطية، إمتاعا، وتفننا، وحسن إلقاء. وتصرف في القضاء ببلش وغيرها من غربي بلده، فحسنت سيرته، واشتهرت طريقته، وحمدت نزاهته. ثم ولي خطة القضاء بمالقة، والنظر في الأحباس «٣» بها، على سبيل من الحظوة والنباهة، مرجوعا إليه في كثير من مهمات بلده، سائمة وجوه السعادة، ناطقة ألسن الخاصة والعامة بفضله، جماعة نزاهته، آويا إلى فضل بيته. واتصلت ولايته إياها إلى هذا العهد، وهي أحد محامد الوالي، طول مدة الولاية، لا سيما القاضي، مما يدل على الصبر، وقلة القدح، وسد أبواب التهم، والله يعينه، ويمتع به بمنه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن بكر، وهو نجيب حلبته، والسهم المصيب من كنانته، لازمه، وبه تفقه وانتفع، وتلا القرآن عليه وعلى محمد «٤» بن أيوب، وعلى أبي القاسم بن درهم علمي وقتهما في ذلك، وعلى غيرهما، وتعلم

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٥/١

الوثيقة على العاقد القاضي أبي القاسم بن العريف. وروى عن الخطيبين المحدثين أبي عثمان بن عيسى وأبي عبد الله الطنجالي، وغيرهما.

دخوله غرناطة: تردد إليها غير ما مرة، منها في أمور عرضت في شؤونه الخاصة به، ومنها مع الوفود الجلة، من أهل بلده، تابعا قبل الولاية، متبوعا بعدها.

ومن شعره قوله في جدول «٥» : [الكامل]

ومقارب الشطين أحكم صقله «٦» ... كالمشرفي إذا اكتسى بفرنده

فحمائل «٧» الديباج منه خمائل ... ومعانق «٨» فيها البهار بورده

وقد اختفى طرف «٩» له في دوحة ... كالسيف رد ذبابه في غمده." (١)

"ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح، استقراء «١» لمرامكم، واستطلاعا لطالع اعتزامكم، واستكشافا لمرامي «٢» سهامكم، لا سيما مع إقامتكم على جناح خفوق، وظهوركم في ملتمع بروق، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق؛ حتى تستقر بكم الدار «٣» ، ويلقي عصاه التسيار؛ وله العذر في ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل «٤» ، وسرورها بلقائكم لم يكتمل؛ فلم يبر «٥» بعد جناحها المهيض «٦» ، ولا جم ماؤها المغيض، ولا تميزت من داجيها لياليها البيض؛ ولا استوى نهارها، ولا تألقت أنوارها «٧» ، ولا اشتملت نعماؤها، ولا نسيت غماؤها؛ بل هي كالناقه «٨» ، والحديث العهد بالمكاره، تستشعر «٩» نفس العافية، وتتمسح «١٠» منكم باليد الشافية؛ فبحنانكم «١١» عليها، وعظيم «١٢» حرمتكم على من لديها، لا تشربوا لها عذب المجاج بالأجاج، وتقنطوها «١٣» مما عودت من طيب المزاج، فما لدائها، وحياة قربكم غير طبكم من علاج. وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم، وعناية بما يعنيكم، ما نال جانبكم صانه الله بهذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء، وأن الوطن إحدى المواطن الأظآر التي يحق لهن جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأولي «١٤» الصفاء، فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح، وبحق نفسكم على أوليائكم أسمح، والتي «١٥» هي أعظم قيمة في «١٦» فضائلكم أوهب وأمنح «١٧» ؛ وهب أن الدر لا يحتاج في الإثباب إلى شهادة النحور واللبات، والياقوت غني المكان، عن مظاهرة القلائد والتيجان؛ أليس أنه أعلى للعيان، وأبعد عن مكابرة البرهان، تألقها في تاج الملك أنوشروان؟ والشمس «١٨» وإن." (٢)

"ومن كتاب «عائد الصلة» «١» : الشيخ، الحافظ، الفقيه، القاضي، من صدور المغرب، مشاركا «٢» في العلم، متبحرا «٣» في الفقه، كان وجيها عند الملوك، صحبهم، وحضر مجالسهم، واستعمل في السفارة، فلقيناه بغرناطة، وأخذنا بها عنه؛ تام السراوة «٤» ، حسن العهد، مليح المجالس، أنيق المحاضرة، كريم الطبع، صحيح المذهب.

تصانيفه: قيد «٥» على «المدونة» بمجلس شيخه القاضي «٦» أبي الحسن كتابا مفيدا وضم أجوبته على المسائل في سفر، وشرح كتاب «الرسالة» شرحا عظيم الفائدة.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١/٦٧

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١/١٢٠

مشيخته: لازم «٧» أبا الحسن الصغير، وهو كان قارىء كتب الفقه عليه، وجل انتفاعه في التفقه به. وروى عن أبي زكريا بن أبي ياسين «٨» ، قرأ عليه كتاب «الموطأ» ، إلا كتاب «المكاتب» ، وكتاب «المدبر» ، فإنه سمعه بقراءة الغير، وعن أبي عبد الله بن رشيد، قرأ عليه «الموطأ» ، و «شفاء» عياض، وعن أبي الحسن بن عبد الجليل السداري «٩»

، قرأ عليه «الأحكام الصغرى» لعبد الحق، وأبي الحسن بن سليمان، قرأ عليه «رسالة ابن أبي زيد» ، وعن غيرهم.

وفاته: فلج بآخرة، فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان فمن «١٠» دونه، وتوفي بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة «١١» .

إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد ابن أبي العاصي التنوخي «١٢»

أصله من جزيرة طريف، ونشأ بغرناطة واشتهر.." (١)

"وحده في أصالة عريقة، وسجية على السلامة مفطورة، فما شئت من صدر سليم، وعقد وثيق، وغور قريب، ونصح مبذول، وتصنع مرفوض، ونفس ساذجة، وباطن مساو للظاهر، ودمعة سريعة، وهزل يثمر تجلة، وانبساط يفيد حسن نية، إلى حسن العهد، وفضل المشاركة، ورقة الحاشية، وصلابة العود، وصدق العزيمة، وقوة الحامية، وبلاغة الموعظة، وجلة الوقت، وفائدة العصر، تفننا وإمتاعا، فارس المنابر غير الهيابة، ولا الجزوع، طيب النغمة بالقرآن، مجهشا في مجال الرقة، كثير الشفقة لصالح العامة، متأسفا لضياع الأوقات، مدمعا على الفيئة، مجما، محولا في رئاسة الدين والدنيا. هذا ما يسامح فيه الإيجاز، ويتجافى عنه الاختصار، ويكفي فيه الإلماع والإشارة، أبقى الله شيخنا أبا البركات.

مشيخته وولايته: تقدم قاضيا بقنالش «١» ، في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبع مائة ثم ولي مربلة، وإستبونة «٢» ثم كانت رحلته إلى بجاية. ثم عاد فقعد بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مسلم، متفقا على اضطلاعه بذلك. ثم رحل إلى فاس. ثم آب إلى الأندلس، واستقر ببلده ألمرية، فقعد بمسجدها الجامع للإقراء، ثم قدم قاضيا ببرجة ودلاية، والبينول «٣» وفنيانة «٤» ، ثم نقل عنها إلى بيرة، ثم غربي ألمرية. ثم قدم قاضيا بمالقة، ثم قدم بغربها مضافا إلى الخطابة، ثم أعيد إلى قضاء ألمرية، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصائغ. ومن كتاب «طرفة العصر» من تأليفنا في خبر ولايته ما نصه:

فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبعة «٥» وأربعين وسبعمائة، ثالث يوم وصوله مستدعى، وانتابه الطلبة ووجوه الحضرة والدولة، مهنئين بمثواه من دار الصيانة، ومحل التجلة، إحدى دور الملوك بالحمراء، فطفقوا يغشونه بها زرافات ووحدانا، في إتاحة الخير، وإلهام السداد، وتسويغ الموهبة. وكان وصوله، والأفق قد اغبر، والأرض قد اقشعرت لانصرام حظ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته، لم." (٢)

"أدار السحر من عينيه خمرا ... معتقة فأسكر كل صاح

وأهدى إذ تهادى كل طيب ... كخوط البان في أيدي الرياح

وأحيا حين حيا نفس صب ... غدت في قبضة الحب المتاح

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٩٧/١

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٨٤/٢

وسوغ منه عتبي بعد عتب ... وعللني براح فوق راح

وأجناني الأماني في أمان ... وجنح الليل مسدول الجناح

وقال أيضا: [الكامل]

ومنعم الأعطاف معسول اللمى ... ما شئت من بدع المحاسن فيه

لما ظفرت بليلة من وصله ... والصب غير الوصل لا يشفيه

أنضحت وردة خده بنفسي ... وظللت أشرب ماءها من فيه

وقال أيضا: [الكامل]

حكت السلاف صفاته بحبابها ... من ثغره ومذاقها من رشفه

وتوردت فحكت شقائق خده ... وتأرجت فيسيمها من عرفه

وصفت فوق أديمها فكأنها ... من حسن رونق وجنتيه ولطفه

لعبت بألباب الرجال وغادرت ... أجسامهم صرعى كفعلة طرفه

«ومن الغرباء في هذا الحرف»

محمد بن حسن العمراني الشريف «١»

من أهل فاس.

حاله: كان جهويا ساذجا، خشن البزة، غير مرهف التجند، ينظم الشعر، ويذكر كثيرا من مسائل الفروع، ومعاناة الفرائض، يجعجع بها في مجالس الدروس، فشقي به المدرسون، على وتيرة من صحة السجية، وحسن العهد، وقلة التصنع.

وجرى ذكره في الإكليل «٢» : كريم الانتماء، مستظل «٣» بأغصان الشجرة الشماء، من رجل سليم الضمير، ذي باطن أصفى من الماء النمير، له في الشعر طبع يشهد بعروبية أصوله، ومضاء نصوله.." (١)

"ومن طارئي المقرئين والعلماء

منصور بن علي بن عبد الله الزواوي

صاحبنا، يكنى أبا علي.

حاله: هذا الرجل طرف في الخير والسلامة، وحسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع، مؤثر للاقتصاد، منقبض عن الناس، مكفوف اللسان واليد، مشتغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصف في المذاكرة، موجب لحق الخصم، حريص على الإفادة والاستفادة، مثابر على تعلم العلم وتعليمه، غير أنف عن حمله عمن دونه، جملة من جمل السذاجة والرجولة وحسن المعاملة، صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية، واطلاع وتقييد، ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب الشعر فلا يعدو الإجادة والسداد.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/٣٧١

قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، فلقي رحبا، وعرف قدره، فتقدم مقرئا بالمدرسة «١» تحت جراية نبيهة، وحلق للناس متكلما على الفروع الفقهية والتفسير، وتصدر للفتيا، وحضر بالدار السلطانية مع مثله. جربته وصحبته، فبلوت منه دينا ونصفة، وحسن عشرة.

محنته: امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية، لمتوقف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والنبوة، وشك في القول بتكفيره، فقال القوم بإشراكه في التكفير ولطخه بالعاب الكبير، إذ كان كثير المشاحة لجماعتهم، فأجلت الحال عن صرفه عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعمائة.

مشيخته: طلبت منه تقييد مشيخته، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه:

«يتفضل سيدي الأعلى الذي أهتدي بمصباحه، وأعشو إلى غرره وأوضاحه، جامع أشتات العلوم، وفاتق رتق الفهوم، حامل راية البديع، وصاحب آيات التورية فيه." (١)

"حرف النون الملوك والأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد ابن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري «١»

أمير المسلمين بالأندلس، بعد أبيه وجده وأخيه، يكنى أبا الجيوش، وقد تقدم من أولية هؤلاء الملوك ما يغني عن الإعادة.

حاله: من كتاب «طرفة العصر في أخبار الملوك من بني نصر» من تصنيفنا، قال: كان فتى يملأ «٢» العيون حسنا وتمام صورة، دمث الأخلاق، لين العريكة، عفيفا، مجبولا على طلب الهدنة وحب الخير، مغمد السيف، قليل الشر، نافرا للبطر وإراقة الدماء، محبا في العلم وأهله، آخذا من صناعة التعديل «٣» بحظ رغيب، يخط التقاويم «٤» الصحيحة، ويصنع الآلات الطريقة «٥» بيده، اختص في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرقام، وحيد عصره، فجاء واحد دهره ظرفا وإحكاما. وكان حسن العهد، كثير الوفاء. حمله الوفاء على اللجاج في أمر «٦» وزيره المطلوب بعزله، على الاستهداف للخلع.

تقدم يوم خلع أخيه، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة، وسنه ثلاث وعشرون سنة، فكان من تمام الخلق، وجمال الصورة، والتأنق في «٧» ملوكي اللباس، آية من آيات الله خالقه. واقتدى «٨» برسوم أبيه وأخيه، وأجرى الألقاب والعوائد لأول دولته. وكانت أيامه، كما شاء الله، أيام نحس مستمر، شملت المسلمين فيها الأزمة، وأحاط بهم الذعر، وكلب العدو. وسيمر من ذلك ما فيه كفاية «٩» . وكان فتى أي فتى، لو ساعده الجد، والأمر لله من قبل ومن بعد.." (٢)

"ومن المقرئين

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي «١»

يكنى أبا زكريا، شيخنا أبو زكريا بن هذيل، رحمه الله، أرجدوني «٢» الأصل، ينسب إلى سلفه أملاك ومعاهد كولابج هذيل، مما يدل على أصالة.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣/٢٤٨

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣/٢٥٤

حاله: كان آخر حملة الفنون العقلية بالأندلس، وخاتمة العلماء بها، من طب وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب، إلى إمتاع المحاضرة، وحسن المجالسة، وعموم الفائدة، وحسن العهد، وسلامة الصدر، وحفظ الغيب، والبراءة من التصنع والسمت، مؤثرا للخمول، غير مبال بالناس، مشغولا بخاصة نفسه.

خدم أخيرا باب السلطان بصناعة الطب، وقعد بالمدرسة بغرناطة يقرئ الأصول والفرائض والطب.

عمن أخذ: قرأ على جملة من شيوخ وقته، كالأستاذ أبي بكر بن الفخار، أخذ عنه العربية والأدب. وقرأ الطب على أبي عبد الله الأركشي، وأبي زكريا القصري، وجملة من الإسلاميين بالعدوة. وقرأ كراسة الإمام فخر الدين الرازي، المسماة بالآيات البينات، على الأستاذ أبي القاسم بن جابر. ونظر الأصول على الأستاذ النظار أبي القاسم بن الشاط. وأخذ الحساب عن أبي الحسن بن راشد. والحساب والهندسة والأصول وكثيرا من عمليات الحساب وجبره ومقابلته والنجوم، على الأستاذ أبي عبد الله بن الرقام، ولازمه كثيرا.

تواليفه: وله تصانيف وأوضاع منها، ديوان شعره المسمى بالسليمانيات والعربيات وتنشيط الكسل. ومنها شرحه لكراسة الفخر، وهو غريب المأخذ، جمع فيه بين طريقتي القدماء والمتأخرين من المنطقيين. وكتابه المسمى ب «الاختيار والاعتبار في الطب» . وكتابه المسمى ب «التذكرة في الطب» .

شعره: وجرى ذكره في التاج المحلى بما نصه «٣» : درة بين الناس مغفلة، وخزانة على كل فائدة مقفلة، وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة. أبدع من رتب." (١)

"ولكن قضاء يغلب العزم حكمه ... ويضرب من دون الحجا بحجاب

يقولون لي: حتى م تندب فاسا ... فقلت، وحسن العهد ليس يعابي:

إذا أنا لم آسف على زمن مضى ... وعهد تقضى في صبا وتصاب

فلا نظمت در القريض قريحتي ... ولا كانت الآداب أكبر دابي «١»

وقلت أبياتا تبرز بها يد من طاق خشبي، لتمام ساعة من الليل، في نهاية الإحكام وحسن الشكل، ينصب مكانها بين يدي السلطان ليلة اتخاذ المولد الكريم، فكان منها عند تمام الساعة الرابعة قولي: [الكامل]

سبق القضاء وأبرم المحتوم ... والغيب عنا سره مكتوم

حال الزمان إذا اعتبرت غريبة ... والحال في التحقيق ليس تدوم

والليل سلك درة ساعاته ... إن حل معقده هوى المنظوم

أكرم برابعة تولت بعدما ... ثبتت لها في الصالحات رسوم

ولقد سهرت مفكرا والبدر في ... بحر السماء مع النجوم يعوم

فحسبت شكل البدر أبيض هائما ... فوقي يحلق طيره ويحوم

ومنها:

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٤/ ٣٣٤

حجر رماه المنجنيق فشأنه ... متطأطئ متدافع ملموم

ومن النجوم أسنة لجيوشها ... من كل مطلع علي هجوم

رجعت إلى حربي وعمري معقل ... ومخلصي من نابها معدوم

بدرت لها شرفات أسناني تهي ... وقواي تفقد رجعة وتقوم

فصرخت: يا ويلي أصيبت غرتي ... ماذا عسى هذا البناء يدوم

وإذا رمى فلك البروج مدينة ... بالمنجنيق فسورها المهدوم

ما دون وجه الحق إن حققته ... يفنى ويبقى الواحد القيوم." (١)

"لها: «من أنت» ؟ فقالت: أنا جثامة المزنية. قال: «كيف حالكم؟ كيف أنتم بعدنا» ؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» «١» .

قال أبو عمر: هذا أصح من رواية من روى ذلك في ترجمة الحولاء بنت تويت.

قلت: سيأتي بيان ذلك في الحولاء غير منسوبة.

١١٠٥٠- حسنة، والدة شرحبيل بن حسنة «٢» .

قال العجلي: لها صحبة. وقال ابن سعد: هاجرت مع أبيها إلى أرض الحبشة. ذكر إبراهيم بن سعد فيمن هاجر إلى الحبشة من بني جمح معمر بن حبيب، ومعه ابناها خالد، وجنادة، وامرأته حسنة هي أمهما وأخوهما لأمهما شرحبيل بن حسنة.

١١٠٥١- حسانة:

في جثامة.

١١٠٥٢- حفصة بنت حاطب

بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد الأنصارية «٣» ، أخت الحارث بن حاطب.

بايعت النبي صلى الله عليه وسلم، قاله ابن حبيب.

١١٠٥٣- حفصة بنت عمر بن الخطاب

أمير المؤمنين «٤» ، هي أم المؤمنين.

تقدم نسبها في ذكر أبيها، وأمها زينب بنت مظعون، وكانت قبل أن يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عند خنيس بن حذافة، وكان ممن شهد بدرا، ومات بالمدينة، فانقضت عدتها فعرضها عمر على أبي بكر فسكت، فعرضها على عثمان

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٤/٤٢٤

حين ماتت رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أريد أن أتزوج اليوم، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقال: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة» .

فلقي أبو بكر عمر فقال: لا تجد علي، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر حفصة فلم أكن أفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لتزوجتها.

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٢٦٣ وقال رواه الحاكم والديلمي عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أسد الغابة ت ٦٨٥٠، الاستيعاب ت ٣٣٤٣.

(٣) أسد الغابة ت ٦٨٥١.

(٤) مسند أحمد ٦/ ٢٨٣، طبقات ابن سعد ٨/ ٨١، طبقات خليفة ٣٣٤، تاريخ خليفة ٦٦، المعارف ١٣٥، المستدرك ٤/ ١٤، تهذيب الكمال ١٦٨٠، تاريخ الإسلام ٢/ ٢٢٠، العبر ١/ ٥، مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٤، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤١١، خلاصة تذهيب الكمال ٤٩٠، كنز العمال ١٣/ ٦٩٧، شذرات الذهب ١/ ١٠..." [١]

"ذكرها ابن سعد، وقال: أسلمت وبايعت.

وثبت في الصحيحين وغيرهما في حديث الزهري عن عروة، عن عائشة- أن الحولاء بنت تويت مرت بها وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: هذه الحولاء بنت تويت يزعمون أنها لا تنام الليل. فقام «١» النبي صلى الله عليه وسلم: «خذوا من العمل ما تطيقون ... » الحديث.

وللحديث طرق بألفاظ، ولم تسم في أكثرها. ووقع عند أحمد عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري.

١١٠٧٣- الحولاء العطارة «٢» .

استدركها أبو موسى،

وأخرج من طريق أبي الشيخ بسنده إلى زياد الثقفي، عن أنس ابن مالك، قال: كان بالمدينة امرأة عطارة تسمى الحولاء بنت تويت، فجاءت حتى دخلت على عائشة، فقالت: يا أم المؤمنين، إني لأتطيب كل ليلة وأتزين كأني عروس أزف، فأجيء حتى أدخل في لحاف زوجي أبتغي بذلك مرضاة ربي، فيحول وجهه عني، فأستقبله فيعرض عني، ولا أراه إلا قد أبغضني. فقالت لها عائشة: لا تبرحي حتى يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جاء قال: «إني لأجد ريح الحولاء، فهل أتتكم؟ وهل ابتعتم منها شيئا» ؟ قالت عائشة: لا، ولكن جاءت تشكو زوجها. فقال لها: «ما لك يا حولاء» ؟ فذكرت له ما ذكرت لعائشة. فقال: «اذهبي أيتها المرأة فاسمعي وأطيعي لزوجك» . قالت: يا رسول الله، فما لي من الأجر؟ فذكر الحديث في حق الزوج على المرأة والمرأة على الزوج وما لها في الحمل والولادة والفطام بطوله.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٨/٨٥

قلت: وسند هذا الحديث واه جدا. وقد ذكره البزار، وقال: زياد الثقفي راويه بصري متروك الحديث.

١١٠٧٤- الحولاء،

أخرى، لم تنسب.

أخرج أبو عمر من طريق الكديمي، عن أبي عاصم، عن صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: استأذنت الحولاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأذن لها، وأقبل عليها، فقال: «كيف أنت؟» فقلت: أتقبل على هذه هذا الإقبال؟ قال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» .

قال أبو عمر- بعد أن أورده في ترجمة الحولاء بنت تويت: هكذا رواه الكديمي.

والصواب أن هذه القصة لحسانة المدينة كما تقدم.

---

(١) في أفقال.

(٢) أسد الغابة ت ٦٨٦٧.." (١)

"ليس من مارس الحرو ... ب كمن لم يمارس «١»

٧٦- أبو تمام حبيب بن أوس «٢»

أحسن ما قيل فى تحسين الحجاب قوله:

يأيها الملك النائي برؤيته ... وجوده لمراعي جوده كثب

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ... إن السماء ترجى حين تحتجب

وأحسن ما قيل فى «الحث على الاغتراب» قوله:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه، فاغترب تتجدد «٣»

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس، إذ ليست عليهم بسرمد

وأحسن ما قيل في «حسن العهد» قوله:

وإن أولى البرايا أن تواسيه ... لدى السرر لمن واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

واحسن ما قيل في «ذم الشيب على كثرته» قوله:

غدا الشيب مختطا بفودي خطة ... طريق الردى منها إلى النفس مهيع

هو الزور يخفى، والمعاشر ينزوي ... وذو الألف يقلى، والجديد يرقع

له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفع «٤»

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٨/٩٤

وسئل عن أمدح بيت له فأشار إلى قوله:

فلو صورت نفسك لم تزدها ... على ما فيك من كرم الطباع." (١)

"صحوه ولا سكره ولا جده ولا هزله. وما كان إلا محبا للأمير مغتبطا به، ولقد كان يتصنع فى مدح ابن رائق حين كرهه ويقرظه ويصفه فما كان يخفى علينا ضميره فيه هذا من قبل ان يظهر لنا ما فى نفسه عليه فقال لى صدقت والله وكذب هؤلاء، وما يدريهم؟ كان الأمر عندى كما قلت ثم حدثته بما قد ذكرته من قول الراضى «أنا أعلم أن الناس يقولون» . فضحك وقال ما كان إلا نهاية فى عقله ودهائه وملقه،- يريد بحكم هذا وإن لم يلفظ بهذا اللفظ- ولكنى أعتب عليه بانه كان شديد الجبن يؤثر لذته وشهوته على رأيه. فعجبت والله من عقل بجكم، جاء والله بعيبيه اللذين ما كان فيه غيرهما ثم حدثته أنا كنا نقف على مكاتبته الأمير سرا ليأذن له فى المصير إلى بغداد ويشكو إليه ما كان يجرى عليه من ابن رائق فيكتب اليه «عليك بالوفاء لمن اصطعنك، وأحسن اليك» إلى أن كتب اليه الامير «أعوذ بالله أن يكون مولاى يريد قتلى كما يريده ابن رائق لأنه أعطانى جيشا بمال معلوم ثم لم يوفنى استحقاقهم، وهذا يبقى على دمى» وأنه لما ورد عليه كتاب الأمير بهذا كتب اليه: «والله ما أحب أن يتأذى بشيء أقل جندك وأتباعك لموضعك عندى، وما يستحقه شجاعتك ومناصحتك فكيف أحب ما ذكرته فيك وإذ صار الامر إلى هذا، وجعلت وصيتى لك بالتمسك بالوفاء وحسن العهد سببا لزوال أمرك فما أحب هذا، افعل ما يصلحك» فلما قرأ الأمير هذا الكتاب أقبل إلى بغداد. فقال كان كذا والله." (٢)

"المخلوقين أو ما علمت أن كثيرا من العوام يعتقد جواز ذلك إذ رآك ارتكبته فتكون قد سننت هذه السنة وضل بسبب ذلك كثير من الناس أو ما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب أو ما كنت تعير من يرتكب مثل ذلك من الولاة وتتأسف عليه (لا تعير أخاك المؤمن) الحديث

(لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم)

أما انتبهت لما وقع لأهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الأحرار وهتك الحرم (إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام) الحديث وقد أتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكتانة ذلك ولم يستطع إذ ذاك من نظر بنور العلم أن يقول لهم في وزر نظرا إلى ما آل إليه الحال في أهل درعة مع أن جلهم حملة القرآن وعامتهم بله (وأكثر أهل الجنة البله) أفيليق بحق الصلحاء أن يسلط عليهم من لا يرحمهم (ولا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي) (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) (من لا يرحم لا يرحم) (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) أو نسيت أنه يقتص للجماء من القرناء وأن الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض أفي علمك أن حسناتك تفي بما عليك من التبعات أو أنه لا تباعة لأحد عليك ولو كنت بدريا لاحتمل أن يقال في شأنك ما قاله صلى الله عليه وسلم لعمر (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر) فقال (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) أو كما قال صلى الله عليه وسلم (والظلم ظلمات يوم القيامة) أو تستطيع أن تقتحم ظلمات الصراط وأنت مسؤول عن القيراط وحتى أهل تارودانت بلغنا أنه لم يغن في شأنهم الترويع بل بلغ بهم الحال والجور إلى التقريع

---

(١) الإعجاز والإيجاز   الثعالبي، أبو منصور ص/١٦٨

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء   الصولي ٢/٤٣

فاتق الله أيها الشيخ ولا تكن كمن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم هذا ما يتعلق ببعض حقوق الناس على العموم ويتعلق بحق كاتبه على الخصوص إنك أخذت عليه أن يؤدي الطاعة للأمير ويرعى ما هو من شيم المؤمنين من حسن العهد والتبري من الغدر وشق العصا بعد أن بذل وسعه في نصحك ونصح الأمير وحاول بكليته على جمع الكلمة وتعب في ذلك." (١)

"عليها ذلك، فلا تعرف في قومها إلا به، وذكروا أن الشيماء كانت تحضن النبي صلى الله عليه وسلم مع أمها إذ كان عندهم.

(٣٢٩٣) حريملة [١] بنت عبد الأسود،

ماتت بأرض الحبشة، هكذا ذكره الطبري.

(٣٢٩٤) حزمة [٢] بنت قيس الفهرية،

أخت فاطمة بنت قيس الفهرية، تزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فولدت له. حديثها عند الزهري، عن عبد الله بن [٣] عبيد الله.

(٣٢٩٥) حسانة المزنية [٤]

كان اسمها جثامة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنت حسانة المزنية. كانت صديقة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلها ويقول: حسن العهد من الإيمان. أخبرنا عبد الوارث بن سفيان، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا صالح بن رستم، حدثنا ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: من أنت؟

قالت: أنا جثامة المزنية. قال: بل أنت حسانة المزنية، كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فلما خرجت قلت:

يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان. قال أبو عمر: هذه الرواية أولى بالصواب من رواية من روى ذلك في الحولا، بنت تويت؟، والله أعلم، فالحديث عند أبي عاصم واختلف عليه فيه،

---

[١] في أسد الغابة: حرملة وقيل حريملة؟. أخرجها أبو عمر حريملة مصغرة. كذا ذكرها الطبري. وسماها ابن حبيب حرملة.

[٢] حزمة- بسكون الزاى المنقوطة (الإصابة) وفي أسد الغابة: بفتح الحاء وسكون الزاى.

[٣] أ: ابن عبد الله.

[٤] في الإصابة: المدنية.." (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٦٦/٦

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ١٨١٠/٤

"منصور، حدثنا حفص [١] بن ميسرة الصنعاني، حدثنا زيد بن أسلم، عن عمرو بن معاذ الأنصاري، عن جدته حواء، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ردوا السائل ولو بظلف محرق [٢] . وروى المقبري عن عن عبد الرحمن بن بجيد الأنصاري، عن جدته. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا نساء المؤمنات، لا تحقرن إحداكن لجارتها ولو فرسن شاة. وقد ذكرنا الاضطراب في هذا لإسناد في كتاب التمهيد، ومنهم من يجعل حواء هذه هي التي قبلها . [٣]

(٣٣٠٦) الحولاء بنت تويت [٤] ابن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية،

هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت من المجتهدات في العبادة، وفيها جاء الحديث أنها كانت لا تنام الليل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يمل حتى تملوا اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة. وروى أبو عاصم الضحاك بن مخلد، قال: حدثنا صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: استأذنت الحولاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها، وأقبل عليها، وقال: كيف أنت؟ فقلت: يا رسول الله، أتقبل على هذه هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا في زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان. هكذا رواه محمد بن موسى الشامي، عن أبي عاصم بإسناده المذكور، استأذنت الحولاء، ولم يقل بنت تويت ولا نسبها، وقد غلط في ذلك محمد بن موسى الشامي. والله أعلم، لأنه قد روى هذا الحديث عن

---

[١] أ: جعفر.

[٢] أ: محترق.

[٣] في أسد الغابة: فقد جعل أبو عمر حواء ثلاثا: حواء الأنصارية أم بجيد، وحواء بنت يزيد بن السكن. وحواء بنت يزيد بن سفيان. وجعلهن ابن مندة اثنتين: حواء بنت يزيد بن السكن أم بجيد. وحواء بنت رافع. وجعلهن أبو نعيم واحدة: حواء بنت زيد بن السكن وهي أم بجيد، وهي بنت رافع.

[٤] بمثناتين مصغر.." (١)

"فأنزلتهن في مسجد مهجور ثم قصدت مسجدا مأهولا أصلي فيه.

فدخلت مسجدا فيه جماعة لم أر أحسن وجوها منهم، فجلست إليهم فجعلت أدبر في نفسي كلاما أطلب به منهم قوتا للعيال الذين

معي، فيمنعني من ذلك السؤال الحياء، فبينا أنا كذلك إذا بخادم قد أقبل فدعاهم فقاموا كلهم وقمت معهم، فدخلوا دارا عظيمة، فإذا الوزير يحيى بن خالد جالس فيها فجلسوا حوله، فعقد عقد ابنته عائشة على ابن عم له ونثروا فلق المسك وبنادق العنبر، ثم جاء الخدم إلى كل واحد من الجماعة بصينية من فضة فيها ألف دينار، ومعها فتات المسك، فأخذها القوم ونهضوا وبقيت أنا جالسا، وبين يدي الصينية التي وضعوها لي، وأنا أهاب أن آخذها من عظمتها في نفسي، فقال

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ١٨١٥/٤

لي بعض الحاضرين: ألا تأخذها وتذهب؟ فمددت يدي فأخذتها فأفرغت ذهبها في جيبي وأخذت الصينية تحت إبطي وقمت، وأنا خائف أن تؤخذ مني، فجعلت أتلفت والوزير ينظر إلي وأنا لا أشعر، فلما بلغت الستارة أمرهم فردوني فيئست من المال، فلما رجعت قال لي: ما شأنك خائف؟ فقصصت عليه خبري، فبكى ثم قال لأولاده: خذوا هذا فضموه إليكم. فجاءني خادم فأخذ مني الصينية والذهب وأقمت عندهم عشرة أيام من ولد إلى ولد، وخاطري كله عند عيالي، ولا يمكنني الانصراف، فلما انقضت العشرة الأيام جاءني خادم فقال: ألا تذهب إلى عيالك؟ فقلت: بلى والله، فقام يمشي أمامي ولم يعطني الذهب والصينية، فقلت: يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ مني الصينية والذهب، يا ليت عيالي رأوا ذلك.

فسار يمشي أمامي إلى دار لم أر أحسن منها، فدخلتها فإذا عيالي يتمرغون في الذهب والحرير فيها، وقد بعثوا إلى الدار مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار، وكتابا فيه تمليك الدار بما فيها، وكتابا آخر فيه تمليك قريتين جليلتين، فكنت مع البرامكة في أطيب عيش، فلما أصيبوا أخذ مني عمرو بن مسعدة القريتين وألزمني بخراجهما، فكلما لحقتني فاقة قصدت دورهم وقبورهم فبكيت عليهم.

فأمر المأمون برد القريتين، فبكى الشيخ بكاء شديدا فقال المأمون: مالك؟ ألم أستأنف بك جميلا؟ قال: بلى! ولكن هو من بركة البرامكة.

فقال له المأمون: امض مصاحبا فإن الوفاء مبارك، ومراعاة حسن العهد والصحبة من الإيمان.

وفيها توفي: الفضيل بن عياض أبو علي التميمي أحد أئمة العباد الزهاد، وهو أحد العلماء والأولياء، ولد بخراسان بكورة دينور (١) وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع بها الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب

وحصين بن عبد الرحمن وغيرهم.

ثم انتقل إلى مكة فتعبد بها، وكان حسن التلاوة كثير الصلاة والصيام، وكان سيدا جليلا ثقة من أئمة الرواية رحمه الله ورضي عنه.

وله مع الرشيد قصة طويلة.

وقد روينا ذلك مطولا في كيفية دخول الرشيد عليه منزله، وما قال له الفضيل بن عياض، وعرض

---

(١) قال ابن سعد: ولد بخراسان.

وفي تذكرة الحفاظ ١ / ٢٤٦ وابن الاثير ٦ / ١٨٩: ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد وفي صفة الصفوة ٢ / ٢٣٧: ولد بخراسان بكورة أبيورد.

وانظر مروج الذهب ٣ / ٤٣٤ ووفيات الاعيان ٤ / ٤٩.

(*)".[١]

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢١٤/١٠

"فانزلتهن في مسجد مهجور ثم قصدت مسجدا مأهولا أصلي فيه. فدخلت مسجدا فيه جماعة لم أر أحسن وجوها منهم، فجلست إليهم فجعلت أدبر في نفسي كلاما أطلب به منهم قوتا للعيال الذين معي، فيمنعني من ذلك السؤال الحياء، فبينا أنا كذلك إذا بخادم قد أقبل فدعاهم فقاموا كلهم وقمت معهم، فدخلوا دارا عظيمة، فإذا الوزير يحي بن خالد جالس فيها فجلسوا حوله، فعقد عقد ابنته عائشة على ابن عم له ونثروا فلق المسك وبنادق العنبر، ثم جاء الخدم إلى كل واحد من الجماعة بصينية من فضة فيها ألف دينار، ومعها فتات المسك، فأخذها القوم ونهضوا وبقيت أنا جالسا، وبين يدي الصينية التي وضعوها لي، وأنا أهاب أن آخذها من عظمتها في نفسي، فقال لي بعض الحاضرين: ألا تأخذها وتذهب؟ فمددت يدي فأخذتها فأفرغت ذهبها في جيبي وأخذت الصينية تحت إبطي وقمت، وأنا خائف أن تؤخذ مني، فجعلت أتلفت والوزير ينظر إلي وأنا لا أشعر، فلما بلغت الستارة أمرهم فردوني فيئست من المال، فلما رجعت قال لي: ما شأنك خائف؟

فقصصت عليه خبري، فبكى ثم قال لأولاده: خذوا هذا فضموه إليكم. فجاءني خادم فأخذ مني الصينية والذهب وأقمت عندهم عشرة أيام من ولد إلى ولد، وخاطري كله عند عيالي، ولا يمكنني الانصراف، فلما انقضت العشرة الأيام جاءني خادم فقال: ألا تذهب إلى عيالك؟ فقلت: بلى والله، فقام يمشي أمامي ولم يعطني الذهب والصينية، فقلت: يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ مني الصينية والذهب، يا ليت عيالي رأوا ذلك. فسار يمشي أمامي إلى دار لم أر أحسن منها، فدخلتها فإذا عيالي يتمرغون في الذهب والحرير فيها، وقد بعثوا إلى الدار مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار، وكتابا فيه تمليك الدار بما فيها، وكتابا آخر فيه تمليك قريتين جليلتين، فكنت مع البرامكة في أطيب عيش، فلما أصيبوا أخذ مني عمرو بن مسعدة القريتين وألزمني بخراجهما، فكلما لحقتني فاقة قصدت دورهم وقبورهم فبكيت عليهم. فأمر المأمون برد القريتين، فبكى الشيخ بكاء شديدا فقال المأمون: ما لك؟ ألم أستأنف بك جميلا؟ قال: بلى! ولكن هو من بركة البرامكة. فقال له المأمون: امض مصاحبا فإن الوفاء مبارك، ومراعاة حسن العهد والصحبة من الايمان. وفيها توفي:

الفضيل بن عياض

أبو علي التميمي أحد أئمة العباد الزهاد، وهو أحد العلماء والأولياء، ولد بخراسان بكورة دينور [١] وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع بها الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن وغيرهم. ثم انتقل إلى مكة فتعبد بها، وكان حسن التلاوة كثير الصلاة والصيام، وكان سيدا جليلا ثقة من أئمة الرواية رحمه الله ورضي عنه. وله مع الرشيد قصة طويلة.

وقد روينا ذلك مطولا في كيفية دخول الرشيد عليه منزله، وما قال له الفضيل بن عياض، وعرض

---

[١] قال ابن سعد: ولد بخراسان. وفي تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٦ وابن الأثير ٦/ ١٨٩: ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد وفي صفة الصفوة ٢/ ٢٣٧: ولد بخراسان بكورة أبيورد. وانظر مروج الذهب ٣/ ٤٣٤ ووفيات الأعيان ٤/ ٤٩.." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٠/١٩٩

"عيالي يتمرغون في الذهب والحرير فيها، وقد وصل إليهم مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار، وكتاب فيه تمليك الدار بما فيها، وبقريتين جليلتين لهم، فكنت مع البرامكة في أطيب عيش، فلما أصيبوا أخذ مني عمرو بن مسعدة القريتين، وألزمني بخراجهما، فكلما لحقتني فاقة قصدت دورهم وقبورهم فبكيت عليهم. فأمر المأمون برد القريتين عليه وخراجهما. فبكى الشيخ بكاء شديدا، فقال له المأمون: ألم أستأنف بك جميلا؟ قال: بلى، ولكن هو من بركة البرامكة. فقال المأمون: امض مصاحبا فإن الوفاء مبارك، وحسن العهد من الإيمان.

[وممن توفي فيها من الأعيان]

الفضيل بن عياض،

أبو علي التميمي، أحد أئمة العباد، وعلم الزهاد، وواحد العلماء الأولياء، ولد بخراسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع الأعمش، ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن، وغيرهم، ثم انتقل إلى مكة فتعبد بها، وكان حسن تلاوة القرآن، كثير الصلاة والصيام، وكان سيدا كبير الشأن، ثقة من أئمة الرواية، رحمه الله، ورضي عنه، وله مع الرشيد قصة موعظته له، وقد روينا ذلك." (١)

"عاد الحديث من أول دخولنا إلى دمشق

ولما دخلنا إلى دمشق وجدنا رسل الخلافة قد وصلوا بأسباب العاطفة والرأفة وكان حينئذ صاحب المخزن ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر العطار وهو من ذوي الأخطار وله التحكم في الإيراد والإصدار وقد توفر على محبة السلطان وتربية رجائه وتلبية دعائه وتسنية آرائه فوصل كتابه ورسوله بكل ما سر السرائر ونور البصائر وكان الكتاب بخطه وقد جرى للتقرب في شوطه ووفى للتودد بشرطه ولم يقبض في كل ما يشرح الصدر ويرفع القدر عنان بسطه واقترح على السلطان أبياتا يكتبها إليه بخطه فقلت ما ضمنه الكتاب ... وأفاض في شكر العوارف عارفا

بقصور باع الشكر عن نعمائه

وتأمل الخط الكريم فأشرقت

أنوار حسن العهد من أثنائه

وجرى معين الجود من تياره

وسرى نسيم المجد من تلقائه

أضحى ظهير الدين أفضل صاحب

يستمسك الراجي بصدق ولائه

والسعد في آلائه والنجح في

آرابه والنصر في آرائه ...

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٦٠/١٣

وأنشأت إليه عن السلطان كتابا بخطى ابتداؤه

ضاعف الله علاء المجلس السامي الظهيري وساعف بالنجح رجاءه وأردف بالمنح آلاءه ولا أخلى الأيام من التجلي بأنوار حسناته والتحلي بأضواء مكرماته والتملي بأنواع مبراته ولا زالت أطواق المنن منه لأعناق المنن لازمة ومباسم المحامد عن ثنايا الثناء على غر مفاخرة وزهر مآثره باسمة ونفحات مكارمه لمناشق المنى بعرف المناجح وعرف المناجح فاغمة ومعاطس عداته بطوراق الردى من صواعق الصغار وبوارق البوار راغمة ولا برحت مقانب مناقبه لسرايا الحمد مجهزة ومراقب مراتبه لتوقل مطامح الأمل إلى أمده معجزة ونصائع صنائعه لذخاير شكر الأخاير محرزة وحوالي الأحوال بسنا محاسنه ومزايا مزاينه معلمة مطرزة ما همى صيب وهام صب وأرج طيب وراح طب

ووردت المكاتبة الكريمة المفداة والتكرمة الأثيرة المهداة والمكرمة الخطيرة المسداة والعارفة العارفة حق الولاء والموهبة الواهبة نجح الرجاء والمنة المضعفة منة الشكر." (١)

"في تدبير الأحوال والأنفاق من مواد البلاغة التي لا يخشى فيها مع الثروة الاقلال والسيف في الروع لا يخشى الفرق كما أن الدر في اللجة لا يخشى الغرق وهي بحمد الله ملية باملاء المحاسن التي لم يستطعها الأوائل ولا الأواخر إن حضرت فما غاب غائب وإن غابت فما حضر حاضر وهي تخدم بحرا وملكا وواحد قد جعل الله خلقه في فضله مشتركا فلا تستنبط عوائد سحبه ولا تؤثر موثرا على نعمة قربه

وأما الجماعة الذين ذكرت عهدهم فطرته وأطرته ومدحت بلدهم فعمرته وغمرته فكل منهم وصله سلامها فاستطابه واستعاد طيب ذكرها واستثابه واسترجع قصدها في حسن العهد واستصابه واستقصر نفسه عن مقابلة درها بمشخلبة وخشي أن لا يعيد إلى مالك البلاغة قولا الا يقال هذا من حلبه فأمسك صامت اللسان ناطق النية قارع الثنية على ما حرمه من الاستكثار من محاسن مولى قارع المنية وأما تفضل القاضي شمس الدين فأحسن الله جزاه ووفر من الفضل أجزاءه فنعم الصدر الكريم وصاحب الصدر السليم والإمام الذي كل من ناظره أميم وكل من سمع قوله عوذه بحاميم وقد أبقى عندنا من نصفاته ما يبقيه السحاب من الربيع ونحن نسأله في الجديد من غير زهد في الخليع ففلك ذلك الخاطر محال أن يعوقه شيء من دورانه وروض ذلك الفكر لا يستغني أن يستطرف ريان ريحانه ولا تنفرد حضرته العالية بجنى فنونه دوننا وظل أفنانه والنور لا يخفيه معاوضه والمسك لا تكتمه محاوضه وخزانة الكتب فقط كانت حضرته حاضرة أولا أيام جلوتها وآخرا أيام خلوتها وما فصلت غيرها إلا وهي رازمة تحت أثقالها ولا شغلت عنا بها الا بما استبضعت من القليل من جدودها والكثير من أخلاقها وكتابها إذا وصل غنيت بامتاعه وتجهرت وتجهزت رفق السرور الى متاعه وتفرقت محتشدات الأمور عني شعاعا فما أولاها أن تمن به وهي لا تحتاج في الفضل إلى منته

ووصلني أيضا كتاب كريم منه بتاريخ رابع عشر المحرم وهو

وقفت على كتاب حضرة سيدنا لا زالت همه عالية ووفود السعود إليه متوالية وعين عناية الله الجميلة له كالية وفرق اعدائه

---

(١) البرق الشامي العماد الأصبهاني ٦٩/٣

لنار الخطوب صالية واستشففت جوهره الثمين واستشفيت بفضله المبين واستسقيت ماء مورده المعين رفأيت كتابه ورفت." (١)

"وقال صلى الله عليه وآله: " حسن العهد من الإيمان "؛ قال هذا في امرأة كانت تغشاه في منزل عائشة، فكأنها وجدت في نفسها من ذلك. فقال عليه السلام: " إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان ": دل بهذا القول على حفظ الحالة السالفة ومراعاة من شوهد، وحث أيضا على جميع ما كان موصولا به قريبا منه، لأن اللفظ مطلق إطلاقا، وفي ضمنه إيضاح عن حسن الخلق، وقد قال عليه السلام: " إن أحدكم ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم ". وكيف لا يقول هذا وقد قاله الله عز وجل " وإنك لعلى خلق عظيم ".

٦٥١ب - سمعت القاضي أبا حامد يقول: لما نهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبء الرسالة، وأدى ما فيها من حق الأمانة، وبلغ الحد فيما رسمه التكليف وورد به الأمر، أمره الله عز وجل بأشياء تكميلا لشأنه ودلالة على فخامة أمره فقال " خذ العفو " وقال " فإذا الذي." (٢)

"عباس قال كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك، وقال ابن المبارك حدثنا هشام بن سعد عن ثابت البناني سمع إبراهيم بن محمد زمن يزيد بن الوليد أن أباه حدثه عن ابن عباس، وقال لنا قتيبة حدثنا الليث عن هشام عن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن ابن عباس - في القدر، حدثني إسحاق قال حدثنا أبو داود قال ثنا زياد أبو عمر (١) قال ثنا إبراهيم بن محمد عن أبيه سمع ابن عمر أو ابن عباس - في القدر.

٩٩٩ - إبراهيم بن محمد بن سعد بن ابى وقاص اصله مدنى روى عنه الكوفيون، القرشي الزهري، روى عنه المسعودي ويونس بن أبي إسحاق، وقال لنا مالك بن اسمعيل حدثنا عيسى بن عبد الرحمن سمع إبراهيم بن محمد عن أبيه عن جده سعد قال أحب ميتة إلي أن أموت دون مالي مظلوما.

١٠٠٠ - إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان - حجازي مولى لبني عامر بن لؤي روى عنه ابن المبارك، مرسل " وقال يعقوب ابن محمد حدثنا إسحاق بن جعفر سمع إبراهيم عن محمد بن زيد التيمي عن عائشة: قال النبي صلى الله عليه وسلم حسن العهد من الايمان.

---

(١) كو " أبو عمرو ".

(*)". (٣)

---

(١) البرق الشامي العماد الأصبهاني ١٠٨/٣

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢١١/٧

(٣) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ٣١٩/١

"١٠٠٠- إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، حجازي.

مولى لبني عامر بن لؤي.

روى عنه ابن المبارك، مرسل.

وقال يعقوب بن محمد: حدثنا إسحاق بن جعفر، سمع إبراهيم، عن محمد بن زيد، التيمي، عن عائشة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: حسن العهد من الإيمان".." (١)

"من أصحاب الجاه وكانوا يكاتبونه ويستفيدون من كتبه.

مما كتب إليه الصاحب الجليل كان يا شيخي أطال الله بقاك وأحسن عن حسن العهد جزاك فإنك إذا بخلت الأيام باقترابك سمحت لنا بكتابك فنفكه عن ليل يضم عطفي نهاره ونفضه عن نسيم غرار ونذكر به ما نذكره للأعرابي بيرف لمع بوهبين وسحاب نشأ إزاء يبرين أو الحجازي هبت عليه الصبا من مرمى الجمار: واشتاقت داره عند عبد الدار نعم ووصل ما أنشأت كعهد الوصال وكالماء الزلال وكالسحر الحرام والحلال فامتنع السمع بروايته وأرتعنا الطرف في حدائقه وكدنا نقدمك في الكتابة على آل الجراح ووهب ولولا كراهة الغلو لارتقينا بك في الخطابة إلى ذوابة مخزوم وعبد شمس.

فأما هاشم فلها المثل الأكبر ودونها السواد الأعظم وكيف كنت فقد أوقدت للبيان نارا تفرع كل نار وترفع بين هندي وغار ونعود لوصف الشوق فتدعى أن لو أعجنا أكثر من لوائحك وجوانحنا أحمى به من جوانحك وبرهان ذلك أنا حين استطعنا ورود قزوين جئناك نمتطي صهوة الشمال ونقتعد غارب الجنوب.

ها أنت منذ حولين كاملين قد أنكرت هذا المعروف وتركت هذا المحصب فلا حجة مقبولة ولا عمرة مبرورة. ولا تلبية في الأشهر الحرام ولا هدى بالغ الكعبة للامم ولعمري إنك حين تصدرت تملى المسانيد وتهجر المقاطيع وترفع الأحاديث وتضع المراسيل وتعدل أشياخ الشام تعصبا وتجرح رواة الكوفة تغضبا." (٢)

"يزيد تكرما وصفا ود ... وحسن العهد فعلا واعترافا

سلام الله والسقيا سجالا ... عليه ما سرى طيف وطافا

فلواني استطعت ركبت شوقا ... إليه الريح لا الجرد العجافا

ولكن الليالي عايذتني ... وغب السلم أبدت لي خلافا

وأيضا:

كيف اعتذاري وقد جرعت ودكم ... كاس العقوق فما عذري لتقصيري

معنى العلوم ومغنى كل مكرمة ... ومعدن الفضل والأفضال والخير

منى قصور وأقصار ويغمرني ... من بركم كل يوم كل توفير

لو كنت أملك نفسي ما هجرتكم ... يوما أفيكم بميسوري ومعسوري

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل البخاري ٣١٩/١

(٢) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ٢٣٨/٣

توفي وشبابه غض وكثرت فيه المراثي

ناصر بن زهير بن علي الحذامي أبو الفتح بن أبي نصر من أسباط الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير روي بقزوين أحاديث أبي مكيس دينار بن." (١)

"- والذين يكفون فروجهم عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه، وهو الزوجة وملك اليمين الذي هو الإماء، حين كان الرق قائما، فلا لوم في الاستمتاع المشروع بهما، فمن قصد المتعة بغير هذين السبيلين: الزواج والتمتع بملك اليمين، فهم المتجاوزون الحدود، المعتدون الضارون.

وقوله: غير ملومين معناه أنهم غير ملومين على أزواجهم وما ملكت أيمانهم.

وابتغى معناه: طلب، وقوله: وراء ذلك معناه سوى ما ذكر.

- والذين يؤدون الأمانات التي يؤتمنون عليها إلى أهلها، ويوفون بالمعاهدات والاتفاقات والعقود المبرمة، ولا ينقضون البيع ولا شيئا من الشروط المتفق عليها.

فإذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وإذا حدثوا لم يكذبوا. وهذه صفات المؤمنين، وأضدادها صفات المنافقين. والأمانات: هي في الأموال والأسرار، وفيما بين العبد وربه تعالى، فيما أمره به ونهاه عنه. قال الحسن: الدين كله أمانة. والعهد:

كل ما تقلده الإنسان من قول أو فعل أو مودة. أخرج البخاري في كتاب الأدب:

«حسن العهد من الإيمان» . وراعون جمع راع، أي حافظ.

- والذين يؤدون الشهادة على الحقوق والمنازعات في محاكم القضاء بحق، ويحافظون عليها دون زيادة ولا نقصان، ودون مجاملة لقريب أو بعيد، أو رفيع أو ذي منصب وجاه، ولا يكتمونها ولا يغيرونها. ولا يكون أداء الشهادة في حقوق العباد إلا بعد طلب لأداء الشهادة، أما في حقوق الله تعالى كمنع منكر وقمع مخالفة فتؤدي حسبة من دون طلب.

- والذين يحافظون على مواقيت الصلاة وأدائها بأركانها وواجباتها ومندوباتها، لا يخلون بشيء منها، ولا يتشاغلون بشاغل عنها، ولا يفعلون بعدها ما يتناقض معها، فيبطل ثوابها، وتضيع ثمرتها. وذلك بالدخول فيها في حماس ورغبة بها." (٢)

"ثم بمن تعول ". " المجالس بالأمانة ". " خير الأمور أوساطها ". " من أتى السلطان فتن ". "كل ميسر لما خلق له ". " لا تمسح يدك بثوب من لم تكسه ". " اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ". " إياك وما يعتذر منه ". " حسن العهد من الإيمان ". " الوحدة خير من جليس السوء ". " السعيد من اتعظ بغيره ". " استعينوا على الحوائج بالكتمان ". " الخير عادة والشر لجاجة ". " البركة في البكور ". " بلوا أرحامكم ولو بسلام ". " اليمين حنث أو مندمة ". " الندم توبة ". " لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا ". " الندم توبة ". " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ". " ما هلك امرؤ عرف قدره ". " من كثر سواد قوم فهو منهم ". " إليك انتهت الأماني يا صاحب العافية ". " انصر أخاك ظالما أو مظلوما ". " انتظار الفرج

---

(١) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ١٥٥/٤

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٧٣٧/٣

بالصبر عبادة ". " لا تطرحوا الدر في أفواه الكلاب ". " الأعمال بخواتيمها ". " ساقي القوم آخرهم شربا ". " احترسوا من الناس بسوء الظن ". " المرء على دين خليله، فلينظر امرؤ من يخال ". "كاد الفقر أن يكون كفرا ". " لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ". " نعم صومعة الرجل بيته ". " المستشير معان، والمستشار مؤتمن ". " ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن ". " المرء كثير بأخيه ". " لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له ".

أنموذج ينخرط في سلك الأمثال من كلام الصحابة
والتابعين رضي الله تعالى عنهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه: صنائع المعروف تقي مصارع السوء. الموت أهون مما بعده، وأشد مما قبله. ليست مع العزاء مصيبة. ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر.." (١)

"الذين يحضرون القسمة ولا يرثون، وإعطائهم نصيبا من التركة، إذا كان مال التركة وافرا، والاعتذار إليهم إذا كان مال التركة قليلا.

قال أبو بكر (ابن العربي) المعافري في كتابه " أحكام القرآن ": (والصحيح أنها – أي هذه الآية – مبينة استحباب المشاركة لمن لا نصيب لهم من الإرث، بأن يسهم الورثة لهم من التركة، ويذكروا لهم من القول ما يؤنسهم، وتطيب به نفوسهم. وهذا محمول على الندب من وجهين:

أحدهما: أنه لو كان فرضا لكان ذلك استحقاقا في التركة، ومشاركة في الميراث، لأحد الجهتين معلوم، وللآخر مجهول، وذلك مناقض للحكمة وإفساد لوجه التكليف.

الثاني: أن المقصود من ذلك هو الصلة، ولو كان فرضا يستحقونه لتنازعوا منازعة القطيعة). انتهى كلام ابن العربي.

ومما تناولته آيات هذا الربع حسن المعاشرة وحسن العهد بين الزوج والزوجة، ووجوب ترفع الأزواج عن استغلال زوجاتهم أو الضغط عليهن بحبسهن إلى الموت، للتمتع بإرثهن، وعن الإضرار بهن، لاسترجاع ما قدموا إليهن من الصداق عند الزواج، وضرورة تحمل الزوج لبعض المتاعب من زوجته حفظا للأسرة من الانهيار، وتفاديا للفراق بينهما والطلاق، وذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم." (٢)

---

(١) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٢٨

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٣١٩/١

"وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت وأبي أمامة

مثله

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر

مثله

وأخرج البخاري في تاريخه والحاكم وصححه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن العهد من الإيمان

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ قال: الرحم والقرابة

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿ويفسدون في الأرض﴾ قال: يعملون فيها بالمعصية

وأخرج ابن المنذر عن مقاتل في قوله تعالى ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ يقول هم أهل النار

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر ومسرف وظالم وفاسق فإنما يعني به الكفر وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب." (١)

"(مغري لقبض وبسط ... وما له من يدين)

(ويقطع الأرض سعيا ... من غير ما قدمين)

مات سنة ٧٣٩ عن نحو من خمسين سنة

٤٧٢ - أحمد بن عبد الله بن عبد الله الشريفي المكي الفراش بالحرم المكي ولد بقوص سنة ٦٧٣ وسمع بأخميم من ابن عبد الظاهر وبالقاهرة من ست الوزراء وابن الشحنة وبمكة من النجم الطبري وبالمدينة من الجمال ابن المطري وذكر أنه كان أضر فشرب من ماء زمزم للشفاء من ذلك فعوفي ومات في شوال سنة ٧٦٢

٤٧٣ - أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي أبو جعفر قال ابن الخطيب كان ساذجا على سنن من الخير وحسن العهد وكان قد قرأ صناعة الطب وهو والد الطبيبة الأديبة أم الحسين وولي القضاء بلوشة بلد سلفه وكان حسن الطريقة ومات في الطاعون سنة ٧٥٠

٤٧٤ - أحمد بن عبد الله بن علي الحديثي ابن السمسار المقرىء الملقن بالجامع الأموي مات في المحرم سنة ٧٧٦

٤٧٥ - أحمد بن عبد الله بن الفار بالفاء وتشديد الراء الكركي كان زاهدا عابدا كثير الأداب مات سنة ٧٨٥

٤٧٦ - أحمد بن عبد الله بن فرحون المالكي قاضي المدينة الشريفة ...." (٢)

"١١٣١ - محمد بن الحسن بن محمد اليحصبي أبو عبد الله الباروني نزيل تلمسان قال ابن الخطيب كان من صدور الفقهاء حسن التعليم أخذ عن القاضي أبي الحسن الصغير وأبي زيد الجزولي وغيرهما ودرس بغرناطة وسبتة وغيرهما وكانت فيه خدمة وجرت عليه بسببها محنة ومات بتلمسان ١٣ شوال سنة ٧٣٤

١١٣٢ - محمد بن الحسن بن هلال النقاش أحد أصحاب القطب القسطلاني سمع الكثير وكتب بخطه كثيرا وكان صالحا

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ١٠٥/١

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢١٥/١

مات في صفر سنة ٧٠١

١١٣٣ – محمد بن الحسن بن أبي الحسن الغزي الشافعي الضرير بدر الدين ابن شمس الدين إمام الجامع الأقمر ولد سنة ٦٥٥ واسمع على النجيب وابن علاق وعبد الملك بن أبي حامد بن العجمي حدثنا عنه شيخنا برهان الدين الشامي بالسماع منه ومات سنة

١١٣٤ – محمد بن الحسن النسابي أحد الأمراء العشرات بدمشق وكان أحد الحجبة وحكام البندق ومات في رمضان سنة ٧١١

١١٣٥ – محمد بن حسن العثماني الشريف الفاسي قال ابن الخطيب كان حسن البزة ساذجا ينظم الشعر ويذكر كثيرا من المسائل الفروعية والفرضية مع حسن العهد وقلة التصنع وله شعر حسن وكانت وفاته في شهر رمضان سنة ٧٣٨

١١٣٦ – محمد بن أبي الحسن بن إسماعيل بن أبي المحاسن بن عبد الله بن حرب ابن طلائع الكناني شمس الدين البهنسي نزيل حلب سمع من سنقر." (١)

"كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة بن أبي زيد حسن الإقراء لهما وله عليهما تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصغير قال المؤلف: حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الأندلس من فاس ولم أر في متصدري مدته أحسن تدريسا منه.

كان فصيح اللسان سهل الألفاظ موفيا حقوقها وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة وكان مع ذلك سمحا فاضلا حسن اللقاء – امتحن بصحبة السلطان فصار يستعمله في الرسائل فانصرف في ذلك حظ كبير من عمره لا في راحة ولا في نصيب الآخرة.

وهذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتا إلى ما يعطونه لا إلى ما يأخذون من عمره وراحته – لطف الله بنا وبمن ابتلى بذلك وخلصنا خلاصا جميلا.

وذكره بن الخطيب في كتابه المسمى عائد الصلة فقال: الشيخ الفقيه الحافظ القاضي من صدور المغرب له مشاركة في العلم وتبحر في الفقه كان وجيها عند الملوك واستعمل في السفارة وكان حسن العهد مليح المجالس كريم الطبع قيد على المدونة – بمجلس شيخه القاضي أبي الحسن – كتابا مفيدا وضم أجوبته على المسائل في سفر وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الإفادة ولازم أبا الحسن الصغير.

وهو كان قارئ كتب الفقه عليه وجل انتفاعه في التفقه به وروى عن أبي زكريا بن ياسين قرأ عليه الموطأ إلى كتاب المكاتب وكتاب الدية." (٢)

"ثم انصرف هو إلى الأندلس سنة خمس وتسعين وقدم بلده إشبيلية: بعلم كثير لم يأت به أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق.

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ١٦٥/٥

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ابن فرحون ٢٧٢/١

وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع له متقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها نافذا في جميعها حريصا على أدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود: فسكن بلده وشوور فيه وسمع ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ورحل إليه للسماع وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة حسنة مفيدة منها: أحكام القرآن كتاب حسن وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس وعارضة الأحوذي على كتاب الترمذي والقواصم والعواصم والمحصول في أصول الفقه وسراج المريدين وسراج المهتدين وكتاب المتوسط وكتاب المتكلمين.

وله تأليف في حديث أم زرع وكتاب الناسخ والمنسوخ وتخليص التلخيص وكتاب القانون في تفسير القرآن العزيز وله غير ذلك من التآليف. وقال في كتاب القبس: إنه ألف كتابه المسمى: أنوار الفجر في تفسير القرآن في عشرين سنة ثمانين ألف ورقة وتفرقت بأيدي الناس.

قلت: وأخبرني الشيخ الصالح أبو الربيع: سليمان بن عبد الرحمن البورغواطي في سنة إحدى وستين وسبعمائة بالمدينة النبوية قال: أخبرني." (١)

"ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ... ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب؟

ولو أن كل العالمين تألقوا ... على مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنه هيبة وتأهبا ... وخوفا وإعظاما لأرفع جانب

ورب سكوت كان فيه بلاغة ... ورب كلام فيه عتب لعاتب

وله أيضا:

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت ... فما أطيق لها حصرا ولا عددا

وليس لي بعذاب النار من قبل ... ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا

فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ... ولا تذيقنني حر الجحيم غدا

توفي شهيدا يوم الكائنة بطريف في عام أحد وأربعين وسبعمائة رحمه الله تعالى.

محمد بن إبراهيم بن محمد السياري ويعرف بالبياني

يكنى أبا عبد الله من أهل غرناطة كان رحمه الله تعالى حسن الطريقة في الخير مأمون الغائلة كهفا للطلبة حسن العهد حسن الخلق كثير التواضع.." (٢)

"فيهم متبركا به على سنن الصالحين من الزهد والانقباض سني المنازع شديد الإنكار على أهل البدع والأهواء.

جلس للتدريس العام بالمسجد الجامع وأقرأ به الفقه والعربية والفرائض وأخذ عن أبي علي بن أبي الأحوص وأبي جعفر بن

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ابن فرحون ٢/٢٥٤

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ابن فرحون ٢/٢٧٦

الزبير وأبي محمد بن أبي السداد والقاضي أبي القاسم المكوى. وله تقييد حسن في الفرائض وجزء في تفضيل التين على التمر وكلام على نوازل من الفقه. فقد في الكائنة العظمى بطريف وقد تقدم أنها كانت عام أحد وأربعين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة يكنى أبا بكر ويعرف بابن حفيد الأمين كان فقيها جليلا حافظا لفروع الفقه إماما منقبضا يدرس مختصر بن الحاجب الفرعي عمره وعرضه في مجلس واحد واجتهد اجتهادا كثيرا ورحل إلى المشرق فحج ورجع إلى الأندلس وكان أكثر أهل بيته تواضعا وأملحهم خلقا جميل الاعتقاد في الناس متحليا بالصدق والعفاف مثابرا على الخير حسن العهد على سنن الصالحين متقشفا. توفي عام ستة وثلاثين وسبعمائة أو في حدوده.." (١)

"لا عار ولا في الفرار فقد ... فر نبي الهدى إلى الغار ونظرت في مفارقة الوطن، والبين عن الأحبة، فتبين لي أن إيحاش نفسي، بإيناس أهلي، وقطعها في صلة وطني، غبن في الرأي، وخور في العزم، ووجدت الحر ينام على الثكل، ولا ينام على الذل، وأذنت إلى قولهم: ليس بينك وبين البلاد نسب فخيرها ما حملك.

وإذا نبابك مبزل فتحول ...

وقال بعض المحدثين:

أرى الناس أحدوثة ... فكوني حديثا حسن

كأن لم يزل ما أتى ... وما قد قضى لم يكن

إذا وطن رابني ... فكل مكان وطن ولم أستغرب أن أسام مثل هذا الخسف في مسقط رأسي، ومعق تمائمي، وأول أرض مس ترابها جلدي، فقديما ضاع المرء الفاضل في وطنه، وكسد العلق الغبيط في معدته؛ قال بعضهم:

أضيع في معشري وكم بلد ... يعد عود الكباء من حطبه فاستخرت الله عز وجل، واضح العذر، ثابت قدم الحجة، عند من غض عين الهوى، وخزن لسان التعسف. والله يصيب غرض الصواب برأيي، ويقرب غاية النجاح على سعيي، حسبما في علمه أني مظلوم مبغي عليه، منسوب ما لم آته إلي، فهو المؤمل بذلك والمرجو له.

ولعمرك يا سيدي إن ساحة العذر لتضيق، وما تكاد تتسع لك في إسلامك لتلميذك وابن جارك وشيخك الذي لم تزل متوفرا عليه، آخذا عنه، مقتبسا منه، مع إكثارك من ذكر هذا، والاعتداد به، وادعاء الحفظ له. وقد رويت أن حسن العهد." (٢)

"الود وانتحاله، وحسن العهد وجماله، تمتريه كل فرقة، وتتعاطاه كل طائفة، حتى قد كاد يقع الالتباس بين المحق والمبطل، وتختلج الظنون والظنن في عيان المتأمل، بكثرة الدعاوى في الناس والنفاق، وعدم التصافي في الأغلب والوفاق، فالكلام منهل مورود، وحبل ممدود، وباب غير مسدود، فما عسى الموالي المحق أن يكتب به، معربا عن صحة ضميره ومذهبه، ولعل الظنين المستراب به قد سبق من القول في هذا الباب إلى كل ثنية، وأتى من الإسهاب والإغراب بكل قضية

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ابن فرحون ٢/٢٨١

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١/٤١٣

سنية، قبل إعمال الروية، فهي ألفاظ مشتركة غير متميزة، وكلمات مختلطة غير متحيزة.

وفي فصل من أخرى [له] : وكنت أضرب صفحا عن ذكر حالي معك والاتباطها، وانجذاب نفسي إليك وانبساطها، وامتزاج ذاتي بك واختلاطها، إلا أني قلت: لا بد للنفوس من أن تظهر ألإعالها، وللحقائق ان تعطي أحوالها، فإن وراء كل دعوى، ستارا من النجوى، يعلم به هل تغلغلت في الضمير ذاهبة، أو أخذت في بعض الجوانب وازبة؛ وعلمت أنه لا بد من شواهد اللسان، مع معاقد الجنان، والله المطلع على الضمائر لم يقبل عقد الإيمان، حتى يصحبه عقد اللسان، ولهذا السبب لا بد." (١)

"الله –صلى الله عليه وسلم– ولأبي عبيدة بن الجراح: "عليكما ١ " يريد طلحة وقد نزف، فأصلحنا من شأن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار، فإذا فيه بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت أصبعه، فأصلحنا من شأنه. أخرجه صاحب الصفوة، وأخرج أبو حاتم معناه ولفظه: قال: قال أبو بكر: لما صرف الناس يوم أحد عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كنت أول من جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فجعلت أنظر إلى رجل بين يديه يقاتل عنه ويحميه، فجعلت أقول: كن طلحة فداك أبي وأمي، مرتين؛ ثم نظرت إلى رجل خلفي كأنه طائر، فلم أنشب أن أدركني، فإذا أبو عبيدة بن الجراح فدفعنا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وإذا طلحة بين يديه صريع؛ فقال النبي –صلى الله عليه وسلم: "دونكم أخاكم" فأهويت إلى ما رمي به في جبهته ووجنته لأنزعه؛ قال لي أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني. قال: فتركته، فأخذ أبو عبيدة السهم بفمه فجعل ينضنضه، ويكره أن يؤذي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم استله بفمه؛ ثم أهويت إلى السهم الذي في وجنته لأنزعه؛ فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني. فأخذ السهم بفمه، وجعل ينضنضه، ويكره أن يؤذي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم استله؛ وكان طلحة أشد

---

١ أي: ارمياه بما يصلح شأنه، وتلك العناية بطلحة منه –صلى الله عليه وسلم– دليل رحمته –صلى الله عليه وسلم– ووفائه وحسن صنيعه وتقديره، وصدق الله العظيم إذ قال لصلاح المجتمع، وحسن حال الفرد: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ .

والدنيا اليوم في حاجة ملحة إلى الاقتداء به –صلى الله عليه وسلم– في هذين الخلقين العظيمين: الرحمة والوفاء، وهما من أظهر شعب الإيمان وصفات المؤمنين، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" رواه الإمام أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما– والوفاء من حسن العهد، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن حسن العهد من الإيمان" رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة –رضي الله عنها.." (٢)

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥/١٩٤

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٤/٢٥٣

"قد اهتم إلى حد كبير بتجميع الأموال لحسابه وحساب أهله وأقاربه حتى أن زنكي لدى عودته إلى الموصل بعد مقتل جقر، استخرج ذخائره وصادر معظم ما لأولئك الأقارب (1). إن أهم الأعمال التي أنجزها جقر خلال فترة نيابته هي إحكامه لاسوار الموصل. وحفره لخنادقها ودفاعه عنها ضد حصار الخليفة المسترشد العباسي عام ٥٢٧هـ الذي اضطر أخيرا إلى الإنسحاب بسبب صمود جقر (٢) لقيادة جيوش زنكي لدى مهاجمة حصون الأكراد في الجهات الجبلية شمالي الموصل، حيث تمكن من الاستيلاء على معظمها (٣)،

كان يساعد جقر في حكم الموصل وال يعينه هو (٤).

ب- زين الدين علي كجك بن بكتكين ٥٣٩ - ٥٤١هـ: يعتبر زين الدين علي كجك من أبرز رجال عماد الدين، وأحد قادته الكبار وقد اشترك معه في معظم حروبه في بغداد والشام ومناطق الأكراد وكان زين الدين رجلا صالحا، ذا أصل تركماني، لقب بكجك أي: القصير اللطيف وكان معروفا بالقوة والشجاعة والأقدام رؤوفا بالفقراء مواسا للمرضى (٥). اشتهر بالمحافظة على حسن العهد، وأداء الأمانة، ولم يمارس غدرا قط (٦)، وبلغ من تقواه أن قال عنه زنكي: إنه يخاف الله ولا يخافني (٧)، وقد رأى عنه أهل الموصل كل خير (٨)، واستقام له الأمر، وحسنت بتدبيره الأحوال (٩)، وانتشر الأمن في المنطقة وازداد عمران البلاد (١٠)، وتحققت بهذا آمال السكان (١١).

ت- نائب زنكي في حلب: أدرك زنكي أهمية حلب بالنسبة لأعماله العسكرية والسياسية في الشام فاتخذها قاعدة له في المنطقة واعتبرها عاصمته الإدارية هناك، وأقام فيها جهازا إداريا يشابه إلى حد ما ذاك الذي أقامه في الموصل، وجعل على رأس هذا الجهاز نائبه في حلب ليقوم في منطقة الشام بما يقوم به نائبه في الموصل في الجهات الشرقية من إمارته (١٢) وقد جعل عماد الدين زنكي نائبه في حلب المسؤول الأعلى عن الجهاز الإداري هناك، وكان نائبه من كبار القادة العسكريين وكان يطلق عليه أحيانا اسم " مقدم زنكي في حلب " ومن

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٣١٦).

(٢) المصدر نفسخ (١/ ٣١٥ - ٣١٦).

(٣) الباهر ص ٦٤ عماد الدين زنكي ص ٢٤٠ ..

(٤) عماد الدين زنكي ص ٢٤٠.

(٥) الاعتبار ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٦) الباهر ص ١٣٥.

(٧) الاعتبار ص ١٥٧ عماد الدين زنكي ص ٢٤١.

(٨) وفيات الأعيان (١/ ٣١٦) عماد الدين زنكي ص ٢٤٢.

(٩) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(١٠) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(١١) الباهر ص ٨٤ عماد الدين زنكي ص ٢٤٢.

(١٢) زبدة حلب (٢/ ٢٤٥) عماد الدين زنكي ص ٢٤٥.." [(١)]

"رجليه بين أصحابه. يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه بالجلوس عليها إن أبي، ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم، ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته، وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وطعن في الحديث الذي ورد بذلك، وإذا سمع بكاء الصغير وهو يصلي تجوز فيها: أي خففها.

أكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم، قال تعالى:

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧) [الأنبياء: الآية ١٠٧] ومن ثم رغب صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أن يجعل سبه ولعنه لأحد من المسلمين رحمة له: أي إذا كان لا يستحق ذلك السب في باطن الأمر ويستحقه في ظاهر الأمر. أي وقال صلى الله عليه وسلم: «من لا يرحم لا يرحم» أوصل الناس للرحم، وأقومهم بالوفاء وحسن العهد.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» .

وكان يركب الحمار: أي وربما ركبه عريانا ويردف خلفه. فعن أنس رضي الله عنه: رأيته صلى الله عليه وسلم يوما على حمار خطامه ليف، أي وقد جاء أن ركوب الحمار براءة من الكبر، وكان يجلس على الأرض، وكان يشرب قائما وقاعدا وينتعل قائما وقاعدا، ويصلي منتعلا وحافيا.

وفي لفظ: كان أكثر صلاته صلى الله عليه وسلم في نعليه وكان يحب التيامن في شأنه كله في طهوره وترجله وتنعله، وكان يحب السواك حتى لقد أحفى لثته. وكان يكتحل بالإثمد عند النوم ثلاثا في كل عين. وفي لفظ: ثلاثا في اليمنى ومرتين في اليسرى.

وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالإثمد، فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر، وإنه من خير أكحالكم» وكان يعود المساكين ويجلس بين أصحابه.

«وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم، وقال: اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة» كما تقدم، وأهدى في حجة ذلك مائة بدنة كما تقدم.

وكان يفلي ثوبه، أي وإن كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن القمل لا يؤذيه، ويحلب شاته، ويخصف نعله، ويرقع ثوبه ويخدم نفسه، ويعلف ناضحه وهو الجمل الذي يسقي عليه الماء، ويقم البيت.

قال وعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت، وأكثر ما يعمل الخياطة، ما يرى فارغا قط في بيته، إما يخصف نعلا لرجل مسكين، أو يخيط ثوبا لأرملة انتهى، ويأكل مع الخادم، ويحمل بضاعته من السوق، ويحب الطيب، ويأمر به.." [(٢)]

---

(١) السلطان الشهيد عماد الدين زنكي شخصيته وعصره   علي محمد الصلابي ص/٤٣

(٢) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون   نور الدين الحلبي ٣/٤٧٩

"فقرب إليه لحم، فجعل يناولها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يدك، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» (١).

٦ – الحكمة في زواج أم سلمة:

والحكمة في هذا الزواج –كما يقول صاحب تفسير المنار–: ليس لأجل التمتع المباح له، وإنما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بجودة رأيها يوم الحديبية، ولتعزيتها أي بوفاة زوجها (٢) ، ولا ننسى كذلك أن أم سلمة من بني مخزوم أعز بطون قريش، وهي التي كانت تحمل لواء الحرب والمواجهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووراء هذا الزواج تفتيت حقد هذه القبيلة وتقريب قلوب أبنائها، وتحبب إليهم ليدخلوا في الإسلام بعد أن صاروا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣).

وفي هذا الزواج فقه النبي صلى الله عليه وسلم في البناء الداخلي للأمة، وتأدية حق الشهداء في زوجاتهم، وحق هذه الزوجات من أن ينهلن من نور النبوة ما يشاء الله أن ينهلن لكي يبلغن عن رسول الله (٤).

وكانت أم سلمة آخر من مات من أمهات المؤمنين، وكانت وفاتها سنة إحدى وستين، وقد روت عن رسول الله أحاديث، يبلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وثمانين حديثا، واتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر (٥). لقد ساهمت في نشر العلم والحكمة عن رسول الله وبموتها انطفأ آخر مصباح من مصابيح أمهات المؤمنين طالما شع النور والهدى والعلم، فرضي الله عنها وأرضاها (٦).

ثالثا: مولد الحسن بن علي رضي الله عنهما:

قال الإمام القرطبي –رحمه الله–: ولد الحسن في شعبان من السنة الرابعة وعلى هذا ولد الحسين قبل تمام السنة من ولادة الحسن، ويؤيده ما ذكره الواقدي أن فاطمة علقت بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة. وجزم النواوي في التهذيب أن الحسن ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة (٧).

يقول علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: لما ولد الحسن سميته حربا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سنده قوي رواه الحاكم (١/ ٦٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥١٧).

(٢) انظر: تفسير المنار (٤/ ٣٧٢).

(٣) انظر: التربية القيادية (٣/ ٣٥٦).

(٤) المصدر نفسه (٣/ ٣٥٧).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٠).

(٦) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٢٤٨، ٢٤٩).

(٧) انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١/ ١٠).." [١]

"وقد كان ذكره صلى الله عليه وسلم الدائم لخديجة، وثناؤه عليها يثير غريزة الغيرة في نفس عائشة، فتنال منها، ولكن رسول الله كان يقسو عليها في الرد، مما جعلها تؤلي على نفسها ألا تعود. روى الإمام أحمد والطبراني بسندهما عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام، فأخذتني الغيرة، فقلت:

هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها، فغضب ثم قال: «والله ما أبدلني خيرا منها، امنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها» ، قالت عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بعدها بسبة أبدا) !! وروى نحوه البخاري.

ولم يقف الوفاء عند ذكرها، بل كان يحب حبيباتها، ويصلهن، فكان يذبح الشاة، ويقطعها، ويقول: «أرسلوا إلى صديقات خديجة» رواه البخاري.

وكانت تستأذن عليه هالة بنت خويلد أخت خديجة فيذكره صوتها بصوت خديجة، وحديثها العذب، وأيامها الحلوة، فيهش لها، وترتاح نفسه لذلك، وتشرق أسارير وجهه «١» .

وجاءته ذات يوم امرأة عجوز من صويحباتها فأحسن لقاءها، وصار يسأل عن أحوالها، وما صارت إليه، فقالت عائشة لما خرجت: تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال: «إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» رواه الحاكم، والبيهقي في الشعب. فلله هذه السيدة العاقلة الطاهرة، التي لها دين كبير في عنق كل مسلم ومسلمة.

---

(١) صحيح البخاري- كتاب- الفضائل باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها.." [٢]

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث علي محمد الصلابي ص/٥٤٦

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد أبو شهبة ١/٤٠٠

«اللهم إن كنت تعلم أني امنت بك وبرسلك ... » ١٠٩

«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» ٣٩٦

«اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر ... » ٣٥٥

«اللهم حوالينا ولا علينا» ٣٨٨

«اللهم عليك بهذا الملأ من قريش ... » ٢٩٦

[الباء] «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ... » ٤٣٨." (١)

"فلما أخبرت الرسول تبسم وقال: «بئسما جزيتيها أن حملك الله عليها ونجاك بها، ثم تنحرينها، إنه لا نذر في معصية، ولا فيما لا تملكين، وإنما هي ناقة من إبلي» .

الوفاء حتى للحيوان

وإن هذه القصة لترينا حسن العهد، وغاية الوفاء اللذين كان يتخلق بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا الوفاء الذي شمل بني الإنسان والحيوان، وقد كان هذا درسا علمه رسول الله هذه المرأة ليكون عبرة للأجيال، إن صاحب الخلق العظيم يعلمنا أن نقابل الإحسان بالإحسان، والجميل بالجميل، والنعم بالشكر، لا بالجحود والكفران، وأن الوفاء لازم حتى للحيوان. وبعد أن بين لها الرسول الكريم أن هذا وإن كان لا يليق خلقا ومروءة، فهو لا يجوز شرعا، إذ لا نذر في معصية ولا فيما لا يملكه الإنسان.

غزوة خيبر

وفي هذه السنة كانت غزوة خيبر، وبالانتصار فيها تم القضاء على شوكة اليهود في جزيرة العرب، وسنرجيء الكلام عليها إلى بحث موقف الإسلام من اليهود بعد الفراغ من حوادث هذا العام.." (٢)

"النبي الوفي بالعهد

وكان صلى الله عليه وسلم أوفى الناس بالوعد، وأرعاهم للعهد، وأوصلهم للرحم قبل النبوة وبعدها، وقد عاهد اليهود والمشركين فما نقض العهد، ولا عرف منه الغدر، ولما توفيت السيدة الجليلة خديجة كان دائم الذكر لها، والثناء عليها حتى كانت عائشة تغار من ذلك، وكان يحب حبيباتها ويبرهن، فكان يذبح الشاة، ويقطعها، ويقول: «أرسلوا إلى صديقات خديجة» «١» .

وكانت تستأذن عليه هالة بنت خويلد أخت خديجة فيهش لها، وترتاح نفسه، لأن صوتها يذكره بصوت الحبيبة الغائبة خديجة، وجاءته ذات يوم امرأة عجوز من صويحبات خديجة، فصار يسألها عن أحوالها، وما صارت إليه، ولما خرجت قالت له عائشة: تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال: «إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد أبو شهبة ٥٢٧/١

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد أبو شهبة ٣٦٩/٢

«٢» .

وكان يوصي بالوفاء ورعاية العهد حتى للحيوان، وقد قدمنا لك قصة المرأة التي ركبت ناقة فنذرت إن نجاها الله عليها لتذبحنها، فلما أخبرته قال:

«بئسما جزيتيها أن حملك الله عليها ونجاك بها، ثم تنحرينها» !! فهل رأيت مثيلا لهذا في تاريخ البشرية؟!.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.." [1]

"وألطف .. في هذه الأجواء المنعشة .. أجواء الجمال واللطف والأعراس والأسماء المحبوبة .. تشرق علينا قصة حدثت في بيت عائشة الحبيبة .. حيث كان النبي – صلى الله عليه وسلم – عندها .. والنبي – صلى الله عليه وسلم – إذا كان عند عائشة أو غيرها من زوجاته كان غاية في اللطف والرقة والتواضع .. بينما كان – صلى الله عليه وسلم – هناك .. جاءت عجوز لا تعرفها عائشة .. تقول رضي الله عنها: (جاءت عجوز إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو عندي، فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

من أنت؟

قالت: أنا جثامة المزنية.

فقال: بل أنت حسانة المزنية. كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟

قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

"فقرب إليه لحم، فجعل يناولها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يدك".

فلما خرجت قلت: يا رسول الله .. تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان) (١).

= سمع من أبي الدرداء؟ فقال: لا. فقيل: فسمع من أحد من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ قال: ما أظن ذلك وذلك أنه لا يقول في شيء من ذلك: سمعت. التهذيب (٤/ ٣٢٨) لكن الحديث حسن بالروايات الأخرى.

(١) سنده قوي رواه الحاكم (١/ ٦٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥١٧) وابن عبد البر في الاستيعاب من طريق: الضحاك بن مخلد حدثنا صالح بن رستم حدثنا ابن أبي مليكة .. وابن أبي مليكة تابعي أدرك ثلاثين صحابيا وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة وهو ثقة فقيه –التقريب (١/ ٤٣١) والضحاك ثقة ثبت التقريب (١/ ٣٧٣) أما صالح فحسن =." [2]

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد أبو شهبة ٢/٦٤٤

(٢) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة محمد الصوياني ٢/٣١٠

"الفصل الثامن عشر الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم:

فعن «١» عبد الله بن الحمساء قال «٢» : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع، قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت، فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى لقد شققت علي، أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك» .

وعن «٣» أنس «٤» رضي الله عنه «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية،

---

(١) هذا الحديث رواه أبو داوود وهو من افراده، وأخرجه أيضا ابن منده في المعرفة، والخرائطي في مكارم الاخلاق.

(٢) العامري الصحابي وقد قيل إنه عبد الله بن أبي الجدعاء التميمي ويقال الكناني الذي ذكره البخاري في الصحابة.

(٣) كما رواه البخاري في الادب المفرد.

(٤) تقدمت ترجمته في ص «٤٧» رقم «١» .." [1]

"قال: اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة.

وعن «١» عائشة «٢» رضي الله عنها: قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها.

- واستأذنت عليه أختها «٣» ، فارتاح إليها «٤» .

- ودخلت عليه امرأة، فهش لها، وأحسن السؤال عنها فلما خرجت، قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان «٥» » .

ووصفه بعضهم فقال: كان يصل ذوي رحمه، من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن آل بني فلان ليسوا لي

---

(١) كما في الصحيحين.

(٢) تقدمت ترجمتها في ص (١٤٦) رقم (٥) .

(٣) وهي هالة بنت خويلد بن اسد ام ابي العاص بن الربيع، زوج زينب بنته صلى الله عليه وسلم.

(٤) وهذا الحديث في البخاري.

(٥) رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا.." [2]

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد القاضي عياض ٢٥٧/١

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد القاضي عياض ٢٥٨/١

"الصفحة الموضوعات ٢٣٥ الفصل الرابع عشر: الشجاعة والنجدة..
تعريف الشجاعة- النجدة- شجاعته يوم حنين- يحتمي الشجعان به عند اشتداد الحرب- كان أول مستبرىء للخبر عند الفزع- كان اول من يضرب عند الهجوم- قتل أبي بن خلف يوم أحد- شر الناس من قتله نبي.
٢٤١ الفصل الخامس عشر: الحياء والاغضاء..
تعريف الحياء- الاغضاء- كان صلى الله عليه وسلم يعرض بما يكره- وصفه بذلك في التوراة.
٢٤٤ الفصل السادس عشر: حسن العشرة والادب وبسط الخلق.
وصف علي له- لا يطوي عن أحد بشره- وصف ابن ابي هالة له صلى الله عليه وسلم- يقبل الهدية مهما حقرت ويكافيء عليها- وصف الخادم أنس لسيده- اهتمامه بامور الناس- اكرام الناس باخلاق وبشاشة- كان أكثر الناس تبسما- خدم المدينة يأتون بالماء ليتبركوا.
٢٥١ الفصل السابع عشر: الشفقة والرحمة..
اعطاء الله له اسمين من أسمائه- عطاؤه يمحو البغضاء- الاعراب الجفاة كالناقة الشرود تتألف بالحكمة- سلامة صدره على اصحابه- شفقته على أمته- رحمته- شفقته على الكفار وطمعه في إيمان ذرياتهم- ينصح الناس بالرفق.
٢٥٧ الفصل الثامن عشر: الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم..
حسن وفائه- حسن العهد من الايمان- صلته الرحم- ان لهم رحما- حسن مقابلته للاحسان- بره بمرضعته- بره بأبيه وأمه وأخيه من الرضاعة ٢٦٢ الفصل التاسع عشر: التوضع..." (١)

"وعن عائشة أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليك بالرفق.
(فصل) وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد حدثنا أبو إسحق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن يحيي حدثنا محمد بن سنان حدثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله عن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك * وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاه فيهديها

والمعجمة أي يتعهدنا (قوله ابن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء (قوله بديل) بضم الموحدة وفتح الدال وتسكين

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد   القاضي عياض ٧٥٢/١

المثناة من تحت (قوله الحمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة وهمزة ممدودة، وفى بعض النسخ بالخاء المعجمة والنون وهو تصحيف، وفى بعضها عن أبى الحمساء وأبو الحمساء لا إسلام له ولا روايه (*)."[1]

"إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال (إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان) ، ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

وقال صلى الله عليه وسلم (إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء، غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها) * وقد صلى عليه الصلاة والسلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها، وعن أبي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإنى أحب

(قوله أختها) أي أخت خديجة، وهى هالة بنت خويلد، ذكرها في الصحابة ابن منده وأبو نعيم وهى أم أبي العاص بن الربيع بتشديد الراء المفتوحة وكسر الموحدة (قوله إن

آل بني فلان) قال ابن قرقول المشهور أن آل أبى ليسوا بأوليائى بفتح الهمزة يعنى من أبى قال وبعده بياض في الأصول، كأنهم تركوا الاسم تورعا عن الفتنة، وعند ابن السكن أن آل أبي فلان كنى عنه بفلان انتهى، والمراد الحكم بن أبي العاص (قوله بلالها) البلال بكسر الموحدة، وقد تفتح قال في الصحاح كل ما يبل به الحلق من الماء واللبن فهو بلال، ومنه قولهم انصحوا الرحم ببلالها، أي صلوها بصلتها وندوها.

(قوله بأمامة) هي ابنة ابنته زينب من أبى العاص بن الربيع، تزوجها علي رضي الله عنه بعد موت فاطمة بوصية فاطمة رضي الله عنها بذلك، وتزوجها بعد على المغيرة بن نوفل فماتت عنده، واسم أبي العاص بن الربيع لقيط وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة، أسر يوم بدر فمن عليه بلا فداء إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب زينب، وأسلم قبيل الفتح وحسن إسلامه، وأعاد له رسول الله صلى الله عليه وسلمن زينب بنكاح جديد، وقيل بالنكاح الأول.

(*)."[2]

"ذهب الذين إذا رأوني مقبلا ... هشوا وقالوا: مرحبا بالمقبل

وبقيت في خلف كأن حديثهم ... ولغ الكلاب تهارشت في منهل

آخر:

ألا ربما كان الشفيق مضرة ... عليك من الإشفاق وهو ودود

قالت عائشة: كنت أرى امرأة تدخل على النبي صلى الله عليه وآله، وكان يقبل عليها بحفاوة فشق ذاك علي فعلم ذاك مني فقال: يا عائشة هذه كانت تغشانا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني القاضي عياض ١/١٢٦

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني القاضي عياض ١/١٢٧

وأروي هنا ذراوة من كلام أرباب الحذق والخرق فإن فيه فائدة حسنة لا أرى الإضرار عنه، والإخلال به.
سمعت ابن السراج الصوفي يقول: قلت لأبي الحسن البوشنجي: من أصحب؟ قال: من يصفو كدرك بصفائه، ولا يكدر صافيك بكدره.
وقلت لغلام ابن بابويه القمي: من أعاشر؟ فقال: من إذا أحسنت." (١)

"روى عن أبيه واختص به، وأخذ القراءات عن أبي القاسم بن مدير المقرئ، وسمع من أبي عبد الله محمد بن فرج الفقيه، وأبي علي حسين بن محمد الغساني، ومن صهره أبي محمد بن عتاب، ومن القاضي أبي الوليد بن رشد. وجالس أبا علي بن سكرة وأجاز له ما رواه.
وكان: من أهل الفضل الكامل، والدين، والتصاون، والعفاف، والعقل الجيد مع الوقار، والسمت الحسن، والهدى الصالح. وكان حافظا للقرآن العظيم، مجودا لحروفه. حسن الصوت به، عالي الهمة، عزيز النفس، مخروق اللسان، طويل الصلاة، كريم النفس، واسع الكف بالصدقات، كثير المعروف والخيرات، مشاركا بجاهه وماله، كثير البر بالناس، حسن العهد لمن صحبه منهم، معظما عند الخاصة والعامة، شرف بنفسه وبأبوته، وتولى خطة أحكام المظالم بقرطبة قديما مع شيخه قاضي الجماعة أبي الوليد ابن رشد، وكان يستحضره عنده مع مشيخة الشورى في وقته لمكانه ومنصبه، وصرف عن ذلك بصرفه، ثم تقلد قضاء الجماعة بقرطبة مدة طويلة ثم صرف عن ذلك وأقبل على التدريس، وإسماع الحديث، وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة فأنسى من قبله لحسن قراءاته، وتمكين صلاته، واستمر على ذلك إلى أن توفي رحمه الله على أجمل أحواله، عديم النظير في وقته سحر ليلة الثلاثاء، ودفن بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم من سنة ست وثلاثين وخمس مائة. وهو من أبناء الستين. وصلى عليه ابنه أبو القاسم بالربض، وشهده جمع عظيم من الناس بعد العهد بهم، وأتبعوه ثناء حسنا جميلا. وكان أمثل لذلك رحمه الله وغفر له.

محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي: من أهل إشبيلية سكن قرطبة؛ يكنى: أبا بكر.." (٢)

"وكان مشهورا بالحديث ومعرفته معتنيا به، أخذ الناس عنه. وتوفي رحمه الله ليلة السبت وهي ليلة سبع وعشرين من جمادى الأولى من سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة. وكان مولده سنة تسع أربعين وأربع مائة.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري: من أهل إشبيلية؛ يكنى: أبا بكر، الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها. لقيته بمدينة إشبيلية حرسها الله ضحوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة ست عشرة وخمسمائة فأخبرني رحمه الله أنه رحل مع أبيه إلى المشرق يوم الأحد مستهل ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وأربع مائة. وأنه دخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده، ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين.

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٢٣١

(٢) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال ابن بشكوال ص/٥٥٥

ودخل بغداد وسمع بها من أبي الحسين المبرك بن عبد الجبار الصيرفي، ومن الشريف أبي الفوارس طراد بن محمد الزيبقي، ومن أبي بكر بن طرخان وغيرهم كثير، ثم رحل إلى الحجاز فحج في موسم سنة تسع وثمانين، وسمع بمكة من أبي علي الحسين ابن علي الطبري وغيره. ثم عاد إلى بغداد ثانية وصحب بها أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الطوسي وغيرهما من العلماء والأدباء فأخذ عنهم وتفقه عندهم، وسمع العلم منهم، ثم صدر عن بغداد ولقي بمصر والإسكندرية جماعة من المحدثين، فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادهم؛ ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم بلده إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق.

وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، متقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، نافذا في جميعها، حريصا على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة ولين الكنف، وكثرة الاحتمال وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الوعد. واستقضى ببلده." (١)

"وكتب إلى والده، يتشوق إليه، قوله:

شوقي على طول الزما ... ن يزيد في مقداره

وجوى فؤادي لا يقر ... وكيف لي بقراره

والقلب حلف تقلب ... وتحرق في ناره

والطرف كالطرف الغري ... ق يعوم في تياره

وتلهفي وتأسفي ... باق على استمراره

من ذا يرق لنازح ... عن أهله ودياره

لعب الزمان بشمله ... وقضى ببعد مزاره

فالسقم من زواره ... والهم من سماره

والصبر من أعدائه ... والدمع من أنصاره

وهمومه مقصورة ... أبدا على تذكاره

وقوله، إلى القاضي الأجل الأشرف ابن البستاني، متولى الحكمم بعسقلان:

لعل تحدر الدمع السفوح ... يسكن لوعة القلب القريح

وعل البرق يروي لي حديثا ... فيرفعه بإسناد صحيح

ويا ريح الصبا لو خبرتني ... متى كان الخيام بذ طلوح

فلي من دمع أجفاني غبوق ... تدار كؤوسه بعد الصبوح

وأشواق تقاذف بي كأني ... علوت بها على طرف جموح

ودهر لا يزال يحط رحلي ... بمضيعة ويرويني بلوح

---

(١) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال ابن بشكوال ص/٥٥٨

كريم بالكريم على الرزايا ... شحيح حين يسأل بالشحيح

وأيام تفرق كل جمع ... وأحداث تجيز على الجريح

فيالله من عود بعود ... ومن نضو على نضو طليح

وأعجب ما منيت به عتاب ... يورق مقلتي ويذيب روحي

أتى من بعد بعد واكتئاب ... وما أنكى الجروح على الجروح

وقد أسرى بوجدي كل وفد ... وهبت بارتياحي كل ريح

سلام الله ما شرقت ذكاء ... وشاق حنين هاتفه صدوح

على تلك الشمائل والسجايا ... وحسن العهد والخلق السجيح

على أنس الغريب إذا جفاه ال ... قريب ومحتد المجد الصريح

على ذي الهمة العلياء والمن ... ة البيضاء والوجه الصبيح

ومنها:

صفوح عن مؤاخذة الموالي ... وليس عن الأعادي بالصفوح

همام ليس يبرح في مقام ... كريم أو لدى سعي] نجيح

حديد الطرف في فعل جميل ... وقور السمع عن قول قبيح

مددت يدي إليه فشد أزري ... وذاد نوائب الدهراللحوح

وفزت بوده بعد ارتياد ... ولكن صدني عنه نزوحي

وما أدركت عايته بنظمي ... ولو أدركت غاية ذي القروح

ولكن وقفت على علاه ... غنائي من ثناء أو مديح

وله، من قصيدة:

إلى م ألوم الدهر فيك وأعتب ... وحتى م أرضى في هواك وأغضب

أما من خليل في الهوى غير خائن ... أما صاحب يوما على النصح يصحب

بأية عضو التقى سورة الهوى ... ولي جسد مضنى وقلب معذب

عذيري من ذكرى إذا ما تعرضت ... تعرض لاح دونها ومونب

ومنها:." (١)

"فلحقتني شدة عظيمة، فكلما لحقتني نائبة، واشتدت بي بلية؛ قصدت دورهم ومنازلهم، فبكيتهم، ورثيتهم، وشكرتهم، ودعوت لهم على ما كان منهم إلي، وشكوت ما حل بي بعدهم، فأجد لذلك راحة.

قال: فاستدعى المأمون عمرو بن مسعدة، فلما أتي به؛ قال له: أتعرف هذا الرجل؟ قال: يا أمير المؤمنين، هو بعض صنائع

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٢٣٦

البرامكة.

فأمره أن يرد على الرجل، كلما استخرج منه، وأن يقرر خراجه على ما كان عليه أيام البرامكة، وأن يجعل له ضيعة أخرى من جملة الإيغارات، يكون دخلها له، ويتخذ به سجلا، وأن يقضي حقه ويكرمه، فبكى الشيخ بكاء شديدا.

فقال له المأمون: ألم استأنف إليك جميلا، فما بكاؤك؟ فقال: بلى والله يا أمير المؤمنين، وزدت على كل فضل وإحسان، ولكن هذا من بركة الله، وبركة البرامكة علي، وبقية إحسانهم إلي، فلو لم آت خراباتهم، فأبكيهم وأندبهم، حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين، ففعل بي ما فعل، من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين؟ فقال له المأمون: امض مصاحبا، فإن الوفاء مبارك، وحسن العهد من الإيمان.." (١)

"ما فضلكم أبو بكر بصلاة وصيام، ولكن فضلكم بسر وقر في صدره ج١ ص٢٠٩

مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه عرفا طيبا ومثل جليس السوء مثل نافخ الكير إما أن يحرق ثوبك وإما أن تجد منه رائحة كريهة ج٢ ص٤٤

مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب ج٢ ص١٤٠

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ج١ ص٣٥١

المضعف أمير الركب ج٢ ص٣٤٠

من أتى الجحفة فليغتسل ج٣ ص٧٣

من أحق الناس بصاحبتي؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أبوك ج٣ ص٤٣، ١١

من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين ج١ ص٩٣

من شاء يرقع في الرياض الأنائق فعليه بآل حم ج٢ ص٣٥٠

من صبر على حر مكة ولأواء المدينة ضمنت له على الله الجنة ج١ ص١٩٨

من غش أمتي فليس مني ج٢ ص٣٩٦

من غشنا فليس منا ج٢ ص٣٩٦

منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال ج١ ص١٨٨

المؤمن لا يلسع من حجر مرتين ج١ ص٢٦٣

هـ

هذا جبل يحبنا ونحبه ج٢ ص٨٢

هذا هو البلاغة ج٢ ص٣٤٩

هذه كانت تأتينا في زمن خديجة، وحسن العهد من الإيمان ج١ ص١٩٩

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي   التنوخي، المحسن بن علي ١٧٢/٣

هل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم ج٢ ص١٣٢
هو الطهور ماؤه، الحل ميتته ج٢ ص٢٢٣
هو الوأد الخفي ج٢ ص١٥١." (١)

"بالعراق، وكان موصوفا بالخير، والدين، وحسن العهد، لم يفارق محمدا في حروبه كلها.

وفيها أقطع السلطان محمد الكوفة للأمير قايماز، وأوصى صدقة أن يحمي أصحابه من خفاجة، فأجاب إلى ذلك.

وفيها، في شهر رمضان، وصل السلطان محمد إلى أصبهان، فأمن أهلها ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط، والعسف، والمصادرة، وشتان بين خروجه منها هاربا متخفيا، وعوده إليها متمكنا، وعدل في أهلها، وأزال عنهم ما يكرهون، وكف الأيدي المتطرقة إليهم من الجند وغيرهم، فصارت كلمة العامي أقوى من كلمة الجندي، ويد الجندي قاصرة عن العامي من هيبة السلطان وعدله.

وفيها كثر الجدري في كثير من البلدان، ولا سيما العراق، فإنه كان به كله، ومات به من الصبيان ما لا يحصى، وتبعه وباء كثير، وموت عظيم.

وتوفي في هذه السنة، في شوال، أحمد بن محمد بن أحمد أبو علي البرداني، الحافظ، ومولده سنة ست وعشرين وأربعمائة، سمع ابن غيلان، والبرمكي، والعشاري وغيرهم.

وتوفي أبو المعالي ثابت بن بندار بن إبراهيم البقال، ومولده سنة ست عشرة وأربعمائة، سمع أبا بكر البرقاني، وأبا علي بن شاذان، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة.." (٢)

"والثالث أبو الحسن المافروخي في أيام حداثته وسلطان ملاحته، فإني داعبته بقولي: رأيتك تحتي!. فقال على لسان دالته: مع ثلاثة مثلي!. فأخجلني وقطعني.

الباب الثاني عشر

لطائف الشعراء نظما

من ظرف امرئ القيس وعجيب شأنه أنه قال في الجاهلية بيتا جاء فيه بشرائط الجنة مع أنه لا يعرفها، شعر طويل:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي ... وهل ينعمن ما كان في العصر الخالي

وهل ينعمن إلا سعيد مخلد ... قليل هموم ما يبيت بأوجال

فذكر السعادة التي تجمع خير الدارين، ثم الخلود الذي هو أحسن أحوال أهل الجنة، ثم ذكر قلة الهموم التي هي أجل الرغائب، ثم ذكر الأمن الذي هو أنفس المواهب، ولا مزيد على هذه الأربعة.

بشار بن برد من ظريف شعره خفيف:

أنا والله أشتهي سحر عيني؟ ... ؟ ه وأخشى مصارع العشاق

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر   ابن أبي الحديد ٥١١/٤

(٢) الكامل في التاريخ   ابن الأثير، أبو الحسن ٥١٤/٨

ولم أسمع في عشق الآذان أحسن من قوله ولا أظرف بسيط:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

عبد الملك بن عبد الرحيم أحسن الإفصاح عن هذا البيت وأرسله مثلا طويل:

وما زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى ... إلى حيث يهوى القلب تسعى به الرجل

قال عمر بن شبة: كان سفيان بن عيينة مع زهده وورعه مولعا بشعر أبي نواس فقال يوما: أحسن أبو نواس والله في قوله وأبدع وأملح سريع:

بصرت ظبيا حل في مأتم ... يندب شجوا بين أتراب

يبكي فيذري الدمع من نرجس ... ويلطم الورد بعناب

ومن شعره قوله رجز مجزوء:

أربعة مذهبة ... لكل هم وحزن

يحيا بها عين ورو ... ح وفؤاد وبدن

الماء والقهوة وال؟ ... ؟ بستان والوجه الحسن

وسئل عن أعظم خمرياته فأشار إلى قوله خفيف:

اسقنا إن يومنا يوم رام ... ولرام فضل على الأيام

من شراب ألذ من نظر المع؟ ... شوق في وجه عاشق بابتسام

لا غليظ تنبو الطبيعة عنه ... نبوة السمع عن شنيع الكلام

أبو العتاهية، كان الجاحظ يقول في قوله رجز:

؟ إن الشباب حجة التصابي ... روائح الجنة في الشباب

يعني: كمغنى الطرب الذي ترتاح له القلوب ولا تقدر على وصفه الألسن.

؟ فصل في الذين حصروا أشعارهم على الغزل

وجعلوه في نهاية الظرف لا يشوبونه بغيره

العباس بن الأحنف بسيط:

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم ... إن المحب إذا لم يستزر زارا

يقرب الشوق دارا وهي نازحة ... من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

أبو حفص الشطرنجي قد أبدع وأملح في جارية سوداء سريع:

أشبهك المسك وأشبهته ... قائمة في لونه قاعده

لا شك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينة واحده

أبو عيينة المهلبي بسيط:

جسمي معي غير أن الروح عندكم ... فالروح في غربة والجسم في وطن

فليعجب الناس مني أن لي بدنالا روح فيه ولي روح بلا بدن

وقال أيضا طويل:

أرى عهدكم كالورد ليس بدائم ... فلا خير فيمن لا يدوم له عهد

وعهدي بكم كالآس حسنا وخضرة ... له بهجة تبقى إذا فني الورد

المؤمل بن أميل المحاربي له هذا البيت السائر الذي يتمثل به بسيط:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم ... وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

لا تحسبوني غنيا عن مودتكم ... إني إليكم وإن أيسرت مفتقر

ابن عائشة القرشي أحد الظرفاء، قد أجاد في قوله رمل:

لا ترعني بفراق وبعد ... أنا راض بفراق وبصد

أنت كل الناس عندي فإذا ... غبت عن عيني فلم أنظر أحد

كشاجم أبدع في قوله بسيط:

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا ... والليل أطول كاللمح بالبصر

فالآن ليلي مذ غابوا فديتهم ... ليل الضرير فصبحي غير منتظر

ولغيره مدحة متقارب:

أبا طلعة القمر الزاهر ... ويا قامة الغصن الناضر

ويا غائبا حاضرا في الفؤاد ... سلاما على الغائب الحاضر

دعبل بن علي في حسن العهد بسيط:." (١)

"ومن ذلك ما كتبته في كتاب إلى بعض الإخوان جوابا عن كتاب ورد:

وكان كتابه تأخر عني زمانا طويلا، فقلت:

"ولما تأملته ضممته إلي والتزمته، ثم استلمته والتثمته، وعلمت أن المعارف وإن قدمت أيامها -أنساب وشيجة، وتأسيت بالخلق النبوي في العجوز التي كانت تأتي في زمن خديجة".

وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة -رضي الله عنها، وهو أنها قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يذبح الشاة فيعضيها١ أعضاء، ويقسمها في أصدقاء خديجة، وكانت تأتيه عجوز فيكرمها ويبسط لها راءه، فسألته عن ذلك فقال: $"هذه كانت تأتينا في زمن خديجة، وحسن العهد من الإيمان".

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كتاب، وهو:

"كل سطر منه روضة، غير أنها ليل في صباح، وكل معنى منه دمية، غير أن ليس على مصورها من جناح".

وهذا مأخوذ من الحديث في تحريم الصور.

---

(١) اللطف واللطائف الثعالبي، أبو منصور ص/١٧

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم وهو:

"فأغنى بجوده إغناء المطر، وسما إلى المعالي سمو الشمس، وسار في منازلها مسير القمر، ونتج من أبكار فضائله ما إذا ادعاه غيره قيل: للعاهر الحجر".

وهذا المعنى من قول النبي –صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش وللعاهر الحجر".

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الفصاحة، فقلت:

"أفكار الخواطر لا تستولد على انفرادها، وغايتها أن يتناكح في استنتاج أولادها، وأنا أنكح فكري لفكر نكاح الأنساب، ولا أخاف أن أضوي فأميل إلى الاغتراب".

---

١ عضيت الذبيحة –بالتشديد: جعلتها أعضاء.." [(١)]

"له عند الوقوف إلا من تبحر في الوقوف على الأخبار النبوية؛ ومن أجل ذلك جعلته ركنا من أركان الكتاب في الفصل التاسع.

ومن ذلك ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوخمة، فقلت: ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينة، مجموع لها بين حر مكة ولأواء المدينة، إلا أنها لم يأمن حرمها في الخطفة، ولا نقلت حماها إلى الجحفة.

في هذه الكلمات القصار آية من القرآن الكريم، وخبران من الأخبار النبوية؛ فالآية من سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى: أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم

وهذا موضع يختص بالأخبار لا بالآيات، غير أن الآية جاءت ضمنا وتبعا، وأما الخبران فالأول منهما قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من صبر على حر مكة ولأواء المدينة ضمنت له على الله الجنة» وأما الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه للمدينة: «اللهم حببها إلينا كما حببت إلينا مكة وانقل حماها إلى الجحفة» .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكلمات حتى تعلم أن عدتها مصوغة من الآية والخبرين سواء بسواء، وهذا طريق لو ادعيت الانفراد بسلوكه لما اختلف علي في الاعتراف به اثنان.

ومن ذلك ما كتبته في كتاب إلى بعض الإخوان جوابا عن كتاب ورد، وكان كتابه تأخر عني زمانا طويلا، فقلت: ولما تأملته ضممته إلي والتزمته، ثم استلمته والتثمته، وعلمت أن المعارف وإن قدمت أيامها أنساب وشيجة، وتأسيت «١» بالخلق النبوي في العجوز التي كانت تأتي في زمن خديجة.

وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها، وهو أنها قالت:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة فيعضيها «٢» أعضاء ويقسمها في أصدقاء خديجة، وكانت تأتيه عجوز فيكرمها ويبسط لها راءه، فسألته عن ذلك، فقال: «هذه كانت تأتينا في زمن خديجة وحسن العهد من الإيمان» .." [(٢)]

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١/١٥٥

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١/١٤٢

"والطباع الطباع لست ترى في ... ها نبوا ولا اختلاف

ومن اختصه الإله بخير ... فهو فيه من دارج أو آت

نعم لا بأس بذكر الماضي من صلحاء الإخوان، والحنين إلى الأوطان، وإن ذلك يعد من حسن العهد، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخلت عليه امرأة فأكرمها وقال: " إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان ".

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، وذلك من كثرة ما كان يذكرها صلى الله عليه وسلم.

وقيل لبعض الحكماء: بم تعرف وفاء الرجل وذمام عهده دون تجربة واختبار؟ فقال بحنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وتلهفه على ما مضى من زمانه.

وعن الأصمعي قال: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وذمام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه وكان سيدنا بلال - رضي الله عنه - ينشد:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقد تقدم شيء من هذا قبل.

وقال أبو العباس بن العريف - رضي الله عنه -:

ما زلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم ... لحظي وسمعي ونطقي إذ هم أنسي

حلوا الفؤاد فما أندى ولو قطنوا ... صخرا لجاد بماء منه منبجس

وفي الحشا نزلوا والوهم يجرحهم ... فكيف قروا على أذكى من القبس

لأنهضن إلى حشري بحبهم ... لا بارك الله فيمن خانهم فنسي

" وقال غيره:

جسمي معي غير أن الروح عندكم ... فالجسم في غربة والروح في وطن

فليعجب الناس مني أن لي بدنا ... لا روح فيه ولي روح بلا بدن

وقال آخر:

راحوا فباتت راحتي من راحتي ... صفر وأضحى حبهم لي راحا

فتحوا على قلبي الهموم وأغلقوا ... باب السرور وضيعوا المفتاحا

وقال غيره:

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه ... هل من سبيل إلى لقياك يتفق

ما أنصفتك جفوني وهي دامية ... ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

وقال غيره:

ليكفكم ما فيكم من جوى ألقى ... فمهلا بنا مهلا ورفقا بنا رفقا

وحرمة ودي لا سئمت هواكم ... ولا رمت لي منه فكاكا ولا عتقا

سأزجر قلبا رام في الحب سلوة ... وأهجره إن لم يمت فيكم عشقا

وقال غيره:

ما ناح في أعلى الغصون الهزار ... إلا تشوقت لتلك الديار

ولا سرى من نحوكم بارق ... إلا وأجريت الدموع الغزار

وا أسفي أين زمان الحمى؟ ... وأين هاتيك الليالي القصار؟

واحر قلبي فمتى نلتقي ... وتنطفي من داخل القلب نار

وأنظر الأحباب قد واصلوا ... ويأخذ الوصل من الهجر ثار

أقول للنفس ابشري باللقا ... قد واصل الحب وقر القرار "

وذكر في التشوف عن أبي شعيب السارية – رضي الله عنه – قال: كان إذا وقف على قبر شيخه أبي علي المسطاسي يقول: أي رجل دفن هاهنا! ما رأيت مثله وأنشد:

أسفا لأيام وإخوان مضوا ... ومنازل فارقتها مغلوبا

قلبت قلبي جمرة من بعدهم ... ولبست عيشي بعدهم مقلوبا

طالبت بعدهم الزمان بمثلهم ... فأجابني هيهات لا مطلوبا

وحكي أيضا عن أبي عمران الهسكوري الأسود أنه كان لا ترقأ له دمعة، فربما سئل عن كثرة بكائه فيقول: إنما أبكي على فقد من أدركته من الإخوان في الله عز وجل.

ويحكى أيضا عن أبي جعفر الأسود صاحب تاغزوت أنه كان يقول: أدركت ببلاد تادلا ثلاثمائة وسبعين رجلا صالحا كلهم يزارون، وأنشد:

فآها من الربع الذي غير البلى ... وواها من القوم الذين تفرقوا

أصون تراب الأرض كانوا حلولها ... وأحذر من مري عليها وأفرق

ولم يبق عندي للهوى غير أنني ... إذا الركب مروا بي على الدار أشهق." (١)

"توكل على الله يكفك تأخير الإساءة من الإقبال.

تدارك في آخر عمرك ما فاتك في أوله.

تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان.

تفاءل بالخير تنله.

تأكيد المودة في الحرمة.

تغافل عن المكروه تظفر بترك الذنوب.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/٨٢

تزاحم الأيدي على الطعام بركة.

تواضع المرء بكرمه.

توقير الأكابر من الأدب.

حرف الثاء

ثلاث مهلكات: بخل وهوى وعجب.

ثلث الإيمان حياء، وثلثه عقل، وثلثه جود.

ثلمة الدين موت العلماء.

ثلمة الحرص لا يسدها إلا التراب.

ثني "كذا " إحسانك بالاعتذار.

ثوب السلامة لا يبلى.

ثبات الملك في العدل.

ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا.

ثبات النفس بالعدل "كذا ".

ثبات الروح بالغنى "كذا ".

ثناء الرجل على معطيه مستزيد "كذا ".

ثلاث خصال من لم تكن فيه لا خير فيه: دين يرشده، أو حياء يردعه، أو خوف يمنعه.

ثلاث من السعادة: سلامة الدين، وسلامة البدن، وسلامة الدنيا.

حرف الجيم

جد ما تجد.

جهد المقل كثير.

جمال المرء في الحلم.

جليس السوء شيطان.

جولة الباطل ساعة، وجولة الحق إلى الساعة.

جودة الكلام في الاختصار.

جليس الخير غنيمة.

جليس المرء مثله.

جالس الفقراء تزدد شكرا.

جد بالكثير واقنع بالقليل.

حرف الحاء

حلم المرء عونه.

حسن الخلق غنيمة.

حلي الرجال الأدب، وحلي النساء الذهب.

حدة المرء تهلكه.

حرفة المرء كنزه.

حياء المرء ستره.

حرقة الأولاد، محرقة الأكباد.

حرم الوفاء على من لا أصل له.

حموضات الكلام، خير من حموضات الطعام.

حرف الخاء

خف الله تأمن غيره.

خالف نفسك تسترح.

خير الأصحاب من يدللك على الخير.

خليل المرء دليل عقله.

خوف الله يجلي القلوب.

خلو القلب خير من إملاء "كذا " الكيس.

خلوص الود، من حسن العهد.

خير النساء الولود الودود.

خير المال ما أنفق في سبيل الله.

خابت صفقة من با ع الدين بالدنيا.

حرف الدال

دوام السرور بر الإخوان.

دولة الأرذال، آفة الرجال.

دار من جفاك تخجله.

دواء القلب الرضا بالمقدور.

دار الظالمين خراب.

دينار البخيل حجر.

دولة الملوك العدل.

دم على كظم الغيظ تحمد عاقبتك.

حرف الذال

ذم الشيء من الاشتغال به.

ذنب واحد كثير وألف حسنة قليلة.

ذكر الأولياء ينزل الرحمات.

ذكر الظالمين في طغيانهم.

ذل المرء في الطمع.

ذليل الفقر عند الله عزيز.

ذكر الشباب حسرة.

ذكر الموت جلاء القلب.

ذكر الثناء خسارة "؟ ".

حرف الراء

راع أباك يراعك ابنك.

رتبة العلم أعلى الرتب.

رزقك يطلبك فاسترح.

راع النفس عند غلبات الحمق.

رؤية الحبيب جلاء العين.

رفاهية العيش في الأمن.

رسول الموت الولادة.

رواية الحديث نسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رفيق المرء دليل عقله.

راع الحق عند غلبات النفس.

رعونات النفس تتبعها "كذا ".

حرف الزاي

زر المرء على قد إكرامه لك.

زيارة الضعفاء من التواضع.

زيارة الحبيب تطري المحبة "كذا ".

زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا.

زلة العالم كبيرة.

زينة الباطن خير من زينة الظاهر.

زهد الغامي مضلة.

زن الرجال بموازينهم.

زحمة الصالحين رحمة.

زوال العلم بموت العلماء.

زكاة السلطان إغاثة الملهوف.

زيارة المحبوب تزيد المحبة.

حرف السين

سرورك بالدنيا غرور.

سيرة المرء تنبئ عن سريرته.

سلامة الإنسان، في حفظ اللسان.

سادة الأمة الفقهاء.

سوء الخلق وحشة لا خلاص منها.

سكرة الأحياء سوء الخلق.

سلاح الضعفاء الشكاية.

حرف الشين

شيبك ناعيك.

شرط الألفة، ترك الكلفة.

شفاء الجنان، قراءة القرآن.

شر الناس من تتقيه الناس خوفا من شره.

شحيح غني أفقر من فقير سخي.

شر الأمور أقربها من الشر.

شمر في طلب الجنة.

شح الغني عقوبة.

شمة "كذا " من المعرفة خير من كثير من العلم.

حرف الصاد

صدق المرء نجاته.

صحة البدن الصوم.

صاحب الأخيار تأمن من الأشرار.

صلاح الدين في الورع، وفساده في الطمع.

صبرك يورثك الظفر.

صلاح البدن في السكون.." (١)

"الرازي: هذا ما اشترى فلان بن فلان، من فلان بن فلان، اشتروا منه المودة الدائمة إلى الممات بكليتها، وبجميع حدودها كلها داخل فيها، وخارج منها بقلبه، وهو الثمن، وباعها منه فلان بن فلان، وسلمها وقبض الثمن/ كله تاما وافيا، وبرىء إليه منه أحد حدود هذه المودة ينتهي إلى الصفاء، والحد الثاني ينتهي إلى الوفاء، والحد الثالث ينتهي إلى المساعدة، والحد الرابع ينتهي إلى المنادمة، وعلى أن لا يقبل كل واحد منهما على صاحبه المبالغة، ولا يأخذه بالتهم والظنون، ولا يستبدل به ولا يخونه، على أن يدفع كل واحد منهما عن صاحبه السعايات، وعن تراض منهما، ورغبة صحيحة، انعقد الأمر بينهما عن تراض منهما، وجواز أمورهما لهما وعليهما طائعين غير مكرهين، شهد على إقرارهما بجميع ما في هذا الكتاب، السخاء بن الكرم، والمساعدة بن الرضا، والمحاطة بن الاتفاق، وحسن الخلق بن الاحتمال، وكتبوا شهادتهم على إقرارهما بجميع ما في هذا الكتاب.

حدثنا عبد الواحد بن بكر، حدثني محمد بن يوسف بن إبراهيم، حدثنا سعيد بن عمرو، حدثنا أبو شيبة بن أبي بكر، حدثنا بكر بن أبي عبد الرحمن، حدثنا عيسى بن المختار، عن محمد بن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن ابن عباس قال: كان عندنا رجل يصلي بالليل في بيته، فاذا افتتح الصلاة وكبر، أتاه رجل عليه ثياب بيض، ويقوم معه يصلي، ويكون ركوعه وسجوده أحسن من ركوعه، وكان يعجبه ذلك، فذكر لبعض أصدقائه/ فجاء الرجل وسألني عن ذلك، هل يجوز أن يكون ذلك؟، فقلت له:

قل له حين تقرأ إذا جاء هذا الذي يصلي سورة البقرة، فان ثبت معه فهو ملك وطوباه، وإن هرب فهو شيطان، فأعاد على الرجل فاشتد عليه إفشاء سره، فلما أخذ في الصلاة وجاء الشخص ووقف معه أخذ يقرأ سورة البقرة، فأخذ الشيطان يضرط ويعدو.

سمعت أبا العباس الكرخي، قال: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: كنت بالبصرة مع جماعة من أصحابنا، فوقف علينا صاحب مرقعة، فقال: من منكم ابن خفيف؟ فأشاروا إلي، فقال: تأذن لي أن أسألك مسألة؟ فقلت: لا، قال: ولم؟ فقلت: لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وأيسره أن لا تسألني، ولا أحتاج أجيبك، فقال: لابد، فقلت: هذا غير ذلك، فقل الآن ما شئت.

أملى علي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نظيف شرطا في شراء بستان من خاطره: هذا ما اشترى فلان بن فلان المريد من سكان المحبة، من فلان بن فلان العارف من أهل الصفوة، اشترى منه بستانا موضعه في صحراء الأنس/ محاطا عليه، فيه نخيل الإيمان، يثمر طلع الطاعات، وينضج بالإخلاص، وأشجار المعارف، تثمر الإلهام الصافي، ورياحين البر والتقوى، وورد

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١٣٠

ورد الذكر، وسواقي العلم في تربة الخلوة، ويسقى هذا البستان من نهر الوفاء، ولهذا البستان حدود أربعة؛ الحد الأول: ينتهي إلى حسن العهد." (١)

"به الحال، واقتضيت الحقوق إلى آخر مدة مستقضيه رحمه الله ﴿وكانت صدر شعبان من عام ٧٠١. وافضى الأمر إلى ولده أبي عبد الله محمد، ثالث الأمراء من بني نصر؛ فجرى على منهاج أبيه في الاغتباط بقاضيه؛ فأقره على ما كان يتولاه، وزاد في التنويه. فظهرت الخطة بواحدها وصدر رجالها؛ وبقي يتولاه إلى أن توفي، وذلك عام ٧٠٤. ذكره القاضي أبو عامر يحيى بن ربيع في مزيده وقال فيه: كان فقيها عارفا، أديبا، كاتبا بارعا، فاضلا، لين الجانب، سمحا، دريا بالأحكام، عدلا، نزيها؛ وتولى الخطبة بجامع الحمراء. قال المؤلف رضي الله عنه﴾ لله در محمد بن هشام في إصراره على الاباية من القضاء في الفتنة الأشقيلولية ﴿فإنه جرى في تمنعه على منهاج السداد، وأخذ لنفسه الواجب في الاحتياط. وقد تقدم صدر هذا الكتاب أن الداعي إلى العمل، إذا كان غير عدل، لم يجز لأحد إعانته على أموره، لأنه مقعد في فعله؛ فيجب عليه أن يصبر على المكروه، ولا يلي العمل معه؛ وإن كان عدلا، جاز، وقد تستحب له الإعانة. والله الموفق للصواب﴾

ذكر القاضي أبي جعفر أحمد بن فركون

وولي بعد ابن هشام قضاء الجماعة الشيخ الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد القرشي، المعروف بابن فركون، أحد صدور الفقهاء بهذا القطر الأندلسي اطلاعا بالمسائل، وحفظا للنوازل، وقوة على حمل أعباء القضاء، وتفننا في المعارف. وكان رحمه الله! منشرح الصدر، مثلا في حسن العهد بمن عرفه ولو مرة في الدهر، مفيد المجالسة، رائق المحاضرة، مترفقا بالضعيف في أقضيته، كثير الاحتياط عند الاشتباه، دقيق النظر، مهتديا لاستخراج غريب الفقه وغوامض نكت العلم، رائق الأبهة، موصوفا بالنزاهة والعدالة، شديد الوقار، مشغلا عند المواجهة والتجلة، مع التحلي بالفضل، والخلق الرحب، والدعابة الحلوة. طال يوما بين يديه قعود رجل." (٢)

"ذكر القاضي أبي بكر محمد بن أحمد بن شبرين

ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الجذامي نزيل غرناطة، وأصله من إشبيلية، من حصن شلب من كورة باجة غربي صقعها؛ يكنى أبا بكر، ويعرف بابن شبرين. وانتقل أبوه عن إشبيلية عند تغلب العدو عليها، وذلك عام ٦٤٦: فاحتل رندة، ثم غرناطة، ثم انتقل إلى سبتة، وبها ولد ابنه أبو بكر هذا. ثم عاد عند الحادثة التي كانت بها في أواخر عام ٧٠٥ إلى غرناطة؛ فارتسم بها في الكتابة السلطانية. ثم تولى القضاء بكثير من الجهات. وكان رحمه الله! فريد دهره في حسن السمت، وجمال الرواء، وبراعة الخط، وطيب المجالسة، من أهل الدين والفضل والعدالة، غاية في حسن العهد ومجاملة العشرة، أشد الناس اقتدارا على نظم الشعر والكتب الرائق. قرأ على جده لأمه الأستاذ أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي، وعلى الأستاذ أبي إسحاق الغافقي. وكانت له رحلة إلى مدينة تونس، لقي بها قاض الجماعة الشيخ الإمام أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الرفيع وغيره؛ فاتسع بذلك نطاق روايته. ومن شعره: لي همة كلما حاولت أمسكها ... على المذلة في أرجا أراضيها

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٢٨٧

(٢) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس النباهي ص/١٣٨

قالت: ألم تك أرض الله واسعة ... حتى يهاجر عبد المؤمن فيها وله في برد غرناطة: رعى الله من غرناطة متبوءا ... يسر كئيبا أبو يجير طريدا تبرم منها صاحبي بعد ما رأى ... مسارحها بالبرد عدن جليدا هي الثغر صان الله من أهلت به ... وما خير ثغر لا يكون برودا توفي، عن غير عقب من الذكور، ثالث شعبان من عام ٧٤٧.." (١)

"وهفوات الأمجاد. (الباب العاشر) في التوكل على الله تعالى، والرضا بما قسم والقناعة، وذم الحرص والطمع، وما أشبه ذلك وفيه فصول، (الباب الحادي عشر) في المشورة والنصيحة، والتجارب، والنظر في العواقب.

(الباب الثاني عشر) في الوصايا الحسنة، والمواعظ المستحسنة، وما أشبه ذلك. (الباب الثالث عشر) في الصمت وصون اللسان، والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة، ومدح العزلة وذم الشهرة، وفيه فصول. (الباب الرابع عشر) في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الإسلام، وما يجب للسلطان على الرعية، وما يجب لهم عليه. (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته. (الباب السادس عشر) في الوزراء وصفاتهم وأحوالهم، وما أشبه ذلك. (الباب السابع عشر) في ذكر الحجاب والولاية، وما فيها من الغرور والخطر. (الباب الثامن عشر) فيما جاء في القضاء وذكر القضاة، وقبول الرشوة والهدية على الحكم، وما يتعلق بالديون، وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول، (الباب التاسع عشر) في العدل والإحسان والإنصاف، وغير ذلك. (الباب العشرون) في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه، وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك. (الباب الحادي والعشرون) في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال، وسيرة السلطان في استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان. (الباب الثاني والعشرون) في اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وقضاء الحوائج للمسلمين، وإدخال السرور عليهم. (الباب الثالث والعشرون) في محاسن الأخلاق ومساويها. (الباب الرابع والعشرون) في حسن المعاشرة، والمودة، والأخوة، والزيارة، وما أشبه ذلك. (الباب الخامس والعشرون) في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم، وفضل الشفاعة وإصلاح ذات البين، وفيه فصلان. (الباب السادس والعشرون) في الحياء والتواضع، ولين الجانب وخفض الجناح، وفيه فصلان: (الباب السابع والعشرون) في العجب والكبر والخيلاء، وما أشبه ذلك. (الباب الثامن والعشرون) في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت. (الباب التاسع والعشرون) في الشرف والسؤدد وعلو الهمة. (الباب الثلاثون) في الخير والصلاح، وذكر السادة الصحابة وذكر الأولياء والصالحين، رضي الله عنهم أجمعين. (الباب الحادي والثلاثون) في مناقب الصالحين وكرامات الأولياء، رضي الله عنهم. (الباب الثاني والثلاثون) في ذكر الأشرار والفجار، وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة. (الباب الثالث والثلاثون) في الجود والسخاء والكرم، ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف، وذكر الأمجاد وأحاديث الأجواد. (الباب الرابع والثلاثون) في البخل والشح وذكر البخلاء، وأخبارهم وما جاء عنهم.

(الباب الخامس والثلاثون) في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف، وأخبار الأكلة وما جاء عنهم وغير ذلك. (الباب السادس والثلاثون) في العفو والحلم والصفح، وكظم الغيظ، والاعتذار وقبول المعذرة، والعتاب، وما أشبه ذلك. (الباب السابع والثلاثون) في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم. (الباب الثامن والثلاثون) في كتمان السر وتحصينه، وذم إفشائه. (الباب التاسع والثلاثون) في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد، وفيه فصول. (الباب الأربعون)

---

(١) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس النباهي ص/١٥٣

في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد.

وشدة البأس والتحريض على القتال، وفيه فصول. (الباب الحادي والأربعون) في ذكر أسماء الشجعان، ذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم، وذكر الجبناء وأخبارهم، وذم الجبن. (الباب الثاني والأربعون) في المدح والثناء وشكر النعمة، والمكافأة، وفيه فصول. (الباب الثالث والأربعون) في الهجاء ومقدماته. (الباب الرابع والأربعون) في الصدق والكذب، وفيه فصلان. (الباب الخامس والأربعون) في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الأولاد وما يجب لهم وعليهم، وصلة الرحم والقرابات، وذكر الأنساب، وفيه فصول. (الباب السادس والأربعون) في الخلق وصفاتهم وأحوالهم، وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والألوان واللباس، وما أشبه ذلك.

(الباب السابع والأربعون) في ذكر الحلي والمصوغ والطيب والتطييب، وما جاء في التختم. (الباب الثامن والأربعون) في الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين، وما أشبه ذلك، وفيه فصول. (الباب التاسع والأربعون) في الأسماء والكنى والألقاب، وما استحسن منها. (الباب الخمسون) في الأسفار والاغتراب، وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الإقامة بدار الهوان، وحب الوطن والحنين إلى الأوطان. (الباب الحادي والخمسون) في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه.

(الباب الثاني والخمسون) في ذكر الفقر ومدحه. (الباب الثالث والخمسون) في ذكر التلطف في السؤال، وذكر من سئل فجاد. (الباب الرابع والخمسون) في ذكر الهدايا." (١)

"فاسأل الله ما طلبت إليهم ... وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال: أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة، فقال: إذا كانت لك حاجة إلي، فأرسل إلي رسولا أو أكتب لي كتابا، فإني لأستحي من الله أن يراك ببابي.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: والذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل، وقال لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء، وإن لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال.

نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأل التوفيق والعصمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

الباب الثالث والعشرون في محاسن الأخلاق ومساويها

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: وإنك لعلى خلق عظيم ٤

«١» .

فخص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الأخلاق، من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٨

لم يؤته غيره، ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشيء من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق، فقال تعالى: وإنك لعلى خلق عظيم ٤

«٢» .

قال عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن، يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، وكان الحسن رضي الله عنه إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أكرم ولد آدم على الله عز وجل وأعظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله، أتي بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى، وكان يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» ، ولا يأكل متكئا ولا على خوان، وكان يأكل خبز الشعير غير منخول، وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول: «برد هذا يطفيء حر هذا» ، وكان أحب الطعام إليه اللحم، ويقول:

«هذا يزيد في السمع، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل» ، وكان يحب الدباء، ويقول: «يا عائشة إذا طبختم قدرا، فأكثروا فيه من الدباء، فإنها تشد قلب الحزين» ، وكان يقول: «إذا طبختم الدباء فأكثروا من مرقها» ، وكان يكتحل بالإثمد «٣» ولا يفارقه في سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط والإبرة يخيط ثوبه بيده، وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره، وكان يسابق أهله؛ قالت عائشة رضي الله عنها سابقته، فسبقته، فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال: «هذه بتلك» ، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع على أحد منهم في مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجهل والصحارى يتيما لا أب له ولا أم، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق، وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما، وكان يقول: «أنا أفصح العرب» .

وقال أنس رضي الله عنه: والذي بعثه بالحق نبيا ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا في شيء لم أفعله لم لا فعلته ولا لامني أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بقضاء وقدر.

وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى: لا مانع من أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من المرتبة التي هي أعلى مرتبة من العبودية فالنبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا له متواضعا، فحاز المرتبتين مرتبة العبودة ومرتبة الملكية، ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا إكاف ويردف خلفه، ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى. من دعاه لباه «٤» ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذي يرفعها، يعود المريض «٥» ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء،." (١)

"ظنك تحقيقا فإنهم شجرة نفاق أصلها وفروعها تسقى بماء واحد فاهجر فيهم المنام والدعة فالعيون إليهم تنظر والآذان نحوهم تسمع فمتى استنزلهم من معلقهم أغناك ذلك عن مكابدة غيرهم فلم يزل بهم حتى غلب عليهم

وأقدم عليه رجل وقاح بالشكوى والصياح وخرج من أمره أنه اشترى حمارا فخرج فيه عيب فرفع ذلك إلى القاضي فرد حكمه إلى أهل السوق فأفتوا أنه عيب حديث قال فألزموني به وأنا لا أريده فقال تجاوزت القاضي وأهل السوق إلى الخليفة في هذه المسألة الوضيعة ثم أمر به فضرب ونودى عليه بذلك مجرسا ورد رأسه إلى وزرائه وقال أعلمتم أن الأمير عبد الله جدي

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/١٢٦

بنزوله للعامة في الحكم للمرأة في غزلها والحمال في ثمن ما يحمله والدلال في ثمن ما ينادي عليه أضاع كبار الأمور ومهماتها والنظر في حروبه ومدارأة المتوثبين عليه حتى اضطرمت جزيرة الأندلس وكادت الدولة ألا يبقى لها رسم وأي مصلحة في نظر غزل امرأة ينظر فيه أمين سوق الغزل وإضاعة النظر في قطع الطرق وسفك الدماء وتخريب العمران وكان حاجبه موسى بن حدير على ذكائه يقول ما رأيت أذكى منه كنت والله آخذ معه في الشيء تحليقا على سواه حتى أخرج إليه فيسبقني لمرادي ويعلم ما بنيت عليه تدبيري وكان له عيون على ما قرب وبعد وصغر وكبر وكان معروفا بحسن العهد وبذلك انتفع في استنزال المتغلبين

قال الحجاري ورفع للناصر أن تاجرا زعم أنه ضاعت له صرة فيها مائة دينار ونادى عليها واشترط أن يهب للآتي بها عشرة دنانير فجاء بها رجل عليه سمة خير ذكر أنه وجدها فلما حصلت في يده قال إنها كانت مائة وعشرة وإن العشرة التي نقصت منها أخذها الذي أتى بها وأبى أن يدفع له ما شرط فوقع الناصر صدق التاجر والرجل الذي." (١)

"١٤٠٨ - الفضل بن عبد الرحمن بن أحمد الردادي أبو علي الأصيل الزكي، المشهور من بيت العدالة والتزكية، ظريف الصحبة حسن العهد والمودة، من أقارب القاضي أبي محمد عبيد الله بن صاعد، سمع من الصاعدية، ومن أبي الحسن.." (٢)

"ثم قصدني عمرو بن مسعدة [١] في الضيعتين، فألزمني من خراجهما ما لا يفي به دخلهما، فكلما لحقتني نائبة قصدت دورهم فبكيتهم، فاستدعى المأمون عمرو بن مسعدة، فأمره أن يرد على الرجل ما استخرج منه، ويقرر خراجه على ما كان في أيام البرامكة. فبكى الرجل بكاء شديدا، فقال له المأمون: ألم استأنف لك جميلا؟ قال:

بلى، ولكن هذا من بركة البرامكة. فقال: امض، فإن الوفاء مبارك، وحسن العهد من الإيمان.

١٠٢٠- الفضيل بن عياض، أبو علي التميمي

. [٢]

ولد بخراسان بكور أبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع الأعمش، ومنصور بن المعتمر، وعطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن، وغيرهم.

ثم تعبد وانتقل إلى مكة، فمات بها في أول هذه السنة. وكان ثقة فاضلا زاهدا.

أخبرنا محمد [٣] بن ناصر قال: حدثنا [٤] حمد بن أحمد قال: أخبرنا أبو نعيم/ الأصفهاني قال: حدثنا محمد بن علي قال: حدثنا أبو سعيد الجندي قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة [٥] ، كأنه يخاطب إنسانا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها وسأل [٦] ، وكان يلقى له حصير بالليل في مسجده، فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عيناه فينام على الحصير [٧] ، فينام قليلا، ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم، هكذا حتى يصبح.

---

(١) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ١/١٨٥

(٢) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور أَبُو إِسْحَاقَ الصَّرِيْفِيْنِيُّ ص/٤٥٣

وسمعته يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل [٨] ، كبلتك خطيئتك.

---

[١] في الأصل: «مصعدة» .

[٢] طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٠. والتاريخ الكبير ٧/ ١٢٣. والجرح والتعديل ٧/ ٧٣. وتهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤. والتقريب ٢/ ١١٣. وحلية الأولياء ٥/ ١٥، ٣٠، ٨/ ٨٧- ١١٤.

[٣] «محمد» ساقطة من ت.

[٤] في ت: «أخبرنا» .

[٥] «مترسلة» ساقطة من ت.

[٦] في ت: «ويسأل» .

[٧] في ت: «فيلقي نفسه على الحصير فينام» .

[٨] في الأصل: «مكبول محروم» .." (١)

"فقصد رحمه الله أن من أكل من طعامي فالمروءة تقتضي أن لا أؤذيه ثم ضرب عنقه بيده وفاء بنذره وأخذ عكا وأخرج الأسرى كلهم من ضيق الأسر وكانوا زهاء أربعة آلاف أسير وأعطى كل واحد منهم نفقة يصل بها إلى بلده وأهله. هكذا بلغني على ألسنة جماعة لأني لم أحضر هذه الواقعة.

وكان حسن العشرة لطيف الأخلاق طيب الفكاهة حافظا لأنساب العرب ووقائعهم عارفا بسيرهم وأحوالهم حافظا لأنساب خيلهم عالما بعجائب الدنيا ونوادرها بحيث كان يستفيد محاضره منه ما لا يسمع من غيره.

وكان حسن الخلق يسأل الواحد منا عن مرضه ومداواته ومطعمه ومشربه وتقلبات أحواله.

وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه أحد إلا بخير السمع فلا يحب أن يسمع عن أحد إلا الخير وطاهر اللسان فما رأيته ولع بشتم قط، وكان حسن العهد والوفاء فما أحضر بين يديه يتيم إلا وترحم على مخلفيه وجبر قلبه وأعطاه وجبر مصابه وإن كان له من أهله كبير يعتمد عليه سلمه إياه وإلا أبقى له من الخير ما يكف حاجته وسلمه إلى من يعتني بتربيته ويكفلها.

وكان لا يرى شيخا إلا ويرق له ويعطيه ويحسن إليه ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله إلى مقر رحمته ومكان رضوانه.." (٢)

"(ما أقبلا إلا وقال الورى ... قد جاء نصر الله والفتح)

٣ - (الجبيبي)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٩/١٤٨

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ١/٧٠

حسان بن محمد الجبيبي بضم الجيم وفتح الباء الأولى الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وكسر الباء الثانية الإشبيلي أبو جعفر أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين أبو حيان قال رأيته بغرناطة وله معرفة باللغة والأدب في كنف السلطان الغالب بالله أبي عبد الله بن الأحمر ملك الأندلس وقفت له على قصيدته بخطه وكان حسن الخط منها من الوافر

(هم الأنصار ما حلوا حزاما ... بنصرته ولا تنزعوا لجاما)

(هو النبع الصريح بغير ريب ... إذا ما كان غيرهم الثماما)

منها

(لقد أبكيت عين الكفر لما ... رأيت بثغر ملتك ابتساما)

(وزهرة ملكها أصبحت حقا ... وليس سوى عزائمك الكماما)

(وما اتكلت علاك على قديم ... وإن كانوا من المجد القدامى)

(ولكن قمت معتصما بنفس ... علت حتى غدوت بها عصاما)

ومن شعره من الطويل

(وذي خطل في نصحه لا أجيزه ... يعاتبني في أن أطلت مقامي)

(يقيدني في أرض أندلس التي ... قصرت عليها صبوتي وغرامي)

(فقلت له إن البلاد بربها ... لها عند أهل الرعي خير دمام)

(

(إليك فصرفي دون أيسر بعضه ... إزالة ركني يذبل وشمام)

قلت شعر مقبول خال من الغوص

(حسانة المزنية)

حسانة المزنية كان اسمها جثامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت حسانة وكانت صديقة خديجة رضي الله عنها قالت عائشة جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت قالت أنا جثامة المزنية فقال بل أنت حسانة كيف حالكم كيف أنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله فلما خرجت قلت من هذه العجوز تقبل عليها هذا الإقبال قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان وقد روي هذا في حق." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات   الصفدي ٢٨٤/١١

"(الألقاب)

الحوراني أحمد بن عبد الواحد بن مرى

الحورافي يوسف بن محمد

الحوضي حفص بن عمر

ابن حوط الله اسمه داود بن سليمان داود والآخر عبد الله بن سليمان ابن داود

الحوفي النحوي صاحب الإعراب اسمه علي بن إبراهيم بن سعيد

(ذو ظليم)

حوشب بن طخية بضم الطاء المهملة وبعدها خاء معجمة ساكنة وياء آخر الحروف مفتوحة هو ذو ظليم بفتح الظاء المعجمة وضمها الصحابي بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جريرا البجلي وإلى ذي الكلاع في التعاون على الأسود العنسي وكانا رئيسي قومهما وقتل رحمه الله بصفين سنة سبع وثلاثين وقد روي المنام الذي رؤي في ترجمة أيفع لهذا حوشب أيضا رآه عمرو بن شرحبيل أيضا

(حولاء القرشية)

حولاء بنت ثويب بن حبيب بن أسد بن عبد العزى القرشية كانت من المهاجرات المجتهدات في العبادة وفيها جاء الحديث أنها كانت لا تنام الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا الله لا يمل حتى تملوا تكلفوا من العمل ما لكم به طاقة قالت عائشة استأذنت الحولاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها وأقبل عليها وقال كيف أنت فقلت يا رسول الله أتقبل على هذه هذا الإقبال فقال إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان كذا قال محمد بن موسى الشامي عن أبي عاصم وقد تقدم هذا في ترجمة." (١)

"عليه وسلم وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته فلما انصرف وفد هوازن قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبروا مالك بن عوف انه ان أتاني مسلما رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما أخبروه خرج من الطائف ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة أو بمكة فأعطاه ما كان وعده به وأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم كمثل محمد

أو في وأعطى للجزيل اذا اجتدى ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد

واذا الكتيبة عردت أنيابها ... بالسمهري وضرب كل مهند

ومن شعره رضى الله عنه

وبقيت سهما في الكنانة مفردا ... سيرمي به أو يكسر السهم كاسر

لكن أورد على ذلك عكراش بن ذؤيب فانه لقي النبي صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع عائشة وقال الاحنف كأنكم

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٣/١٣

به قد أتي به قتيلا أو به جراحة لاتفارقه حتى يموت فضرب يومئذ ضربة على أنفه فعاش بعدها مائة سنة وأثر الضربة به وذكر ذلك ابن دريد فعلى هذا تكون وفاته سنة خمس وثلاثين ومائة وعكراش لا خلاف في صحبته وأجيب بان هذه الحكاية لم يطلع لها على اسناد يثبت بمثله ذلك وأما آخر من مات بالمدينة فجابر بن عبد الله كما روي عن قتادة وقيل سهل بن سعد وقيل السائب بن يزيد وبمكة عبد الله بن عمر وقيل جابر وذكر ابن المديني ان أبا الطفيل مات بمكة فيكون الآخر بها موتا وبالبصرة أنس وبالكوفة عبد الله بن أبي أو في وبالشام عبد الله بن بسر وقيل أبو امامة وبمصر عبد الله بن الحرث بن حزن وبفلسطين أبو أبي ابن أم حرام وبدمشق واثلة بن الاسقع وبحمص عبد الله بن بشر وباليمامة الهرماس بن زياد وبالجزيرة العرس بن عميرة وبافريقية رويقع بن ثابت وبالبادية سلمة بن الاكوع قال ابن عبد البر وقال غيره مات رويقع بحاضرة برقة وسلمة بالمدينة بعد نزوله من البادية بليال (اذا قبلت امرأة الى آخره) أخرج أبو داود من حديث عمرو ابن السائب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه قال المحب الطبري وهذا الحديث معضل لان عمرو بن السائب يروي عن التابعين (فبسط لها رداء الى آخره) في ذلك وفيما سيأتي عقبه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من حسن الخلق في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم قاله عياض (ما) نافية (ان) زائدة (كلهم) فيه ما مر في قصيدة حسان (اذا اجتدي) بالجيم والمهملة أي طلب جداوة أى عطية وباهمال الحاء واعجام الذال أي سئل منه أن يحذي أى يعطى (عردت أنيابها) بالعين المهملة أي قدت وقطعت (بالسمهري) بفتح المهملة وسكون الميم وفتح الهاء أي الريح الشديد الصلب أو منسوب الى سمهر زوج ردينة كان يثقف الرماح أو الى قرية بالحبشة أقوال (كل مهند) بضم الميم وفتح الهاء وتشديد النون أى سيف منسوب الى الهند." (١)

"لذلك ناداه ملك الجبال وسأله ان يطبق عليهم الاخشبين فأبي صلى الله عليه وسلم وقال أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

[فصل وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم]

(فصل) وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فقد حاز السبق فيها وأبرز خافيها حتى ورد في الصحاح انه كان يكرم صدائق خديجة ويصلهم ويرتاح لهم فسئل عن ذلك فقال ان حسن العهد من الايمان. ومن ذلك فعله صلى الله عليه وسلم بأمه وأخته من الرضاعة كما سبق في غزوة حنين وأعتق بسببهم ستة آلاف رأس ومنه ما روي عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال يافتى لقد شققت على انا هنا منذ ثلاث انتظرك ولقد صدقت فراسة خديجة فيه حيث قالت في ابتداء الوحى ابشر فو الله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق.

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ١/٤٤٢

الشيخان وغيرهما وقد مر في صدر الكتاب (وقال ابن مسعود) أخرجه عنه البخارى وغيره (يتخولنا) بالمعجمة وتشديد الواو ثم لام أى يتعهدنا وقال أبو عمرو بن العلاء الصواب ينحو بنا بالنون ومعناه يتعهدنا وقال أبو عمرو الشيباني الصواب يتحولنا بالمهملة واللام أي يتطلب أحوالنا التي يبسط فيها للموعظة والصواب من حيث الرواية كما قاله الحافظ ابن حجر في الاول وقد صح المعني فيه (مخافة) كذا في موضع من صحيح البخاري وفي آخر كراهة وزعم في التوشيح انه من تصرف الرواة (السآمة) بالمهملة على وزن المخافة وهى الفتور والملال (علينا) هو ظاهر على رواية مخافة وكذا على رواية كراهة اذهى بمعنى مخافة.

(فصل) في بيان خلقه (السبق) بفتح المهملة وسكون الموحدة مصدر سبق يسبق سبقا وأما بفتح الموحدة فهو المال المبذول في السبق (وابرز) أى أظهر (خافيها) ياؤه في الاصل مفتوحة لانه مفعول ويجوز أن تسكن لمجاورة فيها (وورد في) الاحاديث (الصحاح) في الصحيحين وغيرهما عن عائشة (ويرتاح) أي يستأنس (حسن العهد من الايمان) أخرجه الحاكم عن عائشة (ومنه ما روي) في سنن أبي داوود وغيرها (ابن أبي الحمساء) بفتح المهملة وسكون الميم ثم مهملة مع المد ووقع في بعض النسخ الشفاء الخنساء بالمعجمة والنون قال الشمنى وهو تصحيف وفي بعضها عن أبي الحمساء وهو غلط اذ ابو الحمساء لم يسلم (فراسة) بكسر الفاء والمهملة وهو النظر بالفعل والتدبر به وربما كانت فيه زيادة قوة بحسب صفاء القلب وكدورته فيصل بسبب التفرس شيء يقع في القلب تسميه أهل الطريقة مكاشفة وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله أخرجه البخاري في التاريخ والترمذى عن أبى سعيد وأخرج الحكيم وسيبويه." [1]

"بويه، ثم لما أجلب أبو القاسم على خراسان، وسار إليه محمود بن سبكتكين، وعمه بغراجق وكان معه أبو نصر بن محمود الحاجب فهربا إلى فخر الدولة وأقاما في نزله وتحت حرابه بقومس والدامغان وجرجان وأتاخ سبكتكين على طوس. ثم وقعت المهاداة بينه وبين فخر الدولة بن بويه صاحب الري، وكان آخر هدية من سبكتكين جاء بها عبد الله الكاتب من ثغابة. ونمي إلى فخر الدولة أنه يتجسس عدد الجند، وغوامض الطرق، فبعث إلى سبكتكين بالعتاب في ذلك. ثم ضعف الحال بينهما، واتصل ما بين فخر الدولة والأمير نوح على يد سبكتكين.

(وفاة سبكتكين وولاية ابنه إسماعيل)

ولما فرغ سبكتكين من أمر ايلك خان ورجع إلى بلخ، وأقام بها قليلا طرقه المرض، فبادر به إلى غزنة، وهلك في طريقه في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة لعشرين سنة من ملكه في غزنة وخراسان، ودفن بغزنة. وكان عادلا خيرا حسن العهد محافظا على الوفاء كثير الجهاد. ولما هلك بايع الجند لابنه إسماعيل بعهده إليه، وكان أصغر من محمود فأفاض فيهم العطاء وانعقد أمره بغزنة.

(استيلاء محمود بن سبكتكين على ملك أبيه وظفره بأخيه إسماعيل)

ولما ولي إسماعيل بغزنة استضعفه الجند واستولوا عليه، واشتطوا عليه في الطلب حتى أنفد خزائن أبيه، وكان أخوه محمود بنيسابور فبعث إليه أن يكتب له بالأعمال التي لنظره مثل بلخ فأبى، وسعى أبو الحرب والي الجوزجان في الإصلاح بينهما

---

(١) بهجة المحافل وبغية الأماثل العامري الحرضي ٢/٢٨٦

فامتنع إسماعيل، فسار محمود إلى هراة معتزما عليه، وتحيز معه عمه بغراجق. ثم سار إلى بست وبها أخوه نصر فاستماله، وساروا جميعا إلى غزنة، وقد كتب إليه الأمراء الذين مع إسماعيل واستدعوه ووعدوه بالطاعة. وأغذ السير ولقيه إسماعيل بظاهر غزنة فاقتتلوا قتالا." (١)

"ودولتهم، وهلك والد الشريف وصدر هو إلى رياسة الشورى. لما كانت واقعة القيروان، وخلع أبو عنان أباه واستولى على المغرب، وكان بسبتة عبد الله بن علي الوزير واليا من قبل السلطان أبي الحسن، فتمسك بدعوته، ومال أهل البلد إلى السلطان أبي عنان وبث فيهم الشريف دعوته، فثاروا بالوزير وأخرجوه، ووفدوا على أبي عنان وأمكنوه من بلدهم، فولى عليها من عظماء دولته سعيد بن موسى العجيسي، كان كافل تربيته في صغره. وأفرد هذا الشريف برياسة الشورى في سبتة، فلم يكن يقطع أمرا دونه، ووفد على السلطان بعض الأيام فتلقاه من المبرة بما لا يشاركه فيه أحد من وفود الملوك والعظماء. ولم يزل على ذلك سائر أيام السلطان وبعد وفاته، وكان معظما وقور المجلس، هش اللقاء، كريم الوفادة، متحليا بالعلم والأدب، منتحلا للشعر غاية في الكرم وحسن العهد، وسذاجة النفس، ولما مررت به سنة أربع وستين وسبعمائة أنزلني ببيته إزاء المسجد الجامع، ورأيت منه ما لا يقدر مثله من الملوك، وأركبني الحراقة [١] ليلة سفري يباشر دحرجتها إلى الماء بيده، إغرابا في الفضل والمساهمة، وحططت بجبل الفتح وهو يومئذ لصاحب المغرب، ثم خرجت منه إلى غرناطة وكتبت للسلطان ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب بشأني، وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها، لقيني كتاب ابن الخطيب يهنيني بالقدوم، ويؤنسني ونصه:

حللت حلول الغيث في البلد المحل ... على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه ... من الشيخ والطفل المعصب [٢]

لقد نشأت عندي للقياك غبطة ... تنسي اغتباطي بالشبيبة والأهل

وودي لا يحتاج فيه لشاهد ... وتقريري المعلوم ضرب من الجهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته، وقبر صرفت أزمة الأحياء لميته ونور ضربت الأمثال بمشكاته وزيته. لو خيرت أيها المحب الحبيب الذي زيارته الأمنية السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماؤه، ويرف نماؤه، ويغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة وإيماء، بحيث لا آلو في

---

[١] الحراقة: نوع من السفن الصغيرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو، ومنهم من كان يستعملها للنزهة.

[٢] وفي نسخة ثانية: المهداء.." (٢)

"أمر به، وأمضى العمل بمقتضاه، وحبسه الأمير أبو عبد الله ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر أيد الله أمره، وأعز نصره، وأعلى ذكره، للولي الجليس، الحظي المكين، المقرب الأود الابن الفقيه

---

(١) تاريخ ابن خلدون   ابن خلدون ٤٧٧/٤

(٢) تاريخ ابن خلدون   ابن خلدون ٥٤٩/٧

الجليل الصدر الأوحد، الرئيس العالم الفاضل الكامل، الموقع الأمين الأظهر الأرضى، الأخلص الأصفى، أبي زيد عبد الرحمن ابن الشيخ الجليل، الحسيب الأصيل، المرفع المعظم، الصدر الأوحد، الأسمى الأفضل الموقر المبرور أبي يحيى ابن الشيخ الجليل الكبير، الرفيع الماجد، القائد الحظي، المعظم الموقر، المبرور المرحوم أبي عبد الله بن خلدون. وصله الله أسباب السعادة، وبلغه من فضله أقصى الإرادة، أعلن بما عنده، أيده الله من الاعتقاد الجميل في جانبه المرفع، وإن كان غنيا عن الإعلان، وأعرب عن معرفة مقداره في الحسبان، العلماء الرؤساء الأعيان، وأشاد باتصال رضاه عن مقاصده البرة وشيمه الحسان، من لدن وفد على بابه، وفادة العز الراسخ البنيان، وأقام المقام الذي عين له رفعة المكان، وإجلال الشان، إلى أن عزم على قصد وطنه، أبلغه الله في ظل الأمن [١] والأمان، وكفالة الرحمن بعد الاغتباط المربي على الخير بالعيان، والتمسك بجواره بجهد الإمكان، ثم قبول عذره بما جبلت الأنفس عليه من الحنين إلى المعاهد والأوطان. بعد أن لم يدخر عنه كرامة رفيعة، ولم يحجب عنه وجه صنيعه، فولاه القيادة والسيادة [٢] وأحله جليسا معتمدا بالاستشارة، ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضنانة بفراقه، ويجمع له بر الوجاهة من جميع آفاقه، ويجعله بيده رتيمة خنصر [٣] ووثيقة سامع أو مبصر، فمهما لوى أخدعه إلى هذه البلاد بعد قضاء وطره، وتمليه من نهمة سفره، أو نزع به حسن العهد وحنين الود، فصدر العناية به مشروح، وباب الرضا والقبول مفتوح، وما عهده من الحظوة والبر ممنوح. فما كان القصد في مثله من أمجاد الأولياء التحول، ولا الاعتقاد الكريم التبدل، ولا الزمن الأخير أن ينسخ الأول. على هذا فليطو ضميره، وليرد ما شاء نميره، ومن وقف عليه من القواد والأشياخ والخدام برا وبحرا على اختلاف الخطط والرتب، وتباين الأحوال والنسب، أن يعرفوا حق

---

[١] وفي نسخة ثانية: اليمن.

[٢] وفي نسخة ثانية: السفارة.

[٣] رتيمة خنصر: الخيط الذي يشد في الإصبع لتستذكر به الحاجة.." (١)

"وتفقه عندهم. ثم صدر عن بغداد، ولقي بمصر، والإسكندرية جماعة، فاستفاد منهم وأفادهم، وعاد إلى بلده سنة ثلاث وتسعين بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق.

وكان من أهل التفنن في العلوم، والاستبحار فيها، والجمع لها، مقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، نافذا في جميعها، حريصا على آدابها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها. يجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة، ولين الكنف، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود. واستقضي ببلده، فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته، ونفوذ أحكامه.

وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة. ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه.

قرأت عليه، وسمعت منه بإشبيلية، وقرطبة كثيرا من روايته وتواليفه.

وتوفي بالعدوة، ودفن بفاس في ربيع الآخر.

---

(١) تاريخ ابن خلدون   ابن خلدون ٥٥٦/٧

قال ابن عساكر [١] : سمع أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبا الفضل بن الفرات، وأبا البركات أحمد بن طاوس، وجماعة.

وسمع ببغداد: نصر بن البطر، وأبا طلحة النعالي، وطراد بن محمد.

وسمع ببلده من خاله الحسن بن عمر الهوزني [٢] ، يعني المذكور سنة اثنتي عشرة.

قلت: ومن تصانيفه: كتاب «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» [٣] ، وكتاب «التفسير» في خمس مجلدات كبار، وغير ذلك من الكتب في الحديث، والفقه: والأصول.

---

[١] تاريخ دمشق، المختصر ٢٢/ ٣٢٦.

[٢] الهوزني: بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الزاي وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى هوزن، وهو بطن من ذي الكلاع من حمير نزلت الشام. والهوزن في العربية: الغبار. (الأنساب ١٢/ ٣٥٥) .

[٣] طبع بمصر سنة ١٩٣١ م. في (١٣) مجلدا. ثم طبع في الهند سنة ١٢٩٩ هـ.." (١)

"وأنه دخل الشام ولقي بها: أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، وتفقه عنده. ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين.

وأنه دخل بغداد، وسمع بها من طراد الزينبي.

ثم حج سنة تسع وثمانين، وسمع من الحسين بن علي الطبري.

وعاد إلى بغداد، فصحب أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الغزالي، وغيرهم، وتفقه عندهم. ثم صدر عن بغداد، ولقي بمصر، والإسكندرية جماعة، فاستفاد منها، وعاد إلى بلده سنة ثلاث وتسعين بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق.

وكان من أهل التفنن في العلوم، والاستبحار فيها، والجمع لها، مقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، نافذا في جميعها، حريصا على آدابها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها. يجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة، ولين الكنف، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود. واستفتي ببلده، فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته، ونفوذ أحكامه.

وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة. ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه.

قرأت عليه، وسمعت منه بإشبيلية، وقرطبة كثيرا من روايته وتواليفه.

وتوفي بالعدوة، ودفن بفاس في ربيع الآخر.

قال ابن عساكر: سمع أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، وأبا الفضل بن الفرات، وأبا البركات أحمد بن طاوس، وجماعة.

وسمع ببغداد: نصر بن البطر، وأبا طلحة النعالي، وطراد بن محمد.

وسمع ببلده من خاله الحسن بن عمر الهوزني، يعني المذكور سنة اثنتي عشرة.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٦٠/٣٧

قلت: ومن تصانيفه: كتاب "عارضة الأحوذي في شرح الترمذي"، وكتاب "التفسير" في خمس مجلدات كبار، وغير ذلك من الكتب في الحديث، والفقه، والأصول.

وورخ موته في هذه السنة أيضا الحافظ أبو الحسن بن الفضل، والقاضي أبو العباس بن خلكان١.

---

١ وفيات الأعيان "٤/ ٢٩٧".." (١)

"فاطمة رضي الله عنهما ابنة محمد صلى الله عليه وسلم ففي ذلك السبيل اندفعوا سكارى وما هم بسكارى.

وأن الفتح الأول لأندلس كان بأحد عشر ألف من البربر بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير ولقد أنقذوا عرب الأندلس مرارا فاحتلوه بأميرهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي أجمع المؤرخون على فضله والإعجاب به حتى أن الإمام الغزالي تمنى الاجتماع به وجهز للسفر إليه. ومن أدلة شجاعتهم وخصائصهم في ذلك ما حكي المؤرخون بإسهاب وإطناب ثم أن الواقعة الأخيرة المشومة الملقبة بواقعة العقبان لم ينج منها بربري واحد شهدها وهلك معهم من إخوانهم عرب افريقية جمع كثير وكانت تلك المصيبة بخيانة عرب الأندلس ونذالتهم بسبب الحضارة الفاسدة وقد قال المؤرخون في تلك الواقعة ما إذا ذكر سكب الدمع وانهمر وعلى أن عدد من استشهدوا بلغ ستمائه ألف أو يزيدون ففد وقع أجرهم على الله بسب الخيانة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين.

(فابكهم ما استطعت إن قليلا ... في عظيم من المصاب البكاء)

ومن محامد الزواوة الصراحة وحسن العهد إذا قالوا أو بايعوا أو عاهدوا وفوا فلا خيانة ولا غدر ولا خداع فكأن كل فرد منهم لقن:

(عروضي إذا جار الزمان ألجتها ... ولكن عرضي لا يباح وبي روح)

ولا يبالون بالقتل في سبيل ما تولوا من الأمور وترى كل واحد منهم يقول لسان حاله:." (٢)

"قال بكير وأخبرني أن أبا رافع كان قبطيا أخبرنا أبو طالب بن أبي عقيل أنا أبو الخير الخلعي أنا أبو محمد بن النحاس أنا أبو سعد بن الأعرابي نا محمد بن يونس نا الضحاك بن مخلدة ح وأخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا علي بن عبدان أنا أحمد بن عمرة نا محمد نا أبو عاصم بن أحمد الحواري الفقيهان قالا أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحافظ أنا أبو عبد الله الحافظ نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا محمد بن إسحاق الصغاني نا أبو عاصم نا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو عندي فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أنت قالت أنا حنانة (١) المزينة (٢) قال بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قلت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان (٣)

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١١٤/٣٧

(٢) تاريخ الزواوة أبو يعلى الزواوي ص/١٠٦

[٨٦٣] أخبرتنا أم المجتبى فاطمة بنت ناصر قالت قرئ على إبراهيم بن منصور أنا أبو بكر بن المقرئ أنا أبو يعلى نا إبراهيم بن محمد بن عرعرة نا معاذ بن هانئ أبو هانئ ثنا إبراهيم بن طهمان نا بديل بن ميسرة عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال (٤) بايعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل أن يبعث ببيع فبقي له على شئ فوعدته أن آتيه مكانه فنسيت أن آتيه يومه ذلك ومن الغد فأتيته اليوم الثالث فوجدته في مكانه ذلك فقال لي لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاثة أيام

---

(١) كذا بالاصل ومختصر ابن منظور ٢ / ٢١٥ وفي الاستيعاب ٤ / ٢٧٩ والاصابة ٤ / ٢٧٢ " جثامة "

(٢) الاصابة: المدنية

(٣) الحديث في الاستيعاب واختصره في الاصابة (ترجمة حسانة)

والمختصر وذكر ابن منظور حديثا آخر عن عائشة قالت: كانت عجوز تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيبش بها ويكرمها فقلت: بابي انت وامي إنك لتصنع بهذه العجوز شيئا لا تصنعه باحد قال: إنها كانت تأتينا عند خديجة اما علمت ان كرم الود من الايمان

(٤) انظر ترجمته في اسد الغابة ٢ / ١١٣ والاصابة ٣ / ٢٥٠." [١]

"على أن ذا العليا عمارة لم أجد * على البعد حسن العهد منه تغيرا حباني ببرديه وعنس (١) كأنما * بنى فوق متنيها (٢) الوليدان قهقرا * آخر الجزء الثاني عشر بعد الخمسمئة من الفرع

٥١٤١ - عمارة القرشي البصري وفد على عمر بن عبد العزيز حدث عن أبي بردة روى عنه علي بن زيد بن جدعان أخبرنا أبو القاسم بن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد حدثني أبي (٣) نا حسن بن موسى وعفان قالا نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يجمع الله الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا الله أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا (٤) يعبدون يتبعونهم حتى يقحمونهم (٥) النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول ما (٦) أنتم فنقول نحن المسلمون فيقول ما تنتظرون فيقولون ننتظر ربنا عز وجل فيقول وهل تعرفونه إن رأيتموه فيقولون نعم فيقول كيف تعرفونه ولم تروه فيقولون نعم إنه لا عدل (٧) له فيتجلى لنا ضاحكا يقول أبشروا أيها المسلمون (٨) فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا

[٩٢٠٣]

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٥٢/٤

(١) تقرأ بالأصل: " عيش " والمثبت عن الأغاني والعنس: الناقة الصلبة القوية

(٢) بالأصل: " متنهيا " والمثبت عن الأغاني

(٣) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٧ / ١٥٥ رقم ١٩٦٧٤ طبعة دار الفكر

(٤) الأصل: كادوا والمثبت عن المسند

(٥) الأصل: " تقحمهم النار " والمثبت عن المسند

(٦) كذا وفي المسند: من أنتم

(٧) الأصل: عدال والمثبت عن المسند

(٨) بالأص ل: " أبشروا معشر المسلمين " والمثبت عن المسند." (١)

"- «قد حمل الرجل إليك ثلاثين ألف دينار ولا بد من أن تعمل به جميلا.

فاقبل أحمد بن على الكوفي خليفة لنا بحضرتك ونائبا عنه إلى أن ترى رأيك.» فقال: «أما هذا فنعم.» وكتب ابن مقاتل إلى البريدي بما جرى وأنفذ أحمد بن على الكوفي ووافى حضرة أبى بكر محمد بن رائق بمدينة السلام واختلط به نيابة عن أبى عبد الله البريدي وثقل الحسين بن على النوبختي فتأخر عن الخدمة أياما.

وكان له ابن أخ قد صاهره فهو يخلفه فى مجلس ابن رائق ويوقع عنه. فقال ابو بكر ابن مقاتل للأمير ابن رائق:

- «حسن العهد من الإيمان وهو من الأمير أحسن لأنه عائد بالسلامة على ولكن إضاعة الأمور ليس من الحزم والحسين بن على ميت فانظر لنفسك فإن الأمور قد اختلت.» فقال: «يا هذا، الساعة والله سألت سنان بن ثابت عنه فقال: قد صلح وخف النفث وأنه أكل الدراج.» فقال: «سنان رجل عاقل ولا يحب أن يلقاك فيمن تعز بما تكره [١] ولا سيما هو وزير الزمان ولكن صهره [٥٤٨] وابن أخيه خليفته أحضره وحلفه أن يصدقك.» قال: «افعل.» وانصرف ابن مقاتل ودعا على بن أحمد بن أخى الحسين بن على وقال له:

- «قد مهدت لك كتبة الأمير وواقفته على تقلدك إياها وهي وزارة

---

[١] . وفى مط: فيمن تعذ احضر بما تكره. (خلط وتصحيف) .." (٢)

"انندبال» ثم «تروجنبال» ، قيل في سنة اثنتي عشرة وأربع مائة للهجرة وابنه «بهيمبال» بعده بخمس سنين، وانقضت الشاهية الهندية ولم يبق من اهل ذلك البيت نافخ نار، وكانوا مع البسطة لهجين بالمكارم وحسن العهد والاصطناع، ولقد استحسنت من انندبال مراسلته الأمير محمود والحال بينهما في غاية الخشونة بأني سمعت خروج الترك عليك وانتشارهم بخراسان، فإن شئت جئتك في خمسة آلاف «١» فارس وضعفها رجالة ومائة فيلة، وإن شئت وجهت اليك بابني في ضعف

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٣٢/٤٣

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤٥٤/٥

ذلك، وليس في «٢» ذلك اعتداد بموقع ذلك عندك، وإنما انا كسيرك فلا اريد ان يغلبك غيري، وكان هذا شديد البغض للمسلمين من لدن اسر ابنه وكان ابنه تروجنبال بخلافه.." (١)

"بذلك لأنه يوم المجازاة، و «الدين» : الجزاء كما تقول العرب:

كما تدين تدان ومنه قول الفند الزماني: [الهزج]

ولم يبق سوى العدوا ... ن دناهم كما دانوا

والإشفاق من أمر يتوقع، لأن نيل عذاب الله للمؤمنين متوقع، والأكثر ناج بحمد الله، لكن عذاب الله لا يأمنه إلا من لا بصيرة له، والفروج في هذه الآية: هي الفروج المعروفة، والمعنى من الزنى، وقال الحسن بن أبي الحسن أراد فروج الثياب وإلى معنى الوطء يعود. ثم استثنى تعالى الوطء الذي أباحه الشرع في الزوجة والمملوكات. وقوله تعالى: إلا على أزواجهم وحسن دخول على في هذا الموضوع قوله: غير ملومين، فكأنه قال: إلا أنهم غير ملومين على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم.

وقوله تعالى: ابتغى معناه: طلب، وقوله: وراء ذلك معناه: سوى ما ذكر، كأنه أمر قد حد فيه حد، فمن طلب بغيته وراء الحد فهو كمستقبل حد في الأجرام وهو يتعدى، وراءه: أي خلفه، والعادون:

الذين يتجاوزون حدود الأشياء التي لها حدود كان ذلك في الأجرام أو في المعنى.

قوله عز وجل:

[سورة المعارج (٧٠) : الآيات ٣٢ الى ٣٩]

والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٣٢) والذين هم بشهاداتهم قائمون (٣٣) والذين هم على صلاتهم يحافظون (٣٤) أولئك في جنات مكرمون (٣٥) فمال الذين كفروا قبلك مهطعين (٣٦)

عن اليمين وعن الشمال عزين (٣٧) أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم (٣٨) كلا إنا خلقناهم مما يعلمون (٣٩)

الأمانات: جمع أمانة، وجمعها لأنها تكون متنوعة من حيث هي في الأموال وفي الأسرار فيما بين العبد وربه فيما أمره ونهاه عنه، قال الحسن: الدين كله أمانة. وقرأ ابن كثير وحده من السبعة: «لأمانتهم» بالإفراد، والعهد: كل ما تقلده الإنسان من قول أو فعل أو مودة، إذا كانت هذه الأشياء على طريق البر، فهو عهد ينبغي رعيه وحفظه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حسن العهد من الإيمان» و: راعون جمع راع أي حافظ، وقوله تعالى: والذين هم بشهاداتهم قائمون معناه في قول جماعة من المفسرين:

أنهم يحفظون ما يشهدون فيه، ويتيقنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير، وهذا هو وصف من تمثيل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «على مثل الشمس فاشهد» . وقال آخرون معناه الذين إذا كانت عندهم شهادة ورأوا حقا يدرس أو حرمة لله تنتهك قاموا بشهادهم، وقال ابن عباس: شهادتهم في هذه الآية: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها» ، واختلف الناس في معنى هذا

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة البيروني ص/٣١٩

الحديث بحسب المعنيين اللذين ذكرت في الآية، إحداهما: أن يكون يحفظهما متقنة فيأتي بها ولا يحتاج أن يستفهم عن شيء منها ولا أن يعارض. والثاني: إذا رأى حقا يعمل بخلافه وعنده في إحياء الحق شهادة. وروي أيضا عن النبي صلى الله." (١)

"حرف الجيم جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إليه: ٤/ ٥٤٠ جاءني جبريل فقال: اجعلها على رأس مائتين وثمانين: ١/ ٣٧٨ جعل الله نور بصري: ٥/ ١٩٨ حرف الحاء حبك الشيء يعمي ويصم: ٢/ ٢٢٠ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه: ٢/ ٨ حدثتكم عن الدجال: ٥/ ٤٠٥ حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به: ٢/ ١٤ حرمت الخمر: ١/ ٢٩٣ حرمت الخمر بعينها: ٣/ ٤٠٤ حرمت عليهم الشحوم: ١/ ٤٧٢ الحزم سوء الظن: ٥/ ١٥١ حسن العهد من الإيمان: ٥/ ٣٦٩ حسن مستحب غير ضار: ٥/ ٥٣٩ حفت النار بالشهوات: ١/ ٤٠٨ حكم الله في الفئة الباغية: ٥/ ١٤٨ حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة: ٥/ ٣٢٧ الحلال بين والحرام بين: ١/ ٤٠٠، ٣/ ١١٨ الحمد لله الذي جعل من أمتي: ٣/ ٥١٢ الحمد لله رب العالمين فضل ثلاثين حسنة: ١/ ٦٦ الحمى فيح جهنم: ٤/ ٢٧ الحنيفة السمحة: ٢/ ٣٦٩ حولها ندندن: ١/ ٢٧٧ حين أسقط صلى الله عليه وسلم آية: ١/ ١٩٤ حرف الخاء خذهن يا أبا الدرداء: ٤/ ٣٠ خذوا جنتكم: ٤/ ٣٠ الخط الحسن يزيد الحق وضوحا: ٤/ ٤٢٩ خلق الله آدم: ١/ ١١٩، ٣/ ٤٣٥ خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعا: ١/ ١٠٥ خلق الله التربة يوم السبت: ٣/ ١٥٢ خلق الله فرعون في البطن مؤمنا: ٥/ ٣١٧ خمروا آنيتكم: ١/ ٢٩٢، ٥/ ٤١٩." (٢)

"عذاب الحجاب. ثم أخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل إن استطاع إليه السبيل وذلك بأن وجد شرائط السلوك وإمكانه وآداب السير وأركانه. ومنها الإحرام بالخروج عن الرسوم والعادات، والتجرد عن الطيبات والمألوفات، والتطهر عن الأخلاق المذمومات، والتوجه إلى حضرة فاطر الأرض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات. ومنها الوقوف بعرفات المعرفة، والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء، وحسن العهد والوفاء. ومنها الطواف بالخروج عن الأطوار البشرية السبعية بالأطواف السبعة حول الكعبة الربوبية. ومنها السعي بين صفا الصفات ومروة الذات. ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الأنوار الإلهية. وقس سائر المناسك على هذا. ومن كفر بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الألطاف، ولا يترقب لجذبات الأعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فإن الله غني عن العالمين. لا يستكمل هو منهم وإنما يستكملون هم منه. قل يا أهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون، وما العصمة عن اتباع الهوى إلا منه تعالى.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٠٢ الى ١١١]

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٦٩/٥

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٤٦/٦

نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (١٠٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (١٠٦)

وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمت الله هم فيها خالدون (١٠٧) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين (١٠٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور (١٠٩) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (١١٠) لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون (١١١)

القراآت:

حق تقاته بالإمالة: علي. ولا تفرقوا بتشديد الراء: البزي وابن فليح.." (١)

"مزيد البيروني، أخبرني أبي، نا الأوزاعي، حدثني حفص بن عنان، حدثني نافع مولى عبد الله، قال: كان عبد الله بن عمر يكري أرضه ببعض ما يخرج منها، فبلغه أن رافع بن خديج يزجر عن ذلك، وقال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال عبد الله: قد كنا نكري الأرض قبل أن نعرف رافعا، ثم وجد في نفسه من ذلك، فوضع يديه على منكبي حتى دفعنا إلى رافع بن خديج، فقال له عبد الله: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينهى عن كراء الأرض؟»، قال رافع: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تكروا الأرض بشيء»

وأما الثاني بالغين المعجمة والياء المعجمة باثنتين من تحتها والثاء المنقوطة بثلاث فهو

حفص بن غياث بن طلق بن معاوية أبو عمر النخعي القاضي الكوفي.

سمع: سليمان الأعمش، وهشام بن عروة، وجعفر بن محمد بن علي، وعبيد الله بن عمر العمري.

روى عنه: ابنه عمر، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة، وأبو كريب محمد بن العلاء، وجماعة يتسع ذكرهم.

أنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هارون بن الصلت الأهوازي، ثنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، نا سلم بن جنادة، نا حفص يعني ابن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم امرأة، فيكرمها، فقلت له، فقال: «إن هذه كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٢٣/٢

(٢) تلخيص المتشابه في الرسم الخطيب البغدادي ٧٧١/٢

"النعم فذكر الحديث اسم راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قتلوه يسار
الحديث التاسع والستون بعد المائة روى سعد بن عبيدة عن ابن عمر قال بني الإسلام على خمس على أن تعبد الله وتكفر ما دونه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام رمضان فقال رجل نعبد الله ونكفر بما دونه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت قال لا أجعل صيام رمضان إلا آخرهن كما سمعت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرجل المتكلم مع ابن عمر هو يزيد بن بشر السكسكي
الحديث السبعون بعد المائة روى عطاء أن رجلا ذكر عند عائشة فلعنته وسبته فقيل لها إنه قد مات فقالت أستغفر الله فقيل لها يا أم المؤمنين لعنتيه ثم استغفرت له فقالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذكروا موتاكم إلا بخير هذا الرجل يزيد بن قيس الأرحبي وقيل الرحبي وإنما لعنته عائشة لأنه كان سفيرا بينها وبين علي بن أبي طالب فبلغ ما لم تقل
الحديث الحادي والسبعون بعد المائة روى علقمة أن امرأة من بني أسد أتت عبد الله بن مسعود فقالت إنه بلغني أنك لعنت ذيت وذيت والواشمة والمستوشمة وإني قد قرأت ما بين اللوحين فلم أجد الذي تقول وإني لأظن على أهلك منها فقال لها عبد الله ادخلي فانظري فدخلت فلم تر شيئا ثم خرجت فقالت لم أر شيئا فقال لها عبد الله أما قرأت ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر ٧ قالت بلى قال فهو ذاك هذه المرأة الأسدية أم يعقوب
الحديث الثاني والسبعون بعد المائة روى محمد بن زياد بن المهاجر ابن قنقذ قال دخلت عجوز سوداء على النبي صلى الله عليه وسلم فحياها وقال كيف أنتم كيف حالكم فلما خرجت قالت عائشة يا رسول الله ألهذه السوداء تحي وتصنع ما أرى قال إنها كانت تغشانا في حياة خديجة وإن حسن العهد من الإيمان هذه السوداء اسمها جثامة وتكنى أم زخر المزينة وهي ماشطة خديجة وهذا الحديث لم يذكره الخطيب." (١)

"بكساء آخر فطرحته عند رأس الفراش، ثم اضطجعت ومدت الكساء عليها وبسطت لي بسيطا إلى جنبها، فتوسدت معها على وسادها، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقد صلى العشاء الآخرة فانتهى إلى الفراش، فأخذ خرقة عند رأس الفراش فاتزر بها، وخلع ثوبيه فعلقهما، ثم دخل معها في لحافها، حتى إذا كان في آخر الليل قام إلى سقاء معلق فحله، ثم توضأ منه، فهممت أن أقوم فأصب عليه، ثم كرهت أن يرى أني كنت مستيقظا، ثم جاء إلى الفراش فأخذ ثوبيه وخلع الخرقة، ثم قام إلى المسجد فقام يصلي، فقمت فتوضأت ثم جئت فقمت عن يساره، فتناولني بيده من ورائه فأقامني عن يمينه، فصلى وصليت معه ثلاث عشرة ركعة، ثم جلس وجلست إلى جنبه، فأصغى بخذه إلى خدي حتى سمعت نفس النائم، ثم جاء بلال رضي الله عنه قال: الصلاة يا رسول الله، فقام إلى المسجد فأخذ في الركعتين أخذ بلال في الإقامة. كذا في الكنز.

(حسن معاشرته عليه السلام لامرأة عجوز)

وأخرج البيهقي وابن النجار عن عائشة رضي الله عنه قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: «من أنت؟» قالت: جثامة المزنية، قال: «بل أنت حسانة المزينة، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير -

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ابن الجوزي ص/٤٩٦

بأبي أنت وأمي يا رسول الله – فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» . وعند البيهقي أيضا عنها قالت: كانت عجوز تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيهش بها." (١)

"الإخاء أساس الحضارة الإسلامية

وحجر الأساس هذا هو الإخاء الإنساني، إخاء يجعل المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وحتى يصل به هذا الإخاء إلى غاية البر والرحمة من غير ضعف ولا استكانة. سأل رجل محمدا: أي الإسلام خير؟ فقال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» . وفي أول خطبة ألقاها بالمدينة قال: «من استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقة من تمر فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها» . وفي خطبته الثانية قال: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتقوه حق تقاه، وأصدقوا الله صالح ما تقولون، وتحابوا بروح الله بينكم: إن الله يغضب أن ينتكث عهده» . بهذا وبمثله كان يحدث أصحابه وكان يخطب الناس في مسجده، مستندا إلى جذع من جذوع النخل التي يعتمد عليها سقفه، حتى أمر فصنع له منبر من ثلاث درجات، كان يقوم على درجته الأولى خطيبا. وكان يجلس في درجته الثانية.

إخاء محمد والمسلمين

ولم تكن أقواله وحدها دعامة الدعوة إلى هذا الإخاء الذي جعل منه حجر الزاوية في حضارة الإسلام، بل كانت أعماله وكان مثله هو هذا الإخاء في أسمى صور كماله. كان رسول الله؛ لكنه كان يأبى أن يظهر في أي من مظاهر السلطان أو الملك أو الرياسة الزمنية. كان يقول لأصحابه: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله» . وخرج على جماعة من أصحابه متوكئا على عصا فقاموا له، فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا» . وكان إذا بلغ في مسيره أصحابه جلس منهم حيث انتهى به المجلس. وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أطيب الناس نفسا وأكثرهم تبسما ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب. وكان في بيته في مهنة أهله يطهر ثوبه ويرقعه ويحلب شاته، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعقل البعير، ويأكل مع الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبائس والمسكين. وكان إذا رأى أحدا في حاجة آثره على نفسه وأهله ولو كان بهم خصاصة. وكان لذلك لا يدخر شيئا لغده، حتى لقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في قوت عياله.

وكان جم التواضع، شديد الوفاء؛ حتى لقد وفد للنجاشي وفد فقام بخدمتهم؛ فقال له أصحابه: يكفيك.

فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم. وبلغ من وفائه أنه ما ذكرت خديجة إلا ذكرها أطيب الذكر؛ حتى كانت عائشة تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة لما كنت أسمعه يذكرها.

---

(١) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي ٥٠٧/٣

ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها؛ فلما خرجت قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وأن حسن العهد من الإيمان. وبلغ من طيبة نفسه ورقة قلبه أنه كان يدع بني بناته يداعبونه أثناء صلاته. بل لقد صلى بأمامة ابنة بنته زينب يحملها على عاتقه، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

رفق محمد بالحيوان

ولم يقف بالبر والرحمة اللذين جعلهما دعامة الإخاء الذي قامت الحضارة الجديدة على أساسه عند الإنسان، بل عداهما إلى الحيوان كذلك؛ كان يقوم بنفسه فيفتح بابه لهرة تلتمس عنده ملجأ، وكان يقوم بنفسه على تمريض ديك مريض، وكان يمسح لجواده بكم قميصه. وركبت عائشة بعيرا فيه صعوبة فجعلت." (١)

"وعفة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام كانت صيانة من الله تعالى صانه عن أن يلهو، ولا يمكن أن تكون الشهوات وانحرافها، إلا ومعها اللهو بكل ضروبه، وقد صانه الله لا عن الأهواء والشهوات المنحرفة، بل صانه عن مقدماتها، وعن أخذ أسبابها، فصانه عن اللهو ولو كان بريئا.

وقد ذكرنا من قبل كيف انساق وهو غلام إلى الرغبة فى أن يحضر عرسا فيه لهو، فإنه عندما ذهب إليه ضرب الله سبحانه وتعالى على ذاته بنعاس أصابه من غير غم، وما استيقظ من نعاسه حتى أيقظته الشمس فى ضحاها، وكذلك كان الأمر فى ليلة أخرى، حين استوى عوده، وكانت له إرادة مسيطرة على نفسه، كان عزوفه عن اللهو بإرادة مهدية مدركة، ولم يكن بنوم يصيبه الله تعالى به، ولذلك استعصم، ولم يحدث منه قط ما يكون انسياقا وراء هوى جامح، أو شهوة مسيطرة. حتى كان الزواج، فكان الحلال الذى لا مرية فيه.

الوفاء ورعاية العهد:

١٤٢- إنه يستدل على سجايا الرجل بمقدار رعايته لمن كان لهم به صلة، وممن كانوا معه على عشرة طيبة، فيوفى بحق هذه العشرة، يرعاها حق رعايتها، يصلها ولا يقطعها، يذكرها ولا ينكرها، فالوفاء خلة الرجل الكريم، وبمقدار وفائه يكون مقدار ما اتاه الله تعالى من خلق سمح، ونفس مؤمنة بالخير، معترفة به لأهله.

وإن وفاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن مضى من معاشريه يسترعى أنظار من قرأوا سيرته الطاهرة:

(أ) وأوضح مثل، وفاؤه لأم المؤمنين خديجة، يود صديقاتها، ويصل صلاتها، يذكرها بالخير والاعتراف بالجميل، حيث جاء ذكرها، حتى إن أم المؤمنين عائشة حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تقول: «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، لما كنت أسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة، فيهديها إلى خلائلها. استأذنت عليها أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة، فبش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة» . وإن الوفاء لحسن العهد من الإيمان، وناهيك بأعظم من فى الوجود، فلابد أنه كان أوفاهم، ومما يتصل بوفائه لزوجه البارة

(١) حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هيكل، محمد حسين ص/١٥٢

خديجة أن عائشة من كثرة ثنائه عليها قالت له مرة: هل كانت إلا عجوزا بدلك الله خيرا منها» فقال عليه الصلاة والسلام: لا والله ما أبدلنى خيرا منها ... امنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء» .." (١)

"وقفنا وللألحاظ في معرك النوى ... سهام غرام في القلوب وقوعها

ومنها:

وبيض أعاضتني نواها بمثلها ... ألا رب بيض لا يسر طلوعها

خلعت لها برد الصبا عن مناكبي ... وعفت الهوى لما علاني خليعها

وقوله كتبها إلى والده يتشوقه:

شوقي على طول الزما ... ن يزيد في مقداره

وجوى فؤادي لا يق ... ر وكيف لي بقراره

والقلب حلف تقلب ... وتحرق في ناره

والطرف كالطرف الغر ... يق يعوم في تياره

وتأسفي وتلهفي ... باق على استمراره

من ذا يرق لنازح ... عن أهله ودياره

لعب الزمان بشمله ... وقضى ببعد مزاره

فالسقم من زواره ... والهم من سماره

والصبر من أعدائه ... والدمع من أنصاره

وهمومه مقصورة ... أبدا على تذكاره

وقوله إلى القاضي الأجل الأشرف ابن البيساني متولي الحكم بعسقلان:

لعل تحدر الدمع السفوح ... يسكن لوعة القلب القريح

وعل البرق يروي لي حديثا ... فيرفعه بإسناد صحيح

ويا ريح الصبا لو خبرتني ... متى كان الخيام بذي طلوح

فلي من دمع أجفاني غبوق ... تدار كؤوسه بعد الصبوح

وأشواق تقاذف بي كأني ... علوت بها على طرف جموح

ودهر لا يزال يحط رحلي ... بمضيعة ويرويني بلوح

كريم بالكريم على الرزايا ... شحيح حين يسأل بالشحيح

وأيام تفرق كل جمع ... وأحداث تجيز على الجريح

---

(١) خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم محمد أبو زهرة ١٩٩/١

فيا لله من عود بعود ... ومن نضو على نضو طليح

وأعجب ما منيت به عتاب ... يؤرق مقلتي ويذيب روحي

أتى من بعد بعد واكتئاب ... وما أنكى الجروح على الجروح

وقد أسرى بوجدي كل وفد ... وهبت بارتياحي كل ريح

سلام الله ما شرقت ذكاء ... وشاق حنين هاتفة صدوح

على تلك الشمائل والسجايا ... وحسن العهد والخلق السجيح

على أنس الغريب إذا جفاه ال ... قريب ومحتد المجد الصريح

على ذي الهمة العلياء والمن ... ة البيضاء والوجه الصبيح

ومنها:

صفوح عن مؤاخذة الموالي ... وليس عن الأعادي بالصفوح

همام ليس يبرح في مقام ... كريم، أو لدى سعي نجيح

حديد الطرف في فعل جميل ... وقور السمع عن قول قبيح

مددت إليه يدي فشد أزري ... وذاد نوائب الدهر اللحوح

وفزت بوده بعد ارتياد ... ولكن صدني عنه نزوحي

وما أدركت غايته بنظمي ... ولو أدركت غاية ذي القروح

ولكني وقفت على علاه ... عتادي من ثناء أو مديح

وقوله من قصيدة:

إلام ألوم الدهر فيكم وأعتب ... وحتام أرضى في هواكم وأغضب

أما من خليل في الهوى غير خائن ... أما صاحب يوما على النصح يصحب

بأية عضو ألتقي سورة الهوى ... ولي جسد مضنى وقلب معذب

عذيري من ذكرى إذا ما تعرضت ... تعرض لاح دونها ومؤنب

ومنها:

أرى الدهر عونا للهموم على الفتى ... وضدا له في كل ما يتطلب

فأبعد شيء منه ما هو آمل ... وأقرب شيء منه ما يتجنب." (١)

"فهذا على ما ذكره صاحب قلائد العقيان، قريب الزمان من عصر أهلنا الأعيان، وحكى عنه أنه لما انفصل عن أمير المسلمين، اختار لمسكنه سلا، واعتقد أنه بمجاورة بني القاسم يتسلى، وكانت ولايتها إلى أبي العباس، ولأبي محمد لديه يد أنجته من نكبة تمت له من البؤس واليأس، فلما سار إليه لم يرفع له الرأس ولم يوله في حال الوحشة الإيناس، فنسبه فيه

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٤١٣/٢

إلى قلة الوفاء، وحسبه من كثرة الجفاء، ة فكتب إليه أبو العباس يعتذر، بأنه من أمير المسلمين يحذر:

واحسرتا لصديق ما له عوض ... إن قلت من هو لا يلقاك معترض

ألقاه بالنفس لا بالجسم من حذر ... لعلة ما رأيت الحر ينقبض

فكتب الوزير أبو محمد ابن القاسم إليه في جوابه:

شد الجياد إذا أجريت منقبض ... ما للوجيه على الميدان معترض

أنى تضاهيه فرسان الكلام ومن ... غباره في هواديهن ما نفضوا

جرت على مستو من طبعه كلم ... هي المشارب لكن ما لها فرض

كأن منشدها نشوان من طرب ... أو بلبل من سقيط الطل ينتفض

تحية من أبي العباس زار بها ... طيف من العذر في أثوابه يمض

لا بالجلي فتستوفي حقيقته ... ويستبان بعين ما لها غمض

لكن أغض عليه جفن ذي مقة ... كما يسد مكان الجوهر العرض

يا من يعز علينا أن نعاتبه ... إلا عتاب محب ليس يمتعض

ناشدتك الله والانصاف مكرمة ... أما الوفاء بحسن العهد مفترض

هب المزار لمعنى الريب مرتفع ... ما للوداد بظهر الغيب ينخفض

أما لكل نبيه في العلى حيل ... تقضى الحقوق بها والمرء منقبض

كن كيف شئت فمن دأبي محافظة ... على الذمام وعهد ليس ينتقض

وهمة لم تضق ذرعا بحادثة ... إن الكريم على العلات ينتهض

والحر حر وصنع الله منتظر ... والذكر يبقى وعمر المرء ينقرض

ومن منثوره ما ذكر القيسي في كتابه، أنه كتب إليه في جوابه، فراجعه به من رقعة كتبها إليه مودعا ووصف النجوم:." (١)

"جدي يخاصمني ويزعم ما الذي ... ألقاك طي جريدة النسيان

هبني، وزير المشرقين، ضعيفة ... تأتي خديجة زينة النسوان «١»

كان الرسول إذا أتته يعزها ... ويقول: حسن العهد في الإيمان

عزم الزمان وجار فاحسم جوره ... عن [١] عبدك المظلوم بالريحان [٢]

/واسعد بجد صاعد متنعما ... في دولة مخضرة الأغصان [٣]

وأنشدني لنفسه من أبيات له في عيادة الوزير أحمد عبد الصمد:

يا أيها الشيخ الأجل ومن به ... يرجى الندى وتحقق الآمال

(كامل)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٩٠٧

لا تجزعن إذا مرضت فإنما ... للبدر بعد سراره [٤] استهلال

وكذاك [٥] يعترض الجبال عوارض «٢» ... فتزول عنها والجبال جبال

---

[١] . في ف ١ و ٢: من.

[٢] . في ب ٣ بالريان.

[٣] . ما مضى من أشعار ساقط من ف ٢ وف ٣ ورا وبا وح.

[٤] . في ب ٣: استكمال.

[٥] . في ل ٢: وكذا.." (١)

"الباب الثامن والثمانون الوفاء، وحسن العهد، ورعاية الذمم، والأمانة والثقة، وكتمان الأسرار، وما أشبه ذلك

١- أبو بكر رضي الله عنه: قال لي رسول صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر، عليك بصدق الحديث، ووفاء بالعهد، وحفظ الأمانة، فإنها وصية الأنبياء.

٢- نزل ناس من محارب إلى جنب المدينة، فاشترى منهم رسول الله جزورا «١» بوسق «٢» من تمر. فلما ذهب بها وتوارى في بيوت المدينة، قالوا: أعطينا رجلا لا نعرفه. فقالت عجوز منهم: لقد رأيت وجه رجل ما كان ليلبسه غدرا. فما كان إلا أن أرسل إليهم فدعاهم، ثم أمر بالتمر فنثر على نطع «٣» ، ثم قال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا، ثم وفاهم ثمنهم.

فقالوا: ما رأينا كاليوم في الوفاء.

٣- أوصت أعرابية أبنا لها فقالت: يا بني، اعلم أنه من اعتقد الوفاء والسخاء فقد استجاد الحلة بربطتها وسربالها، وإياك والنمائم فإنها تنبت." (٢)

"وما في جميع الناس شر من الوشاة، وهم النمامون، وإن النميمة (١) لطبع يدل على نتن الأصل، ورداءة الفرع، وفساد الطبع، وخبث النشأة، ولابد لصاحبه من الكذب؛ والنميمة فرع من فروع الكذب ونوع من أنواعه، وكل نمام كذاب، وما أحببت كذابا قط، وإني لأسامح في إخاء كل ذي عيب وإن كان عظيما، واكل أمره إلى خالقه عز وجل، وآخذ ما ظهر من أخلاقه حاشا من أعلمه يكذب، فهو عندي ماح لكل محاسنه، وذلك لان كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل ذام فقد يمكن الاستتار به والتوبة منه، حاشا الكذب فلا سبيل إلى الرجعة عنه ولا إلى كتمانه حيث كان. وما رأيت قط ولا أخبرني من رأى كذابا ترك الكذب ولم يعد إليه، ولا بدأت قط بقطيعة ذي معرفة إلا أن أطلع له على الكذب، فحينئذ أكون أنا القاصد إلى مجانبته والمتعرض لمتاركته، وهي سمة ما رأيتها قط في أحد إلا وهو مزنون إليه بشر في نفسه، مغموز عليه لعاهة سوء في ذاته، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد قال بعض الحكماء: آخ من شئت واجتنب ثلاثة: الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، والملوك فإنه أوثق ما تكون به

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٠٤٤/٢

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٩٩/٥

لطول الصحبة وتأكدها بخذلك، والكذاب فإنه يجني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لا تشعر.

وحديث عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم: " حسن العهد من الإيمان " (٢) ؛ وعنه عليه السلام: " لا يؤمن الرجل بالإيمان كله حتى يدع الكذب في المزاح " (٣) . حدثنا

(١) قارن بين هذه الحملة الشديدة على النميمة هنا، وبين قول ابن حزم في رسالته في الأخلاق والسير: " واما النميمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضرر فيه على المبلغ إليه " (رسائل ابن حزم: ١٣٣) .

(٢) ورد في ارشاد الساري ٩: ٢١ واتقان الغزي: ٥٢ وعيون الاخبار ٣: ١٥ والبصائر ٧: ٦٥١.

(٣) انظر مسند أحمد ٢: ٣٥٢، ٣٦٤.." [1]

"الحج مبرورا. وانما يكون مبرورا باجتماع أمرين. فيه الاول الإتيان فيه باعمال البر والبر هو الإحسان للناس واطعام الطعام وافشاء السلام. والثاني ما يكمل به الحج وهو اجتناب افعال الإثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصي. قال ابو جعفر الباقر ما يعبأ من يؤم هذا البيت إذا لم يأت بثلاث ورع يحجره اى يمنعه عن محارم الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاث يحتاج إليها من يسافر خصوصا الى الحج فمن كملها فقد كمل حجه فعلى السالك ان يخالق الناس بخلق حسن

از من بكوى حاجئ مردم كزايرا ... كاو پوستين خلق بازار مى درد

حاجى تو نيستى شترست از براى آنك ... بيچاره خار ميخورد وبار ميبرد

قال بعض المشايخ علامة الحج المبرور ان يرجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة. قال نجم الدين الكبرى فى تأويلاته والاشارة ان الله تعالى جعل البيت والحج اليه واركان الحج والمناسك كلها إشارات الى اركان السلوك وشرائط السير الى الله وآدابه. فمن أركانه الإحرام وهو اشارة الى الخروج عن الرسوم وترك المألوف والتجرد عن الدنيا وما فيها والتطهر من الأخلاق وعقد إحرام العبودية بصحة التوجه. ومنها الوقوف بعرفة وهو اشارة الى الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عقبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفا. ومنها الطواف وهو اشارة الى الخروج عن الأطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول كعبة الربوبية. ومنها السعى وهو اشارة الى السير بين صفا الصفات ومروة الذات. ومنها الحلق وهو اشارة الى محو آثار العبودية بموسى أنوار الالهية وعلى هذا فقس المناسك كلها. والحج يشير الى عين الطلب والقصد الى الله بخلاف سائر اركان الإسلام فان كل ركن منه يشير الى طرف من استعداد الطلب فالله تعالى خاطب العباد بقوله ولله على الناس حج البيت وما قال فى شىء آخر من الأركان والواجبات ولله على الناس وفائدته ان المقصود المشار اليه من الحج هو الله وفى سائر العبادات المقصود هو النجاة والدرجات والقربات والمقامات والكرامات. والاستطاعة فى قوله من استطاع إليه سبيلا هى جذبة الحق التي توازى عمل الثقلين ولا يمكن السير الى الله والوصول اليه الا بها ومن كفر اى لا يؤمن بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الطاف الرب ولا يتقرب بجذبات الالوهية كما يشير إليها اركان الحج فإن الله غني عن العالمين بان

(١) رسائل ابن حزم ابن حزم ١٧٣/١

يستكمل بهم وانما الاستكمال للعالمين به ولا غنى بهم عنه تعالى جعلنا الله وإياكم من الكاملين والواصلين الى كعبة اليقين والتمكين قل يا أهل الكتاب هم اليهود والنصارى سموا بذلك فان الكتاب لا يختص بالمنزل فنسبوا الى ما كتبوا سواء كان من إلقاء الروح الامين او تلقاء النفس لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الأسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلى فى شأن الحج وغيره وما فى التوراة والإنجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون والمعنى لاى سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع أعمالكم وفى مجازاتكم عليها ولا ريب فى ان ذلك يسد." (١)

"أجرى الخير على يديكم، وألهمكم ما يحفظ نعمه الجزيلة لديكم، ويضفي ستر عصمته عليكم. وكتبنا إليكم هذا الكتاب، فلو أن حمرة مثله معتادة حسبما اقتضاه عرف وعادة، لقلنا خجل من تقصيره، فعلته حمرة الخجل لما ضاق عن مراده ذرع المروى والمترجل، لاكن على إغضا ذلك المقام المعتمد، فهو الذي يعد منه في الفضل الأمد. والله يصل سعدكم [ويحرس مجدكم] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتبت أيضا

المقام الذي بر ووفى، وكفل وكفى، وخلص على كدر الزمان وصفا، وشفا الأمر على شفا، وأوجب ما أوجبه المجد ونفا، وسجل عقد الرعى والوفا الحميد السعي، فاستقل رسمه واكتفى، وسكنت صولة عزه ريح الكفر وقد كان هفا، وقامت على قصده الجميل الأدلة [التي تسعد] بها الملة مما بدا عما خفا. مقام محل أبينا الذي إلى ظل فضله الاستناد، بحجة نصره يرتفع العناد، وعلى مجده الاعتماد، وتشيعنا إلى أبوته يشهد به الحي والجماد، أبقاه العناد، وعلى مجده الاعتماد، وتشيعنا إلى أبوته يشهد به الحي والجماد، أبقاه الله يخلف أولياءه في أبنائه أحسن الخلف، ويتحلى من حسن العهد بأكرم ما يؤثر عمن شهر من السلف، ويتحمل في سبيل الله ثقيل المون وباهظ الكلف، وحرس بدر علاه من السرار والكلف. معظم مقامه، وملتزم إجلاله وإعظامه، فلان. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.." (٢)

"من فضل الله الاغتنام، وعبس الجو العباس، وضحك النصل البسام، وأورد الخيل موارد الطعان والإقدام، فكان لحربكم الظهور الذي حكم المهندة في الرقاب، والسمر الطوال في البعر ثم في الأعقاب، وبشرت برؤية هلال الفتح عيون الارتقاب، وحط عن وجه الصنع الجميل ما راب من النقاب، وأن من بغى عليه، حسبما قررتم، وعلى نحو ما أجملتم وفسرتم من شيوخ العرب المجلية، ووجوه الخدام المنتهية إلى حسن العهد المنتمية، تحصل في حكم استرقاقكم، وتحت شد وثاقكم، وربما سفر المكروه عن المحبوب، وانجلى المرهوب عن المرغوب، والله مقلب القلوب، وشيمتكم في ايتلاف النافر، والأخذ من فضل العفو بالحظ الوافر، كفيل لكم بالصنع السافر. والله يحملكم على ما فيه رضاه، ويخير لكم فيما قضاه. فصلنا ما اتصل لكم من الصنع واطرد. ورحبنا هذا الوارد الكريم الذي ورد، وشكرنا فضلكم في التعريف بالمودود، والشرح لمقامه

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢/٦٩

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١/٤٠٧

المحمود، وكتبنا نهنيكم به هنا مشفوعا، وبالدعاء لكم متبوعا. والله يطلع من توالى مسرتكم على ما يبسط الآمال، وينجح الأعمال، ويفتح في السعد المجال، والذي عندنا من ودكم أعظم من استيفائه بالمقال، ونهوض اليراع بوظائفه الثقال، يعلم ذلك عالم الخفيات، والمجازي بالنيات سبحانه. والله يصل سعدكم، ويحرص مجدكم والسلام

ومن ذلك

المقام الذي نطالعه أخبار الجهاد، ونهدي إليه عوالي العوالي صحيحة الإسناد، وتبشره بأخبار الفتح البعيد الآماد، ونسأل الله له توالى الإسعاف، ودوام الإسعاد، ونرتقب من صنع الله على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد، وامتعاضا يطلع بأفاق البلاد، نجوم غرر الجياد، ويفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف." (١)

"عقيما، عميان قد هجرت الكحال، وأملت في رد أبصارها المحال. ما الذي رابكم، أنس الله اغترابكم، من سيرة السلف الذين تجروا وكسبوا وانتموا لغنى الأكف وانتسبوا، وتصدقوا ووهبوا، وجاهدوا وحجوا وما انحرفوا ولا لجوا، وبسيرة أعمالهم احتجوا، وسعوا والتمسوا، وأكلوا الطيب ولبسوا، وجوارحهم بميزان الشريعة، أرسلوا وحبسوا، وشهد لهم بالخلاص عقدهم الذي حفظوا ودرسوا، لم يزمعوا لغير الضرورة طلاقا، وأشفقوا من فراق أهليهم إشفاقا، ولا حلوا لحسن العهد نطاقا، ولا قتلوا أولادهم إملاقا، ولم يضرهم مع الاستقامة معاشهم، ولا قطع بهم عن الله أثاثهم ولا رياشهم، بل إلى فئة الحق انحياشهم، وأنتم على الحقيقة، ومن لكم بذلك أوباشهم، فإن قلتم وسعوا ما ضاق عنه احتمالنا، ولم تستطعه أعمالنا، فهلا تفطنتم وتنبهتم، وتكلفتم هديهم وتشبهتم. أتظنون أنهم غاب عنهم ما أدركتم، أو عجزوا عما إليه تحركتم، وهب أن ثم مقامات عالية، ولمقدمات أصل الشريعة بزعمكم بالية، هلا استربتم إذ لم تدركوها، وإن لم تحصلوا منها إلا على أن تحكوها، فرجعتم إلى الأصل المجرد. والطريق المقرر، فمن ضل وجب عليه أن يعرس حتى يصبح، ويبدو المهيع ويتضح، فاقتحام المفاز بلا دليل شأن غير النبيل، وبالانقطاع كفيل، ويا ليتكم بلغتم درجة البله المشهود بتوفيقهم، وصحة طريقهم، ومن أجهده الحزن أمهل، ومن تحير وجب عليه أن يسأل، ويترك اللجاج أجمل، ولم ير في الأمر حتى يتأول، ومن لم يستيقن فلا يستعجل، والطريق الذي احتقرتم، والله أهمل، وأحجكم بالشيخ عبد الجليل الذي ظلمتموه، وبكشف الغيوب اتهمتموه، وبالولاية حددتموه ورسمتموه، وهو يقوم على السلب بيعا وشرا، واعتمارا وكرا، ويصلح من كرمه الذي لم يعه، فإن قلتم ذلك شيخ هداية، فقد كان ذا بداية، ومفتقرا مثلكم إلى داية، فلم تلح عليه من شيء مما أنتم عليه آية، ولم يطلق زوجه مجانا." (٢)

"بها منه؛ فأحببت أن تتقدم فى اختيار أقلام قصبية، وتتأنق فى انتقائها قبلك، وطلبها فى منابتها، من شطوط الأنهار، وأرجاء الكروم، وأن تتيمم باختيارك منها الشديدة المجس، الصلبة المعض، الغليظة الشحوم، المكتنزة الجوانب، الضيقة الأجواف، الرزينة الوزن، فإنها أبقى على الكتاب، وأبعد من الحفاء، وأن تقصد بانتقائك منها للرقاق القضبان، اللطاف المنظر، المقومات الأود، الملس العقد، ولا يكون فيها التواء عوج ولا أمت؛ وضم الصافية القشور، الخفية الأبن «١» ، الحسنة الاستدارة، الطويلة الأنابيب، البعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، تكاد أسافلها تهتز من أعلاها،

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/١٥

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٤٤٩

لاستواء أصولها برءوسها، المستكملة يبسا، القائمة على سوقها، قد تشربت الماء في لحائها، وانتهت فى النضج منتهاها، لم تعجل عن تمام مصلحتها، وإبان ينعها، ولم تؤخر فى الأيام المخوفة عاهاتها؛ من خصر الشتاء، وعفن الأنداء، فإذا استجمعت عندك أمرت تقطعها ذراعا ذراعا، قطعا رفيقا تتحرز معه أن تتشعب رءوسها، أو تنشق أطرافها، ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية، وعليها الخيوط الوثيقة، ووجهتها مع من يحتاط فى حراستها وحفظها وإيصالها؛ إذ كان مثلها يتوانى فيه، لقلة خطرها عند من لا يعرف فضل جوهرها؛ واكتب معه بعدتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها، على الاستقصاء، من غير تأخير ولا إبطاء.

فأجابه ووجه إليه مع الأنابيب: أتانى كتاب الأمير – أعزه الله! – بما أمر به ولخصه، من البعث بما شاكل نعته، وضاهى صفته، من أجناس الأقلام، فتيممت بغيته قاصدا لها، وانتهجت معالم سبله آخذا بها، فأنفذت إليه حزما أنشئت بلطيف السقيا، وحسن العهد والبقيا، لم تعجل بإخراجها، ولا بودرت." (١)

"[من رسائل الميكالى]

فصل لأبي الفضل الميكالى من كتاب تعزية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب.

لئن كانت الرزية بمصيبة مؤلمة، وطرق العزاء والسلوة مبهمة، لقد حلت بساحة من لا تنتقض بأمثالها مرائره، ولا تضعف عن احتمالها بصائره، بل يتلقاها بصدر فسيح يحمى أن يفتح الحزن بابه، وصبر مشيح يحمى أن يحبط الجزع أجره وثوابه، ولم لا وآداب الدين من عنده تلتمس، وأحكام الشرع من بنانه ولسانه تستفاد وتقتبس، والعيون ترمقه «١» فى هذه الحال لتجرى على سننه، وتأخذ بآدابه وسننه؛ فإن تعزت القلوب فبحسن تماسكه عزاؤها، وإن حسنت الأفعال فإلى حميد أفعاله ومذاهبه اعتزاؤها.

وله من تعزية إلى أبي عمرو البحترى: قدس الله روحه، وسقى ضريحه؛ فلقد عاش نبيه الذكر، جليل القدر، عبق الثناء والنشر، يتجمل به أهل بلده، ويتباهى بمكانه ذوو مودته، ويفتخر الأثر وحاملوه بتراخى بقائه ومدته، حتى إذا تسنم ذروة «٢» الفضائل والمناقب، وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب، اختطفته يد المقدار، ومحى أثره بين الآثار، فالفضل خاشع الطرف لفقده، والكرم خالى الربع من بعده، والحديث يندب حافظه ودارسه، وحسن العهد يبكى كافله وحارسه.

وله: فأما الشكر الذى أعارنى رداءه، وقلدنى طوقه وسناءه؛ فهيهات أن ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله، ولا يسير إلا تحت رايات عرفه ونواله، وهو ثوب لا يحلى إلا بذكره طرازه، واسم له حقيقته ولسواه مجازه، ولو أنه." (٢)

"ولا يحرم الوفر الفتى بجهالة ... وعجز ولا يحظى بعقل ولا كد

ولكنها الأرزاق أعددن للفتى ... قديما على قدر الشقاوة والجد

فكائن رأينا من حليم مفتر ... عليه وغمر بات في عيشة رغد

أراني عروفا بالزمان فمن يكن ... كمثلي لم يصبح على الدهر ذا نقد

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٣/٦٧٠

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٤/١١٤١

ولم ييتئس إن مسه بمضوفة ... ولم يزه بالدنيا إذا فاز بالوجد

وقد قرعتني الحادثات فلم تلن ... قناتي لغمز من شابها ولا لهد

وما رسنني حتى نزعن عن امرئ ... بعيد الهوى ثبت الحشا حازم جلد

إذا ظفرت كفاه لو يزه فاخرا ... وإن نيل لم يضرع ولم يمس ذا وجد

فأصبحت لا آسى على فقد هالك ... ولا يعتريني بين غانية رأد

ولا أبتغي امرئ عن تكلف ... وإن كان حسن العهد ديني لذي ود

ولو ملني من الدهر معصمي ... لفارقته طوعا ولم يشكه عضدي

ورب غبي يزدريني إن رأى ... شحوبي من حادث آونة لد

ولم يدر أن الأجرد النهد فضله ... بإحضاره لا باللجام ولا اللبد

وأن الحسام الهندواني إنما ... بمضربه يعتام لا جده الغمد

وأن وراء الوهم لن يبق عزة ... عليه إذا ما قاده أصغر الولد

الوهم: الجمل العظيم الذلول، ورواؤه: منظره.

وإن برا الهدهد التاج وهو لم ... يفز بالذي للباز والنسر من مجد

وإن بهار الدفل كالورد منظرا ... وحسنا وبعد الخبر محمدة الورد

وغمر جهول يرتجي نيل منصبي ... رجاء حضيض أن سيرقي إلى النجد

يصبو إلى ما نلته مثل ما صبا ... حصور إلى ما نيل من عذر الخرد

ويسعى إلى إدراك شأوي كما سعت ... أتان خريع خلف صافنة جرد

وغرته مني لينة وبشاشة ... كما غر غمرا كشرة الأسد الورد

ومن مد للبدر المنير يمينه ... ليمسكه فيلبسن ضيعة المد!

وذي ثروة يستأمني بلعاعة ... ليقتادني قود الوديق إلى الورد

ولم يدر إني أجتوي الأري شابه ... هوان وأستحلي بعز جنى الهبد

وأن لست للباغي ضيما بمصحب ... ولا باذل ماء وجهي على شكد." (١)

"وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كانت عجوز تأتي النبي- صلى الله عليه وسلم- فيهش لها ويكرمها، وفي لفظ «كانت عجوز تأتي النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال لها: «من أنت» ؟ فقالت: جثمامة المدينة قال: «بل أنت حسانة المدينة، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت:

بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وفي لفظ: كانت تأتي النبي- صلى الله عليه وسلم- امرأة فقلت: يا رسول الله، من هذه؟ وفي لفظ: بأبي أنت وأمي إنك لتصنع بهذه العجوز شيئا لم تصنعه بأحد، وفي لفظ: فلما خرجت، قلت: يا رسول

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٣١٠/٢

الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال: فقال: «يا عائشة، إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» . وفي لفظ: «وإن كرم الود من الإيمان» .

العاشر: في أنها- رضي الله تعالى عنها- من أفضل نساء أهل الجنة:

روى الإمام أحمد، وأبو يعلى، والطبراني برجال الصحيح عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- قال: خط رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في الأرض أربعة خطوط فقال: «تدرون ما هذا» ؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» .

الحادي عشر: في أنها من خير نساء العالمين ومن سيداتهن.

روى البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» .

الثاني عشر: في ذكر ولدها- رضي الله تعالى عنها- من غير رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

كان لها- رضي الله تعالى عنها- جارية اسمها هند من عتيق بن عائذ بن عبد الله أسلمت وتزوجت، وجارية أخرى يقال لها هالة من النباش بن زرارة ورجل يقال له هند بن أبي هالة، قال ابن قتيبة وابن سعد وأبو عمر: عاش هند بن هند في بيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأسلم مع أمه، وقتل مع علي- رضي الله تعالى عنهما- يوم الجمل ذكره الزبير، وقيل: مات بالبصرة في الطاعون، فازدحم الناس على جنازته، وتركوا جنائزهم وقالوا: ربيب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان رضي الله تعالى عنه- فصيحا بليغا وصافا فوصف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأحسن وأتقن.

وكان- رضي الله تعالى عنه- يقول: إن أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا، أبي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأمي خديجة، وأخي القاسم، وأختي فاطمة.

الثالث عشر: في وفاتها- رضي الله تعالى عنها-.

توفيت قبل الهجرة قيل: بأربع، وقيل: بخمس، في رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه من قبل الإسراء بثلاث سنين على الصحيح. ونزل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في حفرتها وكان لها حين توفيت خمس وستون." (١)

"الباب الثالث عشر في وفائه بالعهد والوعد- صلى الله عليه وسلم-

روى البخاري عن أبي سفيان بن حرب- رضي الله تعالى عنه- أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ... الحديث، وفيه: وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١٥٩/١١

وروى ابن أبي خيثمة وأبو داود والخرائطي عن عبد الله بن أبي الحسماء- رضي الله تعالى عنه- قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه فقال: يا أخي وفي لفظ يا فتى «لقد شفقت علي أنا ها هنا من منذ ثلاث أنتظرك» .

وروى ابن العربي والحاكم، وقال على شرطهما وأقره الذهبي عن عائشة- رضي الله تعالى عنها- قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي، فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا جثامة المزنية، قال: «بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت، قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» .

وروى الشيخان والترمذي عنها قالت: ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة، وما رأيتها ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها، وفي لفظ «وما بي أن أكون أدركتها، وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها» وقد أمره ربه- تبارك وتعالى- أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها، وفي لفظ: «في صدائقها» ، وفي لفظ: «فيتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن» فربما قلت: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول:

إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد فأغضبته يوما فقلت: «لقد أبلغك الله» وفي لفظ «لقد أعقبك الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر الأول، قالت: فتغير وجهه ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي وإذا رأى مخيلة الرعد حين ينظر أرحمة هي أم عذاب؟ وفي لفظ: «كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أحسن الثناء عليها فقلت: ما تريخي منها، وقد أبد لك الله خيرا منها، قال صلى الله عليه وسلم: «ما أبدلني الله خيرا منها آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد، إذ لم يكن لي من غيرها» .." (١)

"فائك، أو اقترحت فهو مدرعة راهب، أو آثرت فهو تحية شارب.

طيب الخبر

فلان أخباره ذكية، وآثاره زكية. أخباره تأتينا كما وشت بالمسك رياه، ونم على الصبح محياه. قد انتشر من طيب أخباره ما زاد على المسك الفتيق، وأوفى على الزهر الأنيق. مناقب تشدخ في جبينها غرة الصباح، ويتهادى أنباءها وفود الرياح. فلان أخباره آثاره، وعينه فراره. قد حصل له من حميد الذكر، وجميل النشر، ما لا تزال الرواة تدرسه، والتواريخ تحرسه. سألت عن أخباره فكأني خرجت المسك فتيقا، وصبحت الروض أنيقا. أحببته بالخبر، قبل الأثر، وبالوصف، قبل الكشف. أخباره متضوعة كتضوع المسك الأذفر، ومشرقة إشراق الفجر الأنور. أخباره أرجة، وصفحاته بهجة.

حسن العهد وكرم الود

هو من يثقل ميزان وده، ويحصف ميثاق عهده. فلان كريم العهد، صحيح العقد. سليم الصدر في الود، حميد الصدر فيه

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد   الصالحي الشامي ٣٨٦/٩

والورد. هو لإخوانه عدة يشدهم ويقويهم، ونور يسعى بين أيديهم. هو ثابت ركن الإخاء، صافي شرب الوفاء. حافظ على الغيب ما يحفظه على اللقاء. هو من لا تدور المداهنة في عرصات قلبه، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره. فلان يسري إلى كرم العهد، في ضياء من الرشد. عهده نقش على صخر، ووده نسب ملآن من فخر. يقبل من إخوانه العفو، كما يوليهم من إحسانه الصفو. في وده غنى للطالب، وكفاية للراغب، ومراد للصحب، وزاد للركب. هو في حبل الوفاء حاطب، وعلى فرض الإخاء مواظب.

إصابة الرأي

النجح معقود بنواصي آرائه، واليمن معتاد في مذاهب أنحائه. له الرأي الثاقب الذي تخفى مكائده، وتظهر عوائده، والتدبير النافذ الذي تنجح." (١)

"وعن عائشة رضي الله عنها كانت عجوز تأتي النبي

فيبش لها ويكرمها وفي لفظ كانت تأتي النبي

امرأة فقلت يا رسول الله من هذه وفي لفظ بأبي أنت وأمي إنك لتصنع بهذه العجوز ما لم تصنع بأحد وفي لفظ فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان وفي لفظ فإن كرم العهد من الإيمان انتهى وأما أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية فأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن لبيد ابن أخي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أم عبد المطلب فأسلمت قديما وبايعت وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن عامر بن لؤي أخي سهيل بن عمرو وسهل بن عمرو وسليط وحاطب أسلم السكران زوجها معها قديما وهاجرا جميعا إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل إنه مات بالحبشة وولدت له ابنا اسمه عبد الرحمن قتل في حرب جلولاء اسم قرية من قرى فارس وقعت تلك الحرب فيها وتزوجها

بمكة بعد موت خديجة بأيام في السنة العاشرة من النبوة قبل أن يعقد على عائشة وهذا قول قتادة وأبي عبيدة ولم يذكر ابن قتيبة غيره وقال عبد الله بن محمد بن عقيل تزوجها بعد عائشة روى القولان عن ابن شهاب ويجمع بين القولين بأنه

عقد على عائشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة والتزويج يطلق على كل من العقد والدخول وإن كان المتبادر إلى الفهم الأول وللبخاري توفيت خديجة قبل مخرج النبي

إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريبا من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها بالمدينة." (٢)

"وكانت العرب تستحب لنسائها أن يدخلن على أزواجهن في شوال.

وقالت عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ما كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يذكرها١.

قلت: وهذا من أعجب شيء أن تغار –رضي الله عنها– من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي –صلى الله عليه وسلم–

---

(١) سحر البلاغة وسر البراعة   الثعالبي، أبو منصور ص/٦٤

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي   العصامي ١/٤٣٤

بعائشة بمديدة ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي -صلى الله عليه وسلم- لئلا يتكدر عيشهما. ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي -صلى الله عليه وسلم- لها وميله إليها ف-رضي الله عنها- وأرضاها.

معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: دخلت امرأة سوداء على النبي -صلى الله عليه وسلم- فأقبل عليها. قالت: فقلت: يا رسول الله أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال فقال: "إنها كانت تدخل على خديجة وإن حسن العهد من الإيمان"٢.

أخبرنا أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن المعدل، أخبرنا الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي سنة ست عشرة وست مائة، أخبرنا هبة الله بن الحسن الدقاق، أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن علي بن زكري، حدثنا علي بن محمد المعدل قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز، حدثنا سعدان بن نصر، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، عن ابن عون، حدثنا القاسم بن محمد، عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: من زعم أن

---

١ صحيح: أخرجه البخاري "٣٨١٦"، ومسلم "٢٤٣٥" "٧٤" من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، به.

قوله: "ما غرت على امرأة ما غرت": الغيرة هي الحمية والأنفة. يقال رجل غيور وامرأة غيور، بلا هاء؛ لأن فعولا يشترك فيه الذكر والأنثى. وما الأولى نافية. والثانية مصدرية أو موصلة والمعنى: أي ما غرت مثل غيرتي أو مثل التي غرتها على خذيجة.

٢ ضعيف: أخرجه الحاكم "١/ ١٥-١٦" من طريق صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية فقال: بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين "! " ووافقه الذهبي في "التلخيص" "! ".

قلت: بل إسناده ضعيف، آفته صالح بن رستم، فإنه ضعيف لسوء حفظه، فقد كان كثير الخطأ، وقد ضعفه أبو حاتم، وابن المديني.." (١)

"٢ ٣٢٣ ابن عباس/ إنه ليس من الناس أحد أمن علي بنفسه وماله من أبي بكر.

٣ ٤٣٤ عائشة/ إنه ليشق علي الاختلاف بينكن، فائذن لي أن أكون عند ...

١٠ ٣٤٢ الأغر/ إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة.

١٣ ٤٨٨ الأغر/ إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة.

١١ ٨٣ جابر/ أنه نهى عن البول في الماء الراكد.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٣/٤٤٦

٤ ١٥٥ وائل/ أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقطعه أرضا وأرسل ...

٣ ١٤١ زيد/ إنه يبعث أمة وحده.

١ ١٨٢ زيد بن حارثة/ إنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة.

٣ ٤٩٥ يزيد بن رومان/ إنه يجير على الناس أدناهم.

٣ ٨ عمر/ إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة.

٩ ٣٠٥ -/ إنه يحشر من النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان.

١٤ ٤٠٦ -/ إنه يستخرج من البخيل.

٤ ٥٥ أبو أيوب/ إنه يغشاني ما لا يغشاكم.

٣ ٤٣١ عائشة/ إنها ابن أبي بكر.

٧ ٥ ضباعة بنت الزبير/ أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تشترط.

٣ ٤٥٩ عمر/ إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤ ٤٨٤ صفية بنت شيبة/ أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دخل الكعبة ولها ...

٣ ٤٨٣ -/ إنها صوامة، قوامة، وهي زوجتك في الجنة.

١ ٣٩٨ زيد بن ثابت/ إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة.

٣ ٤٤٦ عائشة/ إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من ...

٢ ٣٦٢ عائشة/ أنها كانت تدعو على من زعم أن أبا بكر قال هذه ...

١٠ ٢٤ أم حكيم بنت الزبير/ أنها كانت تصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فيأتيها، فربما أكل عندها.

١٢ ٣١٨ عائشة/ أنها كانت تغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف.." (١)

"وقالت عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، من كثرة ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يذكرها.

(١) قلت: وهذا من أعجب شيء (٢) أن تغار - رضي الله عنها - من امرأة عجوز، توفيت قبل تزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي -صلى الله عليه وسلم- لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي -صلى الله عليه وسلم- لها، وميله إليها، فرضي الله عنها وأرضاها.

معمر: عن الزهري، عن عروة، عن عائشة:

دخلت امرأة سوداء على النبي -صلى الله عليه وسلم- فأقبل عليها.

قالت: فقلت: يا رسول الله! أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٣٦٦/١٨

فقال: (إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان) (٣) .

(١) أخرجه البخاري ٧ / ١٠٢ في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها، ومسلم (٢٤٣٥) في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة، والترمذي (٣٨٧٥) .

(٢) علق الشوكاني رحمه الله على هذا الموطن فقال: سبب الغيره ما كانت تسمعه من ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة، وتفخيمه لنشأتها كما سبق في ترجمتها رضي الله عنها، فلا عجب إذن.

(٣) رجاله ثقات وهو في المصنف.

وأخرجه أيضا بنحوه الحاكم في " المستدرك " ١ / ١٥، ١٦ من طريق صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير، بأبي أنت وأم ي يا رسول الله، فلما خرجت، قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال؟ قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الايمان.

وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، مع أن صالح بن رستم لم يخرج له البخاري إلا تعليقا، وقد ارتضى المصنف في الميزان مقالة الامام أحمد فيه: صالح الحديث، فمثله يكون حديثه؟ ؟ وانظر " فتح الباري " ١٠ / ٣٦٥.." [١]

"أنه رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد مستهل ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وأنه دخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، وتفقه عنده. ودخل بغداد وسمع بها من جماعة من أعيان مشايخها، ثم دخل الحجاز فحج في موسم سنة تسع وثمانين ثم عاد إلى بغداد، وصحب بها أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الغزالي، وغيرهما من العلماء والأدباء، ثم صدر عنهم. ولقي بمصر والإسكندرية جماعة من المحدثين، فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادهم، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخل به أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق.

وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، متقدما [١] في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، ناقدا في جميعها، حريصا على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة ولين الكنف، وكثرة الاحتمال وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود. واستقضي ببلده فنفع الله به أهله [٢] لصرامته وشدته، ونفوذ أحكامه. وكانت له في الظالمين صورة [٣] مرهوبة، ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه. وسألته عن مولده فقال: ولدت يوم [٤] الخميس ثاني عشري شعبان، سنة ثمانين وأربعمائة، وتوفي بالغدوة [٥] ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر، رحمه الله تعالى. انتهى.

[١] في «آ» و «ط» : «مقدما» وما أثبته من «الصلة» .

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢/١٦٥

[٢] في «آ» و «ط» : «أهلها» وما أثبتناه من «الصلة» .

[٣] في «الصلة» : «سورة» .

[٤] في «الصلة» : «ليلة» .

[٥] كذا في «آ» و «ط» : «بالغدوة» بالغين المعجمة، وفي «الصلة» : «بالعدوة» بالعين المهملة، وعند المقري في «نفح الطيب» (٢/ ٢٨) : «توفي بمغيلة بمقربة من مدينة فاس» .." (١)

"له". رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والبيهقي في الشعب عن أنس.

وقوله: "النساء حبائل الشيطان". رواه في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر.

وقوله -عليه الصلاة والسلام: "حسن العهد من الإيمان" رواه الحاكم في مستدركه

توثيقه، أما مع الله فاثنان: الأول: ما أخذه على ذرية آدم في الأزل، وهو الإقرار بروبيته قبل خلق الأجساد، والثاني: ما أخذه عند هبوط آدم إلى الدنيا من متابعة هدى الله من الاعتصام بكتاب ينزله ورسول يرسله، وأما مع الخلق فظاهر أيضا، فحينئذ ترجع الأمانة والعهد إلى طاعته تعالى بأداء حقوقه وحقوق عباده، كأنه: لا إيمان ولا دين لمن لا يفي بعهد الله بعد ميثاقه، ولا يؤدي أمانته بعد حملها، وهي التكاليف من أمر ونهي، "رواه أحمد، وأبو يعلى في مسنديهما والبيهقي في الشعب، عن أنس" قال الذهبي: وسنده قوي، وصححه ابن حبان.

"وقوله" صلى الله عليه وسلم: "الشباب شعبة من الجنون، و "النساء حبائل الشيطان"، أي: مصايده جمع حبالة -بالكسر، ما يصاد به من أي شيء كان، ويروى بهما، والرواية بالجمع أكثر، قاله السخاوي، والمراد: إن النساء آلات للشيطان يتوصل بهن إلى إغواء الفسقة، فإنهم إذا رأوا النساء مالت قلوبهم إليهن سيما المتبرجات، فالنساء له كالشبكة التي تصاد بها الوحوش النافرة، فأرشد -صلى الله عليه وسلم- لكمال شفقته على أمته إلى الحذر من النظر إليهن، والقرب منهن، وكف الخاطر عن الالتفات إليهن باطنا ما أمكن.

وقال في حديث: "اتقوا الدنيا والنساء"، فخصهن لكونهن أعظم أسباب الهوى، وأشد آفات الدنيا، "رواه" الديلمي بتمامه "في مسند الفردوس" وكذا القضاعي، "عن عقبة بن عامر" الجهني، ورواه الديلمي أيضا عن عبد الله بن عامر، وأبو نعيم عن عبد الرحمن بن عابس، وابن لال عن ابن مسعود، والخرائطي والتيمي عن زيد بن خالد، وهو حديث حسن، ولا ينافي قوله: "الشباب شبعة من الجنون" قول سفيان الثوري: يا معشر الشباب عليكم بقيام الليل، فإنما الخير في الشباب؛ لكونه محلا للقوة والنشاط غالبا.

"وقوله -عليه الصلاة والسلام: "حسن العهد"، قال السخاوي: ينصرف لغة إلى وجوه؛ أحدها: الحفظ والمراعاة، وهو المراد هنا، "من الإيمان"، أي: من أخلاق أهله وخصائلهم، أو من شعب الإيمان، أو كماله، وأما عهد الدخول في الإيمان فذاك الإيمان، وظاهر أيضا أنه يسمى وفاء بالإيمان، ويكفيه مشرفا ومدحا، ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ ، "رواه الحاكم في

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٢٣٣/٦

مستدركه" في كتاب الإيمان، ومن طريقه الديلمي من حديث الصغاني، عن أبي عاصم قال: حدثنا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة، "عن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو عندي، فقال." (١)

"عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو عندي فقال لها: "من أنت"؟ فقالت: جثامة المزينة، قال: "أنت حسانة، كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا"؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال؟ قال: "إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان"، وقال: إنه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة.

وقوله –عليه الصلاة والسلام: "الخمر جماع الإثم".

لها: "من أنت"؟ فقالت: جثامة المزنية"، قال في الإصابة: بجيم ومثلثة ثقيلة، أي: فألف، فميم، غير النبي –صلى الله عليه وسلم– اسمها، و"قال: "أنت حسانة" "، بحاء وسين مهملتين، أي: وبعد الألف نون أ. هـ، فلم يصب من قال: هو من تمام إظهار الميل إليها والشفقة عليها، لا للشك في أنها هي أو غيرها؛ لأنه مبني على تصحيف أخبارها باسمها بالاسم الذي غيره المصطفى دون مراجعة المنقول، "كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا"؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي" يا رسول الله، "فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل" بحذف همزة الاستفهام التقريري، أي: أتقبل "على هذه العجوز هذا الإقبال" الزائد، "قال: "إنها كانت تأتينا زمن خديجة"، فلنا بها معرفة قديمة، "وإن حسن العهد" الوفاء والحفظ، ورعاية الحرمة "من الإيمان" وقال" الحاكم: "إنه صحيح على شرط الشيخين، وليس له علة"، وأقره الذهبي، وأخرجه ابن عبد البر من الطريق التي أخرجه الحاكم، وقال: هذا أصح من رواية من روى ذلك في ترجمة الحولاء بنت تويت، ثم رواه من طريق الكديمي، عن أبي عاصم، عن صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: استأذنت الحولاء على رسول الله.. فذكره.

وقال: هكذا رواه الكديمي، والصواب: إن هذه القصة لحسانة المزنية كما تقدم، وتعقبه في الإصابة؛ بأنه لا يمتنع احتمال التعدد، كما لا يمتنع احتمال أن حسانة اسمها، والحولاء وصفها، أو لقب لها، وقد اعترف أبو عمر؛ بأن الكديمي لم يقل: بنت تويت، فلم يصب في إيراده في ترجمة بنت تويت، ثم اعتراضه، وإنما هي أخرى أن ثبت السند، والعلم عند الله أ. هـ.

وقول السخاوي يحتمل التعدد مع بعده لاتحاد الطريق فيه نظر، فليست متحدة؛ لأن طريق الحاكم وأبي عمر في أنها حسانة، ليس فيها الكديمي الذي سماها الحولاء، وإن توافقا فيما فوقه، ولذا يستبعد شيخه في الإصابة احتمال التعدد.

"وقوله –عليه الصلاة والسلام" فيما رواه الديلمي في حديثه عن عقبة: "الخمر جماع الإثم" بكسر الجيم والتخفيف، أي: مجمعه ومظنته، كما في النهاية، أي: شربها سبب لكل إثم؛ لحملها الشارب على مجاوزة الحدود، كما قال –صلى الله عليه وسلم: "الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر." (٢)

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥/٣٨١

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٥/٣٨٢

"كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمه وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم الأول وكان يهوديا، كما روى البخاري وأبو داود من حديث أنس: أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه، فقال: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: أطع أبا القاسم فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار".

عيادته يهوديا، كما أفاده بقوله: "حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمه" أبا طالب، "وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم الأول وكان يهوديا" ولم يسلم الثاني، والله يهدي من يشاء، "كما روى البخاري" في الجنائز والجهاد والطب، "وأبو داود" وكذا النسائي "من حديث أنس" بن مالك "أن غلاما من اليهود".

قال الحافظ: لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته إلا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب العتبية حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام عبد القدوس، وهو غريب ما وجدته عند غيره، ووقع للمصنف في الطب أن اسمه عبدوس، وهو تصحيف، "كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فعاده النبي صلى الله عليه وسلم، فقعد عند رأسه، فقال: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو نده" لفظ البخاري، وفي رواية أبي داود: عند رأسه أخرجه عن سليمان بن حرب شيخ البخاري فيه، وكذا للإسماعيلي عن أبي خليفة عن سليمان "فقال أطع أبا القاسم" لتحققه صدقه وإن كان يهوديا، "فأسلم" في رواية النسائي عن إسحاق بن راهويه عن سليمان المذكور، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، "فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار" في رواية أبي داود وأبي خليفة: "أنقذه بي من النار"، وفي الحديث جواز استخدام المشرك وعيادته إذا مرض، وفيه حسن العهد، وفيه استخدام الصغير وعرض الإسلام على الصبي، ولولا صحته منه ما عرضه عليه، وفي قوله: "أنقذه بي من النار" دلالة على صحة إسلامه، وعلى أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه؛ أنه يعذب. انتهى.

ووجه صحة إسلام الصبي ظاهر من عرضه عليه، كما قال، ولأن الغلام الابن الصغير وإطلاقه على الرجل مجاز، كما في المصباح وغيره، ولا يرده قول القاموس الغلام الطار الشارب، والكهل ضد أو من حين يولد إلى أن يشب لما علم من استعماله المجازات كثيرا، وتجويز أن المراد بالغلام الصغير لا يقيد كونه صبيا، وقد يشعر به قوله: أنقذه من النار ممنوع، فالأصل الحقيقة، وقد فهمها منه البخاري، فترجم عليه في الجنائز باب: إذا أسلم الصبي، فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، وترجم في الجهاد باب، كيف يعرض الإسلام على الصبي؟ نعم دلالته على أن الصبي إذا عقل الكفر ومات عليه أنه يعذب، لعله كان قبل أن." (١)

"وزن المثنى هو المقري أبو موسى الحافظ وروى عنه البخاري ونحوه (قالا) أي كلاهما (ثنا الوليد بن مسلم) وهو أحد أعلام الشام روى عنه أحمد وغيره قيل صنف سبعين كتابا (ثنا الأوزاعي) روى عنه قتادة ويحي بن أبي كثير شيخاه وهو إمام أهل الشام في زمنه وكان رأسا في العلم والعبادة واختلف في بيان نسبته ذكر التلمساني أن الإمام مالكا كان يقود دابته

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٣٣٣/٩

وهو راكبها وسفيان بن عيينة يسوقها وروي أنه أفتى في سبعين الف مسألة روى عن كبار التابعين كعطاء ومكحول وعنه قتادة والزهري ويحيى بن أبي كثير وهم من التابعين وليس هو من التابعين فهذا من رواية الأكابر عن الأصاغر (سمعت يحيى بن أبي كثير) بفتح فكسر مثلثة أبو نصر اليماني روى عن أنس وجابر كليهما مرسلا وعن أبي سلمة وخلق (يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة) بضم زاء فراءين بينهما ألف وإلى المدينة روى عن شعبة وابن عيينة وطائفة وهو أسعد بالهمز وله أخ يقال له سعد بن زرارة (عن قيس بن سعد) أي ابن عبادة وهو أبو عبد الله الخزرجي وهو صاحب الشرطة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم روى عنه الشعبي وابن أبي يعلى وطائفة وكان ضخما مفرط الطول نبيلا جميلا جوادا سيدا من ذوي الرأي والدهاء والتقدم وهو أبو قيس سيد الخزرج وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة وكان شريف قومه ليس في وجهه شعر ولا لحية وكانت الأنصار تقول لوددنا لو نشتري لقيس لحية بأموالنا وكان مع ذلك جميلا وكان أسود اللون توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية (قال زارنا) أي إيانا أو واحدا منا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) إذ كان من عادته تعهد أصحابه وتفقد أحبابه إذ حسن العهد من الإيمان وتمام الإحسان (وذكر) أي قيس (قصة) أي طويلة (في آخرها) أي وكان في آخر تلك القصة قوله (فلما أراد) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الانصراف) أي الرجوع إلى منزله وكان قد جاء على رجله قصدا لزيادة أجره (قرب) بتشديد الراء أي قدم (له) وفي نسخة إليه (سعد حمارا) أي ليركبه تلطفا إليه وترحما عليه (وطأ) بتشديد طاء فهمز أي رحل (عليه) أي فوق الحمار (بقطيفة) أي كساء له خمل ومنه تعس عبد القطيفة الذي يعملها ويهتم بتحصيلها (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) إذ الذهاب إلى العبادة حقيقة العبادة بخلاف الأياب فإنه من ضروريات العادة ومنه تشييع الأكابر إلى الجنازة مشاة ورجوعهم ركبانا (ثم قال سعد) أي لولده (يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الحاء أي كن في صحبته وخدمته وفي أصل الدلجي أصحبه والظاهر أنه أختصار منه غير لائق به كما فعل في كثير من مواضع كتابه (قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) أي أنت أيضا معي أو على دابة اخرى (فأبيت) أي امتنعت تأدبا معه أو حياء منه (فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف) بكسر إما فيهما (فانصرفت) أي فاخترت أهون الأمرين وأحسن الحكمين والحديث رواه أبو داود في الأدب والنسائي في اليوم والليلة. (وفي رواية أخرى) أي لهما أو لأحدهما أو لغيرهما (اركب أمامي) بفتح أوله أي قدامي (فصاحب الدابة) أي ولو بالقوة (أولى بمقدمها)." (١)

"بعضهم بتوفيق إيمانهم أو يخرج مؤمنا من أصلابهم؛ (قالت عائشة رضي الله عنها: «ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما) أي أهونهما كما اختار تأخير العذاب عن أمته كما صرح به صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الأول بقوله بل للاضراب عما خير فيه من الاطباق وعدمه وحديث عائشة رضي الله تعالى عنهما سبق الكلام عليه وذكر السيوطي في جامعه الصغير برواية الترمذي والحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله تعالى عنها بلفظ ما خير بين أمرين إلا اختيار ارشدهما هذا وما أحسن ما قيل في المداراة:

ودارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

(١) شرح الشفا   الملا على القاري ٢٧٣/١

وقوله:

ما دمت حيا فدار الناس كلهم ... فإنما أنت في دار المداراة

من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليل نديما للندامات

(وقال ابن مسعود) أي فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا) بالخاء المعجمة أي يتعهدنا (بالموعظة) أي بالنصائح المفيدة وقيل هو تخويف بسوء العاقبة وقال أبو عمرو بن الصلاح والصواب بالمهملة أي يتحرى الحال التي ينشطون فيها للموعظة فيعظم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا منها ورواه الأصمعي يتخوننا بالنون بدل اللام مع الخاء المعجمة بمعنى يتعهدنا (مخافة السامة) بهمزة ممدودة أي الملالة (علينا؛ وعن عائشة:

أنها ركبت بعيرا) بفتح أوله ويكسر أي جملا (وفيه صعوبة فجعلت تردده) أي من الترديد وهو الرد بالتشديد (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق) أي الزمي اللطف مع كل شيء في كل حال والباء زائدة والمعنى استعملي الرفق وقد ورد مرفوعا ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه كما رواه عبد بن حميد والضياء عن أنس رضي الله تعالى عنه وفي صحيح مسلم بروايته عن عائشة رضي الله تعالى عنها أيضا مرفوعا ولفظه عليه بالرفق أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه وروى البخاري في تاريخه عنها أيضا عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش.

فصل [وأما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الوفاء]

(وأما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الوفاء) أي القيام بمقتضى الوعد (وحسن العهد) أي وفي تمد العقد ومراعاة الوجد (وصلة الرحم) بالإحسان إلى ذوي القرابة خصوصا (فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه) والقراءة أحد وجوه الرواية على اختلاف في أنها الأفضل أو السماع من الشيخ هو الأكمل وتحقيق الفصول في الأصول (قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد) وفي نسخة ابن أحمد (حدثنا أبو إسحاق الحبال) بفتح مهملة فتشديد موحدة (حدثنا أبو محمد بن النحاس) بفتح نون وتشديد مهملة (حدثنا ابن الأعرابي." (١)

"حدثنا أبو داود) أي صاحب السنن (حدثنا محمد بن يحيى) إمام جليل نيسابوري روى عن ابن مهدي وعبد الرزاق وعنه البخاري والأربعة وغيرهم ولا يكاد يفصح البخاري باسمه لما جرى بينهما قال أبو حاتم هو إمام أهل زمانه (حدثنا محمد بن سنان) بكسر أوله مصروف روى عنه البخاري وغيره (حدثنا إبراهيم بن طهمان) بفتح مهملة وسكون هاء وهو أبو سعيد الخراساني يروي عن سماك بن حرب وثابت البناني وعنه ابن معين وخلق وثقه أحمد وأبو حاتم وكان من أئمة الإسلام فيه إرجاء أخرج له اصحاب الكتب الستة (عن بديل) بضم موحدة وفتح دال مهملة وسكون تحتية فلام وهو ابن ميسرة العقيلي يروي عن أنس وجماعة وعنه شعبة وحماد بن زيد (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) وفي نسخة أبي شقيق (عن أبيه) أبوه هو عبد الله بن شقيق وهو عقيلي بصري يروي عن عمر وأبي ذر وعنه قتادة وأيوب وثقه أحمد وغيره (عن عبد الله عن أبي الحمساء) بمهملتين بينهما ميم ساكنة فألف ممدودة وفي نسخة بخاء معجمة فنون وهو تصحيف كما

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢٨٧/١

قال الحلبي وقال التلمساني وهو الأكثر في الرواية والصواب بالميم وفي نسخة عن أبي الحمساء وأبو الحمساء لا إسلام له ولا رواية (قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) أي بعقد بيع لا بعهد بيعة (قبل أن يبعث) أي بالرسالة (وبقيت له بقية) إما من الثمن أو المثمن فإن البيع من الأضداد (فوعدته) وفي نسخة وهي الأظهر فواعدته (أن آتيه بها) أي أجيئه بالبقية (في مكانه) أي الذي صدر فيه البيع أو غيره (فنسيت) أي أن آتيه بها (ثم ذكرت بعد ثلاث) أي ثلاث ليال أو ثلاثة أيام ولم يلحق التاء به لحذف مميزه وقيل المراد الليالي بأيامها والليل سابق والحكم للسابق وأبعد من قال ويحتمل ثلاث ساعات وأغرب التلمساني بقوله وهو الأقرب ووجه الغرابة أن الانتظار ثلاث ساعات مما لا يستغرب (فجئت) وفي نسخة فجئته بإبراز ضميره (فإذا هو في مكانه) أي مكان وعده (فقال يا فتى لقد شققت علي) أي أوقعت المشقة علي وثقلت علي (أنا ههنا منذ ثلاث) يفيد أنه ما تحول من مكانه ذلك (أنتظرك) أي لتأتيني هنالك وهذا من جملة أخلاق جده إسماعيل عليه السلام حيث قال تعالى واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد قال مجاهد لم يعد شيئا إلا وفى به وقال مقاتل وعد رجلا أن يقيم مكانه عليه السلام حتى يرجع إليه الرجل فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه الرجل وقال الكلبي انتظره إسماعيل حتى حال عليه الحول. (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه البخاري في الأدب المفرد (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر إن كان للاستمرار الغالبي أو لمجرد الربط التركيبي (إذا أتى) أي جيء (بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة) كناية عن علم امرأة وهي هنا لا تعرف من هي (فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة) وهو للتأكيد إذ تفيد الجملة الأولى أن خديجة كانت تحبها أيضا او فيه الحث على البر والصلة وحسن العهد؛ (وعن عائشة رضي الله عنها) كما في الصحيحين (قالت ما غرت) بكسر غين معجمة وسكون راء وفي نسخة صحيحة قالت ما غرت (على امرأة) أي من نساء النبي." (١)

"صلى الله تعالى عليه وسلم (ما غرت) أي كغيرتي (على خديجة لما كنت) علة لغيرتها أي لأجل كوني دائما (أسمعه) أي اسمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يذكرها) أي ذكرا جميلا وثناء جزيلا قال الطبري وغيره الغيرة من النساء مسموح لهن ومفسوح في أخلاقهن لما جبلن عليه وأنهن لا يملكن عندها أنفسهن ولهذا لم يزجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عائشة عليها ولا رد عليها عذرها لما علم من فطرتها وشدة غيرتها قال الزبيدي والعامة تكسرها والصواب فتحها، (وإن كان) بكسر الهمزة على أن مخففة من المثقلة أي وأنه عليه الصلاة والسلام كان (ليذبح الشاة) بفتح اللام وهي المسماة بالفارقة نحو قوله تعالى وإن كانت لكبيرة (فيهديها) بضم الباء أي فيرسلها هدية (إلى خلائلها) جمع خليلة أي صدائقها لكل واحدة منها قطعة (واستأذنت عليه أختها) أي طلبت الإذن في الاتيان إليه صلى الله تعالى عليه وسلم أخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن أسد أم أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه لقيط بن الربيع ذكرها ابن منده وأبو نعيم في الصحابة (فارتاح لها) وفي نسخة صحيحة إليها أي فرح بمأتاها وأكرمها ورحب بها ونظر إليها، (ودخلت عليه امرأة) أي أخرى في وقت آخر (فهش لها) بتشديد شين معجمة أي فرح بها واستبشر منها (وأحسن السؤال عنها) لزيادة الاستيناس بها بسبب طول عهدها (فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة) أي في زمانها (وإن حسن

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٢٨٨

العهد من الإيمان) وفي الجامع الصغير أن حسن العهد من الإيمان رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا، (ووصفه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بعضهم) أي بعض السلف (فقال كان يصل ذوي رحمه) أي يحسن إليهم ويعطف عليهم وإن بعدوا عنه أو أساؤوا إليه (من غير أن يؤثرهم) أي يختارهم ويفضلهم (على من هو أفضل منهم) أي من غيرهم عدلا منه وإعطاء لكل ذي حق حقه لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ولقوله سبحانه وتعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم فلا يفضل أحد بني هاشم أو غيرهم على عالم من علماء الدين وأكابرهم كما يستفاد من حديث الشيخين الذي ذكره بقوله. (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن آل بني فلان) وفي أصل الحجازي أن آل بني فلان ثم قال وفي بعض النسخ أن آل أبي فلان قال ابن قرقول وهو المشهور انتهى وقال بعضهم أن آل بني فلان غلط بل هو آل أبي فلان والمراد الحكم بن أبي العاص وقال بعضهم هو أبو العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوي حذرا من آل بني أمية إذ كانوا حينئذ أمراء (ليسوا لي بأولياء) وقال ابن قرقول وفي الحديث المشهور أن آل أبي ليسوا أولياء قال وبعد قوله أبي بياض في الأصول كأنهم تركوا الاسم تورعا أو تقية وعند ابن السكن أن آل أبي فلان كنى عنه بفلان انتهى ولا يخفى أن قوله تورعا لا وجه له إذ نص صلى الله تعالى عليه وسلم على اسمه ثم على تقدير آل أبي فلان لا يبعد أن يكون كناية مبهمة ليشمل جميع أقاربه وقد يحمل عليه رواية آل أبي من غير فلان إذ الظاهر أن المقصود ليس منحصرا في." (١)

"الأعلى إلى المكان الأدنى (أحب إلي من أن أقدمه عليهما) أي في الأفضلية فدفع توهم التفضيل في القضية ثم فيه أنه يجب على التابع أن يقدم من قدمه المتبوع ولذا أذن عمر رضي الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وأبي سفيان رضي الله تعالى عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال أبو سفيان للعباس أتريد أن يقدم علينا الموالي فقال العباس الذنب منا حيث تأخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذي اختاره ابن عياش رأي له وإلا فالجمهور على أن الأفضل يستحق التقديم في كل شيء فتأمل (وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه (ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وسميت باسمها إلا أن الراوي نسيها (فسجد) أي لعظم المصيبة وفقد الأعزة ولا يبعد أن يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (فقيل له) أي لابن عباس (أتسجد في هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) أي ابن عباس (أليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا رأيتم آية) أي علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) أي فصلوا (وأي آية أعظم) أي خطرا وأفخم قدرا (من ذهاب أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدة بعد واحدة حيث إنهن من أخص أصحابه وأقرب أحزابه (وكان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي مع جلالتهما (يزوران أم أيمن) واسمها بركة (مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) أي فيتعين علينا زيارتها تبركا بها وتأسيا بزيارته إياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمرو بن سعد بن أبي وقاص مرسلا قال لما وردت (حليمة السعدية) أي أمه من الرضاعة (على النبي

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ١/٢٨٩

صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زائرة مسترفدة وفي سيرة الدمياطي أن الواردة عليه إنما هي ابنتها الشيماء أخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) أي نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفي الحديث حسن العهد من الإيمان (فلما توفي) أي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفي نسخة صحيحة وفدت أي أمه أو أخته من الرضاعة (على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك) أي مثل صنيعه عليه الصلاة والسلام في الإكرام ومزيد الإنعام مراعاة لحرمتها وتأسيا برعايتها ثم اعلم أن العلامة أبا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أنكر إسلام حليمة وقال إن هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسمية في إسلام حليمة فيمكن الجمع بينهما في القضية والله تعالى أعلم بالحقيقة الحقية.

فصل [ومن توقيره وبره توقير أصحابه عليه الصلاة والسلام]

(ومن توقيره) أي تعظيمه (وبره) أي ومن إحسانه (صلى الله عليه وسلم توقير أصحابه." (١)

"وكانت تمشطها، وإن حسن العهد من الإيمان، وكانت تأتيه بعد ذلك في منزله صلى الله عليه وسلم.

قوله: وكانت تمشطها» :

قاله الزبير بن بكار في روايته عن سليمان بن عبد الله، عن شيخ من أهل مكة أنها أم زفر ماشطة خديجة.

قوله: «وإن حسن العهد من الإيمان» :

أشار إلى هذا الحديث البخاري في صحيحه فجعله ترجمة لأحد أبوابه في الأدب، فقال: باب: في حسن العهد من الإيمان، ثم أورد حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين ... الحديث، رقم ٦٠٠٤.

قال الحافظ في الفتح: جرى البخاري على عادته في الاكتفاء بالإشارة دون التصريح، فإن لفظ الترجمة قد ورد في حديث يتعلق بخديجة رضي الله عنها، وذكر الحديث.

قلت: رواه صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، به، أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة، وابن الأعرابي في معجمه [١/ ٤٠١] برقم ٧٧٤، ومن طريقه القضاعي في مسند الشهاب برقم ٩٧١، والحاكم في المستدرك [١/ ١٥] وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة، وليس له علة. اهـ.

قلت: صالح بن رستم استشهد به البخاري، وحديثه من قبيل الحسن.

ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في الشعب برقم ٩١٢١، وفي الاداب برقم ٢٣٥، وابن عساكر في تاريخه [٤/ ٥٢] ،

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٨٩

وابن الأثير في الأسد [٧/ ٤٧، ٦٤] .

وأخرجه البيهقي أيضا في الشعب برقم ٩١٢٣ من وجه آخر بإسناد رجاله-." (١)

"أن بشر بن معاوية قدم مع أبيه معاوية بن ثور ١٢٢٦

أن بعض الصحابة قال لعبد الله بن عمر:

إني رأيت عجبا ٢٤١٥

إن بلالا أتاه الشيطان وهو يرقب لكم الفجر ١٨٥٣

أن بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدور الذي فيه القبر عبد الله بن محمد ٦٤٢

أن جبريل عليه السلام قال: يا رسول الله من هذا الذي خرج من عندك أنس بن مالك ٢٤٧٠

إن جبريل أتاني فقال: يا محمد إن الله أمرني ابن عباس ١٩٥

أن جبريل أتاه بسورة الأنعام ١٥١١

إن جبريل نفخ في روعي ١٤٢٩

أن جبريل يغتسل في نهر في الجنة كل غداة ٣٩٨

إن جبريل يهذبه، وميكائيل يسدده حذيفة ٢٣٤٤

أن جندع بن الصميل أتاه آت فقال له ٦٢

إن حسن العهد من الإيمان ١٨٧٢

أن حصين بن نمير لما سار إلى مكة في قتال ابن الزبير عروة بن الزبير ٥٤٣

أن حمزة لما قتل أرسلت صفية ٦٧٤

إن حول الكعبة لقبور ثلثمائة نبي ٤٣٥

أن خديجة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاك صاحبك ١٥١

إن خلافة الصديق كانت من السماء كعب الأحبار ٨٩٧

إن خير البقاع وأقربها من الله ما بين الركن والمقام عائشة ٤٤٢

إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به أسماء بنت أبي عميس ٨٢٠." (٢)

"كل حياته بكلمة سوء واحدة، بل من المؤكد أنه ما كان يذكرها إلا بأفضل ما فيها، ولولا ذلك ما كانت كل تلك الغيرة من عائشة رضي الله عنها ودليله من الحديث، قول النبي صلى الله عليه وسلم «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد» .

---

(١) شرف المصطفى الخركوشي ٥٤١/٤

(٢) شرف المصطفى الخركوشي ٢١٠/٦

ويتفرع عليه:

أن من أبلغ مظاهر حب الإنسان لغيره، هو التحدث عنه وعن أفضاله وماثره، فعلى كل مسلم أن ينظر هل يحب ذكر الله ورسوله، وهل يفرح إذا ذكر الله ورسوله في مجلسه، وهل يغضب إذا ذكر هما أحد بسوء، فعلى قدر فرحه في الأولى، وغضبه في الثانية، يكون الحب.

ب- قيامه صلى الله عليه وسلم بذبح الشاة وتقطيع أعضائها ثم توزيعها في صدائق خديجة رضي الله عنها بعد، ولا يخفى ما في ذلك من حسن الوفاء، لما فيه من التكلف في تقطيع أعضاء الشاة، وإرسال رسول إلى بيوت الصاحبات مع ندرة أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم شاة يطعمها أهل بيته.

ويتفرع عليه:

جوده صلى الله عليه وسلم وشاهده في الحديث أنه ما كان يبقي من الشاة شيئا، لقول عائشة رضي الله عنها: (ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها) ولولا إرسال جميع الشاة، لقالت: (ثم يبعث منها) .

ج- فرحه وسروره صلى الله عليه وسلم عندما تزوره هالة بنت خويلد، أخت خديجة رضي الله عنها ورد في رواية مسلم: (فارتاع لذلك) ، أي هش لمجيئها، مع ظهور علامات الفرح على وجهه، فمن شدة حبه صلى الله عليه وسلم لخديجة، أنه كان يحب ما يذكره بها، وكان يقول من شدة فرحه: «اللهم هالة» أي: يا رب اجعل المستأذن في الدخول تكون «هالة»

.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم: (وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب) «١» .

هذا الوفاء من النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها كان كله بعد وفاتها، ولكن أهم مظاهر الوفاء، كان في حال حياتها، وهو أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج معها في حياتها امرأة أخرى، وهي منقبة عظيمة لها رضي الله عنها، وقد نقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن القرطبي قوله: (ومما كافأ النبي صلى الله عليه وسلم به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها، فروى مسلم عن عائشة قالت: (لم يتزوج

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٠٢) .." [1]

"جرح العجماء جبار. ٢٤٤/١

الجزاء من جنس العمل. ٣٤٨/١٣

الجنة تحت ظلال السيوف. ٢٥٠/١

جنة العالم: لا أدري، فإن أخطأها أصيبت مقاتله. ٣٦٨/١٤

(ح)

---

(١) شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحمد بن عبد الفتاح زواوى ٤٨١/١

(ش)

شاهت الوجوه. ١/٢٥٠." [1]

"وجه الصنع الجميل ما ران من النقاب، وأن من بغى عليكم حسب ما قررتم، وعلى نحو ما أجملتم وفسرتم، من شيوخ الغرب المجلبة، ووجوه الخدم المنتمية إلى حسن العهد المنتسبة؛ تحصل في حكم استرقاقكم، وتحت شد وثاقكم؛ وربما أسفر المكروه عن المحبوب، وانجلى المرهوب عن المرغوب، والله مقلب القلوب؛ وشيمتكم في ائتلاف النافر، والأخذ من فضل العفو بالحظ الوافر، كفيل لكم بالصنع السافر؛ والله يحملكم على ما فيه رضاه، ويخير لكم فيما قضاه؛ فسررنا بما اتصل لكم من الصنع واطرد، ورحبنا بهذا الوارد الكريم الذي ورد، وشكرنا فضلكم في التعريف بخبره المودود، والشرح لمقامه المحمود؛ وكتبنا نهنئكم به هناء مشفوعا، وبالدعاء لكم متبوعا، والله يطلع من توالي مسرتكم على ما يبسط الآمال وينجح الأعمال، ويفسح في السد المجال. والذي عندنا من ودكم أعظم من استيفائه بالمقال، أو نهوض اليراع بوظائفه الثقال؛ يعلم ذلك عالم الخفيات، والمجازي بالنيات، سبحانه. والله يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الطرف الثاني عشر (في الكتب الصادرة عن وزراء الخلفاء المنفذين أمور الخلافة اللاحقين بشأو الملوك، وفيه جملتان)

الجملة الأولى (في الكتب الصادرة عن وزراء خلفاء بني العباس ببغداد ووزراء ملوكها يومئذ)

أما وزراء إقطاعاتها، فقد ذكر أبو جعفر النحاس في «صناعة الكتاب» «١»." [2]

"الباب الثالث من المقالة الخامسة في العهود، وفيه فصلان

الفصل الأول (في معنى العهد)

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معان:

أحدها- الأمان. ومنه قوله تعالى: فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم

. «١»

الثاني- اليمين. ومنه قوله تعالى: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم

. «٢»

الثالث- الحفاظ. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «حسن العهد من الإيمان» .

الرابع- الذمة. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده» .

الخامس- الزمان. ومنه قولهم: «كان ذلك على عهد فلان» .." [3]

"وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام -أو طعام، أو شراب- فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٥/٥٧٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٧/٧٦

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٩/٣٦٢

من قصب، لا صخب فيه ولا نصب" (١).

قال السهيلي: وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب، أي: لؤلؤ؛ لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان. لا صخب فيه ولا نصب؛ لأنها لم ترفع صوتها على النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولم تتعبه يوما من الدهر، فلم تصخب عليه يوما، ولا آذته أبدا (٢).

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - على بعد عهده بها، لا يزال يذكر صوتها، قالت عائشة - رضي الله عنها -: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك (٣)، فقال: "اللهم هالة بنت خويلد". فغرت، فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيرا منها (٤).

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء" (٥).

وقال البيهقي: (بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام، ذكره أبو عبد الله بن منده في كتاب المعرفة، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ) (٦).

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب تزويج النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة ح (٣٨٢١).

(٢) الروض الأنف ٢/ ٤٢٥، ٤٢٦.

(٣) قال النووى: (أي: هش لمجيئها، وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها. وفي هذا كله: دليل لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب).

(٤) أخرجه مسلم في مناقب الصحابة ح (٢٤٣٧)، وعلقه البخاري في المناقب؛ باب تزويج النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١١٧، ١١٨)، قال الهيثمي (الجمع ٩/ ٢٢٤): (إسناده حسن)، وصحح الأرنؤوط إسناده في تحقيقه للمسند (٤١/ ٣٥٦).

(٦) دلائل النبوة (٢/ ٣٥٢، ٣٥٣).." [1]

"في موضعها - إن شاء الله تعالى - وكان قد أمر بإحضارها، وكان هذا أرناط اللعين كافرا لعينا جبارا شديدا، وكان قد اجتازت به قافلة من مصر، حين كان بين المسلمين وبينهم هدنة، فغدرها، وأخذها، ونكل بهم، وعذبهم، وأسكنهم المطامير والحبوس الحرجة، وذكروه بحديث الهدنة، فقال: قولوا لمحمدكم يخلصكم، فلما بلغه - رحمه الله - ذلك عنه، نذر أنه متى أظفره الله به قتله بنفسه، فلما مكن الله منه في ذلك اليوم، قوي عزمه على قتله - وفاء بنذره - فأحضره مع الملك، فشكا الملك العطش، فأحضر له قدحا من شراب، فشرب منه، ثم ناوله أرناط، فقال السلطان للترجمان: قل للملك: أنت

---

(١) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (صلى الله عليه وسلم) محمد بن صامل السلمي ص/١٢٩

الذي سقيته، وأما أنا فما أسقيه من شرابي، وأطعمه من طعامي. فقال رحمه الله – أن من أكل من طعامي فالمروءة تقتضي أن لا أوذيه. ثم ضرب عنقه بيده وفاء بنذره وأخذ عكا، وأخرج الأسرى كلهم من ضيق الأسر، وكانوا زهاء أربعة آلاف أسير، وأعطى كلا منهم نفقة توصله إلى بلده وأهله (١)، ويروى القاضي ابن شداد هذه القصة التي تنبئ عن تسامحه الكبير ومروءته النادرة يقول ابن شداد: لما مرض الملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد – أكبر خصوم صلاح الدين – بعث إليه صلاح الدين ورفه عنه بأن أرسل إليه الفواكه والثلج، وكان الصليبيون يعجبون من هذا التسامح الكريم الصادر عن أعدائهم من المسلمين نحوهم (٢).

لقد كان صلاح الدين حسن العشرة، لطيف الأخلاق، طيب الفكاهة، حافظا لأنساب العرب ووقائعهم عارفا بسيرهم وأحوالهم، حافظا لأنساب خيلهم، عالما بعجائب الدنيا ونوادرها، بحيث كان يستفيد محاضره منه مالا يسمع من غيره، وكان حسن الخلق يسأل الواحد منا عن مرضه ومداواته ومطعمه ومشربه، وتقلبات أحواله وكان طاهر المجلس، لا يذكر بين يديه أحد إلا بالخير وطاهر السمع فلا يحب أن يسمع عن أحد إلا الخير، طاهر اللسان، قال ابن شداد: فما رأيته ولع بشتم قط؛ وطاهر القلم، فما كتب بقلمه إيذاء مسلم قط (٣) وكان حسن العهد والوفاء، فما أحضر بين يديه يتيم إلا وترحم على مخلفيه، وجبر قلبه، وأعطاه خبز مخلفه وإن كان له من أهله كبير يعتمد عليه سلمه إليه، وإلا أبقى له من الخبز ما يكفي حاجته، وسلمه إلى من يكفله ويعتني بتربيته، وكان ما يرى شيخا إلا ويرق له ويعطيه ويحسن إليه، ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله (٤).

---

(١) المصدر نفسه ٩٣.

(٢) صلاح الدين الأيوبي، علوان ص ١٥١.

(٣) سيرة الناصر صلاح الدين ص ٩٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٩٣، ٩٤.." [(١)]

"يا منكر البعث هذا..........ما كنت منه تحيد (١)

أما أبو مسلم العماني فهو يقول:

وكيف أخاف الحادثات وإنما ... أمانك لي يا خالقي كان معقلا

وحفظك حرزي يا حفيظ وممنعي ... فلم أختش من حادث الدهر موجلا

ومن علم أن الله عليم حافظ محصي حفظ أوامر الله بالامتثال ونواهيه بالاجتناب وحدوده بعدم تعديها، وبذلك يحفظ الله تعالى الإنسان في نفسه ودينه وماله وولده وفي جميع ما آتاه الله من فضله، ولا يعني الوقوع في الأمراض والأوصاب والبلايا

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٢٤٦

التي قد يتبلي الله تعالى الإنسان بها في نفسه أو ماله أو ولده عدم الحفظ لأن الله قد علم ذلك وأحصاه، وسيحفظ له ثواب ذلك ويلطف به ويرزقه الصبر والرضا ويجزيه الجزاء الأوفى ﴿قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (٢) . ولقد أحسن من قال:

في كل بلوى تصيب العبد عافية ... إلا البلاء الذي يؤدي إلى النار

ذاك البلاء الذي ما فيه عافية ... من البلاء ولا ستر من العار

ومن عرف هذه الأسماء حفظ الود، وأحسن العهد، وأنجز الوعد، وشعر برقابة الله عليه، وكان قويا يقول الحق فهو يراقب الله ويخشاه، غير مغتر بعلمه ولا بسلطانه ولا بتلبيس إبليس على نفسه أو على قومه، فهو يعلم أن الله معه يسمع ويرى فهو الذي يحفظه ويحاسبه في كل الأحوال، ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد

(١) - هذه الأبيات تنسب للبرعي.

(٢) - سورة الزمر الآية (١٠) .." [(١)]

"الحكيم ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم﴾ (١) ، وفي سورة الحج يقول الحق: ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم﴾ (٢) .

ثمرة معرفة اسم الله الحليم

من عرف أن ربه حليم على من عصاه وجب عليه هو أن يحلم على من خالف أمره فذاك به أولى حتى يكون حليما فينال من هذا الوصف قدرا يكسر سورة غضبه ويرفع الانتقام عمن أساء إليه، بل يتعود الصفح حتى يعود الحلم له سجية، وكما تحب أن يحلم عنك مالكك، فاحلم أنت عمن تملك الإساءة إليه، لأنك متعبد بالحلم، والصبر قد يكون داخلا تحت الحلم، إذ كل حليم صابر وقد وصف الله عز وجل بالصبر كما في حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدا وإنه ليعافيهم ويرزقهم) (٣) ، وبناء على هذا فوصف الله تعلى بالصبر يأتي بمعنى الحلم، ومعنى وصفه بالحلم هو تأخير العقوبة عن المستحقين لها فمن عرف هذا الاسم حفظ الود، وأحسن العهد، وأنجز الوعد وستر العيوب التي راءها، ولم يستفزه الخلق بطغيانهم وعصيانهم (٤) ، قال الشاعر:

وفي الحلم والإسلام للمرء وازع ... وفي ترك طاعات الفؤاد المتيم

(١) - سورة البقرة (٢٣٥) .

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ١/١٣٦

(٢) – سورة الحج (٥٩) .

(٣) – صحيح البخاري باب الصبر على الأذى حديث (٥٧٤٨) ، وصحيح مسلم باب صفة القيامة حديث (٢٨٠٤) .

(٤) – الجامع للأسماء الحسناء ص (٩٨) .." [1]

"الأخلاق مع حسن المعاشرة، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود.

ورحل إليه، للسماع والأخذ عنه.

وتصانيفه كثيرة حسنة مفيدة منها: «أحكام القرآن» وكتاب «المسالك في شرح موطإ مالك» وكتاب «القبس» على موطأ مالك بن أنس و «عارضة الأحوذي على كتاب الترمذي» و «القواصم والعواصم» و «المحصول» في أصول الفقه و «سراج المريدين»، وكتاب «المتوسط» (١) وكتاب «المشكلين» (٢)، و «شرح حديث أم زرع» وكتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب «القانون في تفسير الكتاب العزيز» وكتاب «معاني الأسماء الحسنى» وكتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف» عشرين مجلدا، وكتاب «شرح حديث الإفك» وكتاب «شرح حديث جابر في الشفاعة» وكتاب «ستر العورة» وكتاب «أعيان الأعيان» وله غير ذلك من التواليف.

وقال في كتابه القبس إنه ألف كتابه المسمى «أنوار الفجر في تفسير القرآن» في عشرين سنة، ثمانين ألف ورقة، وتفرقت بأيدي الناس.

قال الشيخ برهان الدين فرحون: وأخبرني الشيخ الصالح أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن البرغواطي في سنة إحدى وستين وسبعمائة بالمدينة النبوية؛ قال أخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بثغر الإسكندرية في سنة ستين وسبعمائة، قال: رأيت تأليف القاضي أبي بكر بن العربي في تفسير القرآن؛ المسمى «أنوار الفجر» كاملا في خزانة الملك العادل أمير

---

(١) اسمه في نفح الطيب «المتوسط في معرفة صحة الاعتماد والرد على من خالف أهل السنة من ذوي البدع والالحاد».

(٢) اسمه أيضا في نفح الطيب «كتاب المشكلين: مشكل القرآن والسنة».." [2]

"وما في جميع الناس شر من الوشاة، وهم النمامون، وإن النميمة لطبع يدل على نتن الأصل، ورداءة الفرع، وفساد الطبع، وخبث النشأة، ولابد لصاحبه من الكذب؛ والنميمة فرع من فروع الكذب ونوع من أنواعه، وكل نمام كذاب، وما أحببت كذابا قط، وإني لأسامح في إخاء كل ذي عيب وإن كان عظيما، واكل أمره إلى خالقه عز وجل، وآخذ ما ظهر من أخلاقه حاشا من أعلمه يكذب، فهو عندي ماح لكل محاسنه، وذلك لان كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل ذام فقد يمكن الاستتار به والتوبة منه، حاشا الكذب فلا سبيل إلى الرجعة عنه ولا إلى كتمانه حيث كان.

وما رأيت قط ولا أخبرني من رأى كذابا ترك الكذب ولم يعد إليه، ولا بدأت قط بقطيعة ذي معرفة إلا أن أطلع له على

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ٥٤٨/١

(٢) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ١٦٩/٢

الكذب، فحينئذ أكون أنا القاصد إلى مجانبته والمتعرض لمتاركته، وهي سمة ما رأيتها قط في أحد إلا وهو مزنون إليه بشر في نفسه، مغموز عليه لعاهة سوء في ذاته، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد قال بعض الحكماء: آخ من شئت واجتنب ثلاثة: الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، والملوك فإنه أوثق ما تكون به لطول الصحبة وتأكدها بخذلك، والكذاب فإنه يجني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لا تشعر.

وحديث عن الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " حسن العهد من الإيمان "؛ وعنه عليه السلام: " لا يؤمن الرجل بالإيمان كله حتى يدع الكذب في المزاح ".

حدثنا." (١)

"قد اهتم إلى حد كبير بتجميع الأموال لحسابه وحساب أهله وأقاربه حتى أن زنكي لدى عودته إلى الموصل بعد مقتل جقر، استخرج ذخائره وصادر معظم ما لأولئك الأقارب (١). إن أهم الأعمال التي أنجزها جقر خلال فترة نيابته هي إحكامه لاسوار الموصل. وحفره لخنادقها ودفاعه عنها ضد حصار الخليفة المسترشد العباسي عام ٥٢٧هـ الذي اضطر أخيرا إلى الإنسحاب بسبب صمود جقر (٢) لقيادة جيوش زنكي لدى مهاجمة حصون الأكراد في الجهات الجبلية شمالي الموصل، حيث تمكن من الاستيلاء على معظمها (٣)،

كان يساعد جقر في حكم الموصل وال يعينه هو (٤).

ب- زين الدين علي كجك بن بكتكين ٥٣٩ - ٥٤١هـ: يعتبر زين الدين علي كجك من أبرز رجال عماد الدين، وأحد قادته الكبار وقد اشترك معه في معظم حروبه في بغداد والشام ومناطق الأكراد وكان زين الدين رجلا صالحا، ذا أصل تركماني، لقب بكجك أي: القصير اللطيف وكان معروفا بالقوة والشجاعة والأقدام رؤوفا بالفقراء مواسا للمرضى (٥).

اشتهر بالمحافظة على حسن العهد، وأداء الأمانة، ولم يمارس غدرا قط (٦)، وبلغ من تقواه أن قال عنه زنكي: إنه يخاف الله ولا يخافني (٧)، وقد رأى عنه أهل الموصل كل خير (٨)، واستقام له الأمر، وحسنت بتدبيره الأحوال (٩)، وانتشر الأمن في المنطقة وازداد عمران البلاد (١٠)، وتحققت بهذا آمال السكان (١١).

ت- نائب زنكي في حلب: أدرك زنكي أهمية حلب بالنسبة لأعماله العسكرية والسياسية في الشام فاتخذها قاعدة له في المنطقة واعتبرها عاصمته الإدارية هناك، وأقام فيها جهازا إداريا يشابه إلى حد ما ذاك الذي أقامه في الموصل، وجعل على رأس هذا الجهاز نائبه في حلب ليقوم في منطقة الشام بما يقوم به نائبه في الموصل في الجهات الشرقية من إمارته (١٢) وقد جعل عماد الدين زنكي نائبه في حلب المسؤول الأعلى عن الجهاز الإداري هناك، وكان نائبه من كبار القادة العسكريين وكان يطلق عليه أحيانا اسم " مقدم زنكي في حلب " ومن

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٣١٦).

---

(١) طوق الحمامة لابن حزم ابن حزم ص/١٧٣

(٢) المصدر نفسخ (١/ ٣١٥ - ٣١٦).

(٣) الباهر ص ٦٤ عماد الدين زنكي ص ٢٤٠ ..

(٤) عماد الدين زنكي ص ٢٤٠.

(٥) الاعتبار ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٦) الباهر ص ١٣٥.

(٧) الاعتبار ص ١٥٧ عماد الدين زنكي ص ٢٤١.

(٨) وفيات الأعيان (١/ ٣١٦) عماد الدين زنكي ص ٢٤٢.

(٩) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(١٠) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(١١) الباهر ص ٨٤ عماد الدين زنكي ص ٢٤٢.

(١٢) زبدة حلب (٢/ ٢٤٥) عماد الدين زنكي ص ٢٤٥.." [١]

"صلى الله عليه وسلم: " من أنت؟ "، قالت: " أنا جثامة المزنية "، فقال: " بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ " قالت: " بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله "، فلما خرجت، قلت: " يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ " قال: " إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان " (١٠٣٧) .

وعنها رضي الله عنها قالت: (لما بعث أهل مكة في فداء أساراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بقلادة، وكانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة، قال: " إذا رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها ") (١٠٣٨) .

(١٠٣٧) أخرجه الحاكم (١/١٥-١٦) ، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، مع أن صالح بن رستم لم يخرج له البخاري إلا تعليقا، قال فيه أحمد: " صالح الحديث "كما نقله الذهبي في " الميزان" (٢/٢٩٤) ، وقال: " وهو كما قال أحمد "، وعزاه الحافظ إلى البيهقي في " الشعب"كما في " الفتح" (١٠/٤٣٦) ط. السلفية، وانظر: " إتحاف السادة المتقين" (٦/٢٣٥- ٢٣٦) .

(١٠٣٨) أخرجه الحاكم (٤/٤٤ - ٤٥) من طريق ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه، عنها رضي الله عنها، وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، فإن ابن إسحاق صرح بالتحديث.." [٢]

---

(١) عصر الدولة الزنكية علي محمد الصلابي ١/٥٤

(٢) عودة الحجاب محمد إسماعيل المقدم ٢/٤٤٠

"عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم

كقوله: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء» ،

وخبره صلاة الليل ونهيهم عن الوصال، وكراهية دخول الكعبة ليلا يعنت أمته، ورغبته لربه أن يجعل سبه، ولعنه لهم رحمة، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته،

ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال: مرني بما شئت، وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [١] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا.

وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال: للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك، فقال: أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم،

قالت عائشة: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وقال ابن مسعود: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

وروى أنه عليه السلام قال: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» ،

وكان صلى الله عليه وسلم أوصل الناس لرحم، وأقوامهم بالوفاء وحسن العهد.

وروينا من طريق أبي داود، فثنا محمد بن سنان، فثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل عن عبد الكريم، عن عبد الله بن شقيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه، ثم نسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئته فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى لقد شققت علي، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك» [٢] .

وعن أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى

[(١)] قال أبو الوليد الأزرقي: الأخشبان بمكة هما الجبلان، أحدهما: أبو قيس، وهو الجبل المشرف على الصفا إلى السويد إلى الخندمة، وكان يسمى في الجاهلية الأمين، لأنه الحجر الأسود كان مستودعا فيه عام الطوفان. قال الأزرقي: وبلغني عن بعض أهل العلم من أهل مكة أنه قال: إنما سمي أبا قبيس لأن رجلا كان يقال له أبو قبيس بنى فيه، فلما صعد فيه بالبناء سمي الجبل أبا قبيس، ويقال: كان الرجل من إياد، قال: ويقال: اقتبس منه الحجر الأسود فسمي أبا قبيس، والقول الأول أشهرهما عند أهل مكة، قال مجاهد: أول جبل وضعه الله تعالى على الأرض حين مادت أو قبيس. وأما الأخشب الآخر فهو الجبل الذي يقال له الأحمى، وكان يسمى في الجاهلية: الأعرف، وهو الجبل المشرف على قعيقعان وعلى دور عبد الله

بن الزبير (انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣/ ١٠٨) .

[(٢)] أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب في العدة (٥/ ٢٦٨) رقم ٤٩٩٦.." [(١)]

"بهدية، قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة» ،

ودخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان» ،

وقال عليه السلام: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، غير أن لي رحما سأبلها ببلالها» .

وعن أبي قتادة: وفد وفد للنجاشي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم» .

ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبي هوازن بسط لها رداءه، وخيرها بين المقام عنده والتوجه إلى أهلها، فاختارت قومها، فمتعها،

وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا على علو منصبه، فمن ذلك أن الله خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا، فاختار أن يكون نبيا عبدا، فقال له إسرافيل عند ذلك، فإن الله قد أعطاك بما تواضعت، إنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له، فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا، وقال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» ، وكان يركب الحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس، وقال لامرأة أتته في حاجة: «اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك» ، فجلست وجلس، وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة [١] فيجيب، وحج على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم، وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة، وكان يبدأ من لقيه بالسلام.

وروينا عن أبي بكر الشافعي: فثنا أبو جعفر محمد بن حماد بن ماهان، فثنا محمد بن عبد الرحمن بن بكر، فثنا محمد بن سواء، عن سعيد عن قتادة، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبيان فسلم عليهم، وكان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعلف ناضحه، ويقم [٢] البيت، ويعقل [٣] البعير، ويأكل مع الخادم ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق.

وعن أنس إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث

[(١)] يقال: سنخ الدهن والطعام سنخا: أي زنخ.

---

(١) عيون الأثر ابن سيد الناس ٢/ ٤٠١

[(٢)] أي يكنسه.

[(٣)] أي يربطه.." (١)

"قال حدثني محمد بن داود قال حدثني سعد بن منصور عن جرير عن عبد الحميد عن عنبسة قال قال ابن سيرين «١» : لا تكرم أخاك بما يكره، ولا تحملن كتابا إلى أمير حتى تعلم ما فيه.

وكان يقال: يستحسن الصبر عن كل أحد إلا عن الصديق.

وقال بعض الشعراء: [من الوافر]

إذا ضيقت أمرا ضاق جدا ... وإن هونت ما قد عز هانا

فلا تهلك بشيء فات يأسا ... فكم أمر تصعب ثم لانا

سأصبر عن رفيقي إن جفاني ... على كل الأذى إلا الهوانا «٢»

وقال ابن المقفع: ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك وتحيتك، ولعدوك عدلك، وضن «٣» بدينك وعرضك عن كل أحد.

قال أبو اليقظان: ولي خالد بن عبد الله بن أبي بكرة قضاء البصرة فجعل يحابي «٤» ، فقيل له في ذلك؛ فقال: وما خير رجل لا يقطع لأخيه قطعة من دينه!.

قالوا: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجوز، فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»

.

قال إبراهيم النخعي «٥» : إن المعرفة لتنفع عند الأسد الهصور والكلب." (٢)

"وسبب فراق زين الدين أنه أصابه عمى وصمم وأقام بإربل إلى أن توفي بها في ذي الحجة من هذه السنة وكان قد استولى عليه الهرم وضعفت قوته

وكان خيرا عادلا حسن السيرة جوادا محافظا على حسن العهد وأداء الأمانة قليل الغدر بل عديمه وكان إذا وعد بشيء لا بد له من أن يفعله وإن كان فعله خطيرا وكان حاله من أعجب الأحوال بينما يبدو منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته حتى يبدو منه ما يدل على إفراط الذكاء وغلبة الدهاء بلغني أنه أتاه بعض أصحابه بذنب فرس ذكر أنه نفق له فأمر له بفرس فأخذ ذلك الذنب أيضا غيره من الأجناد وأحضره وذكر أنه نفق له دابة فأمر له بفرس وتداول ذلك الذنب اثنا عشر رجلا كلهم يأخذ فرسا فلما أحضره آخرهم قال لهم أما تستحيون مني كما استحيي منكم قد أحضر هذا عندي اثنا عشر رجلا وأنا أتغافل لئلا يخجل أحدكم أتظنون أنني لاأعرفه بلى والله وإنما أردت أن يصلكم عطائي بغير من ولا تكدير

---

(١) عيون الأثر ابن سيد الناس ٢/٤٠٢

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣/٢٠

فلم تتركوني

(ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي)." (١)

"وإن أفرط في الجناية ولقد قلب في خزانته كيسان من الذهب المصري بكيسين من الفلوس فما عمل بالنواب شيئا سوى أنه صرفهم من عملهم لا غير

وكان رحمه الله حسن العشرة لطيف الأخلاق طيب الفكاهة حافظا لأنساب العرب ووقائعهم عارفا بسيرهم وأحوالهم حافظا لأنساب خيلهم عالما بعجائب الدنيا ونوادرها بحيث كان يستفيد محاضره منه ما لا يسمعه من غيره

وكان يسأل الواحد منا عن مرضه ومداواته ومطعمه ومشربه وتقلبات أحواله

وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه أحد إلا بالخير وطاهر السمع فلا يحب أن يسمع عن أحد إلا بالخير وطاهر اللسان فما رأيته أولع بشتم قط وطاهر القلم فما كتب بقلمه أذى لمسلم قط وكان حسن العهد والوفاء فما أحضر بين يديه يتيم إلا وترحم على مخلفه وجبر قلبه وأعطاه خبز مخلفه إن كان له من أهله كبير يعتمد عليه وسلمه إليه وإلا أبقى له من الخبز ما يكفي حاجته وسلمه إلى من يكفله ويعتني بتربيته

وكان ما يرى شيخا إلا ويرق له ويعطيه ويحسن إليه ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله عز وجل إلى مقر رحمته ومحل رضوانه." (٢)

"وقال أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمى يمدح الأمين بحسن العهد والتذمم

أخذت بحبل من حبال محمد ... أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهري بفضل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام عني لما درت ... وأين مكاني ما عرفن مكاني

من أمتن أسباب الحسب والديانة وفاء العهد وأداء الأمانة

قالوا الوفاء أفضل شمائل العبد وأوضح دلائل المجد وأقوى أسباب الاخلاص في الود وأحق الأفعال بالشكر والحمد وقالوا الوفاء أتم حميد الخلال ومنتهى غاية الكمال تمس الحاجة إليه وتجب المحافظة عليه ولقد صار رسما دارسا وحلة لا تجد لها لابسا ومنقبة قل أن تجد فيها مستأنسا ولله در من قال

وصادق الود صادق الخبر ... مغري برعي العهود مصطبر

هذا الذي لا أزال أسمعه ... وما له في الزمان من أثر

لو أن كفى بمثله ظفرت ... قاسمته في المتاع والعمر

وقالوا من صحب الناس بلسان صادق وعاملهم بحسن الخلائق وألزم نفسه رعى العهود والمواثق فقد أرضى المخلوق والخالق

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٣٩/٢

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤٠٤/٤

ويقال بالوفاء تملك القلوب وتستدام الألفة بين المحب والمحبوب وقالوا من تحلى بالوفاء وتخلى عن الجفاء فذلك من اخوان الصفاء ولقد أحسن من قال

إذا أنت محضت المودة صافيا ... ولم تر عن وصل الصديق مجافيا

ووفيت بالعهد الذي خانه الورى ... ولم أر مخلوقا على العهد باقيا

فقد حزت أسباب المكارم كلها ... وجددت للعليا رسوما عوافيا." (١)

"حسانة المزينة

الحولاء بنت تويت أم زفر

أخبرنا أبو محمد بن عتاب وأبو الوليد أحمد بن عبد الله قالا قرأنا على حاتم بن محمد قال ثنا أحمد بن فراس قال ثنا محمد بن إبراهيم الديلي قال ثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي قال ثنا سفيان عن عبد الواحد ابن أيمن عن ابن أبي نجيح عن عائشة قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام فجعل يأكل من الطعام ويضع بين يديها فقلت يا رسول الله لا تغمر يدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذه كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد أو حفظ العهد من الإيمان قالت عائشة فلما ذكر خديجة أخذني ما يأخذ النساء من الغيرة فقلت يا رسول الله قد أبدلك الله بكبيرة السن صغيرة السن فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما ذنبي أن رزقها الله مني الولد ولم يرزقك قالت والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير

المرأة المذكورة اختلف فيها فقيل هي حسانة المازنية وقيل الحولاء بنت تويت." (٢)

"الحجة في ذلك ما أخبرني أبو عمران موسى بن عبد الرحمن قال أخبرني أبو عمر النمري سماعا عليه قال ثنا عبد الوارث قال ثنا قاسم قال ثنا محمد بن يونس قال ثنا الضحاك بن مخلد قال ثنا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت فقالت أنا حشامة المزنية فقال بل أنت حسانة المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبي أنت وأمي يارسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان

قال أبو عمر هذه الرواية أولى بالصواب من رواية من روى ذلك في الحولاء بنت تويت والله أعلم

والحديث عند أبي عاصم النبيل اختلف عليه فيه قال أبو عمر وروى أبو عاصم الضحاك بن مخلد قال ثنا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت استأذنت الحولاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها وأقبل عليها وقال كيف أنت فقلت يا رسول الله أتقبل على هذه هذا الإقبال فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان." (٣)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٤٢

(٢) غوامض الأسماء المبهمة ابن بشكوال ٢٨٩/١

(٣) غوامض الأسماء المبهمة ابن بشكوال ٢٩٠/١

"وتعطف عليه، ولا يوئسنك من مناصحته ما فرط منك إليه من الإساءة: فإن من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الأحوال، وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الأذى والاحتمال للإخوان والأصحاب وإن ثقلت عليه منه المئونة. وأما من ينبغي تركه فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهد وقلة الشكر والوفاء والبعد من الرحمة والورع، واتصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها. وقد عرفت ابن آوى وجربته وأنت حقيق بمواصلته. فدعى الأسد بابن آوى وأعتذر إليه مما كان منه ووعده خيرا، وقال: إني معتذر إليك ورادك إلى منزلتك. فقال ابن آوى: إن شر الأخلاء من التمس منعة نفسه بضر أخيه، ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه، أو كان يريد أن يرضيه بغير الحق لأجل إتباع هواه. وكثيرا ما يقع ذلك بين." [1]

"يعلمهم حسن العهد ونعت الكرم فى العشرة، فيقول لا تجمع الفرقة واسترداد المال عليها، فإن ذلك ترك الكرم فإن خولت واحدة مالا كثيرا ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسير فى جنب ما أذقتها من الفراق.

قوله: وكيف تأخذونه ... : يعنى أن للصحبة السالفة حرمة أكيدة، فقفوا عند مراعاة الذمام، وأوفوا بموجب الميثاق.

قوله جل ذكره:

[سورة النساء (٤) : آية ٢٢]

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (٢٢)

تشير الآية إلى حفظ الذمام، والوقوف على حد الاحترام، فإن السجية تتداخلها الأنفة من أن ينكح فراشه غيره، فنهى الأبناء عن تخطى حقوق الآباء فى استفراش منكوحة الأب.

قوله جل ذكره:

[سورة النساء (٤) : آية ٢٣]

حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما (٢٣)." [2]

"٥ – قول نوفل الديلي: (ثعلب في جحر):

ومنها ما رواه الواقدي بسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: "لما مضت خمس عشرة ليلة من حصارهم (أهل الطائف) استشار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نوفل بن معاوية الديلي فقال: "يا نوفل ماتقول، أو ترى؟ " فقال نوفل: يا رسول الله، ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك شيئا (٢٦) ". والواقدي متروك كما

---

(١) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/٢٧٢

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣٢٣/١

تقدم مرارا. قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: "ضعيف جدا، رواه الواقدي .. وهو متهم بالكذب (٢٧) ".

٦ - قدوم أمه - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة:

روى البخاري في (الأدب المفرد (٢٨))، وأبو دواد (٢٩)، والبيهقي في (الدلائل (٣٠)) من طريق جعفر بن يحيى بن ثوبان قال: أنبأنا عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقسم لحما بالجعرانة، قال أبو الطفيل: وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور، إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هي؟ قالوا: هذه أمه التي أرضعته". رواه الحاكم وسكت عنه هو والذهبي، ورواه في موضع آخر من الطريق نفسه، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وحذفه الذهبي من التلخيص (٣١).

قال ابن كثير لما أورده في تاريخه: "هذا حديث غريب، ولعله يريد أخته، وقد كانت تحضنه مع أمه حليمة السعدية، وإن كان محفوظا فقد عمرت حليمة دهرا، فإن من وقت أرضعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى وقت الجعرانة أزيد من

(٢٦) مغازي الواقدي (٣/ ٩٢٧).

(٢٧) فقه السيرة، ص ٣٨٩.

(٢٨) الأدب المفرد، باب حسن العهد، رقم ١٢٩٥.

(٢٩) عون المعبود (١٣/ ٥٣).

(٣٠) دلائل النبوة (٥/ ١٩٩).

(٣١) المستدرك (٣/ ٧١٧) رقم ٦٥٩٥، و (٤/ ١٨١) رقم ٧٢٩٤.." [١]

"الأمرين حزمه. ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها. ويأخذ الأهبة للحالة قبل حلولها. وأن يجاور الخير بالشكر. ويساور المحنة بالصبر. فيتخير فائدة الأولى عاجلا. ويستمرئ عائدة الأخرى آجلا. وقد نفذ من قضاء الله في المولى الجليل قدرا. الحديث سناما أرمض واقض. وأقلق وأمض. ومسني من التألم له ما يحق على مثلي ممن توالت أيدي الرئيس إليه. ووجبت مشاركته في الملم عليه. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وعند الله نحتسبه غصنا ذوى. وشهابا خبا. وفرعا دل على أصله. وخطيا أنبته وشيجه. وإياه نسأل أن يجعله للرئيس فردا صالحا وذخرا عتيدا. وأن ينفعه يوم الدين حيث لا ينفع إلا مثله بين البنين بجوده ومجده. ولئن كان المصاب به عظيما. والحادث فيه جسيما. لقد أحسن الله إليه. وإلى الرئيس فيه. أما إليه. فإن الله نزهه باحترام. عن اقتراف الآثام. وصانه بالاختصار. عن ملابسة الأوزار. فورد دنياه رشيدا. وصدر عنها سعيدا. نقي الصحيفة من سواد الذنوب. بريء الساحة من درن العيوب. لم تدنه الجرائر. ولم تعلق به الصغائر والكبائر. قد رفع الله عنه دقيق الحساب. واسهم له الثواب مع أهل الصواب. وألحقه بالصديقين الفاضلين في المعاد. وبوأه حيث

(١) ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية محمد بن عبد الله العوشن ٢٠٥/١

فضلهم من غير سعي واجتهاد. وأما الرئيس فإن الله لما اختار ذلك قبضة قبل رؤيته وقبل معانيه على الحالة التي يكون مها رقة. التي تتضاعف عندها الحرقة. وحماه من فتنة المرافقة. ليرفعه عن جزع المفارقة. وكان هو المبقى في دنياه. والواجب الماضي الذخيرة لأخراه. وقد قيل إن تسلم الحلة فالسخل هدر. وعزيز علي أن أقول المهون للمر من بعده ولا أوفي التوجه عليه. واجب فقده فهو له سلالة ومنه بضعة. ولكت ذلك طريق التسلية. وسبيل التعزية. والمنهج المسلوك في مخاطبة مثله ممن يقبل منفعة الذكرى وإن أغناه الاستبصار. ولا يأبي ورود الموعظة وإن كفاه الاعتبار. والله تعالى يقي الرئيس المصائب. ويعيده من النوائب. ويرعاه بعينه التي لا تنام. ويجعله في حماه الذي لا يرام. ويبقيه موفورا عير منتقص. يقدمنا إلى السوء أمامه. وإلى المحذور قدامه. ويبدأ بي من بينهم في هذه الدعوة. إذ كنت أراها من أسعد أحوالي. وأعدها من أبلغ أماني وآمالي (للقيرواني)

لأبي فضل الميكالي تعزية إلى أبي عمرو البحتري في أخ

لقد عاش أخوك نبيه الذكر. جليل القدر. عبق الثناء والنشر. يتجمل به أهل بلده. ويتباهى بمكانه ذوو مودته. ويفتخر الأثر وحاملوه بتراخي بقائه ومدته. حتى إذا تسنم ذروة الفضائل والمناقب. وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب. اختطفته يد المقدار. ومحت أثره بين الآثار. فالفضل خاشع الطرف لفقده. والكرم خالي الربع من بعده. والحديث يندب حاله ودرسه. وحسن العهد يبكي كافله وحارسه.." (١)

"ما ذكر من حيائه وظهر من عهده ووفائه

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها. وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفنا ذلك في وجهه. وعن عائشة رضي الله عنها قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العواتق في خدورهن. أخبر الحسن بن علي بن أبي رافع أن أبا رافع أخبره: أنه أقبل ركبان من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ألقي في قلبي الإسلام. فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن ارجع إليهم، فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن فارجع. قال: فرجعت إليهم، ثم إني أقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت. وكان أبو رافع قبطيا. وعن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قالت: أنا حنانة المزينة. قال: بل أنت حسانة المزينة وفي رواية قالت: أنا حثامة المزينة. قال: بل أنت حضانة كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قالت: فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة. وإن حسن العهد من الإيمان. وعن

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٧٩/٦

عائشة رضي الله عنها قالت: كانت عجوز تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيبش بها ويكرمها. فقلت: بأبي أنت وأمي، إنك." (١)

"ولما توفي العاضد أمر السلطان بالاحتياط على أولاده في موضع خارج القصر جعله برسمهم على الانفراد، وقرر ما يكون رسمهم للكسوات والأقوات والازواد قال: وهم إلى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره يكلؤهم ويحرس بعين حزمه في ليلة ونهاره وجمع الباقين من عمومتهم وعترتهم من القصر في إيوان وأبعد عنهم النساء لئلا يتناسلوا وهم الآن محصورين وقد نقص عددهم وقلص عددهم. ثم عرض من بالقصر من الجواري والعبيد أكثرهن حراير فأطلقهن، وجمع أموال لهن موات فأعتقهن وجمع الباقيات فوهبهن وفرقهن وأخلى دوره وأغلق قصوره وسلط الجود على الموجود وأبطل الوزن والعد عن الموزون والمعدود وأخذ كلما صلح له ولأهله وأمرائه وخواص مماليكه وأوليائه من أخاير الذخاير وزاواهر الجواهر والعقود والنقود والمنظوم والمنضود وما لا يعد إحصاء ولا يعد استقصاء فوقع فيها القضاء وكشف عنها الغطاء وأرسف فيها العطاء، وأطلق البيع بعد ذلك في كل رخيص منها وغال وبال وأسمال ومنقول ومحمول ومصنوع ومعمول واستمر البيع فيها مدة عشر سنين وتنقلت إلى البلاد بأيدي المسافرين ومن جملتها الكتب فأني قد أخذت منها جملة في سنة اثنتين وسبعين وكانت خزاينها مشتملة على قريب من مائة وعشرين ألف مجلدة مؤيدة من العهد القديم مخلدة، وفيها بالخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي واقتطفه التعدي ونقلت منها ثمانية أحمال إلى الشام وتقاسم الخواص بدور القصر وانتقل إليه الملك العادل سيف الدين لما ناب عن أخيه واستمر سكناه فيه.

وخطب لأمامنا المستضيء في قوص وأسوان والصعيد البشاير وسار بها البادى والحاضر وتملك السلطان أملاك المنتمين إليهم من أشياعهم وضرب الألواح على دورهم ورباعهم ثم ملكها أمراءه وخص بها أولياءه وبا ع منها أماكن ووهب مساكن.

كتاب فاضلي من صلاح الدين إلى المبارك بن منقذ والى قوص وكتابنا هذا وارد على الأمير مجد الدين: عندما كان من نفوذ قضاء الله وقدره محتوما فيما منصوبا وموسوما وذلك لمرض امتدت فيه أيامه واستولت عليه آلامه إلى أن انقصمت به عراه وانحلت معه قواه وأتاه من أمر الله ما أتاه وحضرنا في إيوانه ونقلنا بانتقاله أسرار الأمر إلى خلانه ليعلم أن الله استأثر (١٧٤أ) بوفاته وآثره لحسن العهد بموافاته وبلغنا الغاية في أحمال أمره والتوديع له إلى قبره واطابة نفوس مخلصيه وإقرارهم في قصره وانكفأنا إلى مستقرنا والأمور لدينا مطردة والأحوال قبلنا متمهدة والدهماء ساكنة والدنيا بنظرنا آمنة، وسبيل الامير أن يوعز إلى الخاطئ يوم الجمعة بالدعاء لمن الكلمة عليه مجموعة والدعوة له في الاقطار مسموعة وهو الامام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ولا يلزم الناس العافية فإنها أسبغ عطاء وأسبل غطاء في تنقل الأيام عبرة (لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) ومن تعظه الأيام من قريب (فأولئك ينادون من مكان بعيد) .

قال: وكان صلاح الدين لا يخرج عن أمر نور الدين ويرجع في جميع النصائح إلى رأيه المتين وقد كان كاتبه نور الدين في شوال سنة ست بتغيير الخطبة وانتزاع نكر هذه القضية وأيقن أن أمره متبوع وقوله مسموع ونطقت بذلك الخواص والعوام

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢/٢١٥

فسير نور الدين شهاب الدين أبا المعالي المطهر بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون بهذه البشارة وإشاعة ما تقدم له بها من الإشارة وامرني بإنشاء بشارة عامة تقرأ في ساير بلاد الإسلام وبشارة خاصة للديوان العزيز بحضرة الإمام في مدينة السلام.

ذكر وصول عماد الدين صندل رسولا من دار الخلافة

بالخلع والتشريفات لنور الدين، وصلاح الدين قال: كان عماد الدين صندل هذا من أكابر الخدم المقتفوية وتولى استاذيه الدار العزيزة بعد عزل عماد الدين بن عضد الدين عنها وهو أكبر من أرسل وجاء بالتشريف لنور الدين بأهبته السوداء العراقية وحلله الموشية وطوقه الثقيل وسرجه الخاص الشريف وحصانه المنيف ولواء الحمد المعقود وفرجية النسج المعمود ومثال التقليد المشهور وكتاب التقريظ المحمود.." (١)

"وأخرجه البخاري في الأدب المفرد فقال: حدثنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى بن ثوبان به١.

وأخرجه أبو يعلى فقال: حدثنا عمرو٢ بن الضحاك بن مخلد ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان به"٣.

وأخرجه الطبراني والبيهقي كلاهما من طريق أبي مسلم٤ الكجي قال ثنا أبوعاصم قال: أخبرنا جعفر بن يحي قال: أخبرني عمي عمارة بن ثوبان به٥.

وأخرجه الحاكم من طريق أبي عاصم أنبأنا جعفر بن يحيى به.

وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"٦.

وأورده ابن كثير ثم قال: "هذا حديث غريب".

ولعله يريد أخته٧ وقد كانت تحضنه مع أمها حليمة السعدية، وإن كان محفوظا فقد عمرت حليمة دهرا، فإن من وقت أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت

---

١ الأدب المفرد: ص ٤٤٠ باب حسن العهد.

٢ عمرو بن الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني ولد أبي عاصم النبيل، البصري، ثقة، كان على قضاء الشام، من الحادية عشرة، (ت٢٤٢) / ق (التقريب ٧٢/٢ وتهذيب التهذيب ٥٥/٨) . ووقع في التقريب: والد أبي عاصم وهو خطأ، والظاهر أن شيخ عمرو بن الضحاك قد سقط من السند وأنه أبو عاصم، فإن عمرا يروي عن أبيه وأن هذا الحديث بجميع طرقه عن أبي عاصم عن جعفر بن يحيى، ولم أجد في ترجمة عمرو أنه يروي عن جعفر، وكذا لم أجد في ترجمة جعفر أن من تلاميذه عمرو بن الضحاك.

٣ مسند أبي يعلى ١٠٧/١ رقم ٣٠١.

٤ أبو مسلم الكجي هو: إبراهيم بن عبد الله، ثقة تقدمت ترجمته في حديث (٨٩) وقع في البداية والنهاية لابن كثير

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/٢٢

٤/٣٦٤ ثنا مسلم وهو خطأ والصواب "ثنا أبو مسلم".

٥ انظر المزي: تهذيب الكمال ٦/٥٠١ فقد ساق الحديث في ترجمة عمارة بن ثوبان، بسنده إلى الطبراني.

والبيهقي: دلائل النبوة ٣/٥٦ وانظر: الشفا للقاضي عياض ١/١٢٨، وأسد الغابة لابن الأثير ٧/٦٨ والسيرة النبوية للذهبي ص ٢١، والإصابة لابن حجر ٤/٢٧٤.

٦ المستدرك ٤/٣،١٦٤/٦١٨.

٧ قلت: وقد سبق إلى هذا القول الحافظ الدمياطي فقد ذكر حديث بسط الرداء، ثم قال: هذه أخته الشيماء لا أمها حليمة.

(انظر: الشمني: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ١/١٢٨ مع الشفاء وسيأتي الجواب عن هذا في نهاية هذا المبحث.

وتردد ابن قيم في ذلك فقال: واختلف في إسلام أبويه من الرضاعة فالله أعلم (زاد المعاد ١/٨٣) .." (١)

"ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود.

استقضي ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته، ونفوذ أحكامه، وكانت له في الظالمين سورة «١» مرهوبة، ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم/ (ص ٣١٣) وبثه، وسألته عن مولده فقال: ولدت يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ودفن بمدينة فاس، ومن مصنفاته: عارضة الأحوذي في شرح الترمذي.." (٢)

"أما ولده حسين فقد حج بيت الله الحرام وتزوج بإحدى بنات الشريفة حسينة بنت محمد بن أبي القاسم بن محمد بن علي بن حسن بن أحمد الشريف إمام مسجد دار الباشا، ومنها كان ولده الشيخ أبو محمد حمودة وكان عالما فاضلا ثقة خيرا قدمه الأمير علي باشا باي إماما بسراية باردو لإقامة الخمس ورواية البخاري وقدمه لإقراء ولده لأمير حمودة باشا العلم الشريف فتصدى لذلك ولازم سكنى باردو المعمور، وبسبب ذلك لم يستمر على الإقراء بجامع الزيتونة وكانت عنايته بإقراء الأمير ابن الأمير وتربيته وحصل بذلك على إقبال عظيم من لخاصة والعامة مرموقا بعين الإجلال يأتيه الفقهاء للتهنئة بالمواسم العيدية لمكان علمه وجاهه. ولم يزل على جلالته إلى أن توفي ليلة الجمعة الرابع العشرين من ذي الحجة الحرام سنة عشرين ومائتين وألف وحضر ابنه الروحي الأمير حمودة باشا جنازته مع سائر أل بيته وشيعها راجلا إلى المقبرة وهو يطيل البكاء والنحيب في ذلك المشهد العام برورا بشيخه وشيخ تربيته وبذلك اكتسب فخرا في الوفاء وحسن العهد والبرور لم يعهد مثله بحيث إن المجامع قضت أياما تروي حديث ما وقع من الأمير مع شيخه رحم الله جميعهم.

ثم كانت ولادة صاحب الترجمة أواخر رمضان سنة ١١٨٢ اثنتين وثمانين ومائة وألف ونشأ بين يدي أبيه مرموقا برعاية ابن تربية أبيه الأمير حمودة باشا وكان به حفيا، وأخذ العلم عن والده أولا ثم عن علماء جامع الزيتونة منهم شيخ الإسلام البيرمي الثاني، والشيخ صالح الكواش. وغيرهم، وحصل على الملكة في المعقول والمنقول، وتصدى للتدريس بجامع الزيتونة.

---

(١) مرويات غزوة حنين وحصار الطائف إبراهيم بن إبراهيم قريبي ١/٢٧٠

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥/٧١٩

ولما توفي والده قدمه الأمير حمودة باشا لإمامة الخمس بمسجد دار الباشا صبيحة يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة ٢٠ عشرين وقربه وآواه فجبر صدع فقد أبيه وغمره بعطائه وأقام على الوفاء ببر شيخه مع ابنه هو وأخوه الأمير عثمان باي وبانقراض دولته عزل عن الإمامة المذكورة رحم الله جميعهم.

ثم إنه تقدم للإمامة بجامع القصر وتقدم مدرسا في المرتبة الأولى عند وضع الترتيب الأحمدي أواخر شهر رمضان المعظم سنة ١٢٥٨ ثمان وخمسين ومائتين وألف ولازم التدريس بجامع الزيتونة.

وتقدم لخطة القضاء فباشرها بدين وعلم نحو الأربع وسنين.

ولما توفي الشيخ الدرويش أولاه المشير الأول أحمد باشا باي الفتيا فتقدم مفتيا خامسا صبيحة يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة الحرام سنة ١٢٦٢ اثنيتن وستين ومائتين وألف فجمع بين إمامة وخطبة وتدريس وقضاء وفتيا. وحمد في جميعها على ما له من حسن المحاضرة والأدب وإجادة نظم الشعر وسرعة الجواب وثقة النفس وكرمها وعلو الهمة والأمانة والصيانة وحفظ المروءة وحسن الخلق مع الفقه والتفنن في العلوم والديانة إلى أن أتاه الأجل المحتوم فتوفي أوائل ربيع الأول سنة ١٢٦٧ سبع وستين ومائتين وألف.

٣٠

الشيخ محمد عباس

هو الشيخ أبو عبد الله محمد ويدعى حمدة بن محمد بن محمد بن محمد عباس الحنفي أصلهم من بلد مورة واشتغل آل بيته بصناعة الشاشية بحاضرة تونس حتى صاروا من أعيان أربابها.

وولد صاحب الترجمة سنة ١٢٠٩ تسع ومائتين وألف، ونشأ بين يدي والده وجود القرآن العظيم بالعشر على الشيخ محمد السقاط وقرأ عليه كتب مبادئ النحو، وقرأ على الشيخ أحمد اللبي شرح العيني على الكنز، وقرأ على الشيخ الطاهر ؟ بن مسعود شرح الأشموني على الألفية ومختصر السعد، وقرأ على الشيخ ابراهيم الرياحي تفسير القاضي البيضاوي وشرح البخاري، وقرأ على غير هؤلاء كالشيخ الحاج الشاذلي بن المؤدب وحصل على الملكة فقرأ بجامع الزيتونة وتقدم للإمامة بجامع القصبة سنة ١٢٤٨ ثمان وأربعين ومائتين وألف فزان المحراب والمنبر بحسن تلاوته وفصيح خطبته.

وتقدم في الرتبة الأولى بجامع الزيتونة عند وضع الترتيب الأحمدي في شهر رمضان المعظم سنة ١٢٥٨ ثمان وخمسين فتصدى للإقراء وأفاد الطالبين.." (١)

"أما الكتب التي أقرأتها لهما تدريسا فهي متن الآجرومية ثم شرح الشيخ خالد عليه مرتين ثم شرح القطر الألفية بشرح المكودي إلى النعت والعقيدة السنوسية والمقدمات وشرح الباجوري على الجوهرة والشرح البيرمي على إيساغوجي، والدمنهوري على السمرقندية ونبذة من تلخيص المعاني إلى أحوال متعلقات الفعل وشرح الشيخ حسن الشرنبلالي في الفقه الحنفي وقطعة من العيني على الكنز وقطعة من المغني على تحفة الملوك وشرح الدر المختار على تنوير الأبصار وقد بلغنا فيه الآن إلى الخلع

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/١٩٤

والأ'مال الصحيحة من علم الحساب، والشرح الخوجي على الحكم السياسة والخلاصة النقية في أمراء إفريقية وتاريخ القرماني وقطعة من مقدمة ابن خلدون جميعها تدريسا بجد واجتهاد ورواية غالب الشفا للقاضي عياض وسرد الإبريز وقراءة صحيح البخاري دراية في ليالي رمضان كل سنة، وقد كتبت عدة أختام على كثير من الأحاديث لتي ينتهي شهر رمضان بالوقوف عليهأن نسأل الله أن يجعل جميع ذلك من العمل المبرور.

وقد اشتغل أيضا بتعلم اللغة الفرنساوية فبرع فيها كتابة وسردا وترجمة وتكلما بعد التروي وحسابا وجغرافية على وجه يعز عمن سواه مع ماله من الولوع بمطالعة الأخبار ومزيد الاستبصار.

فهو شاب مهذب شهم فصيح دراكة ألمعي متبصر موفق لطيف الأخلاق حسن اللقاء كيس المعاملة ظريف الشمائل محب للتراتيب يخشى الله في حقوق العباد محب للنصيحة عزيز النفس عالي الهمة حسن العهد رحب الصدر. نسأل الله لنا وله دوام نعمة التوفيق الهدية، وحسن المبدأ والنهاية، بجاه من أنزل عليه القرآن آية آية.

وقد كنت في مبدأ إقرأئه كاتبته بمكتوب نثبطه به عما ظهر به من اشتغاله، ونحثه عما يجديه بين الناس في مآله، وهو مكتوب يحسن في بابه، وتعرف قيمته عند أربابه، ولا ينبغي أن نودع عند غيره نفائس آدابه ولذلك حافظ على نفائسه فوعاه حفظأن وبعد أن استوعبه معنى ولفظأن وهذا نصه: أيها الابن الذي يريد أن يقوم لجيوش المعارف ناصرأن وقد أسلمت لك قيادها وحلت لك أبناء الملوك خناصرأن أعزك الله ما الفضل بالسباق إلا في ميادين المعارف، ولا بالصيد إلا الشوارد المسائل واللطائف، ولا بالرماية إلا في أكباد الأعادي، بإحراز سهم لعلوم ونشر رايتها في كل نادي، وعهدي بك أنك ممن سبر وعاين بعد الخبر المخبر فأيقنت بلزوم بذل العناية في الحرص على التعلم لما تحرر عندك من نتائج سير ملوك الأقاليم، فما بالك آثرت اللهو بالصيد دون رجوع في سويعات التعليم التي إنما تكون لك ثلاثة أيام من كل أسبوع مع هجوم البرد الشديد، الذي لا تروح بسببه الطير من وكرها البعيد، فإن كنت ترى أن ذلك الملك أساسأن وقد نفع ذلك أناسا فسحبي أن أنظم لك في هذا السلك ما أنشأت نظمه في قول الحكماء في الملك: [الكامل]

الملك بين أسه الإيمان ... والسقف تقوى الله والإحسان

ومشيد الأركان منه شرائع ... وفراشه عدل به العمران

ومناره السير الحميد فمن حوى ... ذا فلينم فالملك فيه أمان

وإن أروك أن الفروسية زينة الملوك العظام، فأيقن أن الزينة إنما تكون بعد الحصول على التستر بملابس الكرام، وملابس الملك عشر خصال، قد جمعتها لك في لطيف المقال، هو:

أرى الملك محتاجا لتسع وعاشر ... خصال رووها عن جميع الأكابر

قيام بحفظ الدين بين أولي النهي ... وتنفيذ حكم بين أهل التشاجر

وذب على كل الحريم وماهم ... وضبط حدود الله بين العشائر

وتحصين ثغر عن جميع عداته ... وحسن جهاد للمعاند قاهر

وحفظ جبايا المال دون تغافل ... وتقدير ما للمستحق المجاور

وتولية الأمر الأمين الذي له ... مع الحزم حلي النصح غير الظاهر

ومن باشر الأمر المهم بنفسه ... بخبرته أضحى عظيم الأكاسر

فآلة الرمي والفروسية من الأدوات التي لا يعد عدمها نقصا في الذات بين المدبرين من ذوي الكمالات بخلاف نقصان المرء عند التكلم وإهماله حظ التعلم فتلك حسرة لا يجد لهاة مفوتها من سبيل، وإن أجري في معاملته أنهار السلسبيل: [الوافر]

وما فضل الملوك على الرعاع ... سوى بالذات في كل البقاع

وفضل الذات رحمتهم وحذق الت ... بصر بالمعارف في المراعي." (١)

"علي بن صالح والقينة

ذكر أبو عمر بن حيويه في ما نقلته من خطه قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثنا الحسين بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد العبدي قال: حدثني سليمان بن علي الهاشمي أن علي بن صالح بن داود ذكر عن جارية من القيان أنها تميل إليه محبة وكلفا، وكانت موصوفة بالأدب شاعرة، فكره مراسلتها، فحضر يوما عند بعض أهل البصرة، وكانت عنده، فلما رأت علي بن صالح قالت: طاب عيشنا في يومنا هذا، فلم يلتفت إليها وأطرقت هي أيضا فلم تنظر إليه، ثم دعت بداوة فكتبت على منديل، كان معها، ثم غافلت أهل المجلس، فألقت إليه المنديل، فأخذه فإذا فيه:

لعل الذي يبلو بحبك يا فتى، ... يردك لي يوما إلى أحسن العهد.

قال: فما هو إلا أن قرأت الشعر حتى وجدت في قلبي من أمرها مثل النار، وقمت فانصرفت خوفا من الفضيحة، ثم لم أزل أعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تعلم، فعسر ذلك علي، فعرفتها الخبر، وما عزمت عليه من ابتياعها، فأعانتني على ذلك حتى ملكتها، فلم أوثر عليها أحدا من حرمي، ولا أهلي، ولا كان عندي شيء يعدلها، فتوفيت، فأنا لا عيش لي بعدها، ولا سرور. فوالله ما لبث بعد هذا الكلام إلا أياما يسيرة حتى مات أسفا وكمدا، فدفن إلى جنبها.

ريقته مدام

ولي من قصيدة أولها:

قفي أخبرك ما صنع الغرام، ... عشية قوضت تلك الخيام.

لقد فتك الهوى بي يوم ساروا، ... ولو لم يؤثروا قتلي أقاموا.." (٢)

"ألا حبذا صبح اذا ابيض أفقه ... تصدع عن قرن من الشمس وارس

ركبت من الخلصاء تركب سيلها ... ورود المطي الحائمات الكوانس

فيا طارق الزوراء قل لغيومها اس ... تهلي على متن من الكرخ آنس

وقل لرياض القفص تهدي نسيمها ... فلست على بعد المزار بآيس

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... لقى بين أقراط المها والمحابس

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٣٧٤

(٢) مصارع العشاق السرّاج القارئ ٢٨٨/١

وهل أرين الري دهليز بابل ... وبابل [١] دهليز إلى أرض فارس

ويصبح ردم السد قفلا عليهما ... كما صرت قفلا في قوافي ابن فارس

فعرض أبو القاسم الحسولي المقطوعين على الصاحب وعرفه الحال فقال:

البادي أظلم والقادم يزار، وحسن العهد من الإيمان.

-١٣١ -

أحمد بن الفضل بن شبانة الكاتب أبو الصقر

النحوي الهمذاني: من أهل همذان، ذكره شيرويه. كان يلقب بساسي دوير، مات سنة خمسين وثلاثمائة، روى عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل وأبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي وأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي وأبي سعيد الحسن بن علي بن زكريا العدوي وأبي بكر محمد بن خلف وكيع وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد وأبي بكر ابن دريد النحوي وأبي الحسن علي بن سعيد السكري وعلي بن الفضل الرشيدي وغيرهم. روى عنه أبو بكر أحمد بن علي بن لال [٢] وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن تركان وأبو الحسن إبراهيم بن جعفر الأسدي وأبو بكر خلف بن محمد الخياط وأبو عبد الله أحمد بن عمر الكاتب وابن روزبه وغيرهم.

حدثنا عبد الملك بن عبد الغفار الفقيه لفظا، أخبرنا عبد الله بن عيسى الفقيه،

---

[١٣١]- ترجمة ابن شبانة (بالنون كما ضبطه الصفدي) في الوافي ٧: ٢٨٧ وبغية الوعاة ١: ٣٥٣ (شبابة- بباءين) .

[١] م: بابك.

[٢] م: بلال.." (١)

"نودي لصلاة الصبح سجد سجدتين قبل صلاة الصبح يخففهما.

أخرجه النسائي، عن ابن عبد الحكم، فوافقناه

خديجة بنت الصاحب العلامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي أم عمر زوجة قاضي حماة عز الدين بن العديم

ولدت بعد سنة عشرين وست مائة.

وسمعت من الركن إبراهيم بن علي الحنفي، وكانت امرأة جليلة صالحة مشكورة، وهي والدة قاضي حلب كمال الدين عمر بن عبد العزيز الحنفي، توفيت بحماة سنة ثمان وسبع مائة.

قرأت على خديجة، وشهدة ابنتي أبي القاسم العقيلي، وسنقر الزيني، أخبركم إبراهيم بن علي الدمشقي، سنة تسع وعشرين وست مائة، أنا أبو سعد عبد الله بن محمد القاضي، أنا أبو بكر محمد بن القاسم الشهرزوري، نا أبو حامد أحمد بن محمد

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١/٤١٨

الشجاعي، ببلخ، أنا محمد بن عبد الله بسرخس، نا زاهر بن أحمد الفقيه، نا أبو بكر البسطامي، نا علي بن داود، نا محمد بن عبد العزيز، عن بقية، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جبل ولي لله إلا على حسن العهد والإنصاف والسخاء» .." (١)

"والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ...

أخرج البخاري، ومسلم؛ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» .

ورواه بنحوه؛ من حديث ابن مسعود: أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» ، والترمذي، وفي أوله عندهم: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإياكم والكذب ... » الحديث.

(والوفاء بالعهد) ؛ أي: إذا عاهد على أمر، قال الله تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم [٩١/ النحل] . وقال تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا (٣٤) [الإسراء] . وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود [١/ المائدة] .

أخرج البخاري، ومسلم، والإمام أحمد، والنسائي؛ عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن؛ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» .

وأخرج الترمذي وغيره؛ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حسن العهد من الإيمان» .

(وأداء الأمانة) قال الله تعالى. إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها [٥٨/ النساء] ، وقال الله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢) [الأحزاب] .

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له» رواه الإمام أحمد.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» أخرجه الحاكم وصححه.

(وترك الخيانة) لحديث: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» .." (٢)

"وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالإحسان إليهم، وكان يكرم ذوي رحمه، ويصلهم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

وكان صلى الله عليه وسلم يكرم بني هاشم.

وكان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس لطفا بالعباس.

(و) في «كشف الغمة» للعارف الشعراني ك «الإحياء» للإمام الغزالي رحمه الله تعالى: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) معجم الشيوخ الكبير للذهبي الذهبي، شمس الدين ٢٣١/١

(٢) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ٣٧٦/٢

يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالإحسان إليهم) . روى الترمذي في «الشمائل» ؛ من حديث علي الطويل؛ في صفته صلى الله عليه وسلم: وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، وفيه: ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم ... الحديث المتقدم.

وللطبراني؛ من حديث جرير في قصة إسلامه: فألقى إلي كساء، ثم أقبل على أصحابه؛ ثم قال: «إذا أتاكم كريم قوم؛ فأكرموه» . ورواه الحاكم؛ من حديث معبد بن خالد الأنصاري نحوه؛ وقال: صحيح الإسناد.

(وكان يكرم ذوي رحمه ويصلهم) ؛ أي: يحسن إليهم ويعطف عليهم، وإن بعدوا عنه، أو أساؤا إليه (من غير أن يؤثرهم) أي: يخصهم ويقدمهم (على من هو أفضل منهم) من الناس؛ عدلا منه، وإعطاء لكل ذي حق حقه، وهذا أيضا من حسن العهد.

(و) في «كنوز الحقائق» للمناوي؛ ورمز برمز الخطيب: (كان صلى الله عليه وسلم يكرم بني هاشم) .

(و) في «كنوز الحقائق» أيضا؛ ورمز له ابن عساكر: (كان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس لطفا بالعباس) .." [1]

"- رضي الله تعالى عنها- إنها كانت تحب خديجة» .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة رضي الله تعالى عنها لما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها، واستأذنت عليه أختها..

- رضي الله تعالى عنها-)

وفي رواية: (إنها كانت تحب خديجة») . وفيه الحث على البر والصلة وحسن العهد.

(و) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما (عن عائشة رضي الله تعالى عنها؛ قالت: ما غرت) - بكسر العين المعجمة وسكون الراء- (على امرأة) أي: من نساء النبي صلى الله عليه وسلم (ما غرت) ؛ أي: كغيرتي (على خديجة- رضي الله تعالى عنها- لما كنت) لعلة لغيرتها أي: لأجل كوني دائما (أسمعه) ؛ أي: أسمع النبي صلى الله عليه وسلم (يذكرها) أي: ذكرا جميلا وثناء جزيلا.

قال الطبري وغيره: الغيرة من النساء مسموح لهن ومفسوخ في أخلاقهن لما جبلن عليه، وإنهن لا يملكن عندها أنفسهن. ولهذا لم يزجر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة، ولا رد عليها عذرها، لما علم من فطرتها وشدة غيرتها. قال الزبيدي: والعامة تكسرها والصواب فتحها. انتهى «ملا علي قاري رحمه الله تعالى» .

(وإن) - بكسر الهمزة وسكون النون؛ على أن «إن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف؛ أي: وإنه عليه الصلاة والسلام (كان ليذبح الشاة) - بفتح اللام- وهي المسماة ب «الفارقة» ، نحو قوله تعالى وإن كانت لكبيرة [١٤٣/ البقرة] (فيهديها) - بضم الياء- أي: فيرسلها هدية (إلى خلائلها) - بالخاء المعجمة- جمع: خليلة؛ أي صدائقها لكل

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ٢/٤٤٢

واحدة منها قطعة.

(واستأذنت عليه أختها) أي: طلبت الإذن في الدخول له صلى الله عليه وسلم أخت خديجة؛." [١]

"فارتاح لها «١» ، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» .

وهي هالة بنت خويلد بن أسد أم أبي العاصي بن الربيع «زوج زينب بنته صلى الله عليه وسلم» ، واسمه: لقيط بن الربيع، وهالة ذكرها ابن منده، وأبو نعيم في «الصحابة» .

(فارتاح [لها]) ؛ أي: حصلت له صلى الله عليه وسلم راحة، إذ دخلت عليه وأظهر البشر والسرور برؤيتها، (ودخلت عليه امرأة) أي: أخرى في وقت آخر (فهش لها) - بتشديد الشين المعجمة- أي: فرح بها واستبشر، (وأحسن السؤال عنها) بقوله «كيف أنتم..؟ كيف حالكم ... ؟ كيف كنتم بعدنا» ؟ (فلما خرجت) من عنده (قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة) أي: في زمانها فلنا بها معرفة قديمة، (وإن حسن العهد) قال السخاوي: ينصرف لغة إلى وجوه؛ أحدها: الحفظ والرعاية، وهو المراد هنا. أي: الوفاء والحفظ، ورعاية العهود القديمة، ورعاية من يحبك أو يحب من يحبك (من الإيمان») أي: من أخلاق أهله وخصالهم، أو من شعب الإيمان ومقتضياته، لأن من كمال الإيمان مودة عباد الله ومحبتهم.

وهذا الحديث رواه الحاكم في «مستدركه» في «كتاب الإيمان» ؛ عن عائشة مرفوعا، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين؛ وليس له علة. وأقره الذهبي. ومن طريق الحاكم رواه الديلمي، من حديث الصغاني؛ عن أبي عاصم؛ قال: حدثنا رستم؛ عن ابن أبي مليكة؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها؛ قالت:

جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي، فقال لها: «من أنت» ؟! فقالت جثامة المزنية. قال: «أنت حسانة، كيف أنتم ... ؟ كيف حالكم ... ؟ كيف كنتم بعدنا؟» . قالت: بخير، بأبي أنت وأمي؛ يا رسول الله. فلما خرجت؛ قلت:

يا رسول الله؛ تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال!! قال: «إنها كانت تأتينا زمن

---

(١) في «وسائل الوصول» : إليها.." [٢]

"قال القسطلاني: (وهكذا كانت أحواله عليه الصلاة والسلام مع أزواجه، لا يأخذ عليهن ويعذرهن، وإن أقام عليهن قسطاس عدل أقامه من غير قلق، ولا غضب.

وبالجملة: فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء، والأيتام، والأرامل، والأضياف، والمساكين.. علم أنه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق، وإنه كان يشدد في حدود الله وحقوقه ودينه؛ حتى قطع يد السارق ... إلى غير ذلك) .

---

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ٥٢٦/٢

(٢) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ٥٢٧/٢

خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» .

(قال) العلامة الشهاب (القسطلاني) في «المواهب» عقب الكلام على حديث عائشة رضي الله عنها في كسر الصحفة السابق!! ولو ذكره المصنف هناك كان أولى؟!

(وهكذا كانت أحواله عليه الصلاة والسلام مع أزواجه؛ لا يأخذ عليهن ويعذرهن) - بكسر الذال-: يرفع عنهن اللوم.

(وإن أقام عليهن قسطاس) : ميزان (عدل؛ أقامه من غير قلق ولا غضب) كما هو الواقع من غيره كثيرا.

(وبالجملة؛ فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم؛ من الفقراء، والأيتام، والأرامل، والأضياف، والمساكين؛ علم أنه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق) ، أي: لا يصل أحد بعده إليها (وإنه كان يشدد في حدود الله وحقوقه ودينه؛ حتى قطع يد السارق ... إلى غير ذلك) كحد الزاني. انتهى كلام «المواهب» .." (١)

"- وكان به شرى- فما كان يشم أطيب منه رائحة. رواه الطبراني.

وأعطى الحسن لسانه؛ وكان قد اشتد ظمؤه، فمصه حتى روي.

وروى القاضي عياض في «الشفا» بسنده إلى عبد الله بن أبي الحمساء: ...

(وكان به شرى) : بثور صغار حمر حكاكة مكربة؛ تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا لبخار حار يثور في البدن دفعة؛ قاله في «القاموس» .

(فما كان يشم أطيب منه رائحة. رواه الطبراني) في «الكبير» و «الصغير» ؛ من طريق أم عاصم زوجة عتبة بن فرقد عنه؛ قال: أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأمرني فتجردت فوضع يده على بطني وظهري، فعبق الطيب من يومئذ.

قالت أم عاصم: كنا عنده أربع نسوة فكنا نجتهد في الطيب؛ وما كان هو يمس الطيب؛ وإنه لأطيب ريحا منا.

(وأعطى الحسن) بن علي سبطه صلى الله عليه وسلم (لسانه؛ وكان قد اشتد ظمؤه، فمصه حتى روي) - بفتح الراء وكسر الواو-: زال ظمؤه. رواه ابن عساكر.

وروى الطبراني أن امرأة بذيئة اللسان جاءته صلى الله عليه وسلم؛ وهو يأكل قديدا، فقالت:

ألا تطعمني!! فناولها من بين يديه. فقالت: لا؛ إلا الذي في فيك!!. فأخرجه فأعطاه لها؛ فأكلته، فلم يعلم منها بعد ما كانت عليه من البذاءة.

ولله در إمام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي المالكي رحمه الله تعالى حيث يقول:

جنى النحل في فيه، وفيه حياتنا ... ولكنه من لي بلثم لثامه

رحيق الثنايا والمثاني تنفست ... إذا قال في فيح بطيب ختامه

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ٥٢٨/٢

(وروى القاضي عياض في «الشفاء») في «فصل خلقه في الوفاء وحسن العهد» (بسنده إلى عبد الله بن أبي الحمساء) - بمهملتين بينهما ميم ساكنة فألف." (١)

"ومن كلامه صلى الله عيه وسلم: " المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ". " المرء مع من أحب " " حبك الشيء يعمي ويصم ". " المؤمن مؤآة المؤمن ". " حسن العهد من الإيمان ". " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ". " فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ". " لا تنزع الرحمة إلا من شقى ". " من لا يرحم لا يرحم ". " الدنيا نعم مطية المؤمن ". " الدال على الخير كفاعله ".." (٢)

"وقال: " مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس في آخيته يجول ثم يرجع إلى آخيته، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان ". ودخلت عليه صلى الله عليه وسلم عجوز؛ فسأل وأحفى، وقال: " إنها كانت تأتينا أزمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان ". سئل عليه السلام عن البر والإثم؛ فقال: " البر حسن الخلق، والإثم ما حك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ". وقال: " إن من شر ما أعطى العبد شح هالع وجبن خانع ". وقال: " ما من أمير عشرة إلا وهو يجئ يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، حتى يكون عمله هو الذي يطلقه أو يوكفه ". وقال: " وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم ". وأهدى إليه عليه السلام هدية؛ فلم يجد شيئا يضعه عليه فقال: " ضعه بالحضيض، فإنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ". وندب - صلى الله عليه وسلم - إلى الصدقة؛ فقيل له: قد منع أبو جهم وخالد بن الوليد والعباس عم النبي عليه السلام، قال: فقال عليه السلام: " أما أبو جهم فلم ينقم منا إلا أن أغناه الله ورسوله من فضله، وأما خالد فإن الناس يظلمون خالدا. إن خالدا قد جعل رقيقه ودوابه حبسا في سبيل الله، وأما العباس فإنها عليه ومثلها معها ". وكتب عليه السلام لأكيدر: هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد، سيف الله في دوماء الجندل وأكنافها، أن لنا الضاحية من البعل، والبور والمعامى وأغفال الأرض والحقلة، ولكم الضامنة من النخل، والمعين من المعمور." (٣)

"أياما ببلدته، ثم سافر إلى بلاد أخرى، وأخذ عن

الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي إمام الطريقة المجددية، وقرأ عليه الكتب الدرسية، ثم أخذ عنه الطريقة ولازمه ملازمة طويلة، فلما بلغ رتبة الإرشاد استخلفه الشيخ ووجهه إلى آكره فلبث بها زمانا وحصل له القبول عند عامة تلك البلدة والوجاهة عند الأمراء، ثم سنحت له حاجة للرجوع إلى سهارنفور فذهب إلى بلدته بدون أن يستأذن شيخه فوقع في نفس شيخه شيء، فلما أحس بالكدورة رجع إلى آكره واشتغل بالإرشاد والتلقين، ولكنه لم يحصل له قبول في تلك المرة بل وقعت فتنة عظيمة من أمره ونهيه، فاضطر إلى الرجوع إلى سهارنبور مرة ثانية فأقام بها مدة حياته، كما في

---

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص) عبد الله عبادى اللحجى ١٤٢/٣

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١١٨/١

(٣) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٤٧/١

حضرات القدس توفي سنة اثنتين وأربعين وألف، كما في مهر جهانتاب.

الشيخ برهان الدين البرهانبوري

الشيخ العالم العارف برهان الدين البكري الشطاري البرهانبوري المشهور براز إلهي كان من مشاهير الأولياء، ولد بقرية معمولي من أرض خانديس، ونشأ ببلدة برهانبور، وكان من قبل الأب من ذرية سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ومن قبل الأم من أولاد سيدنا الإمام حسين السبط عليه السلام، وكان اسم والدته فاطمة.

وهو نشأ في تصون تام وعفاف وتأله واقتصاد في الملبس والمأكل، ولم يزل يجتهد في خدمة الفقراء بزاوية الشيخ عيسى بن قاسم الشطاري، ويسوي الطين للاستنجاء له، ويستفيد منه حتى نال حظا وافرا من العلم والمعرفة، وبلغ رتبة لم يصل إليها أحد من أصحاب الشيخ، فقام مقامه في الإرشاد والتلقين، وسلك على قدم التجريد والتفريد والصدق والديانة، تذكر له كشوف وكرامات، وكان يأتي لديه الأمراء والملوك فيستمدون منه في مهماتهم ويتبركون به.

قال الخوافي في منتخب اللباب: إن عالمكير لما قصد أكبر آباد وعزم على قتال صنوه دارا شكوه، نكر زيه وذهب إلى حضرة الشيخ بغتة، لأن الشيخ كان لا يرضى بلقاء الملوك والسلاطين، فسأل الشيخ عن اسمه فقال: أورنك زيب، فسكت الشيخ ولم يلتفت إليه حتى نهض عالمكير، ثم جاء في اليوم الثاني فقال الشيخ: إن كنت أحببت هذه الزاوية فأتركها لك وأختار أخرى سواها، فخرج عالمكير وراجع أحد خدمة الشيخ وكان محببا إليه، فأشار عليه بأن يحضر عند ما يخرج الشيخ للصلاة فيطلب منه فاتحة الرخصة قائما، فحضر عالمكير عند ذلك فسأل الشيخ عنه، فطفق عالمكير يشكو أخاه دارا شكوه بعدم احتفاله بالشرع والدين وطلب منه فاتحة الرخصة، فقال الشيخ في اللغة الفارسية: از فاتحه ما فقيران كم اعتبار جه ميشود! شماكه بادشاهيد به نيت عدالت ورعيت بروري فاتحه بخوانيد ما هم دست برميداريم يعني ماذا يكون أهون من فاتحة أمثالنا من الفقراء، أنت من السلاطين! اقرأ الفاتحة بنية العدل وحسن العهد بالرعية، نحن أيضا نرفع أيدينا – فأسر نظام الدين البرهانبوري إلى عالمكير بالتبشير بالفوز – انتهى.

وفي التأليف المحمدي أن عاقل خان الرازي جمع ملفوظاته في كتابه ثمر الحياة أقول: وقد جمع أحد أصحابه ملفوظاته في روائح الأنفاس وللشيخ برهان الدين أيضا مصنفات منها شرح أسماء الله الحسنى وشرح آمنت بالله وغيرهما، مات في الخامس عشر من شعبان سنة ثلاث وثمانين وألف بمدينة برهان بور فدفن بها وعمره جاوز ثمانين سنة.

الشيخ برهان الدين الكجراتي

الشيخ الفاضل برهان الدين بن الله بخش بن محي الدين بن شهاب الدين بن خوند مير المهدوي الكجراتي، أحد أفاضل المهدوية، له شواهد الولاية كتاب بسيط في إثبات المهدوية للسيد محمد بن

سيد يوسف الجونبوري، صنفه سنة اثنتين وخمسين وألف، كما في هدية مهدوية.

الشيخ برهان الدين العلوي البيجابوري

الشيخ الصالح برهان الدين بن مرتضى بن هاشم بن برهان الدين العلوي الكجراتي ثم البيجابوري،

أحد المشايخ المشهورين، ولد ونشأ بمدينة بيجابور، وأخذ عن جده، وتولى الشياخة بعده، مات لسبع

خلون من ذي القعدة سنة أربع وثمانين." (١)

"أن من ترك الصد زال عنه الكفر وإن طال ذلك منه ﴿و﴾ يصدون عن ﴿المسجد الحرام﴾ أن تقام شعائره من الطواف فيه بالبيت والصلاة والحج والاعتمار ممن هو أهل ذلك من أوليائنا. ثم وصفه بما يبين شديد ظلمهم في الصد عنه فقال: ﴿الذي جعلناه﴾ بما لنا من العظمة ﴿للناس﴾ أي كلهم؛ ثم بين جعله لهم بقوله: ﴿سواء العاكف فيه﴾ أي المقيم ﴿والباد﴾ أي الزائر له من البادية؛ قال الرازي في اللوامع: ﴿سواء﴾ رفع بالابتداء، و ﴿العاكف﴾ خبره، وصلح من تنكيره للابتداء، لأنه كالجنس في إفادة العموم الذي هو أحسن العهد.

ولما ذكر الكفار ودليل كفرهم بما استعطفهم، وزاد في الاستعطاف بحذف الخبر عنهم، ودل آخر الآية هلى أنه يذيقهم العذاب الأليم، عطف عليه ما ينفر عن وصفهم فقال: ﴿ومن يرد فيه﴾ أي شيئا من أفعال الكفار من الصد المذكور وغيره، أي يقع منه إرادة لشيء من ذلك ﴿بإلحاد﴾ أي مصاحبة تلك الإرادة وملتبسة بجور عن الأمر المعروف وميل واعوجاج. ولما كان ذلك يقع على مطلق هذا المعنى، بين المراد بقوله: ﴿بظلم﴾ أي في غير موضعه، وأما صد الكفار عنه فإنه بحق، لأنهم نجس لا ينبغي قربانهم المحال المقدسة، وكذا صد الحائض والجنب والخائن ﴿نذقه﴾ ولما كان المشروط نوعا من الإلحاد، لا الإلحاد الكامل، عبر بقوله." (٢)

"وقد كان رفع إلى السلطان المغرى بالبناء وتخليد الآثار أبي عنان رحمه الله، خبر ما عليه الناس من إخافة عدوهم، واهتضام عرصتهم واستهداف عقوتهم، فأمر بارتياد محل لتأسيس مدينة، فاختير على غلوات منهم، محل أرضه صخر منطبق على تراب، يتأتى فيه اتخاذ الخندق غير مثلوم الشفا، بعيد المهوى، يبني السور بما يخرج منه من الثرى ويصون الأطباق المعدة للاختزان عن أضرار السماء، ويكون سطح الأرض على خمس قامات من منبع الماء. فشرع في البناء واستبعد الفضاء، ومثلت الأبواب العديدة، والأبراج المشيدة. وعاق عن إتمامها هجوم حمامه وانصرام أيامه، فرغب أهله في التنبيه على تكميل نقيصته واحتياز حسنته.

وتلقانا مشرف المحبى بها الشيخ الفقير الخير أبو عبد الله اللجائي، قريع الأمانة والفضل، العف اليد، الحصور عن مساس الجباية، المتصل الاستعمال باستصحاب الحال الرقيقة، وسقوط التهمة من أهل الطلب والسذاجة وحسن العهد وكرم العشرة، الجواد على كونه منينا عدم العتاد في حال الكبرة. تلقانا في جملة من أتباع الخدمة، ثم تلاهم مركب القاضي والعدول، وقاضيها الحاج أبو عبد الله محمد ابن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي الزموري، رجل مختصر البنية والثوب

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٥٠٤/٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٤/١٣

قد طرقه الوخط على حداثة، يحفظ غثاء من منقول كتب التفسير وغيرها، ذاكر لمسائل متعددة، مسترسل اللسان في أسلوب يفضحه الإعراب عادة لا جهلا بقانون النحو. شموس عند المذاكرة في المسائل العلمية، أطرف بحديث رحلته. ولما نزلنا خنس فلم نسمع له ذكرا إلى أن شيعنا من الغد، فسعطته بخردل العتب ديدني في مقصري هذا الصنق القمن بفعل الأغنياء في البر المستحق لولا رؤية الفضل لنفسه بمزية الفضل، فزلة العالم معروفة بعدم الإقالة، فاستعتب واعترف، وسألته الإجازة فيما يحمله، واكتتاب شيء من منظومة الكثير، وقد سمى موضوعات ذكرها من تأليفه فوعد بذلك مطيرا به إلى محل المبيت ليلتئذ. وتلاحق بي رسوله بنزر يتضمن ذكر أشياخ أكثرهم غير مسمى، وجلب شيئا من حاله حتى عن القابلة التي التقطته ورؤيتها إياه على هيئة عن المكلف المخاطب بوظائف الشريعة من سجود ورفع يد إلى السماء، إلى أمثال هذا. فخاطبته وأعدت الرسول إليه بقولي:

أليس قليل نظرة إن نظرتها ... إليك وكلا ليس منك قليل

وصلت أيها الفاضل رقعتك التي تضمنت الفوائد، وصلتك التي استصحبت العائد، وشاهد فضلك الذي بين تصريفه الأصلي والزايد، متفننة في ضروب لا تجنح شمسها لغروب، هزت ألحانها مني عطفى طروب، واستقر قراها بين يدي أكول لمثلها وشروب. فلله ما تضمنت من فوائد رحلة حجازية لبست من حسن الحجى زيه، وذكر أعلام وأركان استلام إلا أنها كانت كليلة الوصل ما عابها إلا القصر، فلوددت أن لو أمدها بسواده مني القلب أو البصر. بخس وزنها الاختصار لا بل الاقتصار، وافتقرت إلى شرح يقع به على متعاصي معانيها الانتصار، ووعد المجلس القاضوي باكتتاب شيء من منظومه بعد اعترافه بأنه كثير ومهاد وثير فما كان إلا الوعد، والأخلاف من بعد:

يا لواة الدين عن ميسرة ... والضنينات وما كن لئاما

والظن بسيدي أنه دعا عند شربه من بئر الحرم، بأن ترفع عنه مؤنة الكرم، فأجيبت الدعوة كما ورد، واستقام العمل واطرد، فكان اللقاء على مسافة قصيرة، وملاحظة البر بمقلة غير بصيرة، والزيارة مزورة، وأظنه لاحظ بيت شاعر المعرة:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم ... والعذب يهجر للإفراط في الخصر." (١)

"رأسه عن عسر متصلا ببعض ترقوته، وضمه بعضهم في فضل ثوبه فأوصله إلى ما بين يدي الثائر والعيون ناظرة إلى خليفتها بالأمس على هذه الحال فلم تحرك الحمية نفسا، ولم يقم حسن العهد رسما، وأمر والي البلدة بمواراته، فأضيف رأسه إلى جسده، لأم غاسله بينهما بطين القيموليا العلك. وقضى مشاهده العجب من بدانته وفرط شحمه. واستدعي له من سراة الناس ووجوه الطبقات من حضر جنازته وقد نوه بجهازه وخشب مواراته، ودفن بالقبلة من المقبرة بازاء المصلى العيدي المطلة من كثب على باب الجيسة، فانقضى أمره على هذه الوتيرة. وكان رحمه الله على تطامن همته وتقاصر مدى خصاله، دمثا شديد الحياء وسيما غير عري عن الإدراك سيما في مبادئ الحساب. وقام بالأمر على سنن الحجابة العامرية الوزير الناهض بالكل البائي بالعبئ، مكفي السماء على الأرض، وخائض بحر الهول، وفاصل خطة الكريهة وابن جلا الإقدام

---

(١) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لسان الدين بن الخطيب ص/١٢

وطلاع ثنايا الجرأة من مرهف البدن نحيله، يتوقد ذكاء، حديد اللحظ خفيف الحركة، نومه فكرة وجوارحه مسامع:
رقيق كما غنت حمامة أيكة ... وجزل كما شق الهواء عقاب." (١)

"رجع إلى أخبار ابن العربي – فنقول: إنه سمع بالأندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزني وأبا عبد الله السرقسطي، وببجاية أبا عبد الله الكلاعي، وبالمهدية أبا الحسن ابن الحداد الخولاني، وسمع بالإسكندرية من الأنماطي، وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره، وبدمشق غير واحد كأبي الفتح نصر المقدسي، وبمكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن بندار، وقرأ الأدب على التبريزي وعمل، رحمه الله تعالى، على مدينة إشبيلية سورا بالحجارة والآجر بالنورة من ماله. وكان – كما في الصلة –[مقدما في المعارف كلها] حريصا على أدائها ونشرها (١) ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب فيها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة ولين الكنف، وكثرة الاحتمال وكرم النفس، وحسن العهد وثبات الود.
وذكره ابن بشكوال في الصلة وقال فيه: الإمام الحافظ، ختام علماء الأندلس، رحل إلى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ودخل الشام والعراق وبغداد، وسمع بها من كبار العلماء، ثم حج في سنة تسع وثمانين، وعاد إلى بغداد، ثم صدر منها (٢) .
وقال ابن عساكر: خرج من دمشق راجعا إلى مقره سنة ٤٩١، ولما غرب صنف " عارضة الأحوذي " ولقي بمصر والإسكندرية جملة من العلماء، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وقدم إشبيلية بعلم كثير، وكان موصوفا بالفضل والكمال، وولي القضاء بإشبيلية، ثم صرف عنه، ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة، وتوفي بمغيلة بمقربة (٣) من مدينة فاس، ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين

(١) في أصول النفح: آدابها وسيرها، والتصحيح عن الصلة وابن خلكان، والضمير راجع إلى " المعارف "، واضطرب النقل على المقري.
(٢) النقل عن الصلة باختصار شديد.
(٣) ق: بمقيلة بقرية.." (٢)

"حاله من الكتاب المؤتمن (١) – كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة ابن أبي زيد، حسن الإقراء لهما، وله عليهما تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصغير، حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الأندلس من فاس، ولم أر في متصدري بلده أحسن تدريسا منه، كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، موفيا حقوقها، وذلك لمشاركته الحضر فيما بأيديهم من الأدوات، وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة، وكان مع ذلك سمحا فاضلا، حسن اللقاء، على خلق بائنة على أخلاق أهل مصره، امتحن بصحبة السلطان، فصار يستعمله في الرسائل، فمر في ذلك حظ كبير من عمره ضائعا لا في راحة دنيا ولا في نصب آخرة، ثم قال: وهذه سنة الله فيمن خدم الملوك، ملتفتا إلى ما يعطونه، لا إلى ما

(١) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب   لسان الدين بن الخطيب ص/٩٠
(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس   المقري التلمساني ٢٨/٢

يأخذون من عمره، وراحته أن يبوء بالصفقة الخاسرة، لطف الله بمن ابتلي بذلك وخلصنا خلاصا جميلا.

ومن كتاب " عائد الصلة ": الشيخ الفقيه الحافظ القاضي، من صدور المغرب (٢) ، مشاركة في العلم، وتبحرا في الفقه، كان وجيها عند الملوك، صحبهم وحضر مجالسهم واستعمل في السفارة، فلقيناه بغرناطة، وأخذنا بها عنه، تام السراوة حسن العهد مليح المجالس أنيق المحاضرة، كريم الطبع صحيح المذهب.

تصانيفه – قيد على المدونة بمجلس شيخه أبي الحسن كتابا مفيدا، وضم أجوبته على المسائل في سفر، وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الإفادة.

مشيخته – لازم أبا الحسن الصغير، وهو كان قارئ كتب الفقه عليه، وجل انتفاعه في التفقه به، وروى عن أبي زكريا ابن يس (٣) ، قرأ عليه كتاب

---

(١) الكتاب " المؤتمن " من تأليف أبي البركات ابن الحاج البلفيقي وسيأتي ذكره في ترجمته ص: ٤٨٦.

(٢) في الأصلين: العلم، والتصويب عن الإحاطة.

(٣) الإحاطة: ابن أبي ياسين.." [1]

"زينتها على العموم والخصوص، ثم أنتم مدار أفلاكها، وسر سياسة أملاكها وترجمان بيانها ولسان إحسانها وطب مارستانها والذي عليه عقد إدارتها وبه قوام إمارتها فلديه يحل المشكل وإليه يلجأ في الأمر المعضل فلا غروأن تتقيد بكم الأسماع والأبصار وتحدق نحوكم الأذهان والأفكار ويزجر عنكم السانح والبارح ويستنبأ ما تطرف عنه العين وتختلج الجوارح استقراء لمرامكم واستطلاعا لطالع اعتزامكم واستكشافا عن مرام سهامكم لاسيما مع إقامتكم على جناح خفوق وظهوركم في ملتمع بروق واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق حتى تستقر بكم الديار ويلقي عصاه التسيار ولها العذر في ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل وسرورها بلقائكم لم يكتمل ولم يبرأ بعد جناحها المهيض ولا جم ماؤها المغيض ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ولا استوى نهارها ولا تألفت أنهارها ولا اشتملت نعماؤها ولانسيت غماؤها بل هي كالناقه والحديث العهد بالمكاره يستشعر نفس العافية ويتمسح منكم باليد الشافية فبحنانكم عليها وعظيم حرمتكم على من لديها لا تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج وتفطموها عما عودت من طيب المزاج فما لدائها وحياة قربكم غير طبكم من علاج.

" وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم وعناية بما يعنيكم ما نال جانبكم صانه الله تعالى بهذا الوطن من الجفاء ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء وأن الوطن إحدى المواطن الأظآر التي يحق لهن جميل الاحتفاء وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح وبحق نفسكم عن حق أوليائكم أسمح وللتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسجح وهب أن الدر لا يحتاج في الإثبات إلى شهادة النحور واللبات والياقوت غني في المكان عن

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٨٨/٥

مظاهرة القلائد والتيجان أليس أنه أعلى للعيان وأبعد عن مكابرة البرهان تألقها في تاج الملك أنوشروان فالشمس وإن كانت أم الأنوار وجلاء الأبصار مهما أغما مكانها من الأفق." (١)

"لقد كنت لي حسب اقتراحي ومنيتي ... مفدى إذا اشكو وأنت الذي أفدي

مجيبا بمطلوب ملب بدعوة ... مراع بمرغوب سريعا إلى رفدي

فماذا عسى أنكرت مني وما الذي ... أباحك تعذيبي وقتلي على عمد

أراك وقد خلفتني ذا لواعج ... من البين ذا قلب أشد من الصلد

لمن صرت لا زلت بك النعل غاديا ... حليفا وذا أهل وقد كنت لي وحدي

فيا ناسيا للود إني ذاكر ... ويا ناقض الميثاق إني على العهد

أبى الله أن أرعى ذمامك جاهدا ... وتبخسني حقي وتكثر في جهدي

فلا كان لي قلب لغيرك جانح ... ولا صحبتني مقلة فيك لا تندي

فقدتك إبراهيم فقدان آدم ... على دعة من أمره جنة الخلد

أعلل قلبا لا يحيل تعلة ... به عنك ذا توق جزيل وذا وقد

وأنشد بيتا سالفا حسب لوعتي ... إذا هاج تهيامي وقد فاتني قصدي

لعل الذي أبلى بهجرك يا فتى ... يردك لي يوما على أحسن العهد

أقلب طرفي لا أراك فينثني ... بوابل دمع كالجمان على خدي

وددتك تدري ما الذي بي من الجوى ... عسى كنت ترثي لي من الهم والوجد

أما تذكرن ما دار بالوصل بيننا ... أباريق لذات ألذ من الشهد

لأية حال قد تناسيت خلتي ... وكيف استجزت الهجر والنكث للعهد

سلامي على اللذات بعدك والهوى ... وحلو التصابي والتشوق للمرد

فيا ليت شعري من تبدلت بي ومن ... غدا حاسدي في القرب بالبين تستعدي

فما أم خشف راعها حبل صائد ... فأذهلها عنه وغابت عن الرشد

تحن فتستهدي الأسود لغابها ... فلا أثرا تلقى ولا هاديا يهدي

بأفجع مني حين فارقته ضحى ... حليف أوار لا أعيد ولا أبدي

لئن كنت أخلفت العهود وخنت بال ... مواثيق عن جهل وملت عن الرشد

فحبك في قلبي وذكرك في فمي ... وأنت بعيني ما حييت إلى اللحد

قوله " أبطأ من فند " مثل.

وفند هذا مولى عائشة ابنة سعد بن أبي وقاص، وكان أحد المغنين المحسنين، وكان يجمع بين الرجال والنساء.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦/٢٩

وله يقول ابن قيس الرقيات:

قل لفند يشيع الأظعانا ... طال ما سر عيشنا وكفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار، فوجد قوما يخرجون إلى مصر، فخرج معهم، فأقام بها سنة، ثم قدم فأخذ نارا، وجاء يعدو، فعثر وتبدد الجمر، فقال: تعست العجلة.

وفيه يقول الشاعر:

ما رأينا لغراب مثلا ... إذ بعثناه يجي بالمشمله

غير فند أرسلوه قابسا ... فثوى حولا وسب العجله

المشملة: كساء يجمع المقدحة وآلاتها.

وقالبعضهم المشملة، بفتح الميم، وهي مهب الشمال، يعني الجانب الذي بعث نوح عليه السلام إليه الغراب؛ ليأتيه بخبر الأرض أجفت أم لا، فاشتغل بجيفة رآها في طريقه، وفيه يقال: " أبطأ من غراب نوح ".

صالح بن قمر

هلال نجابته يعد بأقمار، وفيه وفي نباهته أحاديث وأسمار.

كتب وقيد بخطه الكثير، ونظم ونثر فجاء بالدر النظيم واللؤلؤ النثير.

وقد أوردت له ما تستبدعه، وتحفظه في خزانة النفس وتستودعه.

فمنه قوله:

يا مقلة الحب مهلا ... فقد أخذت بثارك

وأنت يا وجنتيه ... لا تحرقيني بنارك

فقد كفاني لهيب ... أصابني من شرارك." (١)

"أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة؛ لما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها «١» ، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد «٢» من الإيمان» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن آل أبى فلان ليسوا لى بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها «٣» » . وعن أبي قتادة قال: وفد وفد للنجاشى، فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: «إنهم لأصحابنا مكرمين وإنى أحب أن أكافئهم» . ولما جىء بالشيماء أخته من الرضاعة فى سبايا هوزان وتعرفت له، بسط لها رداءه، وقال لها: «إن أحببت أقمت عندى مكرمة محبة أو متعتك ورجعت إلى قومك» فاختارت قومها فمتعها. وقال أبو الطفيل: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غلام، إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه، فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت من هذه؟

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣٢٤/١

قالوا: أمه التي أرضعته. وعن عمرو «٤» بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه. وكان يبعث إلى ثوبية مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة، فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل: لا أحد. وفى حديث خديجة رضى الله عنها." (١)

"والله لولا أننى ... أرجو اللقا لقضيت نحبى

هذا وما فارقتكم «١» ... لكننى فارقت قلبى.

وكتب جواب كتاب ورد عليه:

شكرت لدهرى جمعه الدار مرة ... وتلك يد عندى له لا أضيعها

وطلعة مولانا يطالع عبده ... وكل ربوع كان فيها ربوعها

فؤاد سقاه لا يعود غليله ... وعين رأته لا تفيض دموعها

ورد على الخادم كتاب المجلس- أعلى الله سلطانه وأثبته، وأرغم أنف عدوه وكبته، وأصماه بسهام أسقامه وأصمته؛ ولا أخلى الدنيا من وجوده، كما لم يخل أهلها من جوده، ولا عطل سماء المجد من صعوده، كما لم يعطل أرضها من سعوده- وهو كتاب ثان يثنى إليه عنان الثناء، ويصف لى حسن العهد على التناء، ويستنهض الأدعية الصالحة فى الأطراف والآناء، ويبشر الخادم بأنه وإن كان بعيد الدار فإنه بمثابة المقيم فى ذلك الفناء، وأن هذه الخدمة التى أنعم الله عليه بها وثيقة الأساس على الدهر شامخة البناء؛ فقام له قائما على قدمه، وسجد فى الطرس ممثلا سجود قلمه، واسترعى الله العهد على أنه تعالى قد رعى ما أودعه فى ذمة كرمه؛ وصارت له نجران «٢» علاقة خير صرف إليها وجهه فكأنها قبله، ودعا بنى الآمال إلى اعتقاد فضل مالكها فكأنما يدعوهم إلى." (٢)

"[شفقته ورأفته ص]

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد وصفه الله بها في قوله عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم «١» وقال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين «٢» روي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه، ثم قال:

ل «أحسنت إليك» ؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم: «أن كفوا» ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده شيئا، ثم قال: «أأحسنت إليك؟» قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال عليه الصلاة والسلام: إنك قلت ما قلت، وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب ما في صدورهم عليك» ، قال: نعم، فلما كان الغد- أو العشي- جاء فقال عليه الصلاة والسلام: «إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي، أكذلك؟» : قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال عليه الصلاة والسلام: «مثلي ومثل هذا، مثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحبها: خلو

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب   النويري ١٨/٢٦١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب   النويري ٨/٣٨

بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه دخل النار»

«وقال عليه الصلاة والسلام» : لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر «٤» . وكان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته. وعن ابن مسعود كان عليه الصلاة والسلام يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا «٥» .

[وفاؤه وصلته الرحم ص]

وأما خلقه عليه الصلاة والسلام في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم، فروي عن عبد الله بن أبي الحمساء «٦» قال: بايعت النبي عليه الصلاة والسلام ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن اتيه بها مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث،

---

(١) سورة التوبة اية ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء اية ١٠٧.

(٣) رواه البزار عن أبي هريرة بسند ضعيف وابن حبان وأبو الشيخ مسند ضعيف قال الهثيمى في مجمع الزوائد فيه ابراهيم بن الحكم بن ابان وهو متروك وشردت الناقة نفرت واستعصت وقمام جمع قمامة وهي الكناسة.

(٤) رواه أبو داود والترمذي عن ابن مسعود.

(٥) رواه الشيخان وقال الترمذي هذا حديث غريب من هذه الوجه.

(٦) (بالمهملتين المفتوحتين والميم بينهما ساكنة) .." [(١)]

"يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس" (١) فالرفق والتبسم وحسن المعاشرة من أكثر الأمور تأليفا للقلوب، وفي تحمل غلاظة بعض المراجعين أو شدتهم أو سوء أدبهم في قضاء حوائجهم يأمر القرآن الكريم بحسن معاملتهم كما قال الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (٢).

وينبغي على العمال الحرص الشديد على أخلاقيات التعامل مع المراجعين، مع التركيز على أصحاب الطباع الفظة، وهذه تنبع من قيم حسن العهد وأخلاق حسن التعامل، وهذا مصداق لقوله – صلى الله عليه وسلم – عندما استقرض من عبد الله بن أبي ربيعة (٣) – رضي الله عنهم – أربعين ألفا، فجاءه – صلى الله عليه وسلم – فدفعها له وقال: بارك الله في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء" (٤). كما قال – صلى الله عليه وسلم –: "رحم الله رجلا سمحا إذا با ع وإذا اشترى وإذا اقتضى" (٥)، وتتباين تعاملات العمال مع العملاء، فالبعض يهمل الأخلاقيات الأساسية في التعامل مع المراجعين من حيث حسن مخاطبتهم وتذكيرهم بما يلزم لاستكمال تقديم الخدمة لهم، أما البعض الآخر فيلاحظ توفر الحد الأدنى من أخلاقيات التعامل من حيث الالتزام بها واستحضارها، وبالطبع فإن حسن التعامل مع العملاء يعد أمرا أساسيا في الاحتفاظ بالجمهور في المعاملات المستقبلية، ومن ثم لا بد من توعية المؤسسات العامة والخاصة بهذا الأمر،

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد الخضري ص/٢٥٨

وقد يكون من المناسب استخدام التقنيات الحديثة من خلال تخصيص موقع الكتروني للاستفسار عن كافة الأمور ولتوعية المستثمرين بحقوقهم وواجباتهم.

وقد فطنت بعض النظم والقوانين المعاصرة إلى أهمية هذا الأمر، فوضعت ضمن لوائحها المدنية ما يلزم الموظف بآداب اللياقة والحدود النظامية التي تقتضيها أصول المخاطبة مع المراجعين –كالقانون السعودي–، الذي نص في المادة رقم (٦٥) على أن من واجبات العمال أن يلتزموا حسن

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج٣، ص٣٠٩، وأورده الهيثمي في مجمع الزائد بدون الجملة الأخيرة، ج١٠، ص٢٧٣، وهو حديث صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ص ١١٣٠، برقم (٦٦٦٢)، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم ١٩٩.

(٣) كان يلقب بذي النور، ولاه عمر القضاء أثناء معركة القادسية وبعثه لقتال الترك، استشهد في بلنجر (في القوقاز) بعد مضي ثمان سنين من خلافة عثمان، ودفن في بلاد الترك. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٥٣٣.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الصدقات، باب حسن القضاء، ص٤١٣، برقم (٢٤٢٤)، وحكم عليه الشيخ الألباني بأنه حديث حسن.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، ص ٤٩٢، برقم (٢٠٧٦).." [١]

"وبينها؛ فقلت لها: كلي، فأبت، فقلت لها: كلي، فأبت، فقلت لها: لتأكلين، أو لألطخن بها وجهك، فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و (الخزيرة) : لحم يقطع قطعا صغارا، ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة.. عرك بأنفها وقال:

«يا عويش؛ قولي: اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن» .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة– رضي الله تعالى عنها– إنها كانت تحب خديجة» .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة رضي الله تعالى عنها لما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها، واستأذنت عليه أختها فارتاح لها، ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال:

«إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان» .

---

(١) واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل الفلسطيني سمير العواودة ص/٦٧

قال القسطلاني: (وهكذا كانت أحواله عليه الصلاة والسلام مع أزواجه، لا يأخذ عليهن ويعذرهن، وإن أقام عليهن قسطاس عدل أقامه من غير قلق، ولا غضب.

وبالجملة: فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه." (١)

"الأحوال والصبر والجود والسخاء والكرم والشفقة والتواضع والحياة وحسن العشرة والصدق والعفاف والوفاء

وحسن العهد لين الجانب والزهد في الدنيا والقوة في الأعضاء

وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ويكافي عليها ويكثر التبسم ويتخلق بالقرآن

ولما صدر من قومه ما صدر فقال (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)

وقال له جبريل عليه السلام قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عرض علي أن يجعل بطحاء مكة ذهبا وفضة فقلت (لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما)

(فأما الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأما الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك)

وقال (أفلا أكون عبدا شكورا)

وأعطى الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما لم يعطه لأحد من خلقه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا أكرم الأولين والآخرين وأنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وأنا اول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وفضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيين)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكوثر الذي وعدنيه ربي نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدروالياقوت وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من الثلج

ومن أعظم درجة المبرة أن أقسم جل وعلا بحياته فقال ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾

وما أقسم الله بحياة أحد إلا بحياته

وقال ابن العربي اقسم بغبار خيله

فقال ﴿والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا﴾

وقال الجوزي اقسم بتراب قدميه فقال ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾

واقسم جل وعلا على تحقيق مكانته فقال والضحى إلى." (٢)

"ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود. واستقضي ببلدة فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه، وكانت

---

(١) وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم   يوسف النبهاني ص/٢٢٥

(٢) وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام   ابن قنفذ ص/١٤٠

له في الظالمين سورة مرهوبة، ثم صرف عن القضاء، واقبل على نشر العلم وبثه. وسألته عن مولده فقال: ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة. وتوفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، رحمه الله تعالىانتهى كلام ان بشكوال.

قلت أنا: وهذا الحافظ له مصنفات: منها كتابعارضة الأحوذي في شرح الترمذي وغيره من الكتب، وكانت ولادته بإشبيلية، وقيل إن ولادته كانت سنة تسع وستين، وقيل إن وفاته كانت في جمادى الأولى على مرحلة من فاس عند رجوعه من مراكش، ونقل إلى فاس، ودفن بمقبرة الجياني.

(١٨٢) وتوفي والده بمصر منصرفا عن المشرق في السفرة التي كان ولده المذكور في صحبته، وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، ومولده سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة (١) ، رحمه الله تعالى.

وقد تقدم الكلام على المعافري والإشبيلي.

ومعنعارضة الاحوذي فالعارضة: القدرة على الكلام، يقال: فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرة على الكلام، والأحوذي: الخفيف في الشيء لحذقه، وقال الأصمعي: الأحوذي المشمر في الأمور القاهر لها الذي لايشذ عليه منها شيء، وهو بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وفي آخره (٢) ياء مشددة.

---

(١) لي: والكفاية.

(٢) ن: آخرها.." [1]

"وعلى ذكر أبي الفتح فلبعض العصريين من أهل نيسابور فيه

(إذا قيل من فرد العلى والمحامد ... أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد)

(همام له في مرتقى المجد مصعد ... يلوح له العيوق في ثوب حاسد)

(كريم حباه المشترى بسعوده ... وأصبح في الآداب بكر عطارد)

(به سحبت خوارزم ذيل مفاخر ... على خطة الشعرى وربع الفراقد)

(فلا زال في ظل السعادة ناعما ... يحوز جميع الفضل في شخص واحد) // من الطويل //

وحدثني أبو سعيد محمد بن منصور قال لما ورد أبو عبد الله رسولا على شمس المعالي ووصل إلى مجلسه فأبلغ الرسالة وأدى الألفاظ واستغرق الأغراض أعجب به شمس المعالي إعجابا شديدا

وأفضل عليه إفضالا كثيرا ورغب في جذبه إلى حضرته واستخلاصه لنفسه فأمرني بمجاراته في ذلك ورسم لي أن أبلغ كل مبلغ في حسن الضمان له وأركب الصعب والذلول في تحريصه وتحريضه على الانتقال إلى جنبته فامتثلت الأمر وجهدت جهدي وأظهرت جدي في إرادته عليه وإدارته بكل حيلة وتمنية جميلة فلم يجب ولم يوجب وقال معاذ الله من لبس ثوب

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤/٢٩٧

الغدر والانحراف عن طريق حسن العهد وانصرف راشدا إلى أوطانه وحضرة سلطانه

وقد كتبت لمعا من شعره وليس يحضرني الآن سواها لغيبتي عن منزلي فتأخر كثير مما أحتاج إليه عني قال من قصيدة في الصاحب

(غدا دفتري أنسا وخطي روضة ... وحبري مداما وارتجالي ساقيا)

(ولا شدو لي إلا التحفظ قارئا ... ولا سكر إلا حين أنشد واعيا)

(تجشم أوصافا حسانا لعبده ... فطوقه عقدا من العز حاليا)

(فلولا امتثال الأمر لا زال عاليا ... لطار مكان النظم رجلان حافيا)." (١)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤/٢٨٦